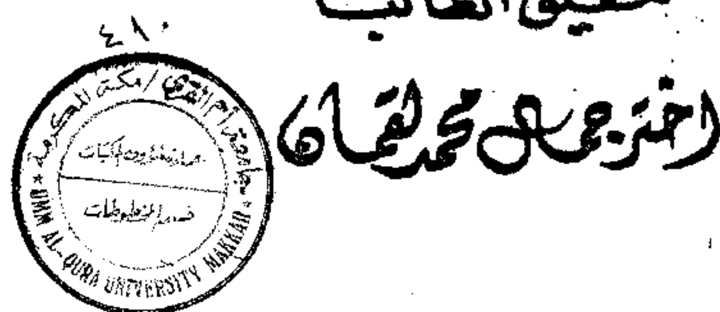


جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

كتاب الاعتقاد

لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني
٥٠٢ هـ

تحقيق الطالب



أختر جمال محمد لقمان

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إشراف

الأستاذ الدكتور محيي الدين الصافي

١٤٠١/١٤٠٢هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر وتقـــدير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

وبعد :

فاتقدم بالشكر والتقدير الى استاذى فضيلة الدكتور محى الدين الصافى حيث اولانى عناية تامة بالنصح والتوجيه طوال مدة التحضير، وبذل مجهودا عظيما فى ارشادى وتوجيهى، حتى وصلت بالبحث الى هذا المستوى الذى وصل اليه، ولم يقتصر لقائى معه على ساعات الاشراف المخصصة من قبل الجامعة بل كان يستقبلنى فى منزله اية ساعة جئته من ليل او نهار، فله منى خالص الشكر والتقدير،

كما اتقدم بالشكر الجزيل للقائمين على كلية الشريعة بجامعة أم القرى وعلى رأسهم سعادة الدكتور راشد الراجح الشريف " وكيل الجامعة " و سعادة الدكتور محمد بن سعد الرشيد " عميد الكلية سابقا " وسعادة الدكتور محمد عليان الحازمى " العميد حاليا " وسعادة مدير مركز البحث العلمى الدكتور ناصر بن سعد الرشيد، ولا يفوتنى ان اشكر جميع من قدم لى مساعدة فى انجاز هذا البحث،

والله أسأل أن يهدينى سواء السبيل .

المقدمـــة

ان الحمد لله - نحمده ونستعين ، ونؤمن به ونتوكل عليـــه ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهد اللـــه فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، بلغ الرسالة . وأدى الامانه ، وترك الامة علـــى المحجة البيضاء . ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك ، وجاهد في الله حق جهاده ، حتى اتاه اليقين .

والصلاة والسلام عليه ، وعلى أزواجه الطيبين ، وأصحابـــه المتقين . وعلى التابعين لهم باحسان ، ومن تبعهم الى يوم الدين

أما بعد :

فقد اكمل الله بنبيه الدين ، حيث قال : " اليوم اكملـت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا (١) " وقـــال " ماكان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين" (٢)

وكان المسلمون الاوائل ، في ظل هذا الدين الحنيف ، تربطهم عقيدة واحدة صحيحة . ظلت - بفضل الله - في صفائها ونقائهـا وقدسيتها . بعيده عن تأثير افكار البشريه وآرائهم وأهوائهم .

كيف لا . وقد تكفل بحفظها وحمايتها الكتاب العزيـــز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والسنه النبويـــه المطهرة التى لا تتطرق اليها الاوهام ولا الظنون .

---

(١) سورة المائده آيه ٣

(٢) " الاحزاب " ٤٠

ومن مزايا هذه العقيدة ، أنها ميراث رسل الله جميعا ، وأنها تربط بين المسلمين أسودهم وابيضهم في مشارق الارض ومغاربها بدين الله الواحد الذى لا يختلف مع الدهور والعصور .

ولكن مع مرور الزمن دب الخلاف والافتراق الى صفوف المسلمين من داخلهم بعد أن دخل في الاسلام أناس من مختلف الديانات والمذاهب ، كانوا يحاولون كل المحاولة ، ويبذلون جهودا ضخمة لزعزعة عقائدهم واثارة الفرقة بينهم واستئصال شأفتهم حتى وقع كثير من المسلمين تحت تأثير هؤلاء ، فاقتنعوا بكثير من آرائهم . وهذا تسبب في ظهور الزندقة وكثرة الفرق . وكثره الكلام في القدر والخوض فيه . وتكتل دعاة التعطيل . وظهر القول بالتشبيه والتكييف والتمثيل والجبر وغير ذلك من الامور .

وبجانب هذا ، كان لترجمة كتب المنطق والفلسفة اليونانية اثر كبير في ادخال المفاهيم الغريبة في دراسة العقيدة الاسلامية . ونلاحظ ههنا أن الذين تأثروا بهذه المفاهيم هم المعتزلة ، فكان عندهم العقل والادلة العقلية أساسا في دراستهم ، فعمي الوطيس بين الحق والباطل ، فاختار الله رجالا من جهابذة العلم صانوها وردوا على اعتراضات المخالفين وشبهاتهم ، وزيفوا استدلالهم . وكان من بين هؤلاء الابطال الذين دافعوا عن الاسلام والمسلمين الرجل العظيم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني ، الذى ألف في هذا المجال كتابه "الاعتقاد" الذى هو موضوع هذه الدراسة .

وقد اخترته للاسباب التاليه :

١- أن الكتاب حافل في موضوعه ، غزير المادة ، حسن الترتيب ، ورأيت ان تحقيقه يضيف جديدا الى كتب العقيدة .

٢- أن المؤلف قد عرف قدره في التفسير والأدب والاخلاق والمواعظ بما نشر له من كتب في هذه العلوم ، فاحببت أن أظهر قدره ايضا في العقيدة ، حتى تضيء شخصيته من جميع الجوانب ،

٣- أن المؤلف قد دافع عن الاسلام والمسلمين وعقيدتهم ورد علي الفرق الباطله ، ولاسيما المعتزلة ردا يثلج به الصدور .

أما منهج الرسالة ، فقد قسمتها الى قسمين ، التحقيق ، والدراسة أما الدراسة فقد تناولت فيها النقاط التاليه :

١- التعريف بالمؤلف :

عصره ، اسمه ، كنيته ، لقبه ، مولده ووفاته ، عقيدته ، مكانته العلمية ، مؤلفاته .

٢- منهج المؤلف .

٣- بين يدى المخطوط .

اسم الكتاب .

توثيق نسبة الكتاب الى المؤلف .

وصف النسخة .

منهج التحقيق والتعليق .

وكان أهم المراجع التى ساعدتني في الدراسة والتحقيق ما يأتي :

١- كتب التراجم والطبقات ، ولاسيما : حلية الاولياء ، التاريخ الكبير للبخارى ، تاريخ بغداد ، تاريخ الحكماء ، الطبقات

الكبرى ، طبقات الاطباء والحكماء ، طبقات المفسرين ، طبقات المعتزله ، بغية الوعاة وغيرها .

٢- كتب العقيدة ، وأهمها : كتاب التوحيد لابن خزيمة ، الاعتقاد للبيهقي ، الابانة للاشعرى ، مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية ، الارشاد للجوينى ، الابانة الكبرى ، والصغرى لابن بطة ، شرح العقيدة الطحاوية ، الشريعة للاجرى ، غاية المرام للامدى وغيرها .

٣- كتب التفسير :

تفسير ابن جرير الطبرى . تفسير القرطبي ، تفسير ابن كثير ، تفسير الرازى ، وتفسير البيضاوى .

٤- كتب السنة ،

الصحاح الستة ، شرح السنة ، المصنف لعبد الرزاق ، ولابن ابي شيبة ، صحيح ابن خزيمة ، سنن الدارمي ، ومسند احمد ، الفائق للزمخشرى ، غريب الحديث لابن قتيبة ، وللخطابي وغيرها .

وقد واجهتني في هذه الدراسة عدة صعوبات اذكر منها .

أولا : رداءة خط المخطوط لدرجة كبيرة ، كانت تصعب معها القراءة في كثير من الاحيان ، فكان كثير من الحروف غير منقوط مما اوقعني في لبس وحيرة في قراءة الكلمات ، والتمييز بينها .

ثانيا : عجمة الناسخ وجهله . حيث كان يذكر المؤنث ويؤنث المذكر ، ويحذف كلمات ، ويحرف الامثال والأشعار ويصحفها

بل كان أحيانا يخطئ في كتابة الايات القرآنيه والاحاديث النبوية .

ثالثا : أن المؤلف قد ساق في أثناء الكتاب عدة أحاديث غريبة ، واخرى موضوعة ، كبدتني كثيرا من المتاعب في البحث عن مواطنها من كتب السنة ، وقد عثرت على بعضها ولم أعثر على بعضها الآخر.

وفي النهاية أحمد الله تعالي الذى وهب لي من القوة والصبر ما أعانني على تحقيق هذا الكتاب القيم ، واخراجه للناس بعد أن ظل في ظلام النسيان قرابة تسعمائة عام ،

فان كنت قد وفقت في تحقيقه فبفضل الله وحده ، " وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب "

مكة المكرمة أختر جمال محمد لقمان

٢٩/٧/١٤٠١هـ

عصره :

الناحية السياسية :

عاش الراغب الاصفهاني في القرن الخامس الهجرى ، في أواخر عهد الخلافة العباسية ، وكانت الاحوال السياسية ملوثة بالاحداث الجسام والمصائب المتلاحقة ، ففي هذا الوقت وقعت أحداث هامة في البلاد من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد كانت الخلافة الاسلامية تحت سيطرة أيدى الأحداث ، فهذه الأسباب أثرت في تضعيف الخلفاء واختلال موازين البلاد من الناحية السياسية

ففي عهد الخليفة القائم بأمر الله اشتعلت نار العداوة بينه وبين البساسيرى الرافضي ، وذلك حينما كان يريد البساسيرى نهب دار الخلافة ، فاستنجد الخليفة طغرلبك ، فدخل وهو أول ملك سلجوقي في بغداد في أبهة عظيمة فملكها وبلاد العراق ، وذلك في سنة ٤٤٧.(١)

والبساسيرى لا يجد فرصة لزعزعة البلاد الا ليستغلها ، وذلك أنه حرض ابراهيم ينال علي أخيه الملك طغرلبك ، فخرج الملك وراء أخيه ، وجاء الخبر بأن الملك محصور ، فانزعج الناس واضطربت بغداد ، ففي هذه الآونة دخل البساسيرى بغداد ، فأهل الكرخ رحبوا به بسعة الصدر ، ووجدوا فرصة لاعادة الاذان بحي علي خير العمل وذلك في سنة ٤٥٠ ،(٢) وبعد ذلك جرت فتنة عظيمة

---

(١) البداية والنهاية ٦٦/١٢

(٢) المرجع المذكور ٧٨/١٢

بين أهل الكرخ الروافض وبين أهل السنة ، فاقتتلوا ، فقتل منهم خلق كثير وذلك في سنة ٤٦٤،(١)

هذا ، وفي أصفهان قد ملكت الباطنيه قلاعا كثيرة ، فقتل السلطان بركيارق منهم خلقا كثيرا ، وأبيحت ديارهم وأموالهم للعامة ، وذلك في سنة ٤٩٤ﻫ ،(٢)

فهذه الاشياء تدل على مقدار ماآلت اليه الاحوال السياسية في القرن الخامس الهجرى من فوضى واضطرابات وضعف وسوء حال ، وعلي رأسها مكائد الروافض التى زلزلت دعائم الدولة .

الناحية الاجتماعية :

وأما بالنسبة لهذه الناحية التى عليها قوام الامة وصلاحها فكانت مضطربة وسيئة للغاية ، حيث انتشر المجون وسوء الخلق والجهالة بين الناس ، وشاعت الزندقة والالحاد والحالة الاقتصادية كانت علي أسوأ ما يكون ، فالأموال كانت تتدفق على الأمراء ومن يلوذ بهم بينما كان بقية الأفراد من الشعب تحت وطأة فقر مدقع ، وقد انهكهم الغلاء الفاحش والقحط الشديد ، لدرجة أن الناس أكلوا الجيف والكلاب ، وانتشر الموت بينهم بسبب الجوع والحرمان ،

وبجانب هذا ، أحرق سوق الطعام والعطارين والشاريين وغيرها ، وبسبب ذلك كثير العيارون ببغداد ، وذلك في سنة ٤٤٩(٣) ، وقد تكررت هذه المصائب مرة اخرى سنة ٤٦٢(٤) ،

(١) المرجع المذكور ١٢/١٠٦ (٣) البداية والنهاية ١٢/٧٠
(٢) " " ١٢/١٥٩ (٤) " " ١٢/٩٩

الناحية الدينية :

كانت الحالة الدينية سيئة ، بل في غاية السوء ، بسبب الأحوال السياسية والاجتماعية للبلاد .

فقد كثرت الفتن بين الفرق الاسلامية ، ووقعت الحرب بين أهل السنة والروافض ، وقتل خلق كثير ، وذلك أن الروافض نصبوا أبراجا وكتبوا عليها بالذهب " محمد وعلى خير البشر ، فمن رضي فقد شكر ، ومن أبي فقد كفر " فأنكر أهل السنة قرن على بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فنشبت الحرب واستمر القتال ، وذلك في سنة ٤٤٣ (١) ، ثم عادت الفتنة مرة أخرى ، فرفع الروافض المصاحف ، وجرت حروب طويلة ، ذهب ضحيتها مائة رجل كما ذكر ابن الجوزى ، وذلك في سنة ٤٨٢ (٢) .

ولم يكن النزاع مقصورا على أهل السنة والروافض فحسب ، بل دب الخلاف الشديد بين الحنابلة والاشاعرة حينما ذم ابن القشيرى الحنابلة واتهمهم بالتجسيم ، وذلك سنة ٤٦٩ (٣) ، ثم تجددت هذه الفتنة سنة ٤٩٢ (٤) .

هذا التعصب أدى الي فساد العمران وخراب البلدان ، كما ذكره ياقوت الحموى (٥) عند كلامه عن مدينة أصفهان ، فقال " وقد فشا فيها الخراب في نواحيها ، لكثرة الفتن والتعصب بين -

---

(١) البداية والنهاية ٦٢/١٢
(٢) " ١٣٥/١٢
(٣) " ١١٥/١٢
(٤) البداية والنهاية ١٦٢/١٢
(٥) معجم البلدان ٢٠٩/١

الشافعية والحنفية ، والحروب المتصلة بين الحزبين ، فكلما ظهرت طائفة نهبت محله الاخرى ، واحرقتها وخربتها ، لا يأخذهم في ذلك ال ولا ذمة ، وكذلك الامر في رساتيقها وقراها .

حياتــــه :

اســـمه :

هو الحسين بن محمد بن المفضل ابو القاسم الراغب الاصفهاني هكذا ذكرها حاجي خليفة (١) ، والزركلي (٢) ، وعمر كحالـه (٣) ، وجرجي زيدان (٤) وبركلمان (٥) ، وكذا ورد في أول هذا الكتاب، وفي فهرس الكتب الظاهرية (٦) ، وفي الموسوعة العربية الميسرة وغيرها (٧)

أما الخوانساري (٨) فقد ذكر أن اسمه حسين بن محمد ، وجاء في فهرس الخزانة التيمورية (٩) ، الحسين بن المفضل بن محمد .

---

(١) كشف الظنون ١/٣٦

(٢) الاعلام ٢/٢٧٩

(٣) معجم المؤلفين ٣/٥٩

(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٣/٤٤

(٥) تاريخ الادب العربي ٥/٢٠٩

(٦) (علوم القرآن) ص ٣٩٦

(٧) ص ٨٥٤

(٨) روضات الجنات ٣/١٩٧

(٩) ٣/١٠٨

وقد انفرد كل من السيوطي (١) والداودى (٢) بتسميته : المفضل بن محمد ، ولكن كثرة القائلين بأن اسمه الحسين تجعلنى أرجح قولهم .

كنيته :

لم يختلف كل من ترجم له في كنيته ، وهي ابو القاسم ، ولم يذكروا سببا لهذه التكنية .

لقبه :

انه يلقب بالراغب بالاتفاق .

مولده ووفاته :

لم تذكر المصادر التى بين ايدينا تاريخ ميلاده ، ولا حالة صباه ، ولا كيف تلقى العلم ، ولا شيوخه او تلاميذه ، اللهم الا ماورد في فهرس الخديوية (٣) أنه من علماء أوائل القرن الخامس .

أما تاريخ وفاته فقد اختلفوا فيه .

فالبيهقي فى تاريخ حكماء الاسلام لم يذكر تاريخ وفاته ، وعلى هامشه أن وفاة الراغب كانت سنة ٥٠٢ في أصح الروايات (٤) .

أما كتاب سفينة البحار فقد ذكر أن وفاته كانت بعد المائة الخامسة وفي مجلة المجمع العلمى العربي أنه توفي سنة ٤٥٢ (٥) .

---

(١) بغية الوعاة ٢/٢٩٧

(٢) طبقات المفسرين ٢/٣٢٩

(٣) ٤/٢٥٤

(٤) نقلا عن الاعلام ٢/٢٧٩

(٥) نقلا عن مقدمة محقق الذريعة .

وذكر حاجي خليفة (١) أنه توفي سنة نيف وخمسائه ،
وفي فهرس الخزانة التيموريه (٢) أن وفاته كانت سنة ٥٠٣ ،
كما حققه بعض المستشرقين .

وأما السيوطي (٣) ، والداودي (٤) فقد ذكر أن وفاته كانت في أوائل المائه الخامسة ، والصحيح أنه توفي رحمه الله سنة ٥٠٢ هـ ، وبه قال بروكلمان (٥) ، والزركلي (٦) ، وعمركحاله (٧) وجرجي زيدان (٨) ، وكذا ورد في فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهريه (٩) ، وفهرس المخطوطات دار الكتب المصريه (١٠) ، وفهرس مخطوطات شستربيتي (١١) ، وفي الموسوعة العربية الميسرة (١٢)

---

(١) كشف الظنون ١/ ٣٦
(٢) ٣/ ١٠٨
(٣) بغية الوعاة ٢/ ٢٩٧
(٤) طبقات المفسرين ٢/ ٣٢٩
(٥) تاريخ الادب العربي ٥/ ٢٠٩
(٦) الاعلام ٢/ ٢٧٩
(٧) معجم المؤلفين ٤/ ٥٩
(٨) تاريخ آداب اللغة العربية ٣/ ٤٤
(٩) (علوم القرآن) ص ٣٩٦
(١٠) ١/ ٣٤٠
(١١) ٧/ ٨٨
(١٢) ص ٨٥٤

عقيدتـــه :

كان الراغب الاصفهاني من ائمة أهل السنة ، كما ذكره الرازي في " أساس التقديس (١)" فقال " ان أبا القاسم الراغب من ائمـــة " وقرنه بالغزالي " وكذلك ابن تيمية ذكره في " درء تعارض العقل والنقل" وقرنه بالغزالي والشهرستاني ، وقرنه الايجي (٣) بالحليمي ،

وكان السيوطي يظنه معتزليا ، كما قال في البغية (٤) : وقـد كان في ظني أن الراغب معتزلي ، حتى رأيت بخط الشيخ بدر الديـــن الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لابن عبد السلام ما نصـــه : ذكر الامام فخر الدين الرازي في أساس التقديس في الأصول أن أبـــا القاسم الراغب من أئمة السنة ، وقرنه بالغزالي ، قال : وهي فائـدة حسنة فان كثيرا من الناس يظنون أنه معتزلي ،

ومن أقوى الادلة على أنه من أهل السنة كتابه " المفردات (٥)" حيث يذهب فيه مذهب أهل السنة ، ويرد على القدرية والجبريـــة ،

وقد ذكر الخوانساري : " أنه قد اختلف في تشيعه (٦)"

والحق هو ما أثبته ، من أنه كان من ائمة أهل السنة ، كمـا ظهر ذلك لي بوضوح من خلال كتابه هذا .

---

(١) ص ٦

(٢) ٩٢/١

(٣) شرح المواقف ٢٩٧/٨

(٤) ٢٩٧/٢

(٥) ص ٥٨

(٦) روضات الجنات ١٩٧/٣

وكيف يكون شيعيا وهو قد هاجم الشيعة مهاجمة شديـــــدة حيث قال : " وأعظمها آفة فرقتان : فرقة تدب في ضراء " وتسـو جسوا في ارتفاء تظهر موالاة أمير المؤمنين ، وبها اضلال المؤمنيـن يتوصلون بمدحه واظهار محبته الى ذم الصحابة وازواج النبي صلـــي الله عليه وسلم الذين رضي عنهم ، وشهد التنزيل بذلك لهم ، ويقولون كلام الله رموز وألفاظ لا ينبيء ظاهره عن حق ، ومفهومه عن صدق ، يجعل ذلك من الذرائع الي ابطال الشرائع (١)" كما أنه ليس فـي كتبه التي بقيت لنا اى دليل أو اشارة يفهم منها أنه شيعي .

مكانته العلمية :

كان الراغب الأصفهاني اماما تعددت جوانبه العلميـــــة والادبية وسوف أقدم ههنا حديثا موجزا عن هذه الجوانب .

١- مكانته في الأدب :

أما مكانة الراغب الادبية ، فقد كان واسع الاطلاع علي الادب واللغة ، وأسلوبه يدل على تذوقه الادبي ، وقد وصفه بعض مــــن ترجموا له بأنه أديب ، فقال الزركلي (٢) : " انه اديب من الحكماء من أهل أصفهان " وقال عنه صاحب معجم المؤلفين (٣) : " أديـب لغوي " وجاء في الموسوعة العربية (٤) " أديب لغوي وفقيه أصلـــه

---

(١) انظر (٤٣) من هذه الرسالة .
(٢) الاعلام ٢٧٩/٢
(٣) ٥٩/٤
(٤) ص ٨٥٤

من أصفهان " ووصفه يوسف أليان سركيس : " بأنه صاحب اللغة العربية والحديث والشعر والكتابة والاخلاق والحكم والكلام "(١)

ويدل على كثرة معرفته بالأدب واللغة ماقاله الخوانساري (٢)

" الامام الاديب والحافظ العجيب ابو القاسم حسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الاصفهاني ، صاحب اللغة العربيه والشعر والحكمة والكلام وعلوم الاوائل وغير ذلك ، فضله أشهر من أن يوصف ووصفه أرفع من أن يعرف ، وكفاه منقبة أن له قبول في العامة والخاصة "

ومؤلفاته في هذا الفن تدل على براعته الادبية واللغويه وهي :

١- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٣)

أ - أدب الشطرنج

ب - أفانين البلاغة

٢- مكانتة في التفسير :

لا شك أن الراغب مفسر كبير كما وصفه عمر كحاله (٤) " بأنه حكيم مفسر " وتظهر مكانته في هذا الجانب في مؤلفاته القيمة التي خلفها لنا من بعده تراثا غنيا بالعلم ، وهي :

أ - مفردات الفاظ القرآن .

ب - جامع التفاسير .

---

(١) نقلا عن مقدمة " المختار من كتاب المحاضرات "

(٢) روضات الجنات ٣/٢٧٩

(٣) سنتناول هذه الكتب بالتفصيل عند الحديث على مؤلفاته .

(٤) معجم المؤلفين ٤/٥٩

جـ - حل متشابهات القرآن .

د - درة التأويل في متشابه التنزيل .

هـ - مقدمة التفسير .

و - الرسالة المنبهة على فوائد القرآن .

ز - تحقيق البيان في تأويل القرآن .

ح - احتجاج القراء .

٣- مكانته في العقيدة :

كان الراغب الاصفهاني واسع المعرفة بالمذاهب العقدية . وهذا يظهر من كتابه " الاعتقاد " الذي هو موضوع هذه الدراسة ، فقد اشتمل على عرض كامل للعقيدة الاسلامية ، وناقش فيه المذاهب الباطلة ورد عليها بأدلة نقلية وعقلية ، وهذه الردود تدل على تبحره في معرفة أصول العقيدة .

مؤلفاته :

أن المطلع على مؤلفات الراغب الاصفهاني يجد أنه صاحب علم ومعرفة ، وغزير في التأليف ، فقد وصفه السيوطي (١) بقوله : " صاحب المصنفات " كما وصفه عمر كحالة (٢) بقوله : " من تصانيفه الكثيرة " ثم ذكر عدة كتب له .

فمثل هذه النصوص تدل على غزارة انتاجه العلمي وتبحره في مجال الفكر والعلم .

---

(١) بغية الدعاة ٢/٢٩٧

(٢) معجم المؤلفين ٤/٥٩

وهذه المؤلفات شملت فنونا متعددة من الأدب والعلم ، فهي تتناول التفسير والادب والعقيدة والاخلاق والمواعظ وغيرها ، ويلاحظ أن كتب الراغب تعتبر أساسا هاما يرجع اليها الناس ويعتمدون عليها وكفاه منقبة أن مثل ابن حجر المحدث الكبير يستشهد بكلامه في فتح البارى في مواضع لا تحصى .

أما تصانيفه التي عثرت عليها ، فهي مايلي :

١- محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١)

ويقع هذا الكتاب في جزئين كبيرين ، يضم مختارات من الاخبار والاقوال والاشعار مايحتاج اليه كل أديب ، قال عنه جرجي زيدان (٢) : " هو خزانة أدب وشعر وحكم وأمثال " وقال حاجي خليفة (٣) : " هو عمدة هذا الفن بين الفضلاء " أما موضوعه فهو كما قال عنه المؤلف : " وقد ضمنت ذلك طرفا من الابيات الرائقة ، والاخبار الشائقه ، وأوردت فيه ما اذاقيس

---

(١) طبع في القاهره عدة مرات ، طبع بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٤هـ ثم في سنة ١٢٨٧ هـ ثم بجمعية المعارف سنة ١٣١٩هـ وبمطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ ، وبمطبعة دار التهاني سنة ١٣٢٦هـ واخيرا طبع بدار مكتبة الحياة ببيروت سنة ١٩٦١م

(٢) تاريخ اداب اللغة العربية ٣/ ٤٤ .

(٣) كشف الظنون ٢/ ١٦٠٩ .

بمعناه ، يكون منه بمكان الروح من جسد والبدر من فلك ، والنجم من قطب فانه ظرف ملىء ظرفا ، ووعاء حسي جدا وسخفا ، من شاء وجد منه ناسكا يعظه ويبكيه ، ومن شاء صادف منه فاتكا يضحكه ويلهيه فالجد والهزل فى توشيح لحمتهما والنبل والسخف والاشجان والطرب والكتاب مقسم الى خمسة وعشرين حدا ، فى فنون مختلفه من الاداب والعلوم ، وكل حد مقسم الى أبواب وفصول .

وتناوله بعض العلماء بالاختصار

أ ـ فاختصره السيوطي (١) .

ب ـ واختصره محمود بن محمد الاروامي ، ورتبه على ثلاث وعشرين مقالة (٢)

جـ ـ واختصره انور الجندى وسماه " المختار من كتاب محاضرات الادباء " (٣)

٢ـ مفردات ألفاظ القرآن (٤) .

وهو معجم مرتب ابجديا لالفاظ القرآن الكريم ، مع ذكر الروايات والاشعار ، وموضوع هذا الكتاب موضوع هام للغاية لانه يتعلق

---

(١) تاريخ الادب العربي ٥/٢١٠

(٢) كشف الظنون ٢/١٦٠٩

(٣) طبع فى القاهرة عام ١٩٦٠م

(٤) طبع بعنوان " مفردات غريب القرآن " بالمطبعه الميمنية بالقاهره عام ١٣٢٤ هـ ، وعلى هامش " النهاية " لابن الاثير عام ١٣٢٢ هـ ، ثم طبع فى القاهره بمطبعة مصطفي البابي الحلبي عام ١٣٨١هـ .

بألفاظ القرآن الكريم ، كتاب الاسلام ، وكتاب العربية الاكبر ، وقد نوه به الراغب في قوله في المقدمة : " فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته ، وواسطته وكرائمه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في احكامهم وحكمهم ، واليها مفزع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم "

أما نظامه وطريقته في تفسير ألفاظ القرآن ، فهي كما ذكرها الراغب في المقدمة بقوله : " وقد استخرت الله تعالى في املاء كتاب مستوفى . فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي ، فنقدم ماأوله الالف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم ، معتبرا فيه أوائل حروفه الاصلية دون الزوائد ، والاشارة فيه الى المناسبات التي بين الالفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب "

والحق أن هذا المعجم قد اصبح مرجعا اساسيا من مراجع اللغة والادب ، لا يستغنى عنه باحث اليوم ، فقد اشار اليه محمد كيلاني محققه : " في الحقيقة أن الراغب قد أدى الى الباحثين خدمة كبرى بهذا الكتاب الذى أصبح من المراجع الهامة التي لا يستغنى عنها المشتغلون بدراسة القرآن الكريم وتفسيره " وقد قال عنه مجد الدين الفيروزآبادى (١) : " لانظير له في معناه "

---

(١) البلغة في تاريخ ائمة اللغة ، ص ٦٩

٣- تفسير القرآن (١) ،

وهو تفسير يقع في مجلد ، أورد في أوله مقدمات نافعة فـــي التفسير ، وأورد جملا من الآيات ، ثم فسرها تفسيرا مشبعا ، وقـــد استفاد منه الامام البيضاوي في تفسيره (٢) .

٤- حل متشابهات القرآن (٣) ،

٥- تحقيق البيان في تأويل القرآن (٤) ،

وهو كتاب في اللغة والحكمة .

٦- كتاب الاعتقاد ،

وهو الكتاب الذى بين ايدينا ، ونقوم بتحقيقه والتعليـــق عليه ، وسوف نفرد هذا الكتاب بحديث خاص فيما بعد ان شاء الله .

٧- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين (٥) ،

وهو كتاب يتعلق بأمور المبدأ والمعاد ،

---

(١) ذكر بروكلمان ٥/ ٢١٠ ان منه نسخه في مكتبة آياصوفيا تحت رقم (٢١٢) .

(٢) ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٤٤٧

(٣) ذكر بروكلمان ان منه نسخة في مكتبة راغب باشا تحت رقم (١٨٠)

(٤) ذكره الراغب في مقدمة الذريعة ، وقال بروكلمان ٥/ ٢١١ أن منه نسخة في مشهد ١/ ٢٤ ، ٥٦ .

(٥) طبع في القاهرة بلا تاريخ ، كما طبع بمطبعة ثمرات الفنون ببيروت عام ١٣١٩ هـ نشرة طاهر الجزائرى ، ثم طبع بمطبعة المويسة حلب بلا تاريخ ، وقد خرج احاديثه احمد حسين كمكو .

وقد فصل موضوعه الراغب في قوله في المقدمة : " وقد أنسأت في هذه الرسالة عن جملة الموجودات ومكان الانسان منها " وبدئهما ومنشئها ومنتهاها . وما جعل له من السعادة في الدارين باكتساب الانسانية وكيفية التطرق اليها . وابتدأت بالتنبيه على وجوب الانسان ذاته ، فمن علم أن شيئا ماهو مايجب ان يعلم ، فانه وان لم يعلمه فقد يحصل له بذلك علم "

وقال عنه طاش كبرى زاده (١) : " هو كتاب لطيف لا يمكن أحسن منه في بابه ، وجامع للفوائد الشريفة "

وبعض المصادر ذكرته بعنوان " تفصيل النشأتين في احوال الآخيرة " (٢)

والكتاب مقسم الى ثلاثة وثلاثين بابا .

٨- الذريعة الى مكارم الشريعة (٣) :

وهو في علوم الاخلاق والمواعظ الحسنه والاداب .

وأما موضوع الكتاب فهو كما جاء في مقدمته : " وقد استخرت الله تعالى الان وعلمت في ذلك كتابا يكون ذريعة الى مكارم الشريعة ، وبينت كيف يصل الانسان الى منزل العبودية التي جعلها الله تعالى للا تقياء وكيف يترقي عنها اذا وصلها الى منزلة الخلافة التى جعلها الله تعالى شرفا للصديقين والشهداء " . فبالجمع بين احكام الشرع ومكارمه علما ،

---

(١) مفتاح السعادة ٢/٧٩

(٢) انظر مقدمة المحقق للذريعة

(٣) طبع في القاهره سنة ١٢٩٩ هـ ، وسنة ١٣٢٤ هـ ، ثم طبع بمطبعة حسان القاهرة عام ١٣٩٣ هـ ، وبعد ذلك طبع بدار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٠٠هـ .

وابرزها عملا يكتسب العلى ويتم التقى وتبلغ الى جنة المأوى "

ولنفاسة هذا الكتاب كان الامام الغزالي يحطه دائلا في رحلاته ويستحسنه (١) .

والكتاب مقسم الى سبعة فصول ، وكل فصل يشتمل على عدة ابواب .

وهناك ترجمة فارسية للكتاب (٢) .

٩- كتاب الاخلاق .(٣)

١٠- درة التأويل في متشابه التنزيل (٤) .

وهو عن الايات المتكررة في مواضع كثيرة من القرآن بالفاظ مختلفة

١١- المعاني الاكبر . (٥)

١٢- الرسالة المنبهة على فوائد القرآن (٦) .

وذكرها بعض المصادر (٧) بعنوان " رسالة في فوائد القرآن"

١٣- افانين البلاغة (٨) .

---

(١) كشف الظنون ١/٨٢٧

(٢) ذكر بروكلمان (٥/٢١١) أن نسخة منه في المتحف البريطاني (الملحق الفارسي) تحت رقم (١٤٦)

(٣) ذكر بروكلمان (٥/٢١١) أن منه نسخة في برلين تحت رقم (٥٣٩٢)

(٤) ذكر بروكلمان (٥/٢١١) أن منه نسخة في المتحف البريطاني تحت رقم (٥٧٨٤)

(٥) كشف الظنون ١/٧٣٩

(٦) ذكرها المؤلف في مقدمة " المفردات"

(٧) كشف الظنون ١/٨٨١

(٨) كشف الظنون ١/١٣١ ، والاعلام ٢/٢٧٩

١٤- ادب الشطرنج (١) .

١٥- مقدمة التفسير (٢) .

١٦- الايمان والكفر .(٣)

١٧- احتجاج القراء .(٤)

تحليل الكتاب ، وبيان منهج المؤلف .

عنوان هذا الكتاب هو "كتاب الاعتقاد" وهذا يعني أن المؤلف يهدف الى بيان مايجب ان يعتقده المسلم .

ولذلك نجد أن الامام الراغب قد اوضح مايجب أن يعتقده المؤمن من الاصول التي كان عليها السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، داحضا مايعتقده المخالفون بأسلوب سهل لا تعقيد فيه ولا غموض .

ويشتمل الكتاب على مقدمة وثمانية فصول :

أما المقدمة فقد ذكر فيها السبب في تأليف كتابه هذا ، وهو أن بعض الاخوان طلب اليه ان يعمل رسالة يبين فيها أنواع الاعتقادات مع ذكر الحق الذي كان عليه السلف قبل حدوث البدع ، ومانتج عن ذلك من فرقة واختلاف وانقسام بين صفوف المسلمين ، وأنه قد استجاب لهم فألف في هذه المسائل .

---

(١) ذكره بروكلمان (٥/ ٢١١) وان منه نسخة في قازان (1st. XVIII 4)

(٢) طبع في القاهره عام ١٣٢٩ هـ ، في آخر "تنزيه القرآن عن المطاعن" للقاضي عبدالجبار .

(٣) روضات الجنات ١٩٧/٣ .

(٤) كشف الظنون ٧٣٩/١

ثم ختمها ببيان أن مذهب الحق هو الذى يدين به ، وماعـدا ذلك من تعطيل والحاد وانكار للبعث وتشبيه وقدر وارجاء ورفض وسائـر أنواع البدع فهو برئ منه .

وأما في الفصل الاول :

فقد تناول أصول الاديان التي تنسب اليها الامم وهي ستة . كما ذكرت في قوله تعالى :" ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئيـن والنصارى والمجوس والذين اشتركوا . (١)

ثم ذكر أن كل شريعة تنبنى على خمسة أركان : وهي الاعتقادات والعبادات والمعاملات ، والمزاجر ، والاداب ، وخص الاركان الاعتقاديه بالذكر والتفصيل اذ أنها هى المقصود الاول من تأليف الكتاب ،

كما ذكر أن جميع الاعتقادات النظرية سته كما جاء في حديث (٢) جبريل عليه السلام .

ثم ذكر أن أمهات الفرق التي هي كالاصول سبعة : وهـم المشبهة . ونفاة الصفات ، والقدرية . والمرجئه ، والخوارج ، والمخلوقيه والمتشيعة ،

وفي نهاية الفصل تكلم عن الاصول التى افترقت اليها الأمـة وهي سبعة " مع بيان ماكان عليه جميع أهل السنة من هذه الاصول وهي :

١- الايمان بأن الله عز وجل واحد ولا يشاركه أحد ، ولا يشبهـه شيء الا أسما ، كعالم وقادر ،

---

(١) الحج ١٧ (٢) انظر تخريجه ص (٥٤)

٢- الايمان بأن الله تعالى متصف بجميع صفاته التى ورد ذكرها في الكتاب والسنة علي وجه يليق بجلاله ، مع ترك البحث فيها بأنها قديمة او حادثة ، أو هل هي هو أو غيره ،أو لا هي هو ولا غيره .

٣- الاعتقاد فى أفعاله أنه خالق كل شيء من خير وشر ، وأن العبد هو فاعل ومكتسب ، وما من صغير ولا كبير الا وهو تحت مشيئة الله وقدرته ، فما شاء الله كان ومالم يشأ لم يكن .

٤- الاعتقاد في الوعيد أن لا يقنط أحد من رحمة الله الا من أتى شيئا حتى صار به في عداد الكفار ، فلا غفران لهم ، حيث قال تعالي :" ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء . (١)

٥- الايمان هو الاعتقاد والاقرار والعمل حقا .. وهو يزيد وينقص وله درجات .

٦- الاعتقاد بأن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق وأنه في اللوح المحفوظ ، وفي صدور المؤمنين ، وهو في صاحفنا حقيقة متلو بألسنتنا مسموع لنا ،

٧- الاعتقاد فى الامامة بأن الله تعالي قد وعد بها الامة بقوله :

---

(١) النساء ٤٨

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض (١)
وهذه خلافة خاصه كما اشار بقوله صلى الله عليه وسلم : الخلافة ثلاثون سنة (٢) فمن تولي بعد هذا المدة يفوض امورهم الى الله ويجب بالظاهر طاعتهم بقوله صلى الله عليه وسلم : " اسمعوا واطيعوا ولو أمر عليكم عبد حبشي مجدع (٣)".

وفي نهاية الفصل يقرر أن من اعتقد هذه الاصول يرجي نجاتة وسلامته ، كما يقرر أن هذا مأثور عن السلف كمالك بن أنس ، والليث بن سعد ، والاوزاعي ، وسفيان الثوري ، وابن عيينه ، والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم .

وفي الفصل الثاني :

أكد أن معرفة وجود الله من الفطرة التى فطر الناس عليها ، وأنه ليس باكتساب كما زعم المعتزلة .

ثم تكلم عن ذات الله ومن هو ؟

واثبت انه موجود كل شيء وخالقه وفاعله ، ودعم هذا الرأى بالادلة .

ثم تحدث عن الوحدانية .

وأن الانسان لا يخرج من ورطة الشرك الا باثبات الوحدانية ، ثم هاجم

---

(١) النور ٥٥
(٢) انظر تخريجه ص (٦٠)
(٣) " " " (٦١)

عبدة الاصنام ، والوثنيه ، والمجوس الذين اثبتوا أصلين ، والفلاسفة الذين قالوا بقدم المادة ، والنصارى الذين اثبتوا المعبود اكثر من واحد .

ثم تحدث عن الصفات ، وهل هي عقلية او توقيفيه ، فبعد ما ذكر قول الفلاسفة بأن الله تعالي لا يوصف الا بالسلب ، وقول المعتزله حيث قالوا باحالة اتصافه بشيء من الصفات . ذكر قول أهل الحق وهو أنه تعالي لا يوصف الا بما ورد السمع به ، كما قال تعالي : ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها" (١)

ثم تكلم عن الرؤية ، فبين أولا معنى الرؤية ، ثم اثبت أن الرؤية للعباد لله تعالي في الاخرة حق ، كما نطق بها الكتاب والسنة .

ثم تحدث عن العرش والكرسي .

فذكر ان العرش عبارة عن الملك والامر . . وليس هو السرير الذى يقعد عليه الملك ، وكما اول العرش اول معنى النزول والمجيء

ثم تكلم عن معنى الدين والملة والعلاقة بينهما ، ومعنى الشريعة ، ثم رد على شبهات منكرى الدين ردا مدعما بالعقل والنقل ، واثبت احتياج الناس الي الدين وانه بمثابة الزمام الذى يقودهم واخيرا اثبت ان دين الله ليس كله عقليا كما زعمت البراهمة ، ولا كله نبويا كما هو مذهب أهل الحديث ، بل بعضه عقلي وبعضه نبوي .

---

(١) الاعراف آيه ١٨٠

الفصل الثالث :

تناول المؤلف في هذا الفصل معنى النبوة لغة وشرعـــــا .

ثم فرق بين الرسول والنبي ، وذكر أن الرسالة أخص من النبوة .

ثم ذكر بعض الخصال التى لا بد أن يكون النبي متحليا بهـــا .

فذكر أن منها أن يكون من اشرف نسل ، وأن يكون سليم البنية ، طاهر النفس ، وأن يكون ما دعا اليه موافقا للعقل ، ويكون الناس محتاجيـــن اليه وغير ذلك .

ثم تكلم عن المعجزة ، فذكر أنها فعل خارق للعادة ، وأنهــــا ضربان : حسي ، وهو الذى يدرك عيانا ، وعقلي : وهو الـــــذى لا يدرك الا بالبصيرة ، وذكر أن هذا النوع ابلغ تأثيرا .

كما ذكر أن الكرامة للاولياء كالمعجزة للا نبياء ، وأن المعتزلـــة أنكروها لانها تشكك في أمر النبوة ، وقد رد عليهم المؤلف فقـــال : ليس هذا تشكيكا بل تكون تحقيقا وتصديقا لا مر النبوة .

ثم فرق بين النبى والمتنبي (١) .

وتحدث عن صحة نبوة محمد صلي الله عليه وسلم مدعما قولـــه بالكتاب والسنة ، وذكر بعض معجزاته الحسية كحنين الجذع ، وكـــلام الذئب ، وتسبيح الحصا ، وانشقاق القمر ، ومجيء الشجرة وكلام الذراع المسمومة ، ونبوع الماء من بين الاصابع ، ودر الشاة الحائل وغير ذلك .

ثم ذكر معنى الوحي وانواعه الثلاثه التى يجمعها قوله تعالي : " وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رســـولا فيوحي باذنه ما يشاء " (٢) ، وذكر ان نبينا صلي الله عليه وسلم كان اكثر

---

(١) انظر ترجمته ص ( )

(٢) الشورى آيه ٥١

ما يوحي اليه بواسطة جبريل عليه السلام الذي كان يأتي احيانا في صورته الحقيقية ، وأحيانا في صورة دحية الكلبي ، وأحيانا في صورة بعض الاعراب .

وختم المؤلف هذا الفصل بذكر معنى العصمة لغة وشرعا وما فيه من أقوال ، مع الرد علي القائلين بأن الانبياء لا يخطئون مدعما رده بقوله تعالي : " قل انما انا بشر مثلكم (١) وقوله : " وهم بها لولا أن راى برهان ربه (٢)" وقوله : " ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا (٣) "

الفصل الرابع :

تناول في هذا الفصل ذكر الملائكة ، وأنهم روحانيات خلقهم الله تعالي من النور ، والايمان بهم أحد قواعد الشرع كما قال صلى الله عليه وسلم : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته (٤)" الحديث ،ثم ذكر ما يعتقد عبدة الاصنام والنصارى وجهلة الاعراب فيهم ،

ثم تحدث عن افعالهم وأنهم ينقسمون الى ثلاثة اقسام ، قسم فوض اليه تدبير الاجرام السماويه وهم الملائكة المقربين ، وقسم فوض اليه تدبير الاركان الهوائية كالملك الذي يزجي السحاب ، وقسم فوض اليه تدبير الامور الارضية كالرقيب والعتيد .

---

(١) الكهف آيه ١١٠

(٢) يوسف آيه ٢٤

(٣) الاسراء آيه ٧٤

(٤) انظر تخريجه ص (٩٢)

ثم تكلم عن المفاضلة بينهم وبين عامة الناس ، ثم بينهم وبين الانبياء ، ورجح أن الملائكة افضل من عامة الناس ، وأن الانبياء أفضل من الملائكة ،

ثم تحدث عن الجن ، وخلقهم من النار واثبت ان لهم افعالا عجيبة وغريبة كما قال تعالي :" يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب (١) "

ثم تكلم عن معنى السحر ، وأبطل دعوى من انكر حديث السحر لزعمهم أن ذلك قدح في النبوة ، واثبت ان السحر لم يؤثر فيما يتعلق بالتبليغ لان الدلائل القطعية قد قامت على عصمته صلى الله عليه وسلم .

الفصل الخامس :

تناول المؤلف في هذا الفصل الحديث عن كلام الله تعالـي ، فبين أولا أن الكلام قسمان : محسوس وهو الذى يكون مركبا من الحروف والاصوات ويحتاج الى آلة الكلام ، ومعقول : وهو ثمرة الكـــلام ومقصوده .

ثم اثبت ان الله تعالي قادر على ايصال المعنى بدون حروف وصوت وبدون آلة الكلام ، فكلامه اذا ليس ككلام المخلوق ، ثم تحدث عن فتنة خلق القرآن ، وأن أول من اثارها بنان بن سمعان بالكوفة .

وذكر أن القرآن مشتمل على الامر والنهي والاخبار ، ومنطـو على العلوم كلها ، وأن الوقوف على ذلك صعب جدا ،

---

(١) سبأ آيه ١٣

وبعد ذلك تعرض لبيان المصطلحات الثلاثية الاتيه ، المعنى ، والتفسير ، والتأويل ، وذكر أن المعنى ، هو المقصود من الكلام المبهم ، والتفسير : هو الكشف عن المقصود بالكلام ، والتأويل : هو مايؤول اليه حقيقة الكلام ، واثبت أن التفسير أعم من التأويل .

ثم ذكر الوجوه التي يصعب بسببها فهم القرآن وتفسيره ، وهي :

أولا : مااشتمل عليه القرآن من الحذف والايجاز .

ثانيا : مااختصت به اللغة العربية من التلميح والاستعارة .

ثالثا : مايوجد به العدول عن التصريح الى التعريض .

ثم تحدث عن فائدة ماورد في القرآن من المتشابة .

وختم الفصل بالتساؤل : هل في القرآن مايخفي تأويلة على العلماء ؟ ثم ذكر قول المتكلمين وعامة السلف من الصحابة في هذا الموضوع .

الفصل السادس :

وخص هذا الفصل بالحديث عن البعث والنشور ، فاستهل كلامه عن المعاد عند أهل السنة وهو عود الانسان الى الله تعالى بعد أن خرج . مستدلا من الكتاب والسنة مع بيان آراء اهل التناسخ والثنوية والمجوس والفلاسفة في المعاد .

ثم تحدث عن الموت والحياة ، ومايطلقان عليه .

ثم تناول الروح والنفس ومايطلقان عليه ، مع الرد على المعتزلة الذين قالوا ان النفس هي الجسد .

ثم ذكر ان الروح عند المسلمين : جوهر له ثواب وعقاب بعدما يفارق البدن مع الرد على الزاعمين من المعتزلة بأنه هو النفس الداخل

والخارج بالانقباض والانبساط .

ثم تكلم عن معنى المحتضر ، وما فيه من أقوال ، وذكر أنه في هذا الوقت يغلق باب التوبة ، كما قال تعالى " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ، ولا الذين يموتون وهم كفار (١) " .

ثم تحدث عن كراهة الموت ومحبته ، واثبت ان الذى غلب عليه الشهوات والهوى يكرهه ، وان الذى يؤمن بما أعده الله من النعيم الحقيقي بعد الموت لا يكرهه ، بل يستقبله بشكل فرح وسرور .

ثم تناول معنى الفناء مع ذكر خرافة المعتزلة حيث قالوا ان الفناء معنى ليس بجوهر ولا يكون في محل ، وان الله يحتاج الى هذا الفناء عند ما يريد افناء شيء .

ثم تحدث عن عذاب القبر واثبته من الكتاب والسنه حيث لا سبيل لانكاره مع بيان رأى المعتزلة فيه .

ثم تكلم عن الشهادة لغة وشرعا ، وذكر ان الذى يطلق عليه الشهيد هو ما اصابه الطاعون والجنون والتنين والهدم والغرق والحريق واكل السبع والبطن والمرأة التى تموت بجمع والمبطون ، والذى اصيب بحمى يشرب ، والذى يموت غريبا وموت الفجاءة .

ثم تحدث عن البعث فذكر أنه يكون بالروح والبدن معا ، مع الرد على رأى الفلاسفة والباطنية بأن الانسان ينشر بروحه لا ببدنه .

---

(١) النساء آيه ١٨

ثم تناول البحث عن الساعة وذكر أنها ثلاثة :

الكبرى : وهي بعث الناس يوم القيامة ،

والوسطى : وهي موت أهل القرن الواحد ،

والصغرى: وهي موت الانسان في نفسه ، ثم ذكر الاقوال في علمه صلى الله عليه وسلم بالساعة الكبرى ،

ثم تكلم عن الدجال وصفته ، ونزول عيسى عليه السلام والسبب الذى من اجله سميا بالمسيح ،

ثم تحدث عن نطق الجوارح ، وذكر ان بعض الناس جعله محسوسا وجعله بعضهم معقولا ، وكما تحدث عن ابياض الوجوه واسوادها وذكر أن العلماء من جعله حسيا ، ومنهم من جعله كناية عن الفرح والحزن ،

ثم تحدث عن الميزان والحساب ، فذكر ان الميزان عبارة عن الاختبار ، وانه ليس ميزانا محسوسا ،

ثم تحدث عن الجنة والنار ، وساق اقوال العلماء في خلقهما ورجح قول اهل السنة بأنهما مخلوقتان الان ،

ثم ختم هذا الفصل بذكر الاكل والشرب في الجنة ، فذكر مذاهب أهل السنة والفلاسفة والطبيعيين في ذلك .

الفصل السابع :

درس المؤلف في هذا الفصل مسألة القدر ، وأثبت انه ما من أمة من الامم الا وقد اختلفت فيه ، بل اختلف فيه الملائكة ايضا ، ثم حث الانسان على ان يحترز منه ،

ثم تحدث عن الشرور الموجودة في العالم وبين رأى أهل الاثر ،

ورأى الفرق الاخرى فيها مع ذكر منفعتها للناس .

ثم تكلم عن تفاوت الناس في العلم والعمل . واوضح السر في هذا التفاوت ،

ثم تحدث عن معرفتنا حكمة الله في القدر ، ورجح أن هذا الامر صعب جدا ، وان الانسان غير يستطيع فهمها ، وادراكها ، ثم رد على القدرية في انكارهم نسبة الشرور الى الله تعالى .

ثم بين معنى القضاء والقدر ، وأوضح الفرق بينهما ، ورجح ان القدر اعم من القضاء .

ثم تحدث عن معنى الارادة والمشيئة والفرق بينهما ، واختيار أن المشيئة أخص من الارادة ثم تكلم عن معنى الاذن وقرر انه أعم منهما ،

ثم تكلم عن الكتاب ، وذكر ان الكتابة نوعان : جسمانية وروحانية ، ثم ذكر ان الله تعالى له أربع كتابات : أولا في أم الكتاب ثانيا : في اللوح المحفوظ ، ثالثا : ايجاده تعالى للاشياء ، رابعا : الكتابة التى يتولاها الكرام الكاتبون .

ثم تحدث عن فعل الناس للشر ، وبين رأى أهل الاثر في هذه المسألة ، وهو أن الله خالقه ، ورجح رأيهم ، ثم ناقش رأى المعتزلة في هذا ، ورده ،

ثم تكلم عن القدرة مع بيان الفرق بينها وبين القوة ، ثم ذكر معنى الوسع والطاقة والاستطاعة ،

ثم تحدث عما كلفه الله العباد ، وذكر رأى أهل السنة وهو أنه في وسع الانسان مع دحض رأى المعتزلة والجبرية فيه ،

ثم بين أن تأثير الانسان في افعاله قليل جدا ، ولهذا

يصح أن ينسب كل فعل الانسان الى الله تعالي وانه بقضائه ، وأما الانسان فليس له من فعله الا الكسب والتصرف ،

ثم ذكر ان ما يجرى في العالم من دقيق وجليل وهو من قضاء الله وقدره ، وأن علي الانسان ان يستسلم في هذا الامر استسلاما تاما ،

وختم هذا الفصل ببيان طرق معرفة الله المكتسبة ، ثم الاستدلال على أن العالم محدث وان محدثه واحد ، هو أولي واجب الوجود ، كما قال تعالي : " ليس كمثله شيء (١)"

الفصل الثامن :

بدأ المؤلف هذا ببيان معنى الايمان لغة ، وتعرض له من حيث الاشتقاق واللزوم والتعدى ، ثم بين الايمان الشرعي وهو الاعتقاد اليقيني ، كما جاء في حديث جبريل عليه السلام (الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره) وجعل الاقرار والعمل كالركنين له .

ثم ذكر اقوال الناس في الايمان حيث أن بعضهم جعله الاعتقاد ، وبعضهم جعله الاقرار ، والاخرون جعلوه الاعتقاد والاقرار والعمل معا ،

ثم ذكر ان الايمان له درجات واثبت ان كل ماله منازل ودرجات فالاسم يقع على المبتدأ به والمستوفي لعامة درجاته ، فعلي هذا يقع اسم المؤمن على من اظهر الشهادتين ،

ثم تحدث عن زيادة الايمان ونقصانه ، وذكر رأى السلف مع

---

(١) سورة الشورى آية ١١

رأى الآخرين ، ورجح رأى السلف مدعما بالكتاب والسنة .

ثم تكلم عن الاسلام لغة وشرعا ، وفرق بين الايمان ، والاسلام ثم بين ان الاسلام منزلتان الاولي : الاستسلام والثانيه : الرضـــي بحكم الله تعالي في السر والجهر وهذا اعلي منزلة من الايمان .

ثم تحدث عن الكفر لغة وشرعا ، وذكر ان اسم الكافر يطلق علي من دفع شيئا من أركان الشريعة ، كما يطلق علي من اتـــي بفعل الكفار .

ثم تكلم عن الشرك ، وذكر انه نوعان :

١- الشرك بالله وبه يخرج الانسان عن الدين .

٢- الرياء ولا يخرج به عنه .

وقرر أن الكفر اعم من الشرك .

ثم تحدث عن الالحاد ، وقسمة الى ضربين :

١- ضرب فى الفطرة ، وهو الانحراف عنها .

٢- ضرب فى الاسماء والصفات وهو صرفها عن معانيها الحقيقية .

ثم تكلم عن النفاق ، وذكر انه ضربان ايضا :

أ - نفاق فى الايمان وهو الذى عظم الله وعيده فيه .

ب - نفاق في الاعمال وهو الرياء .

ثم تحدث عن الفسق ، وحدد معناه تحديدا دقيقا .

وفي نهاية هذا الفصل تناول معنى الواحد ، وفصل بالشرح مايطلق عليه هذا اللفظ ، ثم ذكر انه اذا استعمل في الله تعالـــي فمعناه أنه واحد من كل جهة ، ولا يصح عليه التكثير .

ملاحظات عامــــة

دأب المؤلف على ذكر رأى السلف أو ما يعتقد انه كذلك ولكنا نخالفة في بعض ما ذكر ، وقد اشرنا الى ذلك في مواضع من الرسالة ، والــذى نريد ان ننبه عليه أن المؤلف قد اضطربت عبارته في تحديد رأى السلـف في الصفات ، فنجده عندما تكلم عن اصول العقيده في الفصل الاول رجح أن الله متصف بصفات التى ورد به السمع ، وقال :" هذا مروى عن ـ الاسلاف كمالك والليث والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل وغيرهم (١) وتجده في الفصل الثاني حيث يقرر بأن معرفة صفاته وتوحيده مكتسبة (٢) والحق ان مذهب السلف هو القول الاول ، وذهب الى الثانـي الاشاعرة .

وكذلك نجده أنه يثبت أن اهل السنة قالوا : ان الله تعالـــي لا يوصف الا بما ورد به السمع . وماعدا ذلك فمردود (٣)" ثم يميل الـي الاشاعرة حيث يأول عرشه (٤) واستواءه عليه (٥) ومجيئه (٦) تعالـي وغير ذلك من الصفات .

ومن العجب أنه نقد على الاشاعرة بقوله : " لئن من جعل هـــذه المعاني قائمة بذاته ـ فقوله يوجب كونه سبحانه مركبا من اشياء كسائــر المركبات . تعالي الله عن ذلك ، فان ذلك يبطل التوحيد بل يبطـل الالهيه (٧) .

---

(١) ص (٦١) من هذه الرسالة (٥) (٢٥٢)
(٢) (٦٤) (٦) (٢٤٥)
(٣) (٨٨) (٧) (٩٥)
(٤) (١١١)

وكذلك نجده يقرر ان مذهب الفلاسفة هو وصفه تعالي بالفاظ السلب والنفي (١) ، مع ذلك يقول ان معرفة الله تعالي في اوصافه المنزهه (٢) ويفضل الصفات التنزيهية (٣).

بين يدى المخطوط

اسم الكتاب:

عنوان الكتاب في المخطوطة هو " كتاب الشيخ ابو القاسم الحسين بن محمد المفضل الراغب في العقائد رحمه الله رحمة واسعة "

وورد في فهرس مخطوطات مكتبة شستربيتي (٣) عنوانه " كتاب في العقائد " والزركلي (٤) ذكره اسم " كتاب في الاعتقاد "

وقد اخترت له اسم " كتاب الاعتقاد " وارجح ان هذا هو عنوانه الحقيقي الذى وضعه له المؤلف ، لانه هو الذى يتمشي مع اللغة والمادة .

توثيق نسبة الكتاب الى المؤلف .

اعتمدت في توثيق نسبة الكتاب الى مؤلفة علي عدة امور:

١- عنوان الكتاب على الورقة الاولي من المخطوطة ، وهو " كتاب الشيخ ابو القاسم الحسين بن محمد المفضل الراغب في العقائد رحمه رحمة واسعة "

٢- ماجاء في مقدمة هذا الكتاب بعد الحمد والصلاة ، وهو قوله قال الشيخ ابو القاسم الحسين بن محمد المفضل الراغب رحمه الله "

---

(١) ص (٨٨) من هذه الرسالة (٢) (٨٧)
(٣) (٨٥) (٤) ٧/٨٨
(٥) ٢/٢٧٩

٣- نسبة بعض المراجع هذا الكتاب الى الراغب الاصفهاني فقد نسبه اليه الزركلي ، كما ذكره محقق كتاب الذريعه في مقدمته ضمن كتب المؤلف .

٤- نقول بعض العلماء الكبار من هذا الكتاب ، فقد قارنت بين هذه النقول وبين ما في الكتاب فوجدتها متطابقة تماما ، كما فعل ابن حجر والسيوطي وقد اشرنا الى هذه النقول في مواضعها من الكتاب .

٥- احالة المؤلف في كتابه هذا ص (٣٥٠) الى .. كتاب الذريعه الى مكارم الشريعة " وهو أحد الكتب المقطوع بنسبتها اليه ، وهذا الدليل ، في رأيي هو اقوى الادلة واوثقها على نسبة الكتاب للراغب .

٦- توافق التعبير على بعض الموضوعات بين هذا الكتاب وبين كتبه الاخرى . كالمفردات والذريعة وتفصيل النشأتين ومحاضرات الادباء حيث اني وجدت بعض نصوص الكتاب بنفسها في هذه الكتب ، كما اشرنا اليه في مواضعه .

التعريف بالمخطوطه ، وبيان المنهج الذى اتبع في التحقيق .

عندما اخترت هذا الكتاب تحقيقا ودراسة لموضوع رسالتى ، لم يكن عندى الا نسخة شستربتي . ولقد بحثت كثيرا عن نسخة اخرى من هذا الكتاب ، فما اهتديت اليها بعد الرجوع الى الفهارس والمصادر المختلفة التى اهتمت بالمخطوطات واماكن وجودها ، واستعنت ببعض الخبراء في هذا الشأن ، كما وجدت ان ماكتبه القائمون على مكتبة شستربتي يدل على انفراد هذه النسخة . حيث علقوا عليها بهذا القول : (No other copy appears to be recorded)

فاعتمدت عليها في تحقيق الكتاب ، والامل يراودني حتى الان انأعثر على نسخة اخرى من الكتاب .

وقد اعتمدت في تحرير النص في كثير من المواضع على كتب المؤلف الاخرى ، او الكتب التي يناقشها ، أو تتصل بموضوع بحثه لمعاصريه او الذين بعده .

وصف النسخة :-

توجد هذه النسخة بمكتبة شستربتي بليدن تحت رقم ٥٢٧٧ علم العقائد ، وقد كتبت بخط نسخي كبير خال من الضبط . وتقع في (١٠٤) ورقات ، ومسطرتها تتراوح في كل صفحة بين ١٩ - ٢٢ وفي كل سطر مابين ١٣ - ١٦ كلمة تقريبا .

وقد نسخها احمد بن الشيخ سليمان الملواني الشافعي ، وترجع كتابتها الى بداية القرن الثاني عشر ، كما ورد ذلك في آخر لوحة مانصه " ثم انتقل هذا الكتاب المبارك بطريق الابتياع الشرعي الى ملك كاتبه الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي النفع من الغني القدير احمد بن الشيخ سليمان الملواني الشافعي غفر الله تعالي له ولوالديه ولجميع المسلمين والمسلمات ، وذلك في شهر ربيع الثاني من شهور سنة تسع ومائة بعد الالف ، والحمد لله رب العالمين وصلي الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبة اجمعين ، آمين "

وتدل هوامش النسخة على انها روجعت وصححت بعد نسخها ويضيف المصحح بالهامش بعض الكلمات التي سقطت من المتن ، وقد يغير مافي الاصل ، ويضرب عليه بخط ، ويذكر الصواب في الهامش .

عملي في التحقيق :

بدأت بقراءة المخطوطة ونسخها في صبر واناة ، وقد استغرق ذلك وقتا ليس بالقصير ، نظرا لصعوبة الخط ، ورداءته مراعيا مايلي :

١- أن التزم قواعد الاملاء المعاصرة بصرف النظر عما في الكتاب ، مشيرا الى التفاوت احيانا .

٢- ان اصحح الاخطاء النحوية الكثيرة في الاصل مع عدم الاشارة اليها . اللهم الا نماذج قليلة ،

٣- ان اضع الزيادات التي يحتاجها النص واهملها الناسخ بين القوسين وكذا الكلمات الغامضه بالاصل ، والتي اثبتها اجتهادا ،

٤- خرجت الايات القرآنيه ، وقد حرصت على ان انص دائما على اسم السورة ورقم الاية فيها .

٥- خرجت الاحاديث النبوية والاثار التي ذكرها المؤلف في الكتاب والتي ذكرتها في تعليقاتي ،

٦- اهتممت بذكر الاحاديث التي اشار اليها بذكر معناها او بعض كلماتها مع تخريج تلك الاحاديث .

٧- حققت نسبة الاقوال والاراء التي اسندها المؤلف الى اصحابها حسب الامكان ،

٨- صححت الامثال العربية التي وردت بالكتاب ، وتعرضت للتصحيف او التحريف ، وذلك بالرجوع الى كتب الامثال واللغة ، ثم خرجتها في هذه الكتب .

٩- نسبت الابيات الشعريه التي استشهد بها المؤلف في بعض المسائل الى قائليها ، وقد استعنت في ذلك بدواوين الشعراء وكتب التراجم واللغة .

١٠- قارنت مايقوله المؤلف عن المعتزلة بما تقوله المعتزلة انفسهم . وقد اعتمدت في ذلك على موسوعة القاضي عبدالجبار " المغني في ابواب العدل والتوحيد " وشرح الاصول الخمسة " وغيرها من كتب أهل

السنة ،

١١- أحلت الى المراجع المختلفة التى تدرس المسألة نفسها من مؤلفات العلماء الذين يناقش أفكارهم ،

١٢- شرحت المفردات اللغوية الدقيقة مستعينا بمعاجم اللغة ،

١٣- ترجمت تراجم موجزة للاعلام الواردة في الكتاب مع الاحالة على مصادر تراجمهم فى كتب الرجال ،

١٤- عرفت تعريفا موجزا بالفرق والاديان الواردة في الكتاب ،

١٥- عقبت على المؤلف فيما رأيته مستعينا بآراء العلماء وكلامهم ، والقصد بهذا ان أرجح رأيا أو أوهن رأيا ،

١٦- ذيلت الكتاب بخاتمة ، لخصت فيها اهم نتائج البحث التى وصلت اليها ،

١٧- الحقت بالكتاب فهارس تفصلية وتشتمل :

ا- فهرس الموضوعات ،

ب- فهرس الايات القرآنية ،

جـ- فهرس الاحاديث النبوية ،

د- فهرس الاعلام المترجم لها ،

هـ- فهرس الفرق والمذاهب والاديان ،

و- فهرس الشواهد الشعرية

ز- فهرس الامثال ،

ح- فهرس بحث الم[illegible] ،

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن وما توفيقي الا بالله

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله قال الشيخ ابو القسم
الحسين بن محمد المفضل الراغب رحمه الله سألت ايها الأخ الفاضل وفقك الله ووفقنا
ووفقني بحمد دينا وقوت قلوبنا وجعلنا ممن كتب في قلوبنا الايمان وايدنا
بروح منه وجعلنا من اهل الهداية وانزل علينا سكينة تعيننا على الهداية كما ضمن تعالى
ان يفعله بالمؤمنين حيث قال اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
وقال هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم حتى نتحرى
الحق دون الباطل في الاعتقاد والصدق دون الكذب في المقال والجميل دون القبيح في
الفعال وجعلنا من مفاتيح الخير ومغاليق الشر فقد قال صلى الله عليه وسلم ان من الناس
ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر وان من الناس ناسا مغاليق للخير مفاتيح للشر حتى
نكون بالله نعم من الذين قيل فيهم [illegible] من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
[illegible] صادقة ان اذكر [illegible] ابين فيها انواع الاعتقادات التي يحكم بها على الانسان
بالايمان والكفر والهداية والضلال واذكر الحق الذي كان عليه اعيان السلف من الصحابة
ومن بعدهم قبل ان حدثت البدع من قوم ضلوا عن الدين يزعمون انهم نصاره ويحزبونه
ويوهمون انهم عماره ويطيلون [illegible] ويقبلون [illegible] يعودون ناره ويفعلون [illegible]
واعظمهم امة فرقتان فرقة [illegible] في ضرار استتروا [illegible] تظهر موالاة امير المؤمنين
وبهذا امير المؤمنين يتوصلون بمدحه واظهار محبته الى ذم الصحابة وازواج النبي صلى الله عليه

الى

الذين رضي الله عنهم وشهد لهم النبي بالبشارة ويقولون كلام اهل الرموز والالغاز لا ينبغي ظاهره
ويفهمونه هو صدق محبة الله ارتجا الازواج للاذكار الشرايع وانكروا الحج لعطل لها وعدها
من ان تصدقت لصوم لمن يراه فيقول ما نشكر على من يرحم ان الله تعالى يجد مكتبا بكذا
وقد حرم بكذا وان ليس له [illegible] انما ابتلاعب بالدين تلاعب الصبيان بالحجر
ولا يخاشى لا يوضى من الترك ولا يتفكروا في قوله عز وجل ما قدروا الله حق قدره ثم قد صار كبيرهم
يبسون ثيابهم من قطاع الطريق على القاصدين للتائبين يصدون عن سبيل الله من آمن به
ويبغونها عوجا فاذا هم اذا رأوا لطائفة سالم الناحية مستقيم الطريقة متمسكا على العادة
موقنا بالامانة من اهل السنة والجماعة يرجو رحمة الله ويخاف عقابه اخذوا يقولون لم ما تنكر
ما تفعلوا وانتم لم تعرفوا الله تعالى حق [illegible] بالدلائل [illegible] وحتى يكون [illegible] ولا يبعثهم
اعمال الخير فاذا خوفوه بتخويف الشيطان اولياءه فتنتهم من الهدى وذكروا المرد ولا يعصمهم
من اهوائهم ويلبسون في قلبه ان الناس ما عدا [illegible] من اهل العلم [illegible]
اهلهم مستبيحين استباحوا المشركين وان الصلاة لا تخلصهم من الكبائر وتفقدهم الاولى
من العظائم واذا فرح في قلب الخلق ان لا طريق الا طريقهم [illegible] وقد سهر [illegible] والحدود
لا موديه للمعتلين صار ذلك سببا لاخلاله عن قيد الشرع ونقض [illegible] وظائف
العبادة وترك التحاشي من الورع عن ارتكاب المحظور واستقلاله [illegible]
اما هذا فعلهم مع العامة فاما اذا رأوا من الخاصة وابصروا من ثبتت على حقيقته ومخصوص
من المعرفة بسور لا يعمل فيه معا ولم اخذوا يرمونه بالزندقة والالحاد غير متفكرين [illegible] ان الله
تعالى جعل لسان كل قايل بما يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولا جرم انه [illegible]

محتزيا

محتزيا او غير محتز نظيرا او غير ذي نظير ولهذا كل ما صح ان يقال هو هو صح ان يقال
هو واحد من وجه فهو كثير من وجه الا البارئ تعالى فانه واحد من كل وجه ولا يصح
ان يوصف بالكثرة بوجه من الوجوه وبيان ذلك ان كل ما يقال فيه هو واحد فعلى
تلك عشرة اشيا الاول ما كان واحدا في الجنس نحو ان يقال الانسان
والفرس جنس واحد الثاني ما كان واحدا في النوع نحو ان يقال زيد
وعمرو نوع واحد الثالث ما كان واحدا بالشخص نحو ان يقال زيد
شخص واحد الرابع الواحد ما كان واحدا بالصنعة
المشتركة نحو حرفة واحدة الخامس من العادم النظير في الخلقة نحو ان يقال
الشمس واحد السادس واحد العادم نظيره نحو زيد واحد في الفضيلة
لقولك [illegible] والسابع ان يقال في الشي الذي لا يتجزى لصغره
كالهبا الثامن ما ان يقال في الشي الذي لا يتجزى
لصلابته كالالماس التاسع لمبدا الخط كقولك نقطة واحدة
العاشر لمبدا العدد كقولك واحد اثنان والوحدة
في هذه الاشيا عارضة والصحيح ان لا يقال شي منها في الله تعالى لوجود الكثرة فيها
وذلك ان الجنس الواحد كثير بالانواع والنوع الواحد كثير بالاشخاص والشخص الواحد كثير
باجزائه [illegible] والصنعة واحد بالذات [illegible] كثير بالالات والنظر فيها [illegible]
من وصف بانه واحد بما يمتنع فيه التجزي لصغره او النقطة الواحدة في العدد وان
وصف بها الذي [illegible] معروف ان المتكلمين [illegible] ١٥
ولا [illegible] واحد [illegible] ويراد بالواحد [illegible]

مرتهن

موجود وليس له جزء ولا يصح عليه التكثير وقال بعض الحكماء اقرب الواحدات
الى الله تعالى الى [illegible] هو الواحد الذي هو اصل العدد وقد جعل الله تعالى
له خاصية من النسبة على وحدانيته وذلك ان كل ما يقال عليه لفظ الواحد [illegible] فلا
يصح عليه الكثرة وكما ان الله تعالى هو اصل كل موجود وليس هو من جملة الموجودات
فالواحد اصل كل عدد وليس من جملة الاعداد وكما ان كل موجود من الله تعالى بدؤه
واليه يعود كما قال الله تعالى هو الاول والآخر فكل عدد من الواحد بدؤه
واليه يعود وكما ان الله تعالى احصى كل شيء عددا واحصاهم كذا الواحد
يحصي كل عدد واحصى شيء من العدد وكما ان الله تعالى يستولي على كل شيء
ولا يستولي عليه شيء كذا الواحد يستولي على كل عدد ولا يستولي عليه عدد
فانه اذا ضرب في نفسه او في عدد لم يخرج عن ذاته بخلاف الاعداد وكل
عدد اذا ضرب في عدد آخر فاما ان ينقص او يزيد [illegible]
تم الكتاب والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن وأعن وما توفيقى الا بالله

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على خير خلقه محمد النبى وآله[(١)].

قال الشيخ ابو القاسم الحسين بن محمد المفضل الراغب رحمه الله : سألت أيها الأخ الفاضل وفقك الله وأيانا ، ووقى برحمته دينا ، وقوّى يقيننا ، وحبانا الأمان ، وكتب فى قلوبنا الايمان ، وأيدنا بروح منه يعصمنا من الغواية ، وأنزل علينا سكينة تعيننا على الهداية كما ضمن تعالى أن يفعله بالمؤمنين ، حيث قال : « أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه »[(٢)] وقال : هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم »[(٣)] حتى نتحرى الحق دون الباطل فى الاعتقاد ، والصدق دون الكذب فى المقال ، والجميل دون القبيح فى الفعال ، وجعلنا من مفاتيح الخير ومغاليق الشر ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « ان من الناس ناسا مفاتيح للخير ، مغاليق للشر ، ومن الناس ناسا مغاليق للخير مفاتيح للشر »[(٤)] حتى نكون فى الدنيا من الذين يؤمنون وهم فى الآخرة من الذين لا خوف عليهم

---

(١) اقتصر المؤلف على الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغالبا هو يكتفى على السلام كما ترى فيما بعد ، وقد قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » الأحزاب ٥٦ ، قال ابن كثير : هذا أمر الله تعالى بالصلاة والتسليم عليه ، وقد وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمر بالصلاة عليه ، قال النووى : اذا صلى على النبى صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ، تفسير ابن كثير ٣/٥٠٦ .

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢ (٣) سورة الفتح آية ٤

(٤) أخرجه ابن المبارك فى الزهد ص٣٤٤ ، وابن ماجه ، وقال البوصيرى : اسناده ضعيف من أجل محمد بن أبى حميد فانه متروك ٨٦/١ ، وابن أبى عاصم النبيل فى السنة . =

ولا هـم يحـزنون .

ورغبت رغبة صادقة أن أعمل رسالة أبين فيها أنواع الاعتقادات التى يحكم بها على الانسان بالايمان والكفر ، والهداية والضلال ، وأذكر الحق الذى كان عليه أعيان السلف من الصحابة والتابعين ، قبل أن حدثت البدع من قوم يخذلون الدين ويزعمون أنهم نصاره ، ويخربون ويوهمون أنهم عماره ، ويطفئون نوره ويخيلون أنهم يوقدون ناره ويرفعون مناره ، وأعظمهم آفة فرقتان : فرقة (١) تدب فى ضراء (٢) وتسر حسوا فى ارتغاء (٣) ، تظهر موالاة أمير المؤمنين (٤) وبها اضلال المؤمنين يتوصلون بعد حمو اظهار محبته الى ذم الصحابة وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم الذين رضى الله عنهم ، وشهد التنزيل بذلك لهم ، ويقولون كلام الله رموز وألغاز لا ينبئ ظاهره عن حق ومفهومه عن صدق يجعل ذلك من الذرائع الى ابطال الشرائع ، وأخرى أعظم الجهاد عندها هو أن يتصدى أحدهم لمن يراه فيقول : ما ننكر على من يزعم أن الله تعالى جاهل بكذا وعاجز بكذا ، وان الله ليس خالق لكذا ،

= وحسنه الالبانى وقال : رجاله موثقون غير محمد بن أبى حميد وهو ضعيف ١٢٨/١ . وذكره السخاوى وعزاه الى الطيالسى ، المقاصد الحسنة/ ١٢٩

(١) هم الشيعة الذين شايعوا عليا ويرون أحقيته رضى الله عنه دون غيره بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم نصا ووصية ، ويعتقدون أن الامامة لا تخرج عن أولاده ، أنظر الملل ١٩٥/١ .

(٢) " يدب له الضراء " المثل يضرب للرجل يختل صاحبه ، أنظر الميدانى ٤١٧/٢ والزمخشرى ٤٠٠/٢ واللسان (ضرا) . والضراء : الشجر الملتف فى الوادى .

(٣) " يسر حسوا فى ارتغاء " أصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة ، ولا يريد غيرها ، فيشربها وهو فى ذلك ينال من اللبن ، أنظر ابن سلام ص ٦٥ ، والميدانى ٤١٧/٢ والزمخشرى ٤١٢/٢ والبكرى ص ٧٦ . واللسان (رغا) . والارتغاء : هو شرب الرغوة ، يقال منه أرتغيت ارتغاء

(٤) هو على ابن أبى طالب فارس الاسلام ، وكان أول الناس اسلاما فى قول أكثر أهل العلم ، وزوجه فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو رابع خليفة =

يتلاعب بالدين تلاعب الصبيان بالجوزه ولا يتحاشى لما لا يرضى من القول ، ولا يتفكر في قوله عز وجل : " وما قدروا الله حق قدره "(١) ثم قد صار كثير منهم سوء تأتيهم من قطاع الطريق على القاصدين الى الله ليصدون عن سبيل الله من آمن به ويبغونها عوجا ، فانهم اذا رأوا عاميا سليم الناحية ، مستقيم الطريقة معتكفا على العبادة ، مؤديا للامانة ، مراعيا للسنة والجماعة ، يرجو رحمة الله ويخاف عذابه . أخذوا يقولون له ما ينفعك ما تفعل وأنت ما لم تعرف الله بالدلائل كعابد وثن ومعتكف على صنم ، ولا ينفعك أعمال الخير ، فاذا خوّفوه تخويف الشيطان أولياءه . فسألهم عن الهداية ، ذكروا له دلائل يقصر فهمه عن ادراكها ، ويقوسون في قلبه أن الناس ما عداهم أغنام بلا غنام ، وان بلدهم بلد كفر ، وأموال أهله مستباحة استباح أموال المشركين ، وأن الصلوة خلفهم من الكبائر . وتفقد نقرائهم من المظائم . واذا ترسّخ في قلب ذلك المسكين ان لا طريق الى الحق غير ما أضلوه ، وقد سبر طريقهم فلم يجده الا مؤدية الى ضلة ، صار ذلك سببا لانحلاله عن قيد الشرع ورفضه العبادات مؤدية عن وظائف العبادة وترك التحاشي من الزور وعن ارتكاب المحظور ، واستقبل ما كان يؤديه من وظائف العبادة ، أما هذا ففعلهم مع العامة ، فأما اذا رأوا من الخاصة ذا بصيرة قد تنبه على حقيقة وتحصّن من المعرفة بسور لا يعمل فيه معاولهم أخذوا يرمونه بالزندقة والالحاد غير متفكرين أن الله تعالى عند لسان كل قائل " يريدون ليطفئوا نور الله(٢) بأفواههم والله متم نوره " لا جرم أنه قلما يرى زعيم يزعم أنه يؤمن بالوعيد الا وهو مقدم

(؟) المسلمين ، استشهد سنة أربعين رضي الله عنه التذكرة ١٠/١ ، الاصابة ٥٠٧/٢ ، تاريخ الطبري ٨٩/٣ .

(١) سورة الانعام الآية ٩١ .

(٢) " التوبة " ٣٢ .

على الذنوب أقدام من قدّم فيها نذراً ولم يجعل في تركها عذراً .

وقد أسففتك (١) أيها الأخ بما اقترحت ، ولولا ثقتي بأن تصدك في استدعاء ما استدعيته من هذا التصنيف أن تتلقى العقدة الصحيحة بما يحوطها ، والشبهة العارضة من جهة بعض المبتدعة بما يميطها ، وأن ليس مماراة السفهاء ومباهاة العلماء لما أجبتك الى ملتمسك ، من حق الحقائق أن تبتذل وتدنّس بمجادلة شياطين الانس الذين وصفهم الله تعالى بقوله : وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون (٢) ، بل حق المؤمن أن يتحاشى من لقائهم فضلاً عن مجاراتهم ومماراتهم وان يفر منهم فراره من الاسود والاساود+ وشرّها ، دينه لعق على لسانه يستدر (٣) به دنياه ، متى وجد لباطل نفاقاً تصدى لنصرته اكتساباً لغرض دنيوي واغتناماً لدنى ولرشى كالذين وصفهم الله بقوله عز وجل : « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً (٤) » وشريراً شغف بالرياسة والسمعة وأبه دفع كل ما يسمعه من حق وباطل قبل أن يتفكر فيه بمصاولة (٥) ومطاولة ، تراه معداً للخلاف كأنه يرد على أهل الصواب مؤكل كالذين وصفهم بقوله « بل هم قوم خصمون (٦) » وغاويا نشأ فيما بين مبتدعة ارتضع بدرهم فترشف (٧) من باطلهم وتشرّب من

---

(١) اسفف بحاجة قضاها ، القاموس ٣ / ١٥٢ .

(٢) سورة الانعام الآية ٢١ .

(٣) تستدر الريح السحاب : تستحلبه . مختار الصحاح ١٥٤ .

(٤) سورة البقـرة الآيـة ٧٩ .

(٥) المصاولة : المواثبة ، اللسان (صول) .

(٦) سورة الزخـرف الآيـة ٥٨ .

(٧) ترشف الاناء : استقصى الشرب ، تاج العروس (رشف) .

+ الأساود جمع أسود : وهو العظيم من الحيات وفيه سواد اللسان (سود)

عقيدتهم . ويقول : « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » (١) فان ثلاثة (٢) من الموتى الذين أيس الله نبيه ، منهم بقوله : « انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين ، وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون » (٣) وبقوله : « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا » (٤) فانظر كيف جعل دعاء النبى صلى الله عليه الذى هو سبب اهتداء الناس سببا لأن لا يهتدوا ، وبقوله : « وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون » (٥) .

واعلم أيها الأخ علما يقينا أن حال المتصدى لارشادهم حال الحكيم الذى رؤى وهو يعظ جاهلا فقيل له ما تصنع ؟ قال : « اغسل حبشيا (٦) لعله يبيض » بل كما قيل :

ومن يصنع المعروف فى غير أهله ... يلاقى كما لاقى مجير ام عامر (٧)

فانهم يفجرونه ويكفرونه ويشلون عليه كلابهم (٨) (٩) وذئابهم (١٠) ، فيفسدون عليه دينه ودنياه ، كفانا

---

(١) سورة الزخرف الآية ٢٢
(٢) فى الاصل " ثلثتهم "
(٣) سورة النمل الآية ٨٠ ، ٨١
(٤) « الكهف « ٥٧
(٥) « يونس « ١٠١
(٦) فى الاصل " مضحا " والصحيح ما أثبته كما ورد فى المحاضرات ٤٤٨/١
(٧) فى الاصل " ملاقى الذى لاقى مجير بن عامر " والصحيح ـ ما أثبت كما أورده الميدانى ضمن أربع أبيات فى مجمع الامثال ١٤٤/٢ ، والزمخشرى فى مستقصى الامثال ٢٣٣/٢ فى شرح المثل " كمجير ام عامر " وهكذا ذكره الراغب فى محاضرات ٥٩٠/٢ .
(٨) أشليت الكلب : دعوته مختار الصحاح ٥٦٩ (٩) فى الاصل " عليهم " .
(١٠) فى الاصل " ذيابهم " .

الله أمر من لا يردعه حياء ولا عقل ولا دين .

وقد استخرت الله تعالى فى ذلك ، وعلمت ما أقترحته . وقننت فى ابتداء الكتاب قانونا كشفت به حقيقة ما ينطوى عليه كل دين من الاعتقادات النظرية والعملية (١) ، وبينت أن عامة ما يقع فيه التكفير والتفسيق انما هى الاعتقادات النظرية دون العملية ، ورتبت أجناس الاعتقادات وأنواعها ، وحررت كل مسألة فى موضعها ، وقرنت بدلالة عقلية مستنبطة من كتاب الله عز وجل . ففى ذلك بيان أنه سبحانه أصدق القائلين حيث وصف كتابه بأنه تبيان لكل شىء (٢) ، وقال : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » (٣) ويعلم أن من ترك استنباط فوائد كلامه من أصناف المبتدعة وأخذوا بينات الضلالات فهم كما قيل : « هراق الماء واتبع السراب » (٤) فان كتاب تعالى جوامع الكلم ومجامع الحكم « تنزيل من رب العالمين » (٥) « كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون . بشيرا ونذيرا » (٦) لكنه وان كان عتلوا بالالسنة مسموعا بالآذان فانه لا يكاد يبدى صفحته الا لمن أذعن له وألقى السمع وهو شهيد ، فاما من لاحظه بالزراية وتلقاه بالمعاندة وتكبر برد الحق ورفض الصدق ، فانه يصرف عن معرفتها ، كما قال تبارك وتعالى : « سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق » (٧) وأقول أن هذا الذى دللت على صحته فى هذا الكتاب وذكرت

---

(١) الأحكام الشرعية منها ما يتعلق بكيفية العمل وتسمى فرعية وعملية والمراد بالعمل فعل المكلف ، ومنها ما يتعلق بالاعتقاد وتسمى أصلية واعتقادية ، والأولى يسمى علم الشرائع والاحكام ، والثانية علم التوحيد والصفات ، شرح العقائد النسفية ص ٩ ، فالراغب أراد بالنظرية علم التوحيد .

(٢) قال تعالى " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء " النحل آية ٨٩ .

(٣) الانعام آية ٣٨ .

(٤) أورد الراغب هذا القول فى محاضراته ١/ ٢٤ بلفظ " أراق " .

(٥) الواقعة آية ٨٠ . (٦) حم السجدة آية ٣ ، ٤

(٧) الاعراف آية ٤٦ .

أن مذهب أهل الحق الذى أدين الله عز وجل به سرا وجهرا وباطنا وظاهرا ،

وأن ما عدا ذلك ما هو خارج الشرع من تعطيل (١) والحاد (٢) وانكار للبعث (٣) وغير ذلك من

أنواع الكفر ، وما هو داخل الشرع (٤) من تشبيه (٥) وقدر (٦) وارجاء (٧) ورفض (٨) وسائر أنواع البدع فانا

برئ منه ومن كل من يعتقده .

---

(١) التعطيل : من العطل الذى هو الخلو والفراغ والترك ، والمراد به هنا نفى الصفات الالهية الواردة فى الكتاب والسنة ، كالمعتزلة الذين أنكروا الصفات كلها ، كما أن بعض أهل السنة من الاشاعرة والماتريدية قد اقتصروا فى اثباتهم لصفات الله على قسم منها وأولوا باقيها .

(٢) الحاد : هو من اللحد وهو الشق فى جانب القبر الذى قد مال عن الوسط قال العلامة ابن القيم رحمه الله : الالحاد فى الاسماء هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت لها ، ومنه الملحد فى الدين (المائل عن الحق) . فالالحاد فيها اما أن يكون بجحدها بالكلية ، واما بجحد معانيها ، واما بتحريفها عن الصواب . واما بجعلها أسماء لبعض المبتدعات كالحاد أهل الاتحاد شرح العقيدة الواسطية ص ٢٠ .

(٣) الدهريون الذين أنكروا البعث حيث قال الله حكاية عنهم :"وما يهلكنا الا الدهر" الجاثية ٢٤ وكذلك الفلاسفة ينكرون البعث الجسمانى .

(٤) التشبيه والقدر والارجاء والرفض جعلها الراغب داخل الشرع ، ثم أطلق عليها بأنها من البدع ومعلوم أن البدع يرفضها الشرع .

(٥) هو اعتقاد أن صفات الله وذاته مثل صفات الخلق وذواتهم ، والقائلين بهذا يقال لهم المشبهة .

(٦) القدر : هو القول باثبات القدر فى جانب الانسان ، وانه خالق لأفعاله ومريد لها دون أن تتعلق قدرة الله ، وأول من قال بهذه الفكرة هو معبد الجهنى ، وغيلان الدمشقى الذين أخذا عن رجل نصرانى ، واليهما تنتهى رئاسة طائفة القدرية . وقد انقسموا الى أثنى عشرة فرقة ذكرها ابن الجوزى فى تلبيس أبليس ، ص ٣٠ .

(٧) ارجاء : معناه اعطاء الرجاء ، والقائلين بهذا يقال لهم المرجئة الذين غلوا فى اثبات الوعد والرجاء والقدر . وسموا مرجئة أما أنها مشتقة من الرجاء أو من التأخير الملل والنحل ١/١٨٦ ، الفصل ٤/٢٠٤ .

(٨) الرافضة : اعتبرهم عبد القاهر البغدادى فى الفرق بين الفرق ص ٢٩ : الأصل الذى تفرعت عنه طوائف الشيعة ، وذكر الشهرستانى فى الملل : أنهم سموا بهذا الاسم لرفضهم زيد بن على لأنه لم يتبرأ من الشيخين فسموا رافضة ١/٢٠٩ .

فصــــــول الكتـــــاب

الفصل الأول

الفصـــــل الأول

فى أصول الاديان والاختلافات وما عليهكافة أهل السنة ، اعداد أصول الأديان وما بنى عليه الدين من الأركان وما فيها من الاختلافـــــات

أصول الأديان المشهورة التى تنسب اليها الأمم من أرباب الأقاليم المعمورة (١) ستة ، وهى المذكورة فى قوله عز وجل : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة » (٢) ، فهذه هى الأصول التى لا يخرج أحد من الانتماء الى واحد منها ، وان اختص بمذهب هو خارج عنه وفاسد على قول أهل ذلك الدين الذى هو ينتمى اليه . وكل واحد من هذه الستة تفتن افتنانا فى الخلاف . كما أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة والنصارى على اثنين وسبعين فرقة وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » (٣) . وكل شريعة منطوية على خمسة أركان :

---

(١) قال المسعودى أن الاقاليم سبعة : أولها : أرض بابل منه خراسان وفارس والأهواز والموصل وأرض الجبال ، والثانى : الهند والسند والسودان ، والثالث : مكة والمدينة واليمن والطائف والحجاز وما بينها ، والرابع : مصر وافريقيا والبربر والأندلس وما بينها ، والخامس : الشام والروم والجزيرة ، والسادس : الترك والخزر والديلم والصقالبة . والسابع : الديبل والصين مروج الذهب : ٨٧/١ ، وأنظر أيضا مقدمة ابن خلدون ص ٥٣ . (٢) سورة الحج آيـة : ١٧ .

(٣) حديث افتراق الأمة رواه باختلاف الألفاظ الترمذى ٢٥/٥ وقال : حسن صحيح وابو داود ١٩٨/٤ ، وابن ماجه ١٣٢١/٢ . واحمد ٣٣٢/٢ والدارمى ٢٤١/٢ ، والحاكم ١٢٨/١ وقال : صحيح على شرط مسلم . وقال بعد أن ساق بعض الطرق : هذه أسانيد تقام بها الحجة فى تصحيح الحديث ، والآجرى فى الشريعة ص ١٤ ، وابن أبى عاصم فى السنة ٤٦٣/٢ وابن بطة فى الابانة الكبرى (ل ١١٩) .

الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاجر والآداب الخلقية ، ولما كان أكثر القصد في هذا الكتاب الى ذكر الأركان الاعتقادية اذ هيّ التي يقع التكفير بها والتبديع وجب أن يصرف القول الى تنويعها دون غيرها من الأركان .

فأما ما عداها من الأركان فليست الأمة مجتمعة على تكفير من أقرّ بوجوبها وان أخل بشروطها عملا ولم يؤده على وجهه كمالا .

فنقول : جميع الاعتقادات النظرية هي ستة أنواع ، قد نبه النبي صلى الله عليه وسلم عليها في حديث جبرئيل عليه السلام لما أتاه في صورة أعرابي فسأله عن الايمان فقال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » (١) .

وأما الخلاف (٢) الواقع في هذا الباب فثلاثة أضرب :

الأول : الخلاف بين أهل الأديان الستة وبين الخارجين عنها كالخلاف

= قال البغدادي : للحديث الوارد على افتراق الأمة أسانيد كثيرة . وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة كأنس بن مالك وأبي هريرة وأبي الدرداء وأبي سعيد الخدري وأبي بن كعب وعبد الله بن عمر وابن العاص وأبي امامة وواثلة بن الأسقع وغيرهم . ص ٧ .
وقال العراقي عند تخريجه على الأحياء ٣ / ١٩٩ : اسناده جيد ، وكذلك الألباني صححه في سلسلته ١ / ٣٥٨ .

(١) رواه مسلم ١ / ٣٩ وفيه « وتؤمن بالقدر » والبخاري نحوه ١ / ١١٤ وابن ماجه ١ / ٢٤ . والبيهقي كما ورد في مختصر شعب الايمان ص ١٥ ، وابن بطه في الابانه الكبرى (ل ١٠٥) وابن منده في الايمان ص ٣٦١ ، والآجري في الشريعة ص ١٠٧ وابن أبي شيبة في الايمان ص ٤٠ .

(٢) كان في الأصل « خلاف » .

بينهم وبين الدهرية فى حدوث العالم واثبات الصانع .

الثانى : الخلاف بين أصل هذه الأديان المختلفة كالخلاف بين اليهود والنصارى والمسلمين .

الثالث : الخلاف بين هذه الملة الواحدة فى الأصول النظرية التى يقع فيها التبديع والتفسيق كالاختلاف فى صفات الله عز وجل (١) وفى القدر (٢) والوعيد (٣) ونحوها .

واذا كان أصول الاعتقادات ستة والخلاف فيها من ثلاثة أوجه يكون جميع أصول الخلاف الواقع فى أصول الاعتقادات ثمانية عشر ضربا ، ومن بعد الخلاف ما هو مختص بأهل دين أو بدينى وغير دينى ، ومنه ما هو قد يكون بين أهل دينين كما يكون بين دين واحد كمسألة القدر (٤) والتشبيه (٥) ورؤية الله عز وجل (٦) ، فان هذه المسائل قد

---

(١) المعتزلة : ينفون الصفات كلها ، والأشاعرة : يثبتون بعضها وأولوا باقيها ، أما السلف فهم يثبتون جميع الصفات ما أثبتها الله ورسوله على وجه يليق بجلاله

(٢) المعتزلة : هم ينفون القدر ويقال لهم القدرية ويقولون أن الانسان هو الخالق لأفعاله ، والجبرية على عكس ذلك ويقولون أن الانسان لاقدرة له البتة فهو كالريشة فى مهب الريح ، وأما أهل السنة فهم يثبتون القدر السابق وأن الله هو الخالق . وأما الانسان فله الاختيار والكسب والفعل .

(٣) قال أكثر الخوارج : أن مرتكب الكبيرة كافر ، والمعتزلة جعلوه فى منزلة بين المنزلتين وقالت المرجئة : لا تضر مع الايمان المعصية فكل مسلم يدخل الجنة ، وقال أهل السنة : أصحاب الكبائر طائفتان : طائفة يدخلون النار ثم يخرجون منها الى الجنة . وطائفة لا تدخل النار حيث أن الله عز وجل يعذب من يشاء من المؤمنين النار ثم يدخلهم الجنة ، وله أن يغفر لهم ويدخلهم الجنة بدون أن يعذبهم الفصل ٤/٤٤ .

(٤) قد تقدم الكلام عليه .

(٥) المشبهة : يقولون أن صفات الله مثل صفات المخلوقين ، وأهل السنة : يقولون ان صفاته تعالى تليق بجلاله ولا نعرف حقيقتها ، وصفات المخلوقين تليق بعجزهم وفقرهم .

(٦) المعتزلة أنكروها وأهل السنة أثبتوها .

اختلفت فيها اليهود كما اختلف فيها المسلمون ، فهذا ما يحتاج الى ذكره فى هذا الباب ، والله الموفق .

ذكر عدد أصول الاختلافات فى الاسلام وبيان الفرق التى تفنّن اليها المسلمون .

الأصول التى افترقت فيها الأمة سبعة : القول فى ذات الله عز وجل (١) ، وفى صفاته (٢) ، وفى أفعاله (٣) ، وفى الوعيد (٤) ، وفى الايمان (٥) ، وفى القرآن (٦) ، وفى الامامة (٧) .

والفرق المبتدعة الذين هم كالأصول للفرق الاثنين والسبعين سبعة (٨) : المشبهة (٩) ونفاة الصفات (١٠) والقدرية (١١) والمرجئة (١٢) والخوارج (١٣) والمخلوقية (١٤) والمتشبيهة :

---

(١) (٢) (٣) سيأتى الكلام عليها . (٤) قد تقدم فيه الكلام .
(٥) (٦) سوف يأتى الكلام عليهما فى فصل خاص . (٦) قد تقدم عليه الكلام .
(٧) قد مضى عليها الكلام وهو أن الشيعة يرون أن الامامة لا تخرج عن أولاد على رضى الله عنه وأن النبى صلى الله عليه وسلم قد أوصى بامامته وذهب أخير : أنه قد نصّ عليه بالوصف ، ويرفضون خلافة الشيخين رضى الله عنهما ، أما أهل السنة فهم يقولون بامامة الشيخين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن الامامة ليست محصورة فى أولاد على بل يقولون ما قاله عليه الصلام والسلام « الأئمة من قريش » .
(٨) جاء فى الملل والنحل : أن كبار الفرق الاسلامية أربعة : الصفاتية ، والقدرية والخوارج والشيعة ١/١٥ ـ ٨ وفى مقالات الاسلاميين أنها عشرة : الشيعة ، والخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية والضرارية والحسينية والبكرية والعامة وأصحاب الحديث ١/٦٥ وعند الباقلانى أنها سبعة : الجبرية والقدرية والروافض والخوارج والمعطلة والمشبهة وأهل السنة . نقلا عن حاشية المرجانى على شرح العضدية ص ٨ وفى شرح المواقف أنها ثمانية : المعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة والجبرية والنجارية والمشبهة والناجية ، ٨/٣٧٧ .
(٩) قد مضى عليه الكلام (١٠) أنظر معنى التعطيل الذى تقدم .
(١١) هم الغلاة فى اثبات الوعد والرجاء والقدر كما تقدم .
(١٢) هم الذين خرجوا على على رضى الله عنه وعلى امامته . ويكفرون عليا وعثمان والحكمين ومن رضى بالتحكيم ، ويرون وجوب الخروج على الامام الجائر ، وأن مرتكب الكبيرة عندهم كافر ، مقالات الاسلاميين ١/١٥٦ والفرق ٧٢ .
(١٣) هم الذين قالوا أن القرآن مخلوق وهم المعتزلة .

فالمشبهة ضلت فى ذات الله ، ونفاة الصفات ضلت فى صفات الله عز وجل (١) • والقدرية فى أفعاله • والخوارج فى الوعيد ، والمرجئة فى الايمان (٢) ، والمخلوقيــة فى القرآن ، والمتشيعة فى الامامة ، والفرقة الناجية : هم أهل السنة والجماعــة الذين اقتدوا بالصحابة ، فمعلوم أن الله عز وجل رضى عنهم حيث قال : لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة (٣) ، ومعلوم أنه لم يرض عنهم الا بعــد صحة اعتقادهم وصدق مقالهم وصلاح فعالهم ، فقد قال تعالى : « ولا يرضى لعباده الكفر (٤) » واذا ثبت صحة طريقتهم ثبت أن المقتدى بهم سالك للمحجة ، متمسك بالحجة ، سيما وقد قال عليه السلام : « أصحابى كالنجوم بأيهم أقتديتم اهتديتم (٥) » وذلــك أن المقتدى بهم متبع لأمر النبى عليه السلام بقوله « عليكم بالسواد الأعظم (٦) » .

فان قيل : فما وصف المقتدى بهم على سبيل الجملة ، وماذا يجب أن يعتقد فيما حدث من بعدهم من الخلافات التى يخرج الحق عن أحد النقيضين .

---

(١) فى الأصل « نفات » .

(٢) حيث أنهم أخرجوا العمل من الايمان ، حتى غالى بعضهم فجعلوا الايمـان مجرد المعرفة بالله وما عدا ذلك فهو خارج عن الايمان ، وقال قائلهم : لا تضر مع الايمان المعصية كما لا تنفع مع الكفر الطاعة • الفصل ٤ / ٢٠٤ •

(٣) الفتح آيــة ١٨ • (٤) الزمر آيــة ٧ •

(٥) رواه ابن عبد البر وقال : له طرق وكلها ضعيفة ، وقال البزار : هذا الكـلام لا يصح عن النبى صلى الله عليه وسلم ، جامع بيان العلم وفضله ٢ / ٩٠ ، وقال ابن حزم : هذه رواية ساقطة الأحكام ٦ / ٨٢ ، وقال الألبانى بأنه موضــوع • سلسلة الاحاديث الضعيفة والموضــوعة ١ / ٧٨ •

(٦) قطعة من الحديث رواه أحمد ٤ / ٣٨٣ ، وابن ماجه ٢ / ١٣٠٣ • أنظر التعليق على الحديث الآتى ،

قيل : حق المؤمن أن ينظر فيما وجد الصحابة عليه مجتمعة تحرى قصده ولا يتخطاه ، وما لا يرى فيه للصحابة عليه مذهبا ووجد الناس بعدهم مجتمعين فيه على أمر ما قولا وفعلا أو قولا أو فعلا أعتقد صحته لقوله عليه السلام : « لا تجتمع أمتى على الضلال »(١) وما اختلفوا فيه من بعد وليس له فى الكتاب أصل ولا فى السنة فان ذلك خارج من الدين ، لأنه من حيث لم يكن له كتاب ولا سنة ولا اجماع فهو بدعة ومحدثة لقوله عليه السلام : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة »(٢) وما له أصل أو لفظ فى الكتاب والسنة الثابتة فانه ينبغى أن يقع الايمان بأصله ويسلّم تأويله الى الله تعالى اقتداء بقوله تعالى : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا »(٣) ويرفض قول القائلين بالرأى لقوله عليه السلام : « من قال فى القرآن

---

(١) رواه احمد والطبرانى فى الكبير وابن أبى خيثمة فى تاريخه عن أبى نضرة الغفارى مرفوعا بلفظ «سألت ربى أن لا تجتمع أمتى على ضلالة » وابن أبى عاصم فى السنة عن أبى مالك الأشعرى بلفظ « وان لا تجتمعوا على ضلالة » ورواه أبو نعيم والحاكم وأعله واللالكائى فى السنة وابن منده والضياء عن ابن عمر مرفوعا بلفظ « ان الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبدا » ورواه عبد بن حميد وابن ماجه عن أنس مرفوعا بلفظ ان أمتى لا تجتمع على ضلالة فاذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم . رواه الحاكم عن ابن عباس رفعه بلفظ « لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة . أنظر : كشف الخفاء ٢/ ٤٨٨ ، رواه أيضا الترمذى عن ابن عمر ٤/ ٤٦٦ وقال : حديث غريب ، وذكره الشاطبى فى الاعتصام : ٢/ ٢٦١ .

وقال العجلونى : وبالجملة الحديث مشهور المتن وله أسانيد كثيرة وشواهد عديدة فى المرفوع وغيره . كشف الخفاء ٢/ ٤٨٨ ، وقال الالبانى أيضا له شواهد بسند صحيح ، أنظر المشكاة المصابيح ١/ ٦١ .

(٢) رواه الترمذى بلفظ « فان كل محدثة » الخ وصححه ٥/ ٤٤ ، وابو داود ٤/ ٢٠١ والنسائى ٣/ ١٨٨ ، واحمد ٤/ ١٢٦ ، ورواه مسلم بلفظ « شر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » مع الشرح ٦/ ١٥٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ٧ .

برأيه فان أصاب فقد أخطأ (١) ، ولا ننكر أن يكون الله تعالى قد آتى علم ذلك بعض أوليائه لقوله عليه السلام : « من عمل بما علم أورثه الله عز وجل علم ما لم يعلم » (٢)

ذكر ما يجب أن يكون عليه كافة أهل السنة من الأصول السبعة •

الواجب على كل مسلم أن يعتقد أولا : أن الله عز وجل واحد لا يشبهه شيء من الموجودات ولا يشاركه بوجه ألا في بعض اسمائه لفظا لا معنى نحو عالم وقادر كما قال تعالى : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٣) •

الثاني : أن يعتقد في صفاته انه حيّ عالم قادر سميع بصير الى غير ذلك من الصفات التي ورد به السمع وأجمع عليه الأمة ، وأن له علما وقدرة وسمعا وبصرا لا على الوجه المحسوس ويترك البحث عن معنى صفاته سوى ما ورد عن السلف ، ويترك الكلام في وصفها أنها قديمة أو محدثة ، وهل هي هو أو غيره أو لا هي هو ولا غيره (٤) ،

---

(١) رواه ابو داود ٣/٣٢٠ ، والترمذي ٥/٢٠٠ وقال : حديث غريب ، والبغوي ١/٢٥٩ والطبري ١/٧٩ ت احمد شاكر ، قال الألباني في تعليقه على المشكاة سنده ضعيف ١/٧٩ •

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق احمد بن حنبل عن يزيد بن هارون عن حميد الطويل عن أنس مرفوعا ، ثم قال : ذكر احمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام ، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم فوضع هذا الاسناد عليه لسهولته وقربه ، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الاسناد عن احمد بن حنبل ١٠/١٥ ، قال الالباني في سلسلته : موضوع ١/٤٢٣ •

(٣) سورة الشورى آية ١١ •

(٤) أنظر اقتضاء الصراط ٤٢٠ ، شرح الطحاوية ١٢٩ ، والأسماء والصفات ١١١ •

فان ذلك كله بدعة وخوض فيما أمسك عنه الصحابة والتابعون بل الحاد في أسمائه المذكورة في قوله : " وذروا (١) الذين يلحدون في أسمائه (٢) " .

والثالث : أن يعتقد في أفعاله أنه خالق كل شيء ولا خالق غيره كما أخبر عن نفسه (٣) ، وأن العباد فاعلون مكتسبون وأفعالهم منسوبة اليهم وهي خلقه تعالى ، وأن الخير والشر بعلمه ومشيئته وارادته وقضاءه وقدره وأن ماشاء أن يكون فلا محالة يكون ، وما لا يشاء لا يكون (٤) ، وأن علمه لا ينافي مشيئته وارادته ، وأن القدر من ستر الله عز وجل (٥) الذي لا يجوز أن يفشيه من أطلعه الله (٦) ولا أن يستفتيه من لم يطلعه عليه كما قال عليه السلام : " اذا ذكر القدر فامسكوا (٧) " .

والرابع : أن يعتقد في الوعيد أنه يجب أن لا يؤيس أحد من رحمة الله عز وجل الا من أجمعت الأمة على كفره وأما من عداهم فان الله تعالى ان شاء غفر لهم

---

(١) في الأصل " وذر " . (٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

(٣) " وخلق كل شيء فقدره تقديرا " الفرقان ٢ .

(٤) أنظر الفتاوى ٦٣/٨ ، شفاء العليل ٢٧٧ .

(٥) كما قال علي رضي الله عنه : " القدر ستر الله فلا نكشفه " شرح الطحاوية ٢٧٧

(٦) ان الله لم يطلع أحدا على القدر كما أشار اليه الامام الطحاوي رحمه الله " واصل القدر ستر الله تعالى في خلقه . لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان ، وسلم الحرمان ، ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة ، فان الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه ، العقيدة الطحاوية ص ٣٢ .

(٧) ذكره الهيثمي في مجمعه عن ثوبان وعزاه الى الطبراني وفيه يزيد ابن ربيعة وهو ضعيف ، رواه أيضا عن بن مسعود وفيه مسهر بن عبد الملك وثقة ابن حبان وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح ٢٠٢/٧ وذكره ابن حجر وقال أخرجه الطبراني بسند حسن . الفتح ٤٧٧/١١ .

وان شاء عذبهم كما قال (١) : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢) ولا يسلب اسم الايمان والاسلام عن أحد يستقبل قبلة المسلمين ويصلى صلاتهم ويبيح ذبيحتهم الا من سلبه الشرع لقوله صلى الله عليه وسلم : « القدرية مجوس هذه الأمة » (٣)

والخامس : ان يعتقد أن الايمان اعتقاد بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٤) وانه درجات ومنازل كما قال النبى عليه السلام : « الايمان بضع وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وأدناها اماطة الأذى عن الطريق » (٥)

والسادس : أن يعتقد فى القرآن أنه كلام الله عز وجل ولا يوصف (٦) أنه مخلوق فأدنى ما فى ذلك أن الخلق فى وصف الكلام هو الكذب ، ويعتقد أن كلامه كسائر صفاته فى أنه لا تشبه واحدة منها صفات المخلوقين ولا تشاركها الا فى الاسم كما

---

(١) أنظر شرح الطحاوية ص ٤١٧ ، وتفسير ابن كثير ١/٥٠٨ .

(٢) سورة النساء آية ٤٨ .

(٣) رواه ابو داود ٤/٢٢٢ ، والأجرى فى الشريعة ص ١٩٠ ، وذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٣٠٣ ، وقال الألبانى فى تعليقه على شرح الطحاوية اسناده ضعيف لكن له طرق يتقوى بها ص ٣٠٤ .

(٤) أنظر الفتح : ١/٤٧ ، والشريعة ص ١١٩ ، وعقيدة السلف ص ٤٥ وشرح السنة : ١/٣٨ ، والايمان لابن تيمية ص ١٩١ ، ٢٦٥ .

(٥) رواه مسلم : ١/٦٣ ، وابو داود : ٤/٢١٩ ، والترمذى : ٥/١٠ وقال : حديث حسن صحيح ، والنسائى : ٨/١١٠ ، وابن ماجة : ١/٢٢ ، واحمد ٢/٤٤٥ وابن بطة (ل ١٠٧) ، والبغوى : ١/٣٤ ، والبخارى وفيه « بضع وستون » ١/٥١ .

(٦) كان فى الأصل « بصفه »

أن ذاته مباين لذوات المخلوقين ، وأن القرآن في صدور المؤمنين وفي تلاوة التالين وفي كتابة الكاتبين موجود بين الناس وهو مسموع متلو محفوظ مكتوب (١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويترك الخوض فيما عدا ذلك لقوله عز وجل : « وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » (٢) .

والسابع : أن يعتقد في الامامة أن الله عز وجل وعد المؤمنين أن يجعل فيهم خلفاء مخصوصين بقوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض » (٣) وذلك خلافة خاصة وعد الله عز وجل بها بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ، وظاهر ذلك يقتضي أن كل من تولى أمر المسلمين بعده كان خليفة ، لولا ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا (٤) » فيجب أن يقطع بصحة خلافة من تولاها في هذه المدة (٥)

---

(١) أنظر الابانه ص ١٩ ، وشرح الطحاوية ص ١٨٠ ، ولمعة الاعتقاد ص ١٨ وعقيدة السلف ص ١٢ . وشرح السنة ١/١٨١ .

(٢) سورة الأنعام آية ٦٨ (٣) سورة النور آية ٥٥

(٤) رواه الترمذي بألفاظ متقاربة ٤/٥٠٣ وقال : حديث حسن ، وابو داود ٤/٢١١ والحاكم في المستدرك ٣/٧١ ، والطحاوي في مشكل الآثار ٤/٣١٣ ، وابن أبي عاصم الشيباني في السنة . وصححه الألباني ٢/٥٦٢ ، أحمد ٤/٢١١ . وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٠١ .

(٥) هذه المدة تنتهي بانتهاء خلافة الحسن بن علي رضي الله عنه كما ذكرته كتب التاريخ لأن مدة خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كانت سنتين وثلاثة أشهر وثمانية أيام . وخلافة عمر رضي الله عنه كانت عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال ، وخلافة عثمان رضي الله عنه كانت احدى عشر سنة واحد عشر شهرا وثلاثة عشر يوما ، وخلافة علي رضي الله عنه كانت أربع سنين وسبعة أشهر الا يوما ، وخلافة الحسن رضي الله عنه كانت ثمانية أشهر وعشرة أيام . فذلك ثلاثون سنة ، مروج الذهب ٣/٧ . البداية والنهاية ٨/١٦ .

بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم يتوقف عمن كان بعدها فيفوض أمورهم الى الله عز وجل ويصحح أحكامهم وقودهم ويوجب بالظاهر طاعتهم لقوله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » (١) ولم يخص ، وقوله عليه السلام : « اسمعوا واطيعوا ولو أمّر عليكم عبد حبشي مجدع » (٢) فهذه جملة اذا اعتقدها المسلم يرجى فى الدين وهى المأثورة عن الاسلاف كمالك بن أنس (٣) ، والليث بن سعد (٤) ، والاوزاعى (٥) ، وسفيان الثورى (٦) ، وابن عيينه (٧) ،

---

(١) سورة النساء / آية ٥٩ .

(٢) رواه مسلم نحوه ٩٤٤/٢ ، والترمذى ٢٠٩/٤ وقال حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ٩٥٥/٢ ، وأحمد ٤٠٣/٦ وابن أبى عاصم الشيبانى ٥٠٤/٢ ، وذكره الهيثمى فى مجمعه وعزاه الى الطبرانى ١٩٢/٥ .

(٣) مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر الأصبحى المدنى ، أبو عبد الله ، امام دار الهجرة ، أحد الأئمة الأربعة المشهورين فى تاريخ الاسلام ، رأس المتقين وكبير المثبتين ، حتى قال البخارى : أصح الأسانيد كلها : مالك عن نافع عن ابن عمر ولد سنة ٩٣ هـ ، ومات ١٧٩ هـ تهذيب التهذيب ٥/١٠ ، وأنظر أيضا الديباج المذهب ٨٢/١ ، واللباب ٦٩/١ .

(٤) ليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، أبو الحارث ، المصرى ، وكان من سادات أهل زمانه فقها وورعا وعلما وفضلا ، وكان ثقة ، كثير الحديث ، مات فى شعبان ١٧٥ هـ تهذيب التهذيب ٤٥٩/٨ ، تذكرة الحفاظ ٢٠٧/١ ميزان الاعتدال ٣٦١/٢ .

(٥) عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى ، أبو عمرو ، الفقيه وكان اماما من أئمة الحديث ، لم يكن بالشام أعلم بالسنة منه ولا أفقه ، ولد سنة ٨٨ هـ ومات سنة ١٥٧ هـ تهذيب التهذيب ٢٣٨/٦ ، وتهذيب الاسماء واللغات ٢٩٨/١ .

(٦) سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى ، ابو عبد الله الكوفى ، ثقة حافظ فقيه ، امام من أئمة المسلمين وعلم من أعلام الدين ، عابد ، ورع ، زاهد ، ولد سنة ٩٧ هـ وتوفى بالبصرة ١٦١ هـ تهذيب التهذيب ١١١/٤ تاريخ بغداد ١٥١/٩ حلية الأولياء ٣٥٦/٦ .

(٧) هو سفيان بن عيينة بن أبى عمران الهلالى ، أبو محمد الكوفى ، انتقل من الكوفة =

والشافعى[1] ، وأحمد[2] بن حنبل وغيرهم من الأئمة الأخيار .

= الى مكة المكرمة وسكن هناك الى أن وافته المنية . ثقة حافظ ثبت من حكماء أصحاب الحديث وامامهم ، مات فى رجب سنة ١٩٨ هـ .
ميزان الاعتدال ٣٩٧/١ ، تاريخ بغداد ١٧٤/٩ .

(١) محمد بن ادريس بن العباس الهاشمى المطلبى ، أبو عبد الله الشافعى ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة . نزيل مصر — امام فى الحديث والفقه والأصول وحجة فى اللغة والأدب ، مات سنة ٢٠٤ هـ . التهذيب ٢٥/٩ . طبقات الشافعية ١٩٢/١ ، ارشاد الأريب ٣٦٧/٦ ،

(٢) أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى البغدادى ، أبو عبد الله ، أحد الأئمة المتبوعين فى الاسلام ، حافظ متقن فقيه ملازم للورع ، مات سنة ٢٤١ هـ تهذيب التهذيب ٧٢/١ ، طبقات الحنابلة ٤/١ ابن عساكر ٨٧/٢

الفصل الثاني

في معرفة الله عز وجل وتوحيده
وبيان معرفة الله تعالى وانواعها

معرفة الله عز وجل على ثلاث مراتب[١] : بديهية ومكتسبة وموهبية .

فاما البديهية فضرب واحد ، وهو معرفة وجوده على سبيل الاجمال وبها يخرج الانسان عن كونه جاحدا .

واما المكتسبة فاربعة اوجه :

الاول : معرفة ذاته ومن هو، وبها يخرج الانسان من كونه معطلا[٢] .

والثاني : معرفة وحدانيته وبها يخرج الانسان من كونه مشركا .

والثالث : معرفة اوصافه[٣] المنزهة ومباينته لكل ماعداه ، وبها يخرج الانسان من كونه مشبها .

والرابع : معرفة اوصافه الممجدة وبها يخرج الانسان من كونه ملحدا . اعني الالحاد المذكور في قوله : " وذروا الذين يلحدون في اسمائه "[٤] وكل

---

(١) ~~طريق معرفة الله تعالى واحد وهي فطرية وهبية، وليست مكتسبة كما يأتي الكلام عليها~~

(٢) اما التعطيل فيقع في الصفات، فالانسان يخرج من ورطة التعطيل باثبات الصفات لا بمعرفته الذات.

(٣) اما معرفة توحيده وصفاته فلا تحصل بنظر واستدلال بل لاسبيل اليها الا السمع فقط . لان الامور الالهية خارجة عن قانون العقل، فالصواب ان يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه او وصفه به رسوله ، لا يتجاوز القرآن والحديث، ويتبع في ذلك سبيل السلف الماضي من ائمة الهدى . قال البيهقي : هذه الصفات طريق اثباتها السمع فنثبتها لورود الخبر الصادق ولا نكيفها .
الاعتقاد (ص ٢٩) .

(٤) سورة الاعراف : ١٨٠ .

واحد من هذه الاربعة يتوصل اليه اما من طريق الاستدلال بقدرته تعالى وايجاد العالم انواعه واجناسه واعيانه وهو طريق اهل الجدل[١]، واما من طريق الاستدلال بالقدرة والحكمة هو المعرفة بشكل واحد من اجناس موجودات العالم وانواعه على وجه ينحسر العقول عن توهم وجه اصلح لما خلق له مما جعله عليه وهي طريقة الحكماء[٢].

واما الموهبية فمعرفة من طريق الهدى المشار اليه بقوله :
" والذين اهتدوا زادهم هدى[٣]" وقوله :" والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا"[٤] وبحصول هذه المعرفة يصير الانسان موقنا كما اشار اليه بقوله " وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموت والارض وليكون من الموقنين"[٥] وهذه المعرفة اعني اليقينية مخصوصة بالانبياء والاولياء[٦]، كما ان البديهية عامة لجميع الناس، ومن حصلت فقد انتهى الى المنزلة التي اشار اليها

---

(١) الجدل : هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات والغرض منه الزام الخصم وافحامه . التعريفات (ص ٧٨)، تحدث الغزالي في الاحياء عن منفعة الجدل والكلام وهي كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل اكثر من الكشف والتعريف (١ : ٩٧)، وقال ابن تيمية : الحيرة مستولية عليهم والشيطان مستحوذ عليهم . فتاوى (٥ : ١١٩) . ولهذا السلف رحمهم الله ذهبوا الى حرمته . ولا شك ان مزاولة العقل في المسائل الالهية اقتحام فيما لا طاقة له . والعقل لا يؤمن عليه الخطأ، اذا ينبغي المسلم ان يؤمن باسمائه وصفاته اعتمادا على الكتاب والسنة .

(٢) الحكماء : هم الذين يكون قولهم وفعلهم موافقا للسنة . كتاب التعريفات (ص ٩٧) .

(٣) سورة محمد : ١٧ .

(٤) سورة العنكبوت : ٦٩ .

(٥) سورة الانعام : ٧٥ .

(٦) المعرفة اليقينية ليست مخصوصة بل عامة كما نحن وتيقن نعم الانبياء والاولياء يزدادون في اليقين منا .

امير المؤمنين رضي الله عنه قال : " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا "[1]
وقرب منها حديث حارثة[2] حيث قال : " كأني انظر الى عرش ربي بارزا
وكأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها والى اهل النار يتعاوون فيها
فقال النبي صلى الله عليه : عرفت فالزم "[3] .

وها هنا منزلة ارفع من كل ماتقدم لا تحصل للانسان في الدنيا وانما
تكون للمؤمنين في الاخرة وهي المشار اليها بعين اليقين المذكور في قوله
تعالى : " كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين "[4]
فاشار تعالى بعلم اليقين لترون الجحيم الى مايحصل للانسان في الدنيا
ويطلع به على الجنة والنار ، واشار بعين اليقين الى مايحصل في الاخرة[5]
فيصير بها رائيا لذاته ، كما قال عليه السلام : " انكم سترون ربكم كما
ترون القمر ليلة البدر "[6] ولما كانت المعرفة به تعالى في الدنيا اذا اعتبر
بالمعرفة به في الاخرة جارية مجرى الظن من اليقين قال تعالى
" الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم "[7] فجعل تعالى المعرفة الدنيوية ظنا[8]

---

(١) ذكره الراغب في التفصيل (ص ٥٨ ، ٧٩) ، والطوسي في اللمع وعزاه الى احد التابعين (ص ٥٤٦) .

(٢) هو الحارث بن مالك الانصاري الصحابي . الاصابة (١ : ٢٨٩) .

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد ، والبيهقي في الشعب من طريق يوسف بن عطية وهو ضعيف جدا . والطبراني عن سعيد بن ابي هلال عن محمد بن ابي الجهم . وابن منده من طريق سليمان بن سعيد عن الربيع بن لوط ، وابن ابي شيبة عن ابن نمير عن مالك بن مغول بالمرفوع . الاصابة (١ : ٢٨٩) . وذكره الهيثمي في مجمعه وعزاه الى الطبراني وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج الى الكشف عنه (١ : ٥٧) .

(٤) سورة التكاثر : ٥ ، ٦ ، ٧ .

(٥) المراد بعلم اليقين مايحصل في الدنيا من المعرفة . وبعين اليقين مايحصل المشاهدة في الاخرة . تفسير البيضاوي (٨ : ٣٩٥) .

(٦) رواه البخاري (٢ : ٣٣) ، مسلم (١ : ٤٣٩) ، احمد (٤ : ٣٦٠) .

(٧) سورة البقرة : ٤٦ .

(٨) معرفة الله تعالى في الدنيا ليست مظنونة بل هي يقينية . والظن في الاية بمعنى اليقين . قال ابن جرير رحمه الله العرب قد تسمي

فى جنب المعرفة الاخروية وان كان فى الدنيا يقينا .

بيان معرفته البديهية .

اعلم ان معرفة وجوده من بداية العقول يشترك فيها كل بالغ لا عاهة به ، وذلك ان كل عاقل يعلم انه مصنوع وانه لم يصنع نفسه ومسبوق الى غاية[1] لا انفكاك له منها ، ولا يعلم انه من هو ، وما وصفه فان ذلك يوقف عليه بنظر واستدلال[2] ، والدلالة على ذلك ان معرفة ذلك معلوم ببديهة العقل . وانه ليس معرفة ذلك باكتساب كما زعم جل المعتزلة[3] ، حتى ان الله عز وجل لم يبعث نبيا قط دعا الى اثبات الخالق والاقرار بوجوده بل كلهم بعثوا ليدعوا الى معرفة الاء الله المؤدية الى توحيد الله عز وجل والاطلاع على الحكمة وعبادته كما قال عز وجل : " فاعلم انه لا اله الا الله "[4] وقال : " وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة "[5] ولهذا اخبر عن قوم هود

= اليقين ظنا والشك ظنا نظير تسميتهم الظلمة سدفة والضياء سدفة وما اشبه ذلك من الاسماء التى يسمى بها الشئ وضده كما قال دريد بن الصمة :

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج اى بذلك تيقنوا .

والشواهد من اشعار العرب على ان الظن فى معنى اليقين كثير جدا . تفسير ابن كثير (١ : ٨٨) .

(١) المراد بالغاية : الكهولة والشيخوخة .

(٢) قد تقدم ان العقل لا طاقة له فى المسائل الالهية .

(٣) المعتزلة : هم نفاة الصفات والرؤية ويقولون بخلق القرآن ، وسموا بهذا لان واصل بن عطاء اعتزل مجلس الحسن البصرى حينما سئل عن مرتكب الكبيرة فاجاب واصل انه فى منزلة بين المنزلتين .

مقالات الاسلاميين (١ : ٢١٨) ، الخطط للمقريزى (٢ : ٣٤٥) فجر الاسلام (ص ٢٨٨) .

وانظر موقف المعتزلة فى معرفة الله . المغنى (١٤ : ١٥١) شرح اصول الخمسة (ص ٣٩) .

(٤) محمد : ١٩ .

(٥) البينة : ٥ .

عليه السلام لما دعاهم الى التوحيد انهم قالوا : " اجئتنا لنعبد الله وحده "[١] فدل انهم لم ينكروه بل انكروا عبادته وحده دون عبادة الاصنام ، وكذلك اخبر عن قريش حين دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى التوحيد قالوا : " اجعل الالهة الها واحدا "[٢] ومعلوم ان الاقرار بتوحيد الله تعالى فرع على الاقرار باثباته . فلو كان معرفته سبحانه مما يجب اكتسابها لامر بها كما امر بالتوحيد والاقرار به ويدل على ذلك ان ابراهيم عليه السلام لما اخذ بطلب معرفة الله تعالى وقال في القمر " هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين "[٣] فدل ذلك على انه قد عرف ربه على طريق الجملة[٤] لكن خفي ذاته وكان يطلبه فلذلك قال ما قاله وقال تعالى " فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله "[٥] الايــة .

فنبه ان معرفته سبحانه من الفطرة[٦] التي فطر الناس عليها وان المعاندين وان قصدوا تغيير هذه الفطرة لم يقدروا عليه ، ونبه بقوله : " لا تبديل لخلق الله "[٧] على انهم لا يمكنهم ازالة هذه المعرفة

---

(١) الاعراف : ٧٠ .
(٢) ص : ٥ .
(٣) الانعام : ٧٧ .
(٤) كان ابراهيم عليه السلام من الراسخين في المعرفة الواصلين الى ذروة عين اليقين وكان قوله هذا ربي على سبيل الفرض وارخاء العنان مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام ثم كر عليهم بابطال ذلك وكان قلبه عليه السلام مطمئنا بذلك . روح المعاني (٧ : ١٩٨)، ابن كثير (٢ : ١٥١) .
(٥) سورة الروم : ٣٠ .
(٦) الفطرة : في الاصل الخلقة والمراد بها الملة وهي الاسلام والتوحيد ، قال الواحدي هذا قول المفسرين في الفطرة ، والناس عام من غير فرق بين مسلمهم وكافرهم وانهم جميعا مفطورون على ذلك . القرطبي (١٤ : ٢٤)، ابن كثير (٣ : ٤٣٢)، فتح القدير (٤ : ٢٢٤) .
(٧) الروم : ٣٠ .

التي فطروا عليها ، وبقوله " وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا"[١]. وقوله : " ولكن اكثر الناس لا يعلمون"[٢] اي لا يعلمون كون معرفته فطرة لهم وانهم لا يقدرون على تغيير ماقال عليه السلام : " كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه"[٣] اي لو ترك لوجد مائلا الى قبول الحق . وعلى هذا دل قوله تعالى " واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم"[٤] الاية ، فنبه ان معرفتهم بان لهم ربا يربيهم ويرزقهم وينقلهم من حد الطفولة والنقص الى حد الكهولة والكمال قد حصلت من جميعهم مؤمنهم وكافرهم ، وهذا الاقرار اعتراف نفوسهم بالعلم المركوز في عقولهم وهو اقرار منهم بلسانهم الروحاني لا اقرار بلسانهم الجسماني[٥]، وعلى هذا قال تعالى : " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله"[٦] الاية فان هذا القول من المؤمن بالمقال وبالحال معا ومن الكافر بالحال دون المقال[٧] ولهذا يقربه كل مسلم وكافر عند ما يناله من الشدة كما قال عز وجل : " ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون"[٨] كأنه تعالى يردهم الى ما اضطروا اليه فقال الهكم يمسكم بما فيه كراهتكم ولا حيلة لكم في دفعه فيضطركم الى الاقرار به والى الرجوع اليه . وهذا

---

(١) النمل : ١٤ .
(٢) الروم : ٣٠ .
(٣) رواه البخاري (١١ : ٤٩٣)، مسلم (٤ : ٢٠٤٧) ولفظهما " مامن مولود الا يولد على الفطرة فابواه " ..الخ
(٤) الاعراف : ١٧٢ .
(٥) هذا الاقرار وقع بلسانهم الجسماني ايضا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ان الله اخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام بنعمان يوم عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرها بين يديه ثم كلمهم قبلا قال " الست بربكم .. الخ " وقد روى هذا الحديث النسائي واحمد وابن جرير وابن ابي حاتم واخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد . تفسير ابن كثير (٢ : ٢٦١).
(٦) سورة الزخرف : ٨٧ .
(٧) قصد المؤلف بان الكافر عامة اوقاته لا يقر بالله بلسانه الجسماني، لكن عند ماينا له الشدة يقر بلسانه الجسماني .
(٨) النحل : ٥٣

للمؤمنين والكافرين بدلالة قوله : " ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون"[1] ولكون معرفته مركوزة في عقل كل ذي عقل لم يتبأن أمة في قتل من جحده[2] حتى قيل من انكر الباري رجم لكونه جاحدا ومن انكر النفس رجم لكونه جاهلا[3]. وقال بعض العلماء : ان نور الله تعالى يبهر بظهوره بصائرنا بالاضافة اليه جارية مجرى عين الخفافيش بالاضافة الى ضوء الشمس اذا دامت النظر اليها بل اضعف منها بكثير، فلذلك انكرته بعض البصائر وظنتها انها غير مدركة[4].

فان قال المتكلمون نحن عقلاء وقد عرفناه بالاستدلال لابديهة العقل .

قيل : انتم لم تنكروا انكم عرفتموه وانما انكرتم الوجه الذي منه عرفتم، وقد يعرف الانسان الشئ ثم لا يدري انه قد عرفه كالسمنية الذين ينكرون انهم يعرفون شيئا (بغير الحواس)[5] وقد يعرفه ولا يدري من اين عرفه فيخالف فيه وذلك كالخلاف في العلم بمخبر الاخبار من اي وجه حصل وايضا فانكم في طلب معرفته من خارج مع كونها

---

(١) النمل : ٥٤ .

(٢) من جحد الله تعالى فهو ملحد زنديق وجزاؤه القتل كما جاء في البخاري عن عكرمة رضي الله عنه قال : اتي علي رضي الله عنه بزنادقة فاحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت انا لم احرقهم لنهي رسول الله صلى الله عليه وسلم " لا تعذبوا بعذاب الله " ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم " من بدل دينه فاقتلوه " (١٢ : ٢٦٧)، المغني لابن قدامة (٩ : ٣)، وانظر ايضا الام (٦ : ١٤٩) .

(٣) ذكر الراغب هذا القول في " الذريعة " وعزاه الى الامم السالفة (ص ١٧) .

(٤) انظر احياء علوم الدين (٤ : ٣٢١) .

(٥) السمنية : هم عبدة الاوثان منسوب الى سومنات اسم صنم كبير، قالوا بقدم العالم، وبابطال النظر والاستدلال وينكرون حصول العلم بغير الحواس، وانكر اكثرهم المعاد والبعث بعد الموت، وقالوا بتناسخ الارواح . الفرق (ص ٢٧٠) . =

مفروسة فيكم فلا تلتفتون اليها كمن معه جوهر كريم هو ضالته وطلبته ولا يدرى اين هو الذى معه فاخذ يطلب جوهرا هو غير ضالته بما معه فخدع بان اعطى حجرا مصبغا بما كان معه فخاب وخسر .

فان قيل : لو كان معرفة وجوده ضرورية لما جحد به الملاحدة ؟

قيل : الملاحدة لم يجحدوا ان لهم فاعلا فعلهم وناقلا نقلهم في الاحوال المختلفة ، وانما يخالفون الموحدين في تعيين هذا الفاعل وفي صفاته وتوحيده ، وكل هذا العلم بالاستدلال وان وجد من جحد ان له فاعلا ويقول نحن انفعلنا بانفسنا ، فذلك اما لآفة في عقله واما لجحد خبيث في طينته ، ثم قال تعالى : " وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم"[1] .

فان قيل : فلم قال اذا الصوفية : ان اصعب الاشياء معرفة الله عز وجل .

قيل : لم يعنوا بذلك المعرفة بوجوده وانما عنوا معرفة توحيده وصفاته وكونه سببا لوجود الاشياء ومباينته لها وهذا صعب جدا[2] فهذا معرفة وجوده على سبيل الجملة .

فاما ماذكره المعتزلة بان الله يعلم كونه موجودا الا بعد العلم بانه محدث العالم وانه قادر وعالم وحي وانه مالم يعلم كل ذلك لا يمكن ان يعلم كونه موجودا[3] ، فذلك شنيع جدا وكيف يصح تصور قادر عالم حي ليس بموجود حتى يدل انه موجود بعد العلم بكل هذا .

= قال ابن نديم : السمنية منسوب الى سمنى وهم اسخى اهل الارض . الفهرست (ص ٤٨٤)، وقد ذكر البيروني : انها فرقة شديدة البغض للبراهمة . كتاب الهند للبيروني (ص ١٥) .

(١) سورة النمل : ١٤ .

(٢) انظر اللمع للطوسي (ص ٦٣) .

(٣) انظر شرح الاصول الخمسة (ص ١٧٧) .

بيان معرفة ذاته ، ومن هو ؟

قد ذهب الناس في ذلك كل مذهب :

فمنهم من قال : هو جسم محسوس في صورة انسان اما شيخ اشيب واما شاب امرد [(١)] .

ومنهم من قال : هو العالم الكبير [(٢)] .

ومنهم من قال : بعض اجزاء العالم على اختلاف بينهم اما الشمس واما الفلك الاعلى واما النار واما الهواء [(٣)] .

ومنهم من قال : انه الطبيعة [(٤)] .

ومنهم من قال : هو النفس الكلية [(٥)] ، والى غير ذلك من المذاهب المنكرة .

ومذهب اهل الحق : انه موجد كل شئ وسبب كل موجود وفاعل الفاعلين واحسن الخالقين ، وهو الذي فوق الكل وليس فوقه شئ وبوجوده وجود الاشياء وببقائه بقاءها ، ولا يمكن توهم وجود شئ مع توهم ارتفاعه تعالى الله سبحانه . والدلالة على صحة ذلك ما نبه الله عز وجل عليه بقوله : " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون " [(٦)]

وقوله : " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات

---

(١) انظر شرح المواقف (٨ : ٢٥) .
(٢) انظر مقالات الاسلاميين (١ : ٢٥٨) .
(٣) الذين قالوا هو الشمس او الفلك هم الصابئة ، واما النار فقال به المجوس .
(٤) قال به الطبيعيون من الدهريين . انظر المنقذ من الضلال (ص ٤١) والتمهيد (ص ٤٣) .
(٥) قال به الفلاسفة كافلاطون ، انظر تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٩١) .
(٦) سورة البقرة : ١٦٤ .

لاولي الالباب[١] وبقوله : " قل من رب السموات والارض[٢] وغير ذلك من الايات التي نبه بها ، وبيان ذلك هو انه موجود في عقل كل ذي عقل ان الشيء الذي لم يعرف لمصادمة الحس اياه ولم يكن معرفته في بداية المعقوله فالطريق الى معرفته ظهور آثاره كعقل الانسان فانه يظهر العلم بوجوده لنا مما يصدر عنه من افعاله والباري تعالى لما لم يكن معرفة ذاته من بديهة العقل ولا مدركا بمصادمة الحس لم يكن السبيل اليها الا بظهور آثاره ، ومعلوم ايضا عند كل ذي عقل ان اثر الشيء ومسببه وان كان متأخرا عن المؤثر والمسبب ، فقد يكون اقرب الى معرفتنا من المؤثر والمسبب كالدخان والنار فان سطوع الدخان وان كان من اسباب معرفة النار والنار في ذاتها متقدمة عليه ، فانه قد يعرف الدخان قبلها فيستدل به على النار ، فثبت بهذا ان الفاعل وان كان سابقا للمفعول بالذات وهو سبب وجود المفعول فان المعرفة بالمفعول قد يكون اقرب الى عقولنا من المعرفة بالفاعل فاذا متى علم كون الموجودات مصنوعة وقد تقرر في العقل ان المصنوع لا يكون الا من صانع فانه يثبت المعرفة بالصانع على طريق الجملة ، فالدلالة على كون العالم ومافيه مصنوعا على مانبه عليه الايات المذكورة ، هي ان جميع مافي العالم ينقسم ثلاثة اقسام :

اما موجود العين قائم بالذات معرض للانتقال وتبدل المكان كالافلاك والنجوم .

واما قابل للاستحالة والتغير والزيادة والنقص والاجتماع والافتراق كالجواهر النامية والحيوانات المحسوسة .

واما مالا بقاء لذاته بل ينصرم ابدا كالليل والنهار المتعاقبين وكالحركة والسكون المترادفين ، وثلاثتها متسلط عليها التغاير ، فان

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ .

(٢) سورة الرعد : ١٦ .

المنتقل من مكان الى مكان على الدوام لا ثبات له ولا قرار، وذلك نوع من الاستحالة .

والاستحالة : صفة حادثة في المستحيل وماكان استحالته دائما فانه لم يخلو قط منها ، وماقارب الحوادث فسخر، وكل مسخر ضعيف والضعيف محال كونه ازليا ، لان الازلي هو الواجب الوجود ، والواجب الوجود لا يفتقر الى شئ ، واذ قد ثبت انه محدث وموجد ومكون فلابد له من موجد ومحدث ومكون . وقد نبه الله تعالى محدثه وموجده باوجز لفظ وابلغه فقال : " ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون . ام خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون"[1] . وبيان ذلك ان المحدث لا يخلو من ثلاثة اوجه :

اما ان يكون محدثا بلا محدث ، وذلك محال . فان المحدث والمحدث من المتضايفين[2] الذين لا ينفك حصول احدهما عن الاخر ولا المعرفة به عن المعرفة بالاخر ، وذلك قوله : " ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون" ام من غير محدث .

واما انهم لو احدثوا انفسهم وذلك باطل لانه لو احدث نفسه لكان احداثه لها في حالة العدم ، ومحال ان يكون المعدوم فاعلا لشئ او يكون احداثه لها في حالة الوجود ، والشئ اذا وجد فقد استغنى عن موجد له ، وذلك قوله ام هم الخالقون فلم يبق الا الوجه الثالث وهو ان خالقهم غيرهم ، ولما ابطل تعالى الوجهين سكت عن ذكر الثالث الذي هو الحق من حيث انه كالمنطوق به ، اذ القسمة لا تخرج عن هذه الثلاثة ، وبابطال الاثنين ثبوت الثالث ، ونبه بقوله : " ام هم الخالقون" ان موجدهم يجب ان لا يكون مثلهم في كونه موجدا ، وبيان ذلك : كل موجود اما ان يكون غير موجد كالجمادات او موجد كالانسان

---

(١) سورة الطور : ٣٥ ، ٣٦ .

(٢) التضايف : كون الشيئين بحيث يكون تعلق كل واحد منهما سببا لتعلق الاخر به كالابوة والبنوة . التعريفات (ص ٦٢) .

او موجدا غير موجد وهو الباري تعالى ، وموجد الكل ومحدثه يجب ان يكون هو الموجد الذي ليس بموجد ، وذلك ان الموجدين والفاعلين لابد ان يقف على واحد لا يتجاوزه ، لانه ان لم يقف لكان اما ذاهبا الى غير نهاية [١] او اما دايرا [٢] ، وكلا القول ظاهر البطلان، فان الاول يوجب وجود فاعلين لا نهاية لهم وذلك محاله والثاني يوجب ان يكون كل مفعول (فاعل) فاعله بل فاعل نفسه ، فانه اذا كان زيد مثلا فاعلا لعمرو، وعمرو فاعل لخالد وخالد فاعل لزيد الذي هو فاعل عمرو، ويكون الفاعل مفعولا لمفعوله وفاعلا لنفسه وهو محاله فثبت بهذه الجملة ان العالم محدث وان محدثه غيره ، وان ذلك الغير الذي هو محدثه ليس بمحدث وذلك هو الباريه وعلى هذه الجملة نبه ابراهيم عليه السلام لانه علم بالفطرة ان له ربا فاخذ يبينه ، فلما " رأى كوكبا قال هذا ربي" " فلما رأى القمر بازغا" ورأى تأثيره اكثر واعم عدل اليه ، فقال" هذا ربي" ، فلما رأى الشمس بازغة [٣] وهي اقوى اثر عدل اليها ، فلما رأى الاستحالة استرذ لها ، فقال : " لا احب الافلين" فلما استرذ لها كلها وتبين ان جميعها لا ينفك من اثر الصنعة علم حينئذ انها محدثة مصنوعة وان لابد لها من محدث وصانع لا يكون محدثا ومصنوعا ، فتنبه بذلك معرفة الباري تعالى الذي هو سبب الموجودات صغيرها وكبيرها وضيعها ورفيعها [٤] ، وعلى نحو هذا التفكر نبهنا [٥] الله تعالى بكل

---

(١) هو التسلسل : هو ترتيب امور غير متناهية . المرجع السابق (ص ٥٩).

(٢) الدور : هو توقف الشئ على مايتوقف عليه المرجع المذكور (ص ١٠١).

(٣) سورة الانعام : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .

(٤) تقدم ان ابراهيم عليه السلام قال هذا على سبيل الفرض مجاراة مع قومه الذين كانوا يعبدون الاصنام لابطال عقيدتهم ، وكان عليه السلام على معرفة تامة بل على ذروتها .

(٥) أن معرفة الله بالفطرة ، والايات التي وردت مورد الدليل جعلها المؤلف تنبيهات .

ماذكر من نحو قوله تعالى : " أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض"[1] ونحوه من الايات . ومما يدل على حدث العالم مانبه الله تعالى عليه بقوله : " ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون"[2] وبيان ذلك ان الشيئين اذا تعلق قوام كل واحد منهما بقوام صاحبه فاذا اختل احدهما اختل الاخر ، كالكوزين المتعلقين من وتد بخيط واحد متى سقط احدهما سقط الاخر . وقد اوجد الله تعالى كل مافي العالم مزدوجا مركبا من مادة وصورة[3] لا يصح وجود المادة من دون الصورة ولا تقوم الصورة من دون المادة كاللهيب الذي لا يحصل ذاته الا من الدخان الحاصل من الحطب والشعلة ، فالدخان يفتقر الى الشعلة ليوجد[4] والشعلة مفتقرة الى الدخان لتقوم ومجموع المعنيين هما حصول ذات اللهيب ، وكذلك الحال في كافة الموجودات فالجسم جوهر والجوهر لم يقم (بدون) الطول والعرض والعمق له . فاذا ثبت ان موجودات العالم كلها ازواج ومركبات ، فالمركب لابد ان ينتهي الى مركب والا الى محال ، ثبت انه محدث وان لابد له من محدث غير محدث .

القول في الوحدانية .

قد تقدم ان الانسان لا ينفك من الشرك الا باثبات الوحدانية فالشرك اذا مقابل للتوحيد ، وانواع الشرك تفترق الى ثلاثة اقسام :

---

(١) الاعراف : ١٨٥ .
(٢) الذاريات : ٤٩ .
(٣) هذا تفسير فلسفي . التفسير الكبير (٢٨ : ٢٢٧) ، روح المعاني (٢٧ : ١٧) ، والذي عليه جمهور المفسرين ان الزوجين معناه النوعين هما الذكر والانثى .
(٤) في الاصل " لتوحيد " .

الاول : الازلي واحد والمعبود اكثر من واحد ، وهو قول عبدة الاصنام مع اختلافهم[(١)] .

والثاني : ان المعبود واحد والازلي اكثر من واحد وهو قول الثنوية[(٢)] والمجوس[(٣)] في اثباتهما اصلان ، وقول طائفة يقولون بقدم العنصر[(٤)] وقول قوم قالوا : بقدم خمسة درس مذهبهم ، جدده ابن زكريا[(٥)] ونصره .

والثالث : ان المعبود والازلي اكثر من واحد وهو قول منسوب

---

(١) هم الذين اتخذوا اصناما على صور الملائكة المقربين فعبدوا تلك الصور قائلين " مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى" .
الزمر : ٣ .

(٢) هؤلاء اصحاب الاثنين الازليين يزعمون ان النور والظلمة ازليان قديمان . الملل (٢ : ٨٠)، شرح المواقف (٨ : ٤٣) .

(٣) هؤلاء ايضا اثبتوا اصلين مثل الثنوية الاعند هم الظلمة محدثة ويقولون ان الباري عز وجل لما طالت وحدته استوحش فكر فكرة سوء فتجسمت فاستحالت ظلمة فحدث منها اهرمن وهو ابليس فرام الباري تعالى ابعاده عن نفسه فلم يستطع فتحرز منه بخلق الخيرات وشرع اهرمن في خلق الشر .
الفصل (١ : ٣٤)، الملل (٢ : ٧٣) .

(٤) قال به الفلاسفة . انظر تهافت الفلاسفة (ص ٩٢)، شرح العقائد النسفية (ص ٤٧) .

(٥) هو ابو بكر محمد بن زكريا الرازي طبيب وكيميائي وفيلسوف مسلم ولد بالري ودرس الرياضيات والطب والفلسفة ، وظل حجة في الطب حتى القرن السابع عشر الميلادي وهو اول من ابتكر خيوط الجراحة وصنع مراهم الزئبق ، وعنده الله والنفس الكلية ، والهيولى الاولى والمكان والزمان هي المبادئ القديمة الخمسة التي لابد منها لوجود العالم ، وعمي في آخر عمره بماء نزل في عينيه ، وله مؤلفات عدة وكان في دولة الخليفة العباسي السابع عشر ابو محمد علي المكتفي بالله .
الموسوعة العربية (ص ٨٥٢)، طبقات الاطباء والحكماء (ص ٧٧) .

الى النصارى[1].

وقد قيل : ان ذلك في الحقيقة خلاف في التشبيه لا في الشـرك ويجب ان نذكر اولا معنى الوحدة ، فانها من الالفاظ المشتركة ونبين ما الذي يراد بها في وصف البارى عز وجل ثم نبين ان لا يصح له شريـك ثم نعرج على اظهار فساد مقالات الفرق .

اعلم ان لفظ الواحد يستعمل على اربعة اوجه ، كل واحد من تلك الوجوه فان كان فيه الوحدة من وجه ففيه الكثرة من وجه ، ويستعمل في البارى تعالى على وجه لا كثرة فيه البتة .

الاول من الاوجه الاربعة للاشتراك في الجنس[2] او في النوع[3] كقولك الانسان والفرس واحد في الجنس وزيد وعمرو واحد في النوع .

والثاني : في المتصل من حيث الخلقة كقولك شخص واحد ومن حيث الصناعة حرفة واحدة .

والثالث : لعدم النظير ، اما في الخلقة كقولك الشمس واحدة واما لدعوى الفضيلة كقولك فلان واحد دهره ، كما يقال هو نسيج وحده .

الرابع : فيما يمتنع فيه التجزئ اما لصغره كالهباء او لصلابته كالالماس . واما لاخذه في الوهم كالنقطة والواحد في العدد ، والوحدة في ذلك عارض ولهذا يصح ان يوصف بالواحد من وجه وبالكثير من وجـه فالجنس كثير بالانواع والنوع كثير بالاشخاص ، والمتصل وجود الكثـرة فيه ظاهر فالشمس وان كانت واحدة بالشخص فجرمه ذو مساحـة وكذا من وصف بانه نسيج وحده ، وكذا[4] مايمتنع فيه التجزئ لصغره

---

(١) حيث قالوا : ان طبيعة الله عبارة عن ثلاثة اقانيم متساوية ، الله الاب والله الابن والله الروح القدس . محاضرات في النصرانية (ص ١١٨) .

(٢) الجنس : كلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو . التعريفات (ص ٨٢) .

(٣) النوع : كلي مقول على كثيرين متفقين بالحقيقة في جواب ما هو . المرجع السابق (ص ٢١٧) .

(٤) " وكذا " ورد مكررا .

او لصلابته ، والنقطة : مبدأ الخط، والواحد من العدد فهو متكثربه .

والواحد المستعمل فيه عز وجل ليس معناه بشئ مما تقدم بل هو الذي لا يصح وصفه في ذاته في الكثرة بوجه من الوجوه وسبب من الاسباب وهو المعني بقوله تعالى :" قل هو الله احد"[١] وبقوله : " وما امروا الا ليعبدوا الله"[٢] " وما من اله الا الله الواحد القهار"[٣] وكل موجود لا ينفك من اقسام اربعة ، اما ان يكون واحدا لا كثرة فيه بوجه وهو الباري تعالى، واما ان يكون واحدا من وجه كثيرا من وجه وهو كل ما كان واحدا من الموجودات في العالم ، ومحال وجود شيء لا وحدة فيه ولا كثرة وكذلك من المحال وجود شئ هو كثير من كل وجه لا وحدة فيه ، والذي يدل على ان الباري سبحانه وتعالى واحد بالذات لا شريك له مانبه الله عز وجل بقوله :" لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا"[٤] .

وقوله :" ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون"[٥] فاخبر انه لو كان اثنين لانفصل كل واحد منهما عن الاخر وانحاز بذاته عنه ولوقعت افعالهما منقسمة ، ولوجب ان يكون اما متساويين في القوة واما متفاوتين، ولو تفاوت قواهما لصار احدهما غالبا والاخر مغلوبا ولو استوت قواهما وافعال كل واحد منهما متميزة عن افعال نده وكل واحد قادر على مايحدثه شريكه لذهب كل اله بما خلق صاحبه فلم يحصل لهما فعل البتة ، فاشار بقوله :" اذا لذهب كل اله بما خلق" الى تساويهما في القوة ، وبقوله " ولعلى بعضهم على بعض" الى تفاوتهما فيها .

---

(١) الاخلاص : ١ .
(٢) البينة : ٥ .
(٣) ص : ٦٥ .
(٤) الانبياء : ٢٢ .
(٥) المؤمنون : ٩١ .

وايضا فان الاثنين لا بد ان يكون بينهما فصل ما والا فمحــــال تصور الاثنوية قول من قال الازلي اكثر من واحد(١) ، وقالوا بقدم المادة(٢) ، فان الذي دعاهم الى ذلك هو انهم قالوا : لم نشاهد بحواسنا شيئــــا يحدث الا من شيء ، وذلك انما يصح ادعاؤه ان لو احسوا جميــــع الموجودات ، وقد علم ان ذلك لا يصح ادعاؤه كما لا يصح ادعـــاء ان الانسان لا يوجد الا من رجل وامرأة اعتمادا على انا لم ندرك الا كذلك فان ذلك يلزم ان لا يثبت الا ما احسه . وان ينكر مالم يحسه ، ويقطع ان كل مالم نجده هو غير موجود ، ويلزمه اذا اخبر بان في الدنيا حيوانا يقال له التمساح يحرك عند المضغ لحيته الاعلى او ينكر ويقطـــع ان ذلك محال وهذا فاسد ، وانما ينبغي ان يتوقف في مثله حتى يشهـــد الدليل بوجوده ، واما يقطع ببطلانه فظاهر الفساد ، وايضا فـــان الازلي يمتنع تغيره عما هو عليه وكل ما امتنع عليه التغير وأما فلـــن يتكون منه شيء آخر اصلا .

ثم المادة التي يدعيها ازليا ان كان عرضا فالعرض لا قوام لـــه بذاته فكيف يصح ان يكون ازليا ، وان كان جوهرا فالجوهر هو القائـــم بنفسه القابل للمتضادات في ذاته فهو مختص بقوتين ينزلان منزلـــة الجرمين الذين يتعلق وجود كل واحد منهما بصاحبه ويمتنع ان يوجــد دونه ، ولما كان كذلك ففيه تركيب معقول وقد تقدم ان المركب لا بد له من مركب هو غيره ، فاذا لا يصح ان يكون ازليا .

واما قول من جعل المعبود اكثر من واحد وهم عبدة الاصنـــام فانواعهم كثيرة جدا ، وقد قيل الاصل في ذلك ان قوما من الاوائل كانـــوا يعظمون الكواكب ويسمونها الالهة الصغار ويقولون انها هي الملائكـــة

(١) هم الثنوية والمجوس .
(٢) هم الفلاسفة .

او جعلوا لذلك له الحاجة لـ على الـ ...

المقربون وهي الوسائط بين الله وبين عباده ، وانهم متى عظموها صارت شفعاء لهم عند الله عز وجل . ولما كانت النجوم تستر احيانا عن اعينهم بكسوفاتها وغيوباتها في المغرب والغيوم اتخذوا اصناما على صورها كالنائبة عنها عند خفائها فسموها الهة ثواني، ثم اختلفوا من بعد فذهبوا كل مذهب على ماحكي في المقالات،[1] وحجتهم في ذلك ما اشار تعالى اليه في قوله اخبارا عنهم : " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى "[2] وبيان ذلك هو انهم قالوا من عظم شأنه وسلطانه هابه حشمه[3] ورعاياه وفزعوا اذا حزبهم امر الى اوليائه في التوسل اليه والله اعلى منزلة ، قالوا فحق اذا ان نطلب اعظم الخليقة شأنا وهو يصل به اليه ، ومتى لم نجد هؤلاء العظماء اتخذنا صورها فنعظمها تقربا الى الله تعالى بالوسائل الى تلك الوسائل .

وقد اجيب عن ذلك بان الرعية لا تتجاسر[4] على مسألة السلطان الا بواسطة لتعظمه عليهم واحتجابه عنهم مخافة ان تزول هيبته اذا كثرت رويتهم له ، وهذا امر معدوم في البارئ عز وجل .

قالوا ولانا لا يمكننا ان نعرف كيفية عبادته وان نعبده على الحقيقة ، وهذا باطل لان الله سبحانه وتعالى بلطفه وكرمه قد ازاح علتنا بما بينه لنا .

قالوا ويجب بيننا وبينه واسطة يرفع حوائجنا اليه وهو يسأله لنا ، وهذا باطل لانه انما يحتاج الى الواسطة كل مالك لا يعلم الا ما اعلم ولا يعرف الا ماعرف . فاما البارى جل ثناؤه الذى هو عالم بالخواطر فضلا عن الظواهر ، ومن هو اقرب الى الخلق فى انفسهم كما قال " ونحن اقرب اليه من حبل الوريد "[5] . وقال : " يعلم

---

(١) انظر الفصل (١ : ٣٤)، مروج الذهب (٢ : ٢٣٦) .

(٢) سورة الزمر : ٣ .

(٣) حشم الرجل : خاصته . القاموس (٤ : ٩٧) .

(٤) جسر على كذا وتجاسر : اقدم . مختار الصحاح (ص ١٤٣) .

(٥) سورة ق : ١٦ .

السر واخفى" [1] فلا يحتاج اليه .

وقالوا ايضا ان فعلنا شبيه بفعل اهل الديانات في ايجابهم التوجه الى القبلة وتعظيمهم اياها ، وهذا باطل فصاحب القبلة لا يجعل القبلة واسطة بينه وبين الله ولا يخاطب القبلة ولا يسألها ولا يعظمها تعظيم عبدة الاصنام لها وان كانوا يتبركون بها .

بيان معرفة اوصافه المنزهة التي يخرج الانسان من كونه مشبها .

هذا الباب يشتمل على فصول :

الاول : حقيقة المثل والشبه واخواتهما .

الثاني : تبيين منافاة المماثلة بين الله عز وجل وبين غيره فبذلك يتم المعرفة [illegible] بوحدانيته وتزول الشبه في تشبيهه .

والثالث : تبيين فضيلة صفاته المنزهة على صفاته الممجدة [2] .

والرابع : مايجوز ان يطلق عليه من الصفات المنزهة .

الاول : معنى المماثلة .

المماثلة : اشتراك شيئين في معنى ما ذاتيا [3] فيهما او عرضيا [4]

---

(١) سورة طه : ٧ .

(٢) السلف مايفضلون صفات الله المنزهة على الممجدة ، بل صفاته كلها صفات كمال له نعم طريقتهم الاثبات المفصل والنفي المجمل حيث بعث الله رسله باثبات مفصل ونفي مجمل وكل نفي يأتي في صفاته فهو لثبوت كمال ضده . انظر التدمرية (ص ٧)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٠٨)، قال الامام ابو حنيفة " الاسماء والصفات كلها مستوية في العظمة والفضل" . الفقه الاكبر (ص ٣).

(٣) الذاتي : ماليس خارجا عن ماهية الشئ المرشد السليم (ص ٥٦).

(٤) العرضي : ماكان خارجا عن ماهية الشئ . المرجع المذكور (ص ٥٦).

او ذاتيا في احدهما وعرضيا في الاخر، وكل مماثلة لا تنفك من احد ثلاثة اوجه : اما من حيث الجنس[1] ويقال له الند[2]، او من (حيث) الكمية[3] ويقال له المساواة، او من حيث الكيفية[4] ويقال له الشبه، ويدل على صحة ذلك انه اذا قيل ماهو فيقول هو ند كذا، ويقال كم هذا فيقول هو مساو لكذا، او يقال كيف هذا فيقول شبه كذا قنع المخاطب لذلك متى عرف الممثل به، وكل هذه الثلاثة يستعمل فيه المثل فالمثل عام في جميع ذلك[5] وقد يتشابه الشيئان ولا يكونان ندين كفرس اسود وبقرة سوداء، وقد يكونان ندين شبيهين كفرسين اسودين .

واذا قد عرف معنى هذه الافعال وحقائقها نرجع الى المقصود من هذا الباب، فنقول مامن شيئين الا والتركيب المختلف الذى فيهما يصح ان يقال هو مثل الاخر ويصح ان يقال ليس مثله فيصدق القولان جميعا من وجه، ويكذبان من وجه، نحو ان يقال البهيمة مثل الانسان فانه متى اريد انه مثله بالحياة فهو صدق، ومتى اريد انه مثله بالعقل (فهو كذب) . وكذا اذا قيل البهيمة ليست مثل الانسان، متى اريد به في العقل فيصدق، ومتى اريد به في الحياة فكذب، ويصح في كل ما اثبتت له المماثلة او نفيت عنه ان يستثنى منه، فيقال هذا مثل هذا الا في كذا وليس هو مثله الا في كذا ويكون ذلك صحيحا .

والبارى سبحانه لما لم يكن فيه تركيب[6] بوجه من الوجوه، ولا يشاركه

---

(١) تقدم معناه .

(٢) في الاصل" الندا" .

(٣) الكم : هو عرض يقبل القسمة لذاته . القولات العشر (ص ٢٨).

(٤) الكيف : هو عرض لا يقتضي القسمة . المرجع المذكور (ص ٤١) .

(٥) قد اشار اليه المؤلف في المفردات (ص ٤٦٢) .

(٦) قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله : " الالفاظ المحدثة المجملة النافية مثل لفظ " المركب" و " المؤلف" نحو ذلك . قد صار من اراد نفي شئ مما اثبته الله لنفسه من الاسماء والصفات عبر بها عن مقصوده، فيتوهم من لا يعرف مراده ان المراد تنزيه الرب الذى ورد به القرآن وهو اثبات احديته وصمديته، ويكون

شئ في سبب من الاسباب صار اذا قيل" ليس كمثله شئ"[1] كان هذا القول فيه صدقا من كل وجه حتى لا يصح ان يستثنى منه فيقال الا في كذا واذا قيل فيه هو مثل كذا كان هذا القول كذبا من كل وجه حتى لا يصح ان يستثنى منه فيقال الا في كذا ، وذلك انه تعالى لا جنس له ولا كيفية ولا كمية ولا مشاركة بينه وبين شئ في معنى من المعاني يرجع الى ذاته فاذا لا مثل له كما قال تعالى : " ليس كمثله شئ "[2] .

= قد ادخل في تلك الالفاظ ما رآه هو منفيا وعبر عنه بتلك العبارة وضعا له واصطلاحا اصطلح عليه هو ومن وافقه على ذلك المذهب ، ثم يجعل ذلك المعنى هو مسمى الاحد والصمد والواحد ونحو ذلك من الاسماء الموجودة في الكتاب والسنة ويجعل ما نفاه من المعاني التي اثبتها الله ورسوله من تمام التوحيد . الفتاوى (١٧ : ٣٥١)، قال السيد صديق حسن : " اما توحيد الفلاسفة فهو انكار صفات كماله لانهم يقولون : لو كان كذلك لكان مركبا وجسما ومؤلفا ، واستدلوا بآية " والهكم اله واحد " البقرة : ١٦٣ فهؤلاء سموا اعظم التعطيل توحيدا . الدين الخالص (ص ٩٦) .

(١) سورة الشورى : ١١ .

(٢) ليس المراد من نفي المثل نفي الصفات كما يدعي ذلك نفاة الصفات بل المراد اثبات الصفات مع نفي مماثلتها لصفات المخلوقين كما قال ابن القيم رحمه الله : قوله " ليس كمثله شئ" انما قصد به نفي ان يكون معه شريك او معبود يستحق العبادة والتعظيم ، ولم يقصد به نفي صفات كماله " . شرح العقيدة الواسطية (ص ٤١) . يقول ابو العتز الحنفي في " شرح الطحاوية " : والنفاة قد جعلوا قوله تعالى (ليس كمثله شئ) مستندا في رد الاحاديث الصحيحة ، فكلما جاءهم حديث يخالف قواعدهم وآراءهم ردوه بليس كمثله شئ تحريفا لمعنى الاية ، ففهموا من اخبار ما لم يرده الله ولا رسوله ولا فهمه احد من ائمة الاسلام انه يقتضي اثباتها التمثيل بما للمخلوقين . (ص ٤٠١) .

واذ قد عرفنا من ذلك فانا نذكر فضل صفات الله تعالى المنزهة فنقول قد كان من الحق ان ننزه الله عز وجل عن أن نذكره بالالسنة اللحمية فضلا عن ان نصفه بالصفات البشرية ، لولا انه تعالى اطلق لنا ان نصفه بألفاظ بينها لنا النبي صلى الله عليه والكتاب ، وذلك رحمة منه لئلا تحار في معرفته الالباب .

وجميع الالفاظ التي توصف بها ضربان : منزهة وممجدة .

والمنزهة ضربان : ضرب في اللفظ والمعنى كقوله " لم يلد ولم يولد"[1] وقوله " لا تأخذه سنة ولا نوم"[2].

وضرب في المعنى دون اللفظ كقولنا احد[3] الذي يفيد نفي الاثنوية وان كان لفظه اثباتا .

واما الممجدة فانا نذكرها مفصلة في الباب الذي يلي ذلك . ولما كان تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه مقدما على تمجيده بترك الذم له قبل مدحه وجب ان نصرف القول اولا اليه .

فنقول لما كان غاية معرفتنا الله ان نعرف انواع الموجودات ، محسوسها ومعقولها ، ونعلم انه تعالى ليس بشيء منها ولا مشبها لها

---

(١) سورة الاخلاص : ٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٣) الاحد عند الراغب سلب ونفي هذا عكس طريقة السلف ، فعندهم اثبات ،وكل نفي يأتي في صفاته تعالى في الكتاب والسنة انما هو لثبوت لكمال ضده ، كقوله تعالى (لا يظلم) الكهف : ٤٩ . لكمال عدله ، وقوله (لا يعزب عنه) سبأ : ٣ . لكمال علمه وقوله (لا تأخذه سنة ولا نوم) البقرة : ٢٥٥ لكمال حياته وقيوميته والا فالنفي الصرف لا مدح فيه . كما تقول للسلطان : انت لست بزبال وكساح ولا حجام لا دلك على هذا الوصف ، ولهذا يأتي الاثبات في الكتاب مفصلا والنفي مجملا عكس طريقة اصل الكلام . شرح الطحاوية (ص ١٠٨) .

ولذلك امرنا بالتفكر في الاية فقال تعالى" او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض"[١] الى غير ذلك من الايات، ونهينا عن التفكر فيه، فقال عليه السلام: " تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله"[٢] وحكي عن ابي بكر الصديق[٣] رضي الله عنه انه كان يقول: " يامن غاية معرفته القصور عن معرفته"[٤] وذلك ان غاية ذلك ان تعرف ما دونه فاذا عرفت ذلك فقد عرفته وقيل: " اعرفهم بالله اجهلهم بالله"[٥] اي من لا يتصوره تعالى متصورا ولا يتوهمه متخيلا، كما قال امير المؤمنين رضي الله عنه " التوحيد ان لا يتوهمه"[٦] وحكي عن بعض الحكماء انه سئل عن معرفته فقال: " كل ماتوهمته فاعلم ان الله عز وجل غيره"[٧] وعلى ذلك قال تعالى" ولا يحيطون به علما"[٨] وقال بعض حكماء الصوفية: " غاية معرفة الله عز وجل ان يعلم اي شئ ليس هو، دون ان يعلم انه اي شئ هو"[٩]، وهذا قول شريف لان اي يقال في الاشياء التي يشترك فيه بعض الاوصاف ويتباين

---

(١) سورة الاعراف: ١٨٥ .

(٢) ذكره السخاوي وعزاه الى الطبراني في الاوسط والبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعا بلفظ " ولا تتفكروا" وروى نحوه ابن ابي شيبة والاصبهاني وابو نعيم واسانيدها ضعيفة، لكن اجتماعها يكتسب قوة، والمعنى صحيح . المقاصد الحسنة (ص ١٥٩).

(٣) هو افضل الامة وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه الاكبر ووزيره الاحزم ومؤنسه في الغار، وقد افرد تسيرته في مجلد، وتوفي سنة ثلاث عشرة، وله ثلاث وستون سنة . التذكرة (١ : ٢) .

(٤) ذكره الغزالي بلفظ قريب منه . احياء علوم الدين (١ : ١٠١) وقد ذكره الطوسي في اللمع (ص ٥٧) والراغب في الذريعة (ص ٩٥)، وتفصيل النشأتين (ص ١٢) .

(٥) حكي مثله عن ابي يزيد البسطامي . حلية الاولياء (١٠ : ٣٧) .

(٦) نهج البلاغة (٤ : ١٠٨) .

(٧) انظر شرح ابراهيم الباجوري على جوهرة التوحيد (ص ٣٩)، التعرف لمذهب اهل التصوف (ص ١٥٨) .

(٨) سورة طه : ١١٠ .

(٩) انظر حلية الاولياء (١٠ : ١٢) .

في بعضها ، والله يتعالى عن مشاركة شئ .

ولما قلنا قبل ، معرفة الله عز وجل في معرفة اوصافه المنزهة لا في معرفة اوصافه الممجدة[1] ، حتى قال بعض العلماء من الصوفية : "تنزيه الله توحيده وكالشرك به تمجيده" قال فان المنزه ينفي عنه كل مالا يليق به والممجد قد يصفه بصفات غيره نحو القادر والعالم والرحيم ، وقال بعضهم : "يامن اذا وصفته خفت ان اشرك وان لم اصفه خفت ان اكفر"[2] وقال بعضهم في مناجاته : "يارب ان نطقت بك اشركت وان سكت عنك تزندقت فما حيلتي فيك" وقال "يارب ثنائي عليك جفاء فاني ان اثنيت عليك وصفتك بما وصفت غيرك وتركي الثناء عليك لوم لاني ان لم اثن عليك كتمت خيرك"[3] ولما ذكرنا من شرف الصفات المنزهة على الصفات الممجدة تواترت الاخبار بان سورة الاخلاص تعدل ثلث القرآن[4] لانه تنزيه محض ، وان لفظة الاحد والصمد وان كانت بصورة الاثبات فهي في الحقيقة سلب ونفي[5] ، فان الاحدية نفي الاثنوية والكثرة والصمدية[6] نفي الحاجة الى الطعام والشراب والاعضاء والالات في احد التفسيرين ونفي انه مستتبع في التفسير الاخر ، والسيادة الحقيقية لمن لا يكون تابعا بوجه .

---

(١) هذا التفريق غير صحيح بل معرفة الله تحصل باوصافه كلها .

(٢) انظر حلية الاولياء (١٠ : ٢٧٤) .

(٣) المرجع السابق (٩ : ٣٤٦) .

(٤) رواه البخاري (١١ : ٥٢٥)، مسلم (١ : ٥٥٦) .

(٥) تقدم قبل قليل ان طريقة السلف هو الاثبات المفصل والنفي المجمل وكل نفي يأتي في الكتاب والسنة فانما هو لثبوت كمال ضده .

(٦) الصمد : قال ابن عباس : الذي يصمد اليه في الحاجات، وقال علي وابن عباس : هو السيد الذي قد انتهى سؤدده في انواع الشرف والسؤدد ، وقال ابو هريرة انه المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل احد . تفسير قرطبي (٢٠ : ٢٤٥)، قال الشعبي هو الذي لا يأكل ولا يشرب . روح المعاني (٣٠ : ٢٧٤)، واما قوله نفي الحاجة الى الاعضاء لعله يريد بهذا نفي الصفات الثابتة بالادلة القطعية كالوجه واليد والرجل وغيرها وهو تفسير غريب .

واما مايجوز أن يطلق عليه من هذه الصفات مما ورد به الكتاب والسنة على مانفصله في الباب الذي يليه ان شاء الله تعالى .

بيان صفات الله الممجدة .

هذا الباب يشتمل على فصول :

الاول : ذكر مايجوز اطلاقه على الله عز وجل من الصفات ، وهل ذلك عقلي ام توقيفي .

الثاني : تنويع صفاته عز وجل .

الثالث : الفرق بين ما هو اسم وبين ما هو وصف ، وحقيقة معانيها .

الفصل الاول : ذهب صنف من الفلاسفة ان الله تعالى لا يوصف الا بالفاظ السلب والنفي دون الاثبات[1]، نحو ان يقال ليس بجوهر ولا محسوس ولا متحرك وماشاكل ذلك . قالوا لان لفظة الاثبات يوهم بتركيبه ، ويقتضي ان يكون هو سبحانه محلا لمعان يتغير بحسب تغيرها وتعالى الله عن ذلك في صفته ، لانه لا يجمع بين الباري تعالى وبين مفعولاته في صفاته ، فان ذلك يقتضي شركة ، وهذا قول تضاده الشريعة .

وذهبت المعتزلة الى انه يصح ان يطلق على الله عز وجل كل اسم يصح معناه فيه وللافهام الصحيحة البشرية[2]، ومحال اجراء الصفات له[3]،

وذكر اهل (السنة) ان الله عز وجل لا يصح ان يوصف الا بما ورد السمع به من حيث يقطع على صحته او ما اجمعت الامة عليه[4]، وماعدا

---

(١) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٨١)، ودرء تعارض العقل والنقل (ص ٢٨٤)، مدارج السالكين (٣ : ٤٤٧) .

(٢) قارن بشأن موقف المعتزلة من الاسماء - المغني (٥ : ١٨٤-١٨٧) .

(٣) انظر موقفهم من الصفات المغني (٤ : ٣٤١)، شرح الاصول الخمسة (ص ١٨٢) .

(٤) الاقتصار على القيد الاول اولى .

ذلك فمردوده وهذا هو الصحيح واليه اشار بقوله عز وجل: " ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها "[1] فنبه ان له اسماء مقررة عند المخاطبين وانه من الحق ان يدعى بها لاغير، قالوا لو ترك الانسان وعقله لما جسر ان يطلق عليه عامة هذه الاسماء التي ورد الشرع بها، اذ كان اكثرها على حسب تعارفنا يقتضي اعراضا، اما كمية[2] نحو العظيم والكبير، واما كيفية[3] نحو الحي والقادر، او زمانا نحو القديم والباقي او مكانا نحو العلي والمتعالي، او انفعالا[4] نحو الرحيم والودود وهذه معان لاتصح عليه سبحانه على حسب ماهو متعارف بيننا، وان كان لها معان معقولة عند اهل الحقائق من اجلها صح اطلاقها عليه عز وجل فاذا كان كذلك فحق العاقل ان لا ينحرف فيطلق لسانه بكل مايتوهمه قصدا الى الاستكبار وتوهما ان ذلك زيادة في ثنائه، فعل قوم وقعوا من ذلك في التشبيه، ولا يتوقف عما اطلقته الشريعة قصدا الى التنزيه، فعل قوم من الاوائل قاربوا بذلك من التعطيل. ويراعي ماقال امير المؤمنين كرم الله وجهه[5] وقد سئل عن التوحيد، فقال " استقامة القلب بمفارقة التعطيل وانكار التشبيه، فاذا اوما الى التعطيل اثبت واما اذا اوما الى التشبيه انكر[6].

---

(١) سورة الاعراف: ١٨٠ .

(٢) (٣) تقدم معناهما .

(٤) انفعال: هو تأثير الشئ عن غيره مادام يتأثر. المقولات العشر (ص ٥٢).

(٥) الافضل العدول عن هذه الجملة لانها شعار اهل البدع، فنقول في حقه رضي الله عنه كما نقول ذلك في حق سائر الصحابة رضي الله عنهم اجمعين.

(٦) انظر العقد الفريد (٣: ٢٠٨).

الفصل الثاني : تنويع اسامیه وصفاته .

صفات الله ضربان :

منزهة : اما على لفظ النفي والسلب واما على لفظ الاثبات وقد تقدم ذلك .

(ممجدة) : وهي ايضا ضربان :

ضرب : يذكر ثناء فان ذكره ثناء تمجيد له نحو الاول والاخر والظاهر والباطن، ونحو يحيي ويميت .

وضرب يذكر مفردا وثناء نحو العليم والحكيم والغفور (و) الرحيم وذكر هذا الضرب ثناء يكثر في خواتيم آي القرآن المتضمنة لاوامره ونواهيه ووعده (و) وعيده واخباره وحكمه نحو العزيز الحكيم والغفور الرحيم والسميع البصير، وذلك ليدل على جلالة امره فيتمكن في نفوسهم عظيم خطر الاوامر والزواجر فيكون ذلك داعي لهم الى المحافظة عليها ومراعاة حالها ، ثم ما كان من نحو يحيي ويميت ففيه تنبيه على ابطال مذهب المجوس حيث زعموا ان المحيي غير المميت .(1)

وتتنوع ايضا على ضربين : اسما وصفا ، وباتفاق من الجميع ان جميع ما ذكر هو اوصاف الا لفظة الله عز وجله فقد اختلف فيه فاكثرهم جعله اسما ، ثم اختلفوا هل هو مشتق او علم .(٢)

وتتنوع ايضا نوعين : منها مايقال مقيدا ولا يقال مطلقا نحو " افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت "(٣) وقوله " الله نور السموات والارض "(٤)

---

(١) قد تقدم عنهم ان هؤلاء اثبتوا اصلين .

(٢) لفظ " الله " مشتق لكن غلبت عليه العلمية فتجري عليه بقية الاسماء اخبارا واوصافا كالرحمن والرحيم من اسمائه تعالى دالان على اتصافه بصفة الرحمة . واليه مال الراغب كما يأتي الكلام عليه في الفصل الذي يليه .

(٣) الرعد : ٣٣ .

(٤) النور : ٣٥ .

فلا يقال هو قائم ونور .

ومنها مايقال في مقابلة لفظ ولا يقال دونه نحو " مكروا مكرا ومكرنا مكـــرا "[(١)] .

وتتنوع ايضا من وجه آخر نوعين :

مختص اللفظ نحو الله والرحمن والقدوس .

ومشترك اللفظ نحو عالم وقادر .

والمشترك اللفظ سبعة اضرب، كل واحد منها اذا استعمـــل فيدل لفظه على الاعراض، الاول : مايدل على كمية[(٢)] نحو العظيم والثاني

---

(١) النمل : ٥٠ .

ان المكر والاستهزاء والسخرية اذا فعلت بمن لا يستحقها كانـت ظلما واذا فعلت بمن فعلها عقوبة له بمثل فعله كانت مقتضـــى العدل . كما قال تعالى (كذلك كدنا ليوسف) يوسف : ٧٦ .

لما كادت له اخوته ، وكما قال (انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا) الطارق : ١٤ - ١٦ . وقال تعالى (ومكروا مكرا ومكرنا مكـــرا) النمل : ٥٠ وقال (والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهـــم سخر الله منهم) التوبة : ٧٩ ، الفتاوى (٧ : ١١١) .

وقال ابن القيم : نعلم انه لا يجوز ذم هذه الافعال علـــى الاطلاق كما لا يجوز مدحها على الاطلاق، فهي لا تذم من جهـــة العلم ، ولا من جهة القدرة فهما من صفات الله ، وانما تذم مـــن جهة سوء القصد وفساد الارادة والجور والظلم بفعل ماليـــس له او ترك مايجب عليه ، ولهذا لم يصف الله نفسه بها علـــى سبيل الاطلاق، ولا يجوز وصفه بها على سبيل الاطلاق .

وقال متعقبا على القائلين - ان المكر والاستهزاء والسخريـــة لا تطلق الا على سبيل المقابلة - ان اطلاق هذه الالفاظ لا يتوقف على اطلاقها على المخلوق . قال تعالى (افأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الاعراف : ٩٩ . وقال (وهو شديد المحال) الرعد : ١٣ ، فاين المسمى الاخر .

مختصر الصواعق (٢ : ٣١ ، ٣٥) .

(٢) تقدم معناها .

مايدل على كيفية[1] نحو الحي ، والثالث : مايدل على اضافة[2] نحو الموجود والرابع مايدل على زمان نحو القديم والباقي . والخامس مايدل على ملك[3] نحو الرب والمالك . والسادس مايدل على الانفعال[4] نحو الرحيم والرؤوف والودود (والسابع : مايدل على مكان نحو العلي) .

الفصل الثالث :

في الفرق بين ما هو اسم وبين ما هو وصف ، ويجب ان نقدم معنى الاسم والصفة والفرق بينهما ، فبذلك نشرح هذا الباب فنقول وبالله التوفيق .

ان الاسم لفظة جعلت سمة لذات من الذوات ليفهم بها المخاطب مايلقى اليه .

والصفة : عبارة عن حال من احوال الذات .

والوصف : قول الواصف وهو ان يقول هو كذا او ليس بكذا .

ثم قد يوضع لفظة الصفة موضع الوصف[5] ، ولفظ الوصف موضع الصفة كالزنة والوزن والعدة والوعد .

والاسم اعم في الوضع من الصفة لان كل صفة يقال له اسم ولا يقال لكل اسم صفة .

والاسم ضربان :

علم : وهو الذي لا يعتبر فيه معنى وانما يجري مجرى الاشارة اليه كزيد الذي لا يراعى فيه معنى الزيادة .

---

(١) تقدم معناها .
(٢) تقدم معناها .
(٣) ملك : هي هيئة حاصلة بالنسبة لما يحيط به وينتقل بانتقاله . المقولات (ص ٥) .
(٤) تقدم معناها .
(٥) في الاصل (الموصوف) .

وغير علم : وهو ضربان : مشتق وغير مشتق .

مشتق : ماجعل له اسم مأخوذ من غيره لاجل معنى يجمعهما كالقارورة فانى سمى لاستقرار المائع فيه .

غير مشتق : ماوضع فى اصل اللغة لنوع ما من غير اعتبار معنى فيه هو موجود فى غيره .

والفرق بين الاسم والوصف .

ان الوصف لا يتوقف فى اجرائه على كل ما وجد فيه تلك الصفة والاسم يتبع فيه واضع اللغة ولا يجعل مطردا .

والصفات كلها تنقسم الى قسمين :

منها ما هو عبارة عن معنى يقوم بذات الموصوف كالاسود والمتحرك ، ومتى وصف به شيئان اقتضى ذلك مشاركة بينهما .

ومنها ما هو عبارة عن معنى لا يقوم بذاته بل يطلق عليه بعلاقة بينه وبين ذلك نحو مالك الدار ، فان هذه العلاقة شئ مفارق لذات الموصوف ومتى وصف به اثنان لا يقتضى ذلك مشاركة بينهما .

فاما القائم بذات الموصوف فضربان :

(ضرب) يقوم بذات الموصوف ومتى توهم مرتفعا خرج ذلك الشئ عما هو كالحرارة فى النار .

وضرب عرضى فيه متى توهم مرتفعا لم يخرج ذلك الشئ عما هو (فيه) كالحرارة فى الماء .

واذ قد ثبت ذلك نرجع الى ما هو المقصود ، فنقول وبالله التوفيق :

ان استيفاء حق حقائق معانى اسماء الله تعالى يستدعى كتابا اكبر يحتاج فيه الى تحقيق وتدقيق ، ولكن نذكر ها هنا ما يحتاج اليه وما حقه ان يعتقد فى معانيه .

واشرف اساميه تعالى لفظة " الله " فهو لفظ مختص به لا يشاركه فيه ولا فى اشتقاقه غيره بوجه ، وقد اجمعوا ان اساميه

تعالى كلها صفات الا هذه اللفظة ، فقد اختلف فيه فجعلها بعضهم اسما علما[(١)] ، وبعضهم جعلها اسما مشتقا[(٢)] ، وذكر بعضهم انه لا يصح ان يكون علما فالاعلام موضوعة ليجرى ذكرها مجرى الاشارة الى المسمى وليتصور منه ذاته في الوهم والله يتعالى عن الاشارة والتوهم .

واصله فيما قيل ولاه[(٣)] فابدل من الواو همزة نحو اسادة واشاح ثم اسقطت الهمزة منه ، فادخل عليه الالف واللام فصار الله ، وهو في الاصل مصدر موضوع موضع المفعول[(٤)] وتسميته بذلك لكون الاشياء والهة نحوه اما تسخرا واما تحسرا اختبارا ليمسكها ويحفظها ، كما قال تعالى " ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا "[(٥)] .

وقال بعض الصوفية : انه تعالى معشوق الخلائق لافتقارها اليه وهذا لفظ لا يجوز اطلاقه عليه[(٦)] ، وان كان معناه المقصود به صحيحا وانما لم يجوز ذلك لكونه موهما مع ان الشرع لم يرد به ، على انه

---

(١) هذا اختيار الشافعي والخطابي والجويني والغزالي . تفسير قرطبي (١ : ١٠٣) .

(٢) هذا اختيار سيبويه والخليل وكثير من اهل العلم . المرجع المذكور (١ : ١٠٢) .

(٣) انظر تفسير بيضاوى (١ : ٥٦)، روح المعاني (١ : ٥٦) .

(٤) وله : اذا تحير . القاموس (٤ : ٢٩٥) .
وقيل هو مشتق من اله الوهه والاهة بمعنى عبد عبادة فهو اله بمعنى مالوه اى معبود ، ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما " الله ذو الالهية والعبودية على خلقه اجمعين" ومن ذلك قوله تعالى " ويذرك والاهتك " الاعراف : ١٢٧ . قال ابن عباس وغيره معناه وعبادتك . تفسير القرطبى (١ : ١٠٣) .

(٥) سورة فاطر : ٤١ .

(٦) قال ابن تيمية بترك اطلاق تسمية العشق على الله سبحانه لعدم ورود الشرع، وادنى مافيه انه بدعة وضلالة . الحموية (ص ٤٠)، وانظر زاد المعاد (٣ : ٣٢٢)، شرح الطحاوية (ص ١٧٦) .

قد روى عبد الواحد بن زيد[1] عن رسول الله صلى الله عليه ان الله تعالى يقول : " اذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت نعيمه في مسألتي ومناجاتي، فاذا فعل ذلك عبدي عشقني وعشقته وكنت ممثلا بين عينيه ، ان ذهب عبدي حلت بينه وبين السهو اولئك الابطال حقا" .

وقد اختلف في الصفات التي يقال لها صفات الذات نحو الحي والقادر والعالم على مذاهب .

فالاول : مذهب من يقول ان الله تعالى حي، قادر، عالم بعلم وقدرة وحياة قديمة ، وان هذه المعاني قائمة بذاته موجودة له وبها صار حيا عالما وقادرا[2] .

وقد اعترض على ذلك بان من جعل هذه المعاني قائمة بذاته فقوله يوجب كونه سبحانه مركبا من اشياء كسائر المركبات، تعالى الله عن ذلك فان ذلك يبطل التوحيد بل يبطل الالهية .

والثاني : مذهب من لا يثبت له علما وقدرة وحياة ، بل يقول ان له بكونه حيا وعالما وقادرا احوالا مختلفة ، وانه استحق هذه الصفات لكونه على صفة مستحقة للذات اقتضت القادرية والعالمية والحيية ، ويقول ان هذه الحالة لا اصفها بانها قديمة او غير قديمة ولا انها شئ ولا انها ليس بشئ[3] .

---

(١) عبد الواحد بن زيد البصري الزاهد شيخ الصوفية ، ذكر العقيلي وابن شاهين وابن الجارود في الضعفاء ، فقال من يقلب الاخبار من سوء حفظه وكثرة وهمه . لسان الميزان (٤ : ٨٠) . قال احمد : احاديثه موضوعة . ميزان الاعتدال (٢ : ٦٧٢)، قال البخاري تركوه . التاريخ الكبير (٦ : ٦٢)، وقال النسائي : متروك الحديث كتاب الضعفاء والمتروكين (ص ٦٩) .

(٢) قال به الاشاعرة . انظر اصول الدين (ص ٩٠)، غاية المرام (ص ٣٨)، الدرة الفاخرة (ص ٢٦٠)، شرح المواقف (٨ : ٤٤) .

(٣) هذا مذهب ابي هاشم . انظر شرح الاصول الخمسة (ص ١٨٢) ، نهاية الاقدام (ص ١٣١) .

وقد اعترض عليه بان هذا القول اقبح من الاول، فان الاول مفهوم وان كان مبطلا للتوحيد وموجبا للكثرة والتركيب، وهذا مع ذلك فهو غير مفهوم .

والثالث: مذهب من يقول هو قادر وعالم وحي بعلم وقدرة وحياة هي ذاته[1] . وكأن ذاته هو الامران جميعا ، وهذا وان كان احترز من فتح باب التركيب والكثرة بوجه فقد اثبت ذلك بوجه .

والرابع : مذهب من يقول هو عالم وحي وقادر، ولا علم له ولا حياة ولا قدرة[2]، وذكر ان معاني هذه الاسماء لا تختلف اذا استعمل فينا وفيه .

يقال وهذا مع نفيه ماقد اثبته الله تعالى من العلم والقدرة والحياة ، ومع اختراع اسام لا سبيل الى الوقوف على مدلولاتها من حيث اللغة ، فقد اثبت التشبيه من حيث جعل معاني هذه الالفاظ فينا وفيه واحدا مشتركا .

والخامس : مذهب اهل الاثر، وهو ان الله تعالى حي عالم قادر وان له قدرة وحياة وعلما ، وان ليس معنى شئ من ذلك اذا استعمل في الله عز وجل معناه اذا استعمل فينا . وذلك ان العالم اذا استعمل في غير الله فمعناه انه اختص بهيئة اقتضت تلك الهيئة ان يتصور بمعلوم ما ، والقادر (اذا) استعمل فينا يراد ان له[3] هيئة يصدر عنها فعله ، والعلم والقدرة اسم الهيئتين اللتين يصح منه ذلك الفعل وهذا يقتضي تركيبا فينا .

---

(١) قال به اكثر المعتزلة . انظر المغني (٤ : ٢٥٠)، شرح الاصول الخمسة (ص ١٨٢)، مقالات الاسلاميين (١ : ٢٢٥) ، اصول الدين (ص ٩١) .

(٢) قال به طائفة من المعتزلة . انظر التدمرية (ص ١٠)، مقالات الاسلاميين (١ : ٢٢٤)، تاريخ الفرق الاسلامية (ص ٥٥) .

(٣) " ان له " ورد مكررا .

فاما اذا استعمل في الله عز وجل فمعنى العالم فيه انه لا يخفى عليه شئ، ومعنى القادر فيه تعالى انه لا يعجزه شيء ومعنى الحي فيه انه لا يجوز عليه الفناء، فمعنى العلم والقدرة والحياة اذا في الله تعالى اشارة الى ارتفاع الجهل والعجز والفناء[1] فهذا لا يقتضي الكثرة، وان كان معنى هذه الالفاظ ماذكرناه فظاهر انه لا يقتضي تركيبا وكثرة (في) الله تعالى عن ذلك[2] ولا هي اذا وصف تعالى بها جارية مجرى الالات للصانع التي بها يصح فعله وانما ذلك اشارة الى تنزيه الباري تعالى عن النقصانات فقط. وهذا ظاهر لا ينافي قوله: "ليس كمثله شئ وهو السميع البصير"[3].

وبذلك على صحة هذا الفرق بين اللفظين، اذ العالم والقادر والحي اذا استعمل في البشر صح ان يستعمل فيه نقيضه على وجه[4]، وان يستثنى منه، فيقال فلان عالم بكذا جاهل بكذا وقادر على كذا، عاجز عن كذا، حي في حال ميت في اخرى، وانه عالم الا بكذا، وقادر الا على كذا، وحي الا في وقت كذا، ومتى استعمل في الباري جل وعز فانه لا يصح استعمال نقيضه فيه ولا الاستثناء منه بوجه.

---

(١) تقدم ان حمل معنى الصفات على السلوب هو ليس طريقة السلف فهم يقولون انه عالم بعلم هو صفة له.

(٢) قال ابن تيمية: " العلم والقدرة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد اعراض، والوجه واليد في حقه اجسام، فليست هذه اعراض واجسام لله تعالى، فمن قال لا اعقل علما ويدا الا معهودا قيل: كيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين فتاوى (٥ : ١١٤).

(٣) سورة الشورى : ١١.

(٤) في الاصل " على وجه " مكرر.

ومن الفرق بينهما ايضا ان المدح والذم مراتب ثلاثة : مبدأ ووسط وغاية ، فالناس في هذه الصفات التي هي العلم والقدرة والحياة في المبدأ ، وقد يتجاوزه الى المرتبة الثانية ، والباري تعالى هو في اعلى المراتب ، ولذلك قال تعالى " وفوق كل ذي علم عليم"[١] ولاجل ذلك قال بعض الناس : " هذه الالفاظ اذا استعملت في الباري عز وجل فهي حقيقة واذا استعملت في البشر فمجاز"[٢] وذلك ان اول من يستحق الوصف من هو في غايته ، الا ترى ان اولى الناس باسم الانسان اكملهم انسانية ، حتى ان من كان في مبدأ الانسانية ليسلب عنه اسمه ، فيقال فلان ليس بانسان بل هو حمار وبقر ، وعلى هذا قال تعالى في صفة الانسان" انه كان ظلوما جهولا"[٣] وقال :" والله يعلم وانتم لا تعلمون"[٤] فنفى عنهم العلم كما تريه فالاولى باسم القادر من كان اوسع فضلا وبالعلم من كان احكم علما[٥] وبالجود من كان اكثر عطية ، فدل ان هذه الاسامي في الله تعالى حقيقة وفي الناس مجاز .[٦]

---

(١) سورة يوسف : ٧٦ .

(٢) المجاز : اسم لما اريد به غير ما وضع له لمناسبة بينهما كتسمية الشجاع أسدا ، التعريفات (ص ٢١٤) .

(٣) سورة الاحزاب: ٧٢ .

(٤) سورة النور : ١٩ .

(٥) في الاصل" عملا" .

(٦) هذه الصفات ليست مجازا بل حقيقة ، نحن نعلم ان لله جل وعلا قدرة حقيقية تليق بجلاله وكماله ، كما ان للمخلوقين قدرة حقيقية مناسبة لعجزهم وفنائهم وافتقارهم وبين القدرتين من المنافاة والمخالفة كمثل ما بين ذات الخالق والمخلوق .
انظر منهج ودراسات لايات الاسماء والصفات (ص ١٠) .

فان قيل : فهل نصف قدرة الله وعلمه بالقدم كما ذكره بعض اهل الاثر .

قيل : لا نصفه بذلك وذلك انه قد تقدم القول انا لو تركنا وعقولنا لا حجمنا عن وصفه تعالى بكل لفظ يقتضي موضوعه كيفية او زمانا او مكانا او انفصالا ، وانما جوزنا ذلك اتباعا للشرع، ولم يرد الشرع بوصف علمه وقدرته بالقدم، وانما ورد عنه " ياقديم الاحسان" فجوزنا ذلك وتوقفنا عما لم يرد به الشرع، ولم يرد السمع بان علمه قديم فسكتنا عن ذلك .

فان قيل : فقد اجمع الذين قالوا له علم وقدرة انه يوصف بالقدم .

قيل : هذا دعوى اجماع ما ارى يمكن ثبته وتصحيحه محكيا عن الائمة من الاسلاف . فان ثبت ذلك عنهم حينئذ تبعناهم في الاستعمال وانزلناه على حسب ما يقتضي . والله الموفق .

واما وصفه عز وجل بالاول والاخر[1]، فقد قال المتكلمون : الاول هو الموجود قبل كل شئ والاخر الموجود بعد كل شئ[2]، وهذا وان كان شيئا قاله قوم فقاصر، وذلك انه يقتضي انه كان اولا قبل ان خلق الاشياء ويكون آخرا بعد ان يفني الاشياء، وهو الان على هذا لا يوصف بالاول والاخر الا على تقدير الماضي والمستقبل وايضا يقتضي انه في حال ما كان اولا لا يكون اخرا ، وفي حال ما يكون اخرا لا يكون اولا ، ثم على هذا القول لا يكون اخرا وانما يكون وسطا ، لانه تعالى يعيد الخلق فيبعثهم ويخلدهم بعد ذلك ابد الابدين فكيف يكون اخرا ، بل الباري تعالى قصد بذلك تنبيه الخلق على اعجوبة في صفاته ، بائن به سائر الاشياء، وهو انه يصدق عليه الوصف بالضدين والنقيضين في حالة

---

(١) في الاصل " الاول" +

(٢) انظر تفسير الرازي (٢٩ : ٢١٣)، وماقاله البيضاوي (٨ : ١٥٣).

واحدة [١]، وليس ذلك الا في وصفه تعالى ، وانما معنى ذلك انه مبدأ كل شئ وغايته ، اى يصح ان يكون موجودا ولا يوجد شئ بوجه وان يكون (بعد) الاشياء مبدئها ومنتهاها ، كما قال تعالى " ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده " [٢]، وقال " الله لا اله الا هو الحي القيوم " [٣] اى القائم بحفظه في كل حال .

وقوله : " الظاهر والباطن " [٤] والظاهر اشارة الى معرفتنا البديهية [٥]، وذلك ان معرفته سبحانه وتعالى من هذا الوجه هو اسهل الاشياء ، فان الفطرة تقضي في كل ما نظر انه تعالى موجود ، كما قال عز وجل : " وهو الذى في السماء اله وفي الارض اله " [٦] وقوله : " ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر " [٧] ولذلك قال بعض الحكماء : " مثل طالب معرفته مثل متطوف الافاق في طلب ما هو معه ، بل في تدبير يكل في طلب ما امتلأ منه نفسه وبدنه وعقله وحسه " [٨].

والباطن اشارة الى معرفته الحقيقية التي لا سبيل لاحد الى ادراكه ، وهو الذى اشار بعض الصوفية (اليه) فقال : " ان معرفة الله بمنزلة طائر يتبعه الانسان وهو يبصره ويطمع كل وقت ان يدركه فمتى قرب منه تباعد قليلا عنه وذلك دأبه ابدا " [٩] وقد تقدم ما حكتي

---

(١) قاله الغزالي ايضا . انظر روح المعاني (٢٧ : ١٦٦) .
(٢) سورة فاطر : ٤١ .
(٣) سورة البقرة : ٢٥٥ .
(٤) سورة الحديد : ٣ .
(٥) انظر تفسير الرازي (٢٩ : ٢١٣)، البيضاوي (٨ : ١٥٣) .
(٦) سورة الزخرف : ٨٤ .
(٧) سورة المجادلة : ٧ .
(٨) انظر احياء علوم الدين (٤ : ٣٢٢) .
(٩) انظر معارج القدس في مدارج معرفة النفس (ص ١٩٧) .

عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه حيث قال : " يامن غاية المعرفة بـه القصور عن معرفته " (١) .

وايضا فهو ظاهر بدلائل آياته ، وباطن عن وقوع الاوهام عليه وايضا فظاهر باعتبار مصنوعاته ، باطن باعتبار ذاته ، ظاهر بمعرفته باطن بالاحاطة به (٢) ، كما قال تعالى : " لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار " (٣) وقد روي عن امير المؤمنين رضي الله عنه ما دل على تفسير اللفظين وذلك : " انه تجلى لعباده من غير ان رأوه واراهم نفسه من غير ان تجلى لهم " ومعرفة ذلك تحتاج الى فهم ثاقب وعقل وافـر .

معرفة الله الموهبية .

اعلم ان معرفة الموهبية هي المسماة علم اليقين (٤) في قوله تعالى " لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم " (٥) وذلك علم يخص الله به انبياءه

---

(١) مضى تخريجه في (ص ٨٦) .

(٢) قال ابن كثير لقد اختلفت عبارات المفسرين في هذه الايـة واقوالهم على نحو بضعة عشر قولا ، ثم ذكر ما اورد الحافظ المزي في كتابه " معاني القرآن " من الاحاديث، منها ما رواه احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو عند النوم " اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شئ ، منزل التوراة والانجيل والفرقان، فالق الحب والنوى، لا اله الا انت اعوذ بك من شر كل شئ انت آخذ بناصيته انت الاول فليس قبلك شئ وانت الاخر فليس بعدك شئ وانت الظاهر فليس فوقك شئ وانت الباطن ليس دونك شئ ، اقض عنا الدين واغننا من الفقر" . (٤ : ٣٠٢) .

(٣) سورة الانعام : ١٠٣ .

(٤) اليقين ثلاث درجات : علم اليقين ماعلمه بالسماع والخبر ، عين اليقين ماشاهده وعاينه بالبصر ، حق اليقين : ماباشره ووجده وذاقه . مجموعة الرسائل الكبرى (٢ : ١٥٩) .

(٥) سورة التكاثر : ٥ ، ٦ .

وبعض اولياته ، ويحصل للاولياء بحسب معرفتهم الله تعالى بتعاطى العبادات الصادقة فرضها ونقلها وبنقص الارجاس والانجاس النفسية من الهوى والشهوة والحسد والنفاق والرياء والغضب وسائر الرذائل فمن تعاطى تلك وتجنب هذا فجدير ان يكتب الله في قلبه الايمان ويؤيده بروح منه ويمده بنوره [١] ، كما قال تعالى : " اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه " [٢] وقال في صفة المؤمن : " مثل نوره كمشكوة فيها مصباح " [٣] الاية ، وقال عليه السلام حاكيا عن ربه : " لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ويده التي [٤] يبطش بها " [٥] .

وقد استبعد المتكلمون هذا الضرب من العلم [٦] ، وقالوا محال ان يستفاد من الاعمال بالجوارح فاين يجتمعان .

ولو نظروا حق النظر لعلموا ان المعارف الحقيقية لا تحصل الا بصحة النظر (و) لعلموا ان البصيرة لا تحصل الا بزوال رجاسة النفس ، كما اشار بقوله : " ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر " [٧] وقوله " خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم " [٨] وقوله " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم " [٩] ، ولهذا قال " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " [١٠] وقوله : " والذين اهتدوا زادهم هدى " [١١] . وقوله في العبد الصالح : " اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه

---

(١) قال به الراغب في تفصيل النشأتين (ص ٨٢) .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

(٣) النور : ٣٥ .

(٤) في الاصل " الذى " .

(٥) رواه البخارى بلفظ " ومايزال عبدى " (٧ : ١٩٠)، واحمد (٦ : ٢٥٦) .

(٦) هم المعتزلة والقدرية ، انظر اصول الدين (ص ١٨٤)، الاربعين للرازى (ص ٣٨٤) .

(٧) العنكبوت : ٤٥ .

(٨) التوبة : ١٠٣ .

(٩) الاحزاب : ٣٣ .

(١٠) العنكبوت : ٦٩ .

(١١) محمد : ١٧ .

من لدنا علما"[١] وقد دل باختلاف العبارتين على اختلاف المعنيين وذلك انه تعالى سمى ما خولهم بالسنة انبياءه المرسلة وكتبه المنزلة هداية وسمى ما افاض عليهم من باطنهم بلا واسطة بشرية هدى، وعلى هذا قوله عليه السلام : " من اراد علما بلا تعلم وهدى بلا هداية وعزا بلا عشيرة وغنى بلا مال فليتزهد في الدنيا"[٢] ويقال في المهدى هداه الله ، وعلى ذلك قوله : " ومن يؤمن بالله يهد قلبه"[٣] ويسمى المهدى بالهدى المجتبى، على ذلك قوله : " واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم"[٤] وهذا النحو من العلوم هو الذى حصل لامير المؤمنين رضي الله عنه حيث قال : " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا"[٥] وحصل لحارثة على ما تقدم ذكره[٦] .

ومن وفقه الله تعالى لمعرفة وحدانيته ببدائعه وصنائعه كما قال عز وجل " سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق"[٧] وعبده حق عبادته لهداه واجتباه ، حينئذ عرف حقائق الموجودات لموجدها ودقائق المخلوقات لخالقها ، كما عرف من قبل الخالق بالمخلوقات، فيصير كما قال بعض الحكماء وقد قيل " بم عرفت الله فقال عرفته بالاشياء كلها"[٨] ولما قلنا قال ابو يزيد[٩]

---

(١) الكهف : ٦٥ .
(٢) اخرج ابو نعيم نحوه عن علي رضي الله عنه موقوفا حلية (١ : ٧٢).
(٣) التغابن : ١١ .
(٤) الانعام : ٨٧ .
(٥) انظر ص : ٦٥
(٦) ٦٦
(٧) سورة حم سجده : ٥٣ .
(٨) انظر حلية الاولياء (١٠ : ٣٧) .
(٩) هو ابو يزيد طيفور بن عيسى بن علي البسطامي، وكان جده مجوسيا وله شهرة في الزهد والتصوف، قيل لابي يزيد : باى شئ وصلت الى المعرفة ؟ فقال ببطن جائع وبدن عار ، قال ابن خلكان : وله مقامات ومجاهدات مشهورة وكرامات ظاهرة ، توفي سنة احدى وستين ومائتين . البداية والنهاية (١١ : ٣٥)، التصوف الاسلامي (١ : ٨١) .

" عرفت الله بنور صنعه وعرفت صنعه بنوره " وقال بعض الصوفية " انما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه : " الم تر الى ربك كيف مد الظل "[١] لنظره من الحق الى الخلق ومعرفة الاشياء به "[٢] وقال تعالى : " او لم يروا الى ما خلق الله من شئ "[٣] وقال : " او لم يتفكروا في انفسهم ، ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق "[٤] وقال : " افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت "[٥] فحثهم على ان ينظروا في مصنوعاته لينتبهوا بمعرفة حكمته بها الى معرفته تعالى .

بيان معرفة الله عز وجل .

هذا الفصل يتعلق به اصول :

الاول : معنى الرؤية .

والثاني : رؤية الله تعالى للاشياء .

والثالث : رؤية العباد لله عز وجل في القيامة .

اعلم ـ ان رأيت يقال في كلامهم على وجهين :

احدهما متعد الى مفعول واحد والثاني متعد الى مفعولين .

فاما المتعدى الى مفعول واحد فاربعة :

الاول : هو الادراك بالحاسة الباصرة ، وذلك على ما نتعارفه نحن في الدنيا ، لا يكون الا للالوان والاجسام وشكلها ومصدره الرؤية .

والثاني : الادراك بالتخيل والوهم نحو ما يكون في المنام ومصدره الرؤيا .

---

(١) الفرقان : ٤٥ .
(٢) روح المعاني (١٩ : ٢٦) .
(٣) النحل : ٤٨ .
(٤) الروم : ٨ .
(٥) الغاشية : ١٧ .

والثالث: الادراك بالفكر والروية نحو رأيه رأيا جيدا وفلان يرى رأى ابى حنيفة[1]، ومصدره الرأى .

والرابع : الادراك بالبصيرة نحو قول امير المؤمنين رضى الله عنه حيث قيل له : هل رأيت ربك؟ فقال : ماكنت لاعبد شيئا لم اره ، فقيل وكيف رأيته ؟ فقال : لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان[2] . ومن هذا النحو قوله تعالى " الم تر الى ربك كيف مد الظل"[3] وقوله : " الم تر كيف فعل ربك"[4] .

واما المتعدى الى مفعولين فهو عبارة عن الحكم على الشئ بانه كذا او ليس بكذا نحو رأيت زيدا منطلقا ، فمتى كان ذلك على دلالة قوية كان علما ، ومتى كان عن امارة كان ظنا ، نحو ارى زيدا خارجا كقوله اظن زيدا خارجا .

واما رؤية الله تعالى للاشياء فعلى وجه اشرف من كل ماتقدم فانها ليست بحاسة ولا بواسطة لون ولا تخيل ولا وهم ولا تدبر وتفكر فهو يتعالى عن ذلك بل يرى الشئ قبل ايجاده وحين ايجاده وبعد اعدامه .

واما رؤية العباد لله عز وجل فى القيامة ، فقد اثبتها الحكماء واصحاب الحديث، كما نطق به الكتاب والسنة .

---

(١) هو النعمان بن ثابت التميمى الكوفى، فقيه العراق، احد الائمة الاربعة فى تاريخ الاسلام، كان ورعا سخيا ، يحيى الليل ، توفى فى رجب سنة خمسين ومائة . طبقات السنية (١ : ٩٤)، التاج المكلل (ص ١٣٦)، الميزان (٤ : ٢٦٥) .

(٢) انظر نهج البلاغة (٢ : ٩٩)، السائل هو ذعلب اليمانى ، واللمع للطوسى (ص ٤٢٦) .

(٣) الفرقان : ٤٥ .

(٤) الفيل : ١ .

اما الكتاب فقوله تعالى : " رب ارني انظر اليك "[١] ومحال ان يكون ذلك من الامور الممتنعة ، فيسأله نبي الله ، ومن المحال ان يكون النبي جاهلا بالله وبما يجوز عليه ويمتنع ، فلو كان ذلك ممتنعا لما سأله ، ومن قال[٢] انما كان قد سأل لقومه فاما هو بنفسه فقد علم انه لا يصح عليه . فان ذلك جار مجرى قائل يجوز ان يسأله عنهم ان يمسه ويقبله تعالى الله عن ذلك ويدل على ذلك قوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة "[٣] .

ومن السنة قوله عليه السلام : " سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته "[٤] وروى " لا تضارون في رؤيته "[٥] وهذا الخبر رواه نيف وعشرون رجلا من الصحابة[٦] ولم ينكر احد منهم وتلقاه التابعون باسرهم ، والتشبيه بالقمر ليس براجع الى المرئي ، وانما ذلك راجع الى تحقيق الرؤية ، وروى عدة في تفسير قوله : طوبى لهم وحسن مآب "[٧] وقوله : " ولدينا مزيد "[٨] وقوله : " للذين احسنوا الحسنى وزيادة "[٩] انه النظر الى الله عز وجل[١٠] .

---

(١) الاعراف : ١٤٣ .
(٢) هم المعتزلة . انظر شرح الاصول الخمسة (ص ٢٦٢) .
(٣) القيامة : ٢٢ .
(٤) رواه البخاري (١٣ : ٤١٩) ، مسلم (١ : ٤٣٩) ، الترمذي (٤ : ٩٢) ، ابو داود (٤ : ٢٣٣) ، ابن ماجة (١ : ٦٣) .
(٥) رواه البخاري (١٣ : ٤١٩) ، مسلم (٤ : ٢٢٧٩) ، الترمذي (٤ : ٢٠) ، ابو داود (٤ : ٢٣٣) ، ابن ماجة (١ : ٦٤) ، احمد (٣ : ١٦) ، ابن ابي عاصم (١ : ١٩٨) .
(٦) قال شارح الطحاوية قد روى احاديث الرؤية نحو من ثلاثين صحابيا (ص ٢١٠) .
(٧) الرعد : ٢٩ .
(٨) سورة ق : ٣٥ .
(٩) يونس : ٢٦ .
(١٠) لم يقل احد من المفسرين ان الطوبى هو النظر بل هو شجر في الجنة هذا مروي عن ابي هريرة وابن عباس ومغيث ابن سمي وغير واحد من

وانكرت المعتزلة رؤية الله عز وجل في الاخرة[(١)]، وقالوا كما لا يصح ذلك في الدنيا كذلك في الاخرة، وفزعوا الى اثنين ليس لهم فيهما دلالة .

احدهما قوله لموسى : " لن تراني "[(٢)] وذلك نفي، على ان هولاء اضطروا الى اسقاط اسماء مقرونة بصفات، فقالوا هو الانية المحضة والهوية الحقة، وهذا اثبات آنية وهوية .

والثانية قوله : " لا تدركه الابصار "[(٣)] وذلك تمدح فلا يجوز ان يزول عنه هذا المدح في حالة من الاحوال . كقوله : " ان الله لا يظلم الناس شيئا "[(٤)] وقوله " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير "[(٥)] و (قوله :) " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد "[(٦)] .

وليس ذلك بشئ، فالمدح ضربان : ضرب كما قالوا، وضرب يجوز ان يكون عكسه في بعض الاحوال نحو العلم والعفو، فان ذلك يختلف بحسب الاحوال، وكذا الهيبة والاحتجاب يمدح بهما الملوك تارة وبعكسهما تارة، وان معنى ذلك انه تعالى لا تدركه الابصار ، ولا تعرفه الابصار حق المعرفة، وهو سبحانه يعلم الاشياء بحقائقها .

وماذكروا انه لو صحت رؤيته في الاخرة صحت[(٧)] في الدنيا

= السلف . ابن كثير (٢ : ٥١٢)، كما روى عن ابي سعيد الخدري قال قال رجل يارسول الله ما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، رواه ابو داود في البعث (ل ١٥) وابن جرير (١٣ : ١٤٧) .

(١) انظر موقف المعتزلة ونفيهم الرؤية، المغني (٤ : ٣٣)، شرح الاصول الخمسة (ص ٢٣٢)، التمهيد (ص ٢٦٦)، اصول الدين (ص ٩٧)، غاية المرام (ص ١٥٩) .

(٢) الاعراف : ١٤٣ .

(٣) الانعام : ١٠٣ .

(٤) يونس : ٤٤ .

(٥) الشورى : ١١ .

(٦) الاخلاص : ٣ .

(٧) في الاصل " صح " .

فان المانع من رؤية الشيء انما هو الرقة واللطافة والبعد المفرط والحجاب قالوا وكل ذلك منتف عن الله عز وجل،[(١)] فليس هذا بشيء .

وذلك ان اصل الابصار للقلب والنفس للقلب كالالة ، ولذلك قد ينظر الى الشيء من يشغل قلبه فلا يبصره ، وعلى هذا قال تعالى " وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون"[(٢)] ولهذا من نزل في عينه الماء لم يبصر، فاذا نزح ذلك الماء ابصر .

فاذا ثبت هذا فللانسان ثلاث ادراكات بالرؤية ، رؤية الجسمانية الملونة ، ورؤية الروحانيات كالملائكة والجن، ورؤية لموجدها تعالى، ويحتاج في رؤية كل واحد من ذلك اذا صحت العين الى نور به يرى .

فاما الاجسام فيحتاج في ادراكها الى احد الانوار المحسوسة كنور القمرين او ضوء النار والسراج .

واما الروحانيات فيحتاج في ادراكها الى القوة التي هي المعارف الموهبية وهي البصيرة للقلب كالبصر للعين، والى النور الذي اشار تعالى بقوله " افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه"[(٣)] وبقوله " او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها"[(٤)] وبحصول هذا النور توصل ابراهيم عليه السلام الى رؤية الملكوت، كما قال" وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين"[(٥)] .

---

(١) ذكره الباقلاني في التمهيد (ص ٢٧٨)، الجويني في الارشاد (ص ١٧٨)، عبد الجبار في المغني(٤ : ٩٥)، الامدي في غاية المرام (ص ١٦٩) .

(٢) الاعراف : ١٩٨ .

(٣) الزمر : ٢٢ .

(٤) الانعام : ١٢٢ .

(٥) الانعام : ٧٥ .

ملكوت : اي ملك ، وزيدت الواو والتاء للمبالغة في الصفة ، ومثله الرغبوت والرهبوت اراد به مافي السموات من عبادة الملائكة =

واما البارى سبحانه وتعالى فيحتاج فى رؤيته الى الحياة الابدية المشار اليها بقوله : " وان الدار الاخرة لهى الحيوان "(١) فسمى تلك الحياة المخصوصة بالحيوان، والى النور المشار اليه بقوله " يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم "(٢) .

ولكل رؤية من ذلك مانع، لا تصح الرؤية الا مع ارتفاعه ، فالمانع من رؤية الاجسام الرقة واللطافة والبعد والحجاب الجسمانى، اما من خارج واما من داخل البدن كالماء النازل من العين، واما المانع من رؤية الثانى والثالث فالظلمة التى هى اوساخ النفس وارجاسها من الدغل(٣) والحقد والمكر والشره وما اشبهها ، وبسبب(٤) حصول ذلك يمنع الانسان عن ادراك الحقائق الاخروية وعن رؤية الملائكة والجن، فبذلك تمتلىء نفوسنا ضبابا وظلمة تمنع من الرؤية الشريفة ، كما يمنع نزول الماء فى العين رؤية الاجسام الكثيفة ، ويجب ارتفاعها (لكى) يرى الروحانية والاشياء الشريفة ، ولحصول هذه العوارض للكفار حكم الله تعالى عليهم بالعمى، ولاجل ازالة ذلك امر الله تعالى حيث قال : " وثيابك فطهر "(٥) وقال : " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا "(٦) . ولما لم يكن لرؤية الروحانيات شرف على رؤية البارى استغنى

= والعجائب ومافي الارض من عصيان بني آدم ، وقيل : كشف الله له عن السموات، والارض حتى العرش واسفل السافلين، وروى عن النخعى قال : فرجت له السموات السبع فنظر اليهن حتى انتهى الى العرش ، وفرجت له الارضون فنظر اليهن، ورأى مكانه في الجنة وقيل اراه من ملكوت السماء ماقصه من الكواكب ومن ملكوت الارض ، البحار والجبال والاشجار ، وقال بنحوه ابن عباس . القرطبي (٧ : ٢٣).

(١) سورة العنكبوت : ٦٤ .

(٢) سورة الحديد : ١٢ .

(٣) الدغل : الفساد والعيب . القاموس (٤ : ٣٧٦) .

(٤) فى الاصل " بحسب " .

(٥) سورة المدثر : ٤ .

(٦) سورة الاحزاب : ٣٣ .

الانسان في رؤيتهن بان ينتقي من هذه الاوساخ والانجاس النفسية[1] وان يزيلهن بقدر الوسع وان لم يتنق منها كل التنقي، ولذلك حصلت هذه الرؤية للانبياء وكثير من الاولياء، ورؤية الله تعالى لما كانت في نهاية الشرف ولم يصلح لها الا المتجرد من الاوساخ كلها، وذلك لا يصلح للمؤمنين الا في النشأة الاخرة دون الدنيا، وكان عيسى عليه السلام يقول " جوعوا بطونكم واعزوا جيوتكم لعلكم ترون ربكم "[2]، ولما لم يكن نفوس الكفار منقاة عن هذه الانجاس والارجاس حكم عليهم بانهم لا يرونه ودل على ذلك بقوله : " كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون "[3] وبقوله : " فمن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا "[4] وقال : " والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفه – الى قوله – ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور "[5] ولما كان كتاب الله عز وجل اعظم ما يستعان به في استفادة نور الله وازالة الظلمات المانعة عن الاطلاع على الامور الالهية قال تعالى في وصفه : " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام – الى قوله – ويهديهم الى صراط مستقيم "[6].

والمعتزلة لما تجاوزوا معرفة المحسوسات الى معرفة المعقولات ومع ذلك لم يتفكروا في قوله : " وننشأكم فيما لا تعلمون "[7] وقوله " فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين "[8] وقول النبي عليه السلام حاكيا

---

(١) في الاصل " الاجناس " .
(٢) انظر انجيل برنابا (ص ٣٤).
(٣) سورة المطففين : ١٥ .
(٤) سورة الاسراء : ٧٢ .
(٥) سورة النور : ٣٩ – ٤٠ .
(٦) سورة المائدة : ١٥ – ١٦ .
(٧) سورة الواقعة : ٦١ .
(٨) سورة السجدة : ١٧ .

عن الله عز وجل انه قال : " اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر "[١] ونحو ذلك مما ورد في الخبر واشتهر عند الاثر اضطروا الى تكذيب رسول الله صلى الله عليه فيما ورد به الكتاب والسنة ووقوف الانسان في اول النظر والاعتراف بالعجز الموجود في البشر الذى دل عليه قوله : " انه كان ظلوما جهولا "[٢] وقوله " وخلق الانسان ضعيفا "[٣] اولى به من ارتكاب ما يجعله ممن وصفه تعالى بقوله : " ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير "[٤] .

العرش والكرسى .

عرش الله وكرسيه مما لا يعلم البشر منهما الا مقدار ما اطلع الله عليه وهما من الاشياء التي ليس عند البشر في الحقيقة منهما الا اسمه ولا يصح له تصوره . وذلك انه لا يصح ان يتصور الانسان الا ما احسه او احس له مثلا ، ومعلوم ان المحسوس لنا من العرش انه هو الغرفة او السرير الذى يقعد عليه الملك او عرش الكرم او عريشه ، وليس عرش الله بشئ من ذلك ، وقد قال الخليل[٥] : " عرش الرجل قوام امره "[٦] ومنه

---

(١) رواه البخارى (٦ : ٣١٨)، مسلم (٤ : ٢١٧٤)، ابن ماجة (٢ : ١٤٤٧)، احمد (٢ : ٣١٣)، الدارمى (٢ : ٣٣٢) .
(٢) سورة الاحزاب: ٧٢ .
(٣) سورة النساء : ٢٨ .
(٤) سورة الحج : ٨ .
(٥) هو ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد ، قال ابن ابى خيثمة : احمد ابو الخليل اول من سمى في الاسلام باحمد واصله من الازد صاحب العربية والعروض ، وهو اول من استخرج العروض وحصن اشعار العرب بها ، ومن اشهر تلاميذه سيبويه ، فهرست ابن النديم (ص ٦٣)، طبقات النحويين والبلاغيين (ص ٤٧) .
(٦) انظر اللسان (عرش) .

قيل : " ثل عرش فلان "[(١)] وروى ان عمر رضي الله عنه[(٢)] رؤي في المنام بعد موته فقيل له : ما فعل بك ربك قال : ثل عرشي لولا اني صادفت ربا كريما "[(٣)]

ولشرف العرش قال تعالى : " ذو العرش يلقى الروح من امره "[(٤)] ولم يقل ذو الكرسي . وقد ورد ان سقف الفردوس عرش الرحمن[(٥)] ، وروى : " ان الله يظل في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله "[(٦)] .

وقال بعض الناس : العرش الفلك الاعلى والكرسي فلك الكواكب[(٧)] واستدل بما روى ان النبي صلى الله عليه قال : " ما السموات السبع

---

(١) ثل عرشه : ذهب عزه وملكه . المرجع المذكور (عرش) .

(٢) هو ابو حفص عمر بن الخطاب ثاني خليفة المسلمين، سيد الامة وافضلها بعد الصديق، ايد الله به الاسلام وفتح به الامصار وهو احد العشرة المبشرين بالجنة ، مناقبه كثيرة . استشهد في سنة ثلاث وعشرين . الاصابة (٢ : ٥١٨)، الاستيعاب (٢ : ٤٥٨) تاريخ الطبري (٣ : ١٤) .

(٣) اخرجه ابن سعد في " الطبقات " بلفظ " قال : هذا اوان فرغت وان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيت ربي رؤوفا رحيما " (٣ : ٢١٥) . وذكره الراغب في " المفردات " بلفظ " فقال : لولا ان تداركني برحمته لثل عرشي " ٣٢٩ .

(٤) سورة المؤمن : ١٥ .

(٥) روى البخاري في صحيحه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : من آمن بالله ورسوله - وفيه - فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة " (١٣ : ٤٠٤) هذا دليل على خلاف ما ذهب اليه الراغب : ان العرش معناه الملك والعزة .

(٦) رواه البخاري بلفظ " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله " (٢ : ١٤٣)، وايضا مسلم (٢ : ٧١٥)، الترمذي (٤ : ٥٩٨)، النسائي (٨ : ٢٢٢)، مالك (٢ : ٢٣٤) واحمد (٢ : ٤٣٩) .

(٧) انظر " شرح الطحاوية " (ص ٣١٠)، البداية (١ : ١٤) ، روح المعاني (٨ : ١٣٤) .

والارضون السبع في جنب الكرسي الا كحلقة ملقاة في ارض فلاة ، والكرسي عند العرش كذلك"[(١)] وعلى ذلك حمل قوله " وكان عرشه على الماء"[(٢)] وعن ابن مسعود[(٣)] رضي الله عنه " مابين الكرسي الى الماء مسيرة خمس (مائة) عام ، والعرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه من اعمالكم شيئا"[(٤)] واياك ان تتصور بهذه الالفاظ شيئا من المحسوسات[(٥)] فان على في نحوه انما هو كقوله :" والله على كل شئ قدير"[(٦)] وفوق كل

---

(١) رواه البيهقي في" الاسماء والصفات" وليس فيه " والارضون السبع " وقال تفرد به يحيى بن سعيد ، وله شاهد باسناد اصح (ص ٤٠٤)، الطبري في تفسيره (٥ : ٣٩٩ ت) محمود شاكر وذكره ابن كثير في تفسيره (٢ : ٤٥٩) .

(٢) سورة هود : ٧ .

(٣) هو ابو عبد الرحمن، عبد الله بن مسعود بن غافل، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احد السابقين الاولين، من كبار العلماء من الصحابة ، واحد المكثرين منهم ، مناقبه جمة ، مات بالمدينة سنة ٣٢ من الهجرة .
التقريب(١ : ٤٥٠)، الاصابة (٢ : ٣٦٨) .

(٤) رواه البيهقي في الاسماء والصفات (ص ٤٠١)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (ص ٣٧٧) .

(٥) مراد الراغب ان العرش عبارة عن الملك والصحيح ما ذهب اليه السلف كما ثبت في السنة ان العرش له قوائم تحمله الملائكة كما قال صلى الله عليه وسلم :" فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق، فاذا انا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور " والعرش في اللغة عبارة عن السرير ، والعرب لا يفهم الا ذلك والقرآن نزل بلغتهم اذا هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، واما من يجعل العرش عبارة عن الملك فكيف يصنع بقوله تعالى" ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " الحاقة : ١٧ . وقوله " وكان عرشه على الماء " هود : ٧ ايقول : يحمل ملكه يومئذ ثمانية ، وكان ملكه على الماء ، ويكون موسى عليه السلام اخذا بقائمة من قوائم الملك . هل يقول هذا عاقل؟ شرح الطحاوية (ص ٣١١ ، ٣١٢) .

(٦) سورة البقرة : ٢٠ .

ذي علم عليم"[1] وقد قال امير المؤمنين رضي الله عنه في وصفه : "لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس، قريب في بعده ، بعيد في قربه . فوق كل شئ ولا يقال شئ تحته ، وتحت كل شئ ولا يقال شئ فوقه " وفي قوله تعالى : " ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ثم استوى على العرش"[2] دليل على ان لا حاجة به الى العرش وانه لم يتغير عما كان وقوله تعالى في وصف حملة العرش : " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية"[3] قيل : هم الملائكة المقربون الذين يفتحون باب الجنة على المؤمنين، حيث قال عليه السلام : " من اسبغ الوضوء فتحت[4] له ثمانية ابواب الجنة يدخل من ايها شاء"[5] والله اعلم بذلك .

وصف الله تعالى بانه في السماء ، وانه بكل مكان، وعلى العرش ، لقوله " أأمنتم من في السماء ان يخسف بكم الارض"[6] وقوله " ثم استوى على العرش"[7] وذلك معنى قوله : " وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله"[8] وليس ذلك على معنى الشئ في الوعاء او في المكان وهو مع كل احد لا معنى الاصطحاب الجسماني، بل كما قال " مايكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم"[9] . وكما قال : " ان الله مع الذين اتقوا"[10]

---

(١) سورة يوسف : ٧٦ .

(٢) وسرة الاعراف : ٥٤ .

(٣) سورة الحاقة : ١٧ . قال ابن عباس : ثمانية صفوف ولا يعلم عددهم الا الله ، وقال الحسن : الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية آلاف . القرطبي (١٨ : ٢٦٦) واما ماقاله الراغب لم يقل به احد من المفسرين .

(٤) في الاصل " فتح " .

(٥) رواه الترمذي (١ : ٧٨) وقال في اسناده اضطراب وذكره السيوطي وعزاه الى ابن حبان . الجامع الكبير (ص ٧١١) .

(٦) سورة الملك : ١٦ .

(٧) سورة الاعراف : ٥٤ .

(٨) سورة الزخرف : ٨٤ .

(٩) سورة المجادلة : ٧ .

(١٠) سورة النحل : ١٢٨ .

فما من شئ الا وهو فيه ومعه وعليه وفوقه ، قد غشاه بنور منه يشهد بربوبيته على وحدانيته لا على ان الاشياء مكان له [1] او محتاج اليهــا بل المعنى ان الاشياء كلها محتاجة الى حفظه ، كما قال : " ان اللــه يمسك السموات والارض ان تزولا " [2] وعلى هذا النحو نزول الرب عز وجل فى قوله عليه السلام : " ينزل الله عز وجل الى سماء الدنيا " [3] والمجئ فى قوله تعالى " وجاء ربك والملك " [4] .

---

(١) الصحيح انه فوق سبع سموات على العرش كما نطق به كتابه فـى قوله " ثم استوى على العرش " فى عدة مواضع . هذا هو مذهـب اهل الحديث فهم يؤمنون به ويطلقون ما اطلقه سبحانه مـن استوائه على العرش ويمرون على ظاهره ويكلون علمه الى الله ، كما سئل مالك عنه فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقـول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة (عقيدة السلف) (ص ١٧) قال الضحاك : معنى قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هـو رابعهم .. الخ ان الله على العرش وعلمه معهم . وروى عـن قتادة فى قوله تعالى : هو الذى فى السماء اله والارض الــه قال هو الذى يعبد فى السماء ويعبد فى الارض .
الاسماء والصفات (ص ٤٣٠) وسيأتى مزيد تحقيق فى (ص ٣٥٢) .

(٢) سورة فاطر : ٤١ .

(٣) رواه البخارى (٣ : ٢٩)، مسلم (١ : ٥٢١)، ابو داود (٤ : ٢٣٤) ابن ماجة (١ : ٤٣٥)، الدارمى (١ : ٣٤٦)، واحمد (٢ : ٢٦٤) ، الاجرى (ص ٣٠٨) .

(٤) سورة الفجر : ٢٢ .
النزول والمجئ صفة ثابتة لله تعالى فنجريها كما جاءت من غـير تشبيه له للمخلوقين وهذا هو مذهب السلف الصالح ، فهــم يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله صلى اللــه عليه وسلم حقيقة لا مجازا على الوجه اللائق بكمال الله وجلالــه فكل ما جاء فى الكتاب حق لانه من عند الله وكل ما ثبت فى السنـة حق وشرع لنا . ويأتى الكلام عليه فى (ص ٣٩٢) .

حقيقة الدين والملة .

هما اسمان لمعنى يتفقان من وجه ويختلفان من وجه .

فاتفاقهما انهما اسم لاعتقادات واقوال وافعال تدين بها امة من الامم عن نبي لهم، ليتوصلوا بهما الى جوار الله عز وجل .

واختلافهما من وجهين :

احدهما من حيث الاشتقاق : فان الدين اذا اعتبر بمغزاه ومنتهاه فهو الجزاء[1] كما قيل" كما تدين تدان"[2] والدين يضاف تارة الى الله عز وجل وتارة الى العبد كما يضاف الطاعة والجزاء اليهما .

واما الملة فقد املت الكتاب اى امليته ولا يضاف الا الى الامام الذى يسند اليه نحو ملة ابراهيم، وملة موسى، ولا يكاد يؤخذ مضافا الى الله عز وجل ولا الى احاد امة النبي صلى الله عليه ، فلا يقال ملة الله ولا ملتي ولا ملة زيد كما يقال دين الله ودين زيد[3] .

والفرق الثاني ان الدين يقال لكل واحد من الاعتقاد والقول والفعل انه دين الله ، ولا يقال ملة الا باجتماع ذلك كله .

واما الشريعة : الطريقة المتوصل بها الى صلاح الدارين تشبيها بشريعة ما وبالطريق الشارع كقوله تعالى : " قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة"[4] .

ان قيل : كيف قال في موضع :" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا"[5] الاية ، فذكر ان شريعتهم[6] واحدة ، (وقال في موضع : " لكل جعلنا منكم شرعة) ومنهاجا"[7] فذكر ان شريعتهم مختلفة .

---

(١) قال به ابن عباس وابن مسعود . تفسير القرطبي(١ : ١٤٣).
(٢) انظر اللسان (دين) .
(٣) اشار اليه الراغب في المفردات (ص ٤٧١) .
(٤) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٥) سورة الشورى : ١٣ .
(٦) في الاصل" شريعته " .
(٧) سورة المائدة : ٤٨ .

قيل : الاول اشارة منه الى اصول الاديان التي هي الاعتقادات والعبادات والمعاملات والمزاجر والاداب، فعلى كل امة صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد وكذلك سائر الاركان .

والثاني : وهو قوله " لكل جعلنا منكم شرعة" اشارة منه الى الفروع التي تتغير بحسب مصالح كل انسان وزمان ومكان .

ثبوت دين الله عز وجل .

قد انكر الدين فرق : الاولى من قال ان معظم الدين انما هو العبادات وهي التقرب الى الله عز وجل بالصلاة والصيام وسائر ذلك والله تعالى مستغن عنها فوجودها لا ينفعه وعدمها لا يضره ، وليس هو كملك من ملوكنا الذين يفرحون بخدمة رعاياهم ويتباهون (1) بها عند ملوك سواهم ، فاذا لا ينبغي ان يشرع لنا دينا نتعبد به .

والفرقة الثانية : قالوا الغرض من العبادات الوصول الى اللذات ، والله تعالى لقدرته وجوده واستغنائه عن عبادة خليق ان يعطيهم ذلك من غير استخدامهم .

والفرقة الثالثة قالوا : لو كان لله دين لجعله حيث يبهر العقول والاسماع والابصار ، فان السلطان البشري لو اراد امرا يدعو اليه رعيته ، وجعلهم حيث لا يخفى عليهم اثاره وصنائعه ، فكيف برب العزة مع سعة قدرته وبالغ حكمته ، قالوا : وقد رأينا جميع مايذكرانه دلالة على الحق لا يثلج ولا يبرد صدرا حتى كثر المختلفون وكثرت ادلتهم ، فمن يلزم مذهبا لالفة او لنفع دنيوي يجده فيه او لغرض آخر غيره ، ومن اخذ يتنقل من مذهب الى مذهب .

والفرقة الرابعة : قالوا الاختلاف في الدين بحيث لا يفي

---

(1) في الاصل " يتناهون" .

باحصائها عدد ولا يتسع لاستقرائها امد ، فالاولى ترك جميعها والاشتغال بما فيه صلاح المعاش من الطب والفلاحة ونحوها ، وهذه شبهة برزويه[1] صدر كتاب " كليلة ودمنة "[2].

وقد اجيب عن كل ذلك .

فاما من قال ان الله تعالى غني عن عبادة خلقه وانه ليس كواحد من ملوك الارض ، فذلك مقدمة صحيحة ، وقد قال الله تعالى يؤكد ذلك حيث قال " ان الله لغني عن العالمين "[3] لكن استعباد هم لينتفع لهم لولا سعيهم في تحصيله لم تقتض الحكمة حصوله لهم وذلك ان الله تعالى خلق الناس بحكمته ليتوصلوا بعبادته وتوفية حق خلافته الى تزكية انفسهم وتطهيرها فيصلحوا للمجاورة في

---

(١) هو من اكبر اطباء فارس ، كان متميزا في زمانه وفاضلا في علوم الفرس والهند ، وانه هو الذي جلب كتاب كليلة ودمنة من الهند الى انوشروان بن قباذ ملك الفرس وترجمه له من اللغة الهندية الى الفارسية . عيون الانباء (ص ٤١٣) .
وشبهته : انه يقول ان والدي اسلمني في تعليم الطب ، فلما بلغت وعرفت الطب وفضله شكرت ، ثم امعنت فوجدت الطب لا يستطيع ان يداوي المريض بدواء يذهب عنه داءه ، ورأيت عمل الاخرة هو الذي يسلم من الاذى والادواء كلها فاستخففت بالطب واردت الدين ، وبعد ما رأيت من الاختلاف فيه اشتبه على امر الدين ، فراجعت العلماء لعلي اعرف بذلك الحق من الباطل فاختاره ، فلم اجد احدا الا هو يمدح دينه ويذم مخالفيه ، فاستبان لي انهم بالهوى يتكلمون ، فلم اجد الى متابعة احد منهم سبيلا . مقدمة كليلة ودمنة (ص ٣٢) .

(٢) هو كتاب مشهور لبيدبا الفيلسوف الهندي وترجمه الى العربية عبد الله بن المقفع ، وهذا الكتاب يتضمن الادب الهندي والقصص والامثال على لسان الحيوانات .

(٣) سورة العنكبوت : ٦ .

دار السلام " في مقعد صدق عند مليك مقتدر"[1] فينالوا منه بقاء بلا فناء وعزا بلا ذل وغنى بلا فقر وعلما بلا جهل فيحصل لهم سعادة كبرى[2]، كما قال تعالى" واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها"[3] الاية، ولم تقتض الحكمة حصول ذلك لهم الا بعد ان يؤدوها طاهري النفوس ولهذا قال تعالى" انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا"[4] وقال تعالى" قد افلح من تزكى"[5] ولذلك قال تعالى" ولا يرضى لعباده الكفر"[6] وبهذا تبين فساد قول من قال: القصد بالعبادة الوصول الى اللذات،[7] والله تعالى قادر ان يعطينا بغير استخدام منه ايا ماكان هذا لم يمنع منه قدرة الله تعالى، بل منع منه الحكمة ومثل من وسى نفسه في الدنيا ولم يزكها مثل قوم دعوا الى حضرة ملك وقيل لهم طهروا ابدانكم واثوابكم واصلحوا اخلاقكم لتستحقوا مجالسة الاخيار ومعاشرة السلطان، فلا سبيل الى دخول داره وحضور مأدبته الا لمن كان طاهرا، فجاء بعضهم وسخ الثياب متلطخا بالانجاس فاسد الاخلاق غير عارف آداب مجالسة الملوك وكانت تلك الدار طاهرة واهلها كراما بررة فالحكمة تقتضي منعه لمنافاته لها .

واما شبهة من قال: لو كان لله دين لكان باهرا للعقول والاسماع والابصار .

فجوابه : ان ذلك باهر لمن لم يضيع نور الله الذي به يبصر ولم يفسد بصيرته التي بها يدرك، واما من ضيع ذلك فقد صار بمن

---

(١) سورة القمر : ٥٥ .
(٢) قال به الراغب في الذريعة (ص ٤٨) .
(٣) سورة هود : ١٠٨ .
(٤) سورة الاحزاب: ٣٣ .
(٥) سورة الاعلى: ١٤ .
(٦) سورة الزمر : ٧ .
(٧) في الاصل" الذات" .

وصف الله تعالى بقوله : " صم بكم عمي فهم لا يعقلون "[1] وما اشبه قائل هذا فيما يقوله برجل قال لشاعر : لم لا تقول ما نفهم ، فقال وانت لم لا تفهم ما يقال ويجب ان يعلم ان الله تعالى ركز في عقل كل ذي عقل مراة ، فاذا زكاها وجلاها تبين الحق من الباطل ، والكذب من الصدق ، والقبيح من الجميل .

واما شبهة برزويه فانه يلزمه في الطب ايضا ففيه من الشبهة مايقارب الشبهة الدينية بل تزيد عليها ، فاصول الطب مبنية على غلبة الظنون[2] ، واصول الشرائع مبنية على الحقائق ، وامام الطب بقراط[3] يقول فيه " العمر قصير والصناعة طويلة والتجربة خطر والقضا عسير ومطلب الحق فيما لابد به غير عسير على من وفقه الله فصرف اليه عنايته "[4] فقد قيل : ما اقرب الطريق لمن استصحب التوفيق وكان الحق بغيته ولم يكن استثقال الشريعة افقه ، على ان العقل لا يسوغ الاعراض عن جميع ذلك فمحال تكذيب النقيضين ، واذ قد تبين فساد الفرق الضالة ، فانا نذكر وجوب شرع الدين .

بيان وجوب الشريعة .

الوجوب اذا استعمل في الباري سبحانه وقيل واجب ان يفعل

---

(١) سورة البقرة : ١٧١ .
(٢) لكن الان مبنية على شبه الحقيقة بعد ماتقدم الطب وتطورت التجارب وتوصلوا الى الحقائق ، واكتشفوا جراثيم الامراض بالتحليل والاشعة ، فجعلوا ازاءها الادوية النافعة الشافية التي تقضي على الامراض .
(٣) هو حكيم مشهور وطبيب فيلسوف ، كان سيد الطبيعيين فاضلا بارعا في علوم الفلسفة ، طوافا في البلاد جوالا عليها ، وهو اول من تكلم في الطب والف فيه الاسفار والكتب .
طبقات الاطباء (ص ١٦) ، عيون الانباء (ص ٤٣) .
(٤) انظر عيون الانباء (ص ٥٠١) بتصرف يسير .

هذا[1]، فليس معناه على حسب مايتعارفه الفقهاء حيث قالوا واجب علينا كذا . وانما معناه ان ذلك الشئ مقدور له ، والحكمة تقتضي وجوده ومن بديهة العقل ان من قدر على فعل والحكمة تقتضيه فلم يفعله فذلك لبخله الذى طرأ فيه ، والله يتعالى عن ذلك فهو القادر الذى لايلحقه عجز ، والحكيم الذى لايعروه جهل والجواد الذى لايعرض له بخل .

والذى يدل على وجوب ذلك اوجه :

الاول : ان الله اوجد الانسان بحكمته مناسبا للبهيمة من حيث ان فيه قوة الاقتضاء والنمو وابتغاء النسل واختلاف المثل ومحبة الظفر والغلبة وغير ذلك من احواله ومناسبا للملك من حيث يتحرى العقل والخير ، والاستكثار من ذلك لنفسه ، وافاضته على غيره ، فهو بطبعه يميل الى اخلاق البهيمة ، وباختياره الى اخلاق الملائكة والطبع اغلب من الاختيار ، فانه يكرهه على الفعل ويقهره ، والاختيار يدعو اليه ويسكت عنه ، فلو لم يكن للانسان شريعة تجرى مجرى الزمام يقوده ، او لجام يدوره عن طبع البهائم بتخويفه من العقاب وترغيبه في الثواب لصار بطبعه كبهيمة مهملة .

والثاني : ان الناس خلقوا خلقة صار كل واحد منهم محتاجا الى الاخر ليتعاونوا ، ولاسبيل الى هذا التعاون الا بمراعاة النصح ولا يصح الا بالتحاب ، فالناس اذا تحابوا تناصحوا واذا ثنا صحوا عمروا ، واذا عمروا امروا ، ولذلك من الله على المؤمنين بما اوقع بينهم من الالفة ، فقال تعالى " هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين ، والف بين قلوبهم لو انفقت مافى الارض جميعا ماالفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم "[2] فنبه تعالى على افاضته عليهم بما فيه صلاح معاشهم

---

(١) الافضل العدول عن هذا التعبير ، لان هذا تعبير الفلاسفة والمعتزلة ، بل نقول اقتضت حكمة الله ان يرسل نبيا ليرسم لنا الطريق . شرح المواقف (٨ : ٢٣٠) .

(٢) سورة الانفال : ٦٢ ، ٦٣ .

ومعادهم .

والثالث: انه قد ثبت ان عامة مصالح العباد كالاغذية والادوية والاكسية والاسلحة لا يمكن الوقوف عليها الا من جهة الله تعالى اما بالهام او بلسان نبي، فمن البعيد ان يوقف على طبائع النبات والمعادن ومنافع اعضاء الحيوانات بالتجارب، فانه يفنى بها الخلق الكبير قبل الوقوف على شئ من ذلك، سيما وطبائع الناس مختلفة وقد يوافق واحد ما لا يوافق الآخر، وينفع قدر ويضر قدر، وفي وقت دون وقت فالوصول الى ذلك عسير بالتجربة جدا (١) .

الكلام في دين الله تعالى :

هل هو عقلي او بعضه نبوي؟ للناس في هذا ثلاث مذاهب:

الاول : مذهب البراهمة (٢) فانهم انكروا النبوة وقالوا لا واجب الا من جهة العقل .

والثاني : مذهب اهل الحديث ان لا واجب الا من جهة النبوة .

والثالث: مذهب اكثر اهل الاثر ان ذلك بعضه عقلي وبعضه شرعي (٣) .

فشبهة البراهمة هي انهم قالوا ان كانت الشرائع التي اتى بها الانبياء مخالفة للعقل فهي مرذولة مهجورة، لان العقل حجة الله به

---

(١) قارن بالغزالي في " المنقذ من الضلال " (ص ٨٠) وبابن حزم في " الفصل " (١: ٧٢)، وانظر الذريعة (ص ٢٠٤) حيث يقرر هذا تماما، والنجاة (ص ٣٠٣) .

(٢) هم قبيلة بالهند، فيهم اشراف اهل الهند، ويقولون انهم من ولد برهمي ملك من ملوكهم، ويقولون بالتوحيد الا انهم انكروا النبوات، ويعتقدون ان الاله الموجود بذاته الذي لا تدركه الحواس وانما يدرك بالعقل . الفصل (١: ٦٩) مروج الذهب (١: ٧٩)، كتاب البيروني (ص ٤٥٢) .

(٢) هم المتكلمون . انظر شبهة البراهمة والرد عليهم في التمهيد (ص ١٠٤) واصول (ص ١٥٤)، غاية المرام (ص ٣١٨)، شرح المواقف (٨: ٢٤٣) .

(٣) هم المتكلمون .

يأخذ عباده ، وما ادى الى مخالفته وجب طرحه ، وان كانت موافقة للعقل ففيه غنية عنها ، وايجاد ما يستغني عنه عبث ، والله يتعالى عن ذلك .

قد اجيب عن ذلك ان الذى يوجبه العقل هو ان الجميل والخير والعدل مؤثرة على الاطلاق ، وان القبيح والشر والجور مرذولة ، فامسا معرفة اى فعل واى حركة على التفصيل هو الجميل او القبيح او الخير او الشر او العدل او الجور فليس للعقل اليه سبيل ، وانما ذلك يمكن التوصل اليه من جهة الشرع ، ولو كان فى احدهما غنية لم يكن ايجاد الاخر عبثا كما زعم ، وقد اشترك حاسة البصر وحاسة السمع فى معرفة الشكل والحركة وليس احدهما باطلا ، ويصطاد الطير بالفخ[1] والجوارح وليس احدهما باطلا ، فالعقل من وجه كالبصر والشرع كالضوء بين البصر والمبصر ، فكما لا يدرك البصر شيئا من المبصرات بغير ضوء كذا العقل لا يحقق كثيرا من الامور الا بواسطة الشرع[2] ، ولذلك وصف الله تعالى الشرع بالنور والسراج والهدى والبيان ، نحو " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين "[3] وقال " هذا بيان للناس وهدى وموعظة "[4] وقال

---

(١) الفخ : المصيدة ، جمعه فخاخ وفخوخ . مختار الصحاح (ص ٤٩٤).

(٢) العقل لا دخل له في الشريعة بل هي كلها متوقفة على السمع ، كما قال على رضي الله عنه " لو كان الدين بالرأى لكان اسفل الخف اولى بالمسح من اعلاه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه " اخرجه ابو داود ((١ : ٤٢)) بل العقل كالشاهد بصحة السمع كما قال ابن تيمية " ان من اقر بصحة السمع وانه علم صحته بالعقل لا يمكنه ان يعارضه بالعقل البتة لان العقل عنده هو كالشاهد بصحة السمع فان شهد مرة اخرى بفساده كانت دلالته متناقضة ، فلا يصلح لاثبات السمع ولا لمعارضته " . درء تعارض العقل والنقل (ص ١٧٧) .

(٣) سورة المائدة : ١٥ .

(٤) سورة آل عمران : ١٣٨ .

" انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا"[1] ومن وجه العقل كالوزان والشرع كالميزان والامور الدنيوية والاخروية كالموزون، كما ان الوزان لا تستغني بالميزان، لا يعرف حقيقة مقدار الشئ فيحتاج ان نخمن ونخرص ، والتخمين والخرص قلما يصاب الحق وان اصيبت لم يوثق به ، ولهذا عظم الله تعالى امر الميزان فقال " الله الذى انزل الكتاب بالحق والميزان"[2] الى غير ذلك من الايات وكالمجمع عليه بين حذاق اهل كل صناعة ان اصول الصناعة مأخوذ عن الوحي، فان الاطباء اذا سئلوا عن اصل الطب نسبوه الى بقراط[3] وقالوا اخذ عن نبي[4] في زمانه عرج بروحه الى السماء فاطلع على حقائقه وكذلك اصحاب النجوم والهيئة اذا سئلوا عن اصل ذلك نسبوه الى هرمس وهو فيما يقال ادريس النبي صلى الله عليه[5] .

---

(١) سورة الاحزاب: ٤٦ .

(٢) سورة الشورى : ١٧ .

(٣) مضت ترجمته

(٤) بقراط كان من جنسين فاضلين، لان اباه كان من آل اسقلبيوس وامه من آل ايراقليس ، وتعلم صناعة الطب من ابيه ايراقليدس ومن جده ابقراط، وكانت صناعة الطب قبل بقراط كنزا وذخيرة يكنزها الاباء ويدخرونها للابناء وكانت في اهل بيت واحد منسوب الى اسقليبيوس ، وهذا الاسم - اعني اسقليبيوس - اما ان يكون اسما لملك بعثه الله فعلم الناس الطب، او ان يكون قوة لله عز وجل علمت الناس الطب، فهو اول من علم صناعة الطب وتناسل من المتعلم الاول اهل هذا البيت المنسوبون الى اسقليبيوس . عيون الانباء (ص ٤٢) .

(٥) يقول ابن جلجل في " طبقات الاطباء " ان هرمس هو ادريس ، وهو اول من تكلم في الاشياء العلوية من الحركات النجومية ، واول من بنى الهياكل واول من نظر في الطب وتكلم فيه ، وهو اول من انذر بالطوفان . (ص ٥) .
مروج الذهب (١ : ٣٩)، تاريخ الحكماء (ص ٥)، وانظر ايضا الذريعة (ص ٢٠٤) .

واما شبهة من جعل كل ذلك نبويا فان ذلك من اجل انه لم يأت نبي الا وقد حث على ذلك ، كما حث على ماشرع من فروع الدين ، ولانهم لم يعهدوا زمانا كانت النبوة فيه معدومة[1] ، فيقيسوا حالهم بعد ورودها بحالهم قبلها ، ولم يمعنوا النظر حتى يعرفوا بين ماهو مركوز في العقل يحتاج الى تنبيه الانسان له وبين مايستفاد من خارج واذا اعتبر حال الصبيان المتعرين من العادات القبيحة علم ذلك انهم يستقبحون مقابح ويستحسنون محاسن من غير معرفتهم بالشرع[2] ، والى هذه المعارف التي هي معرفة الله على طريق الاجمال ووجوب شكر النعم وقبح الظلم والغدر والخيانة والكذب المتعرية من النفع ودفع المضرة اشار تعالى بقوله : " فطرة الله التي فطر الناس عليها "[3] وقوله تعالى : " واذا اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم "[4] الاية .

---

(١) هذا هو الصحيح ، كما قال تعالى " وان من امة الا خلا فيها نذير " فاطر : ٢٤ . قال ابن كثير : اى وما من امة خلت من بني آدم الا قد بعث الله تعالى اليهم النذر وازاح عنهم العلل واستدل بعدة آيات كما قال تعالى " انما انت منذر ولكل قوم هاد " الرعد : ٧ . وكما قال تعالى " ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة " . النحل : ٣٦ . والايات في هذا كثيرة (٣ : ٥٥٢) .

(٢) قد تقدم ان الدين كله سمعي ولا سبيل للعقل اليه ، فالذي يدل على حسن الشئ وقبحه هو الشرع وهذا هو الحق ، وخالف في ذلك المعتزلة فصاروا الى ان العقل يستدل به على معرفة الحسن والقبح .
انظر الاقتصاد (ص ١٨٨) ، نهاية الاقدام (ص ٣٧٠) .

(٣) سورة الروم : ٣٠ .

(٤) سورة الاعراف : ١٧٢ .

الفصل الثالث

ماثيــة النبــوة

النبي يقال على وجهين :

احدهما : فعيل[(١)] من النبأ اى الخبر، وتسميته بذلك لانبائه بالامور المغيبة ماضيها وآتيها، وعلى ذلك دل قوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام :" وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم"[(٢)] فترك الهمزة من نبى تخفيفا كالبرية والذرية والخابية .

والثاني : ان يكون من النبوة اى الرفعة[(٣)]، وهى التى حرصت من قال تعالى فيه " ولو شئنا لرفعناه بها"[(٤)] وهذا ابلغ من الاول، وماروى ان النبى صلى الله (عليه) سمع رجلا يقول : يانبئ فيقول لست بنبئ الله ولكن نبي الله[(٥)] فقد قال بعض الادباء اراد ان يصرفه الى لغته ، ولغة قريش ترك الهمزة ، وليس ذلك بشئ وانما الصحيح انه عليه السلام يفرس فى الرجل انه خاطبه بذلك اعتقادا انه بعض المخبرين لانه عليه السلام ممن قد عظمه الله ورفعه ، فقال : انا نبي الله اى من رفعه الله ، كما قال تعالى " ورفعنا لك ذكرك"[(٦)] وصرفه عن هذا اللفظ

---

(١) قال ابن تيمية : نبى بمعنى مفعول اى منبأ الله ، فهو الذى نبأه الله ، وهذا اجود من ان يقال انه بمعنى فاعل اى منبئ مثل الرسول بمعنى مفعول اى مرسل ، فانه اذا كان الذى ينبئه مما نبأ الله حق وصدق ليس فيه كذب. النبوات (ص ١٧٧) .

(٢) سورة آل عمران : ٤٩ .

(٣) قارن بالبغدادى فى اصول الدين (ص ١٥٣) .

(٤) سورة الاعراف : ١٧٦ .

(٥) ذكره الزمخشرى فى الفائق (٣ : ١ ٤٠)، ابن الاثير فى النهاية (٣:٥) يقول ابن تيمية : فما رأيت له اسنادا لا مسندا ولا مرسلا ، ولارأيته فى كتب الحديث والسير ، ومثل هذا لا يعتمد عليه . النبوات (ص ٢٣٧).

(٦) سورة الانشراح : ٤ .

الموهم الى مالا يوهم ، كما قال تعالى " لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا "[١] كما كانت اليهود يخاطبونه بهذا اللفظ ويقصدون به الرعونة ، وقول النحويين من ان اصله الهمزة لاجماع العرب على قولهم : " مسيلمة نبيء سوء "[٢] فليس ذلك بشيء فان اجماعهم على ذلك هو لاعتقادهم فيه انه كان يخبر بسوء لكونه كاذبا وان لم يكن له رفعة بوجه .

واما حد النبوة :

فقد قيل : هي سفارة العبد بين الله وبين خليفته من ذوي العقول وقيل : هي ازاحة علل ذوي العقول فيما تقصر عنه عقولهم من مصالح المعاش والمعاد .

ومن المحققين من جمع[٣] بين المعنيين ، فقال هي سفارة بين الله وبين ذوي الالباب لازاحة عللهم فيما يحتاجون من مصالح الدارين ، وهذا حد كامل جامع بين المبدأ من المقصود بالنبوة وهو السفارة المخصوصة وبين منتهاها وهو ازاحة عللهم[٤] .

وصف المستصلح للنبوة ، والفرق بين النبوة والرسالة .

حق المرشح للنبوة ان يكون من شرف المنزلة وعلو المرتبة في افق الملائكة ، وبيان ذلك ان الله تعالى جعل الموجودات قسمين : جسماني وغير جسماني ، وجعل الجسمانية أربعة أنواع : الجمادات ، والنبات والبهائم ، والانسان . وجعل كل نوع افضل ماتحته ، فالنبات افضل من الجمادات ، والبهائم افضل من النبات ، والانسان افضل من البهائم والملائكة افضل من الانسان[٥] .

---

(١) سورة البقرة : ١٠٤ .
(٢) انظر الفائق (٣ : ١٠٤) ، اللسان (نبأ) .
(٣) كان في الاصل " جميع " والصواب ما اثبته .
(٤) قارن بالمفردات (ص ٤٨٢) .
(٥) ذهب اهل السنة ان الانبياء وصالح البشر افضل من الملائكة والمعتزلة ذهبوا الى تفضيل الملائكة على البشر واختاره الباقلاني ومحل الخلاف غير نبينا صلى الله عليه وسلم ، اما هو فافضل =

وجعل من كل نوع من ذلك ضربا هو في افق ما فوقه ، فمن الجماد ماهو في افق النبات كالمرجان الذي هو اثر النمو وتشذب[1] الاغصان فهو جماد نباتي وجعل من النبات ماهو في افق البهائم كالنخل الذي فيه الذكور والانبات ويحتاج الى تلقيح كالسفاد[2] في الحيوان، واذا قطع رأسه فسد اصله فهو نبات حيواني، وللمشابهة التي بينها وبين الحيوانات قال عليه السلام :" اكرموا عمتكم النخل"[3] وجعل ايضا في البهائم ماهو في افق الانسان كالقرد والخيل فانهما يتعلمان صناعات، ويتقاربان في المعرفة الناس الذين هم سكان اطراف المعمورة من آخر الترك والزنج ، وجعل من الناس من هو في افق الملائكة من كثرة ماخصه الله به من العلم والمعرفة والثاني لحسن العمل وعبادة الرب فهو انسان ملكي، كما قال تعالى" ماهذا بشر ان هذا الا ملك كريم"[4] وبذلك الم الشاعر فقال :

= الخلق بما ذكره السيوطي في الحبائك عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال : " ماخلق الله خلقا اكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم " الحديث (ق ٦٠) وقال ابن تيمية : لا يمكن ان يحكم على ان جميع الناس افضل من الملائكة لان فيهم الكفار والفجار، ولا الملائكة افضل من البشر لحديث مذكور، نعم اذا اريد الاطلاق فالحقيقة الملكية بلوازمها افضل من الحقيقة الانسانية بلوازمها ، وهذا لا شك فيه . الفتاوى (٤ : ٣٥٥) .

(١) شذب الشجر : القى ماعليه من الاغصان . القاموس (١ : ٨٦) .

(٢) السفاد من سفد الذكر على الانثى اى ضربها . المرجع السابق (١ : ٣٠٢).

(٣) رواه الرامهرمزي في كتاب امثال الحديث ، وقال هذا من الاحاديث التي يعترض عليها (ص ٧٣)، اخرجه ابو نعيم وقال غريب من حديث الاوزاعي عن عروة تفرد به مسرور بن سعيد . الحلية (٦ : ١٢٣) ، والعقيلي في الضعفاء وقال حديثه غير محفوظ ، انظر سلسلة الاحاديث الضعيفة (١ : ٢٨٣)، وذكره علي بن محمد الكتاني في تنزيه الشريعة وفيه مسرور وهو منكر الحديث (١ : ٢٠٩) واورده ابن الجوزي في الموضوعات (١ : ١٨٤) ومحمد بن طاهر المقدسي في " تذكرة الموضوعات" (ص ١٥) .

(٤) سورة يوسف : ٣١ .

ولست[1] بانسي ولكن ملاكا   ينزل من جو السماء بصوت[2]

ولا يقال آخر كل نوع نوع باول مافوقه يكون ذلك كالسلك الواحد الـــذى ينتظم الخرز ، فالناس اذا ثلاثة اضرب : ضرب في افق البهائم من جهـــة الرذيلة وهم الموصوفون بقوله : " ان هم الا كالانعام"[3] وضرب في افـــق الملائكة من الفضيلة ، وضرب واسط بين الطرفين يشرف بحسب قربه مـــن الملائكة ويرذل بحسب قربه من البهائم ، والى الانواع الثلاثة اشار تعالـى بقوله في صفته الظالم لنفسه والمقتصد والسابق[4] ، فمن جهات المرشح للنبوة ان يكون في افق الملائكة حتى يمكنه ان يستفيد من الله عز وجل بواسطـــة الملك ويفيد البشر ، وعلى هذا نبه الله عز وجل بقوله " لقد جاءكم رسـول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم"[5] .

والفرق بين النبي والرسول :

ان الرسالة اخص من النبوة ، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا[6] ،

وقال بعض في الفرق بينهما ان الرسول هو من يأتيه الوحي من الوجـــوه كلها ، والنبي من له الوحي المنامي والالهامي دون غيرها[7] .

---

(١) في الاصل" ليست " .

(٢) هذا البيت لرجل من عبد القيس جاهلي يمدح بعض الملوك قيل هـــو النعمان، وقال السيرافي هو لابي وجزة يمدح به عبد الله بن الزبير وروايته :
فلست لانسي ولكن لملأك   تنزل من جو السماء يصوب
اللسان (ملك) هكذا نجده في تفسير القرطبي (٩ : ١٨٣) .

(٣) سورة الفرقان : ٤٤ .

(٤) قال تعالى : " ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهـــم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلـــك هو الفضل الكبير" . فاطر : ٣٢ .

(٥) سورة التوبة : ١٢٨ .

(٦) ومن الفرق بينهما ان الرسول من اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه والنـــبي من اوحي اليه بشرع ولم يؤمر بالتبليغ، وهو من احسن الفروق .
شرح الطحاوية (ص ١٦٧) .

(٧) قال به بعض المعتزلة انظر شرح المقاصد (٢ : ١٢٨) .

ومن خاصية الرسول ان يكون له شريعة مخصوصة ، والنبي قد لا يختص بشريعة بل يكون مجددا لشريعة من تقدمه[١] ولهذا قال " يحكم بها النبيون الذين اسلموا "[٢] والمرسل يقتضي معنيين : احدهما الاتيان بالرسالة ، والثاني الاطلاق له ان يسن السنن بالوحي، وذلك مشتق من قول الشاعر :

تضل المداري في مثنى ومرسل[٣]

واما اولو العزم من الرسل فهم المذكورون في قوله " واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم "[٤] وامر نبينا صلى الله عليه ان يقتدي بهم في قوله " فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل "[٥] ونهاه ان يتخذ من وقع منه زلة قدوة لقوله " فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت "[٦] .

باب الاحوال التي لا ينفك منها المرشح للنبوة :

حق كل من رشحه الله للنبوة ان يجتمع فيه خصال محمودة ولا تكاد مجتمعة في غيره .

---

(١) انظر المرجع المذكور (٢ : ١٢٨)، وانظر ايضا العقيدة الاسلامية (ص ٣٠٠) .

(٢) سورة المائدة : ٤٤ .

(٣) وفي الاصل تضل المداري النبي وامر المرسل . والصحيح ما ذكرته وهو عجز بيت امرئ القيس وصدره : غدائره مستشزرات الى العلا مداري جمع مدرى وهي مثل شوكة يخلل بها شعر المرأة ، مثنى اي بعضه متجعد ، ومرسل اي بعضه غير متجعد ، شرح ديوان امرئ القيس (ص ١٥٠) .

(٤) سورة الاحزاب : ٧ .

(٥) سورة الاحقاف : ٣٥ .

(٦) سورة القلم : ٤٨ .
صاحب الحوت هو يونس عليه السلام ، قال قتادة : ان الله يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويأمره بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت وغضب من اجل ربه حيث رفع العذاب عن قومه . فتح القدير (٥ : ٢٧٦) .

الاول : ان يكون من اشرف نسل حتى لا يكون عليه في ذلك غميزة [1] . وعلى هذا نبه بقوله تعالى : " ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض " [2] واصطفاؤهم هو تصفية طيبهم من الشوب وتهذيب انسابهم من الغميزة والعيب كالشئ يرجع الى اصله في الطيب والخبث ، ولهذا قال تعالى " والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا " [3]

والثاني : ان لا يكون مؤوفا [4] في بدنه ولا مشوها ، فقل ما يرى شوه بدن ولا يتبعه رداءة نفس ، بل يكون تام الاعضاء صحيح البنية وضئ البدن تواتيه اعضاؤه لكل ما يقصد بها فعله .

الثالث : ان يكون طاهر النفس من الاخلاق الدنيئة مختصا [5] بالاخلاق السنية ، وذلك بحصول اربعة من الفضائل تستتبع عشرين خصلة منها ، وبها يصير الانسان موصوفا على الحقيقة بحسن الخلق ، فالاربعة هي العفة والشجاعة والحكمة والعدالة .

فاما العفة : فتستتبع الامانة والحياء والرزانة [6] .

واما الشجاعة : فتستتبع الجود في السراء مع الشكر والاقتصاد في الضراء مع الصبر ، ثم الصبر يستتبع القناعة والرضا والتثبت عند وقوع البلاء وقلة المبالاة بالدنيا وقمع الشهوة عن استعبادها للعقل .

اما الحكمة فتستتبع قوة الحفظ والفهم والفكر والذكر بالقلب واللسان حتى لا ينسى ما يسمعه ويراه .

---

(١) الغميزة : الطعن . مختار الصحاح (ص ٢١١) .
(٢) سورة آل عمران : ٣٣ ، ٣٤ .
(٣) سورة الاعراف : ٥٨ . ومعنى " نكدا " بطيئا عديم النفع . جامع البيان (١ : ٢٢٤) .
(٤) وهو من الافة اى العاهة . مختار الصحاح (ص ٣١٣) .
(٥) في الاصل " مختصة " .
(٦) الرزانة : الوقار . مختار الصحاح (ص ٤٩٦) .

واما العدالة فتستتبع الحكمة والرحمة ولين الجانب وسهولة الطبع .

وبحصول هذه المعاني يحصل الحرية والظرف والمروءة والكرم ، فان الحرية هي ان يبتاع الانسان نفسه ويعتقها من رق الهوى ورذائله ، كما قال عليه السلام " الناس غاديان بائع[1] نفسه فموبقها ومبتاع نفسه فمعتقها "[2] والظرف : ان يصير وعاء للمحاسن فيحويها تشبيها بالظرف الذي هو الوعاء ، والمروءة ان يستطيل المحاسن كالكرم للعنب .

الرابع : ان يكون مايدعيه ويدعو اليه موافقا للعقل[3] فان من ادعى خلاف ذلك لا يصغى اليه ، كما ادعى زردشت[4] من الجهل بالصانع وهيئة العالم وشكلها .

---

(١) وفي الاصل " الناس غاد تان تابع " لعل هذا تصحيف من الناسخ والصحيح ماذكرته .

(٢) رواه احمد (٣ : ٣٢١) بلفظ " الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها وبائع نفسه فموبقها " وذكره السيوطي وعزاه الى ضياء المقدسي وابن حبان وابن ابي يعلى . الجامع الكبير (ص ٩٧٠) ، ورواه مسلم ولفظه " كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها " (١ : ٢٠٣) والترمذي (٥ : ٥٣٦) ، الدارمي (١ : ١٦٧) .

(٣) العقل ليس له دخل في الشريعة كما مر في صفحة (١٢٣) بل كثيرا من الامور الدينية لا يوافقها العقل كالرمل في الطواف ورمي الجمرات واستلام الركن وتقبيل الحجر ، ولهذا قال عمر رضي الله عنه للركن عند تقبيله : اما والله اني لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا اني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم استلمك ما استلمتك . رواه البخاري (٣ : ٤٧١) ومسلم (٢ : ٩٢٥) .

(٤) هو زرادشت بن اسبيمان وقيل انه زرادشت بن بورشف والاشهر هو الاول وهو نبي المجوس الذي اتاهم بالكتاب المعروف بالزمزمة عند العوام . واتى زرادشت عندهم بالمعجزات الباهرات للعقول . واخبر عن الكائنات من المغيبات قبل حدوثها ، ومعجم هذا الكتاب يدور على ستين حرفا من احرف المعجم ، وجعل له من التفسير وكتبه في اثني عشر الف مجلد بالذهب ، فيه وعد ووعيد ، وامر ونهي وغير ذلك من الشرائع والعبادات ، فلم تزل الملوك تعمل به الى عهد الاسكندر حتى احرق الاسكندر بعض هذا الكتاب . مروج الذهب (١ : ٢٢٩) ، الملل (٢ : ٧٧) .

ودعا الناس الى ما دعا اليه ماني[١] ومزدك[٢] ، فحرم ماني العمارة والمكاسب التي بها صلاح العالم ، واباح مزدك الزنا المؤدي الى فساد الانتساب فمثله لا يعرج عليه ولا يلتفت (اليه) .

والخامس : ان يكون في وقت يختل فيه الدين وتشتد الحاجة الى من يتداركه اما باصلاحه وتعيينه على ما كان واما بتغييره الى ما هو اصلح في وقته .

والسادس : ان يكون المكان المبعوث فيه مقتضيا لذلك .

والسابع : ان يكون من قبله من الانبياء قد بشر به تعريضا وعلى وجه يعرف مغزاه اولوا الاحلام واولوا الالباب ، كما نبه بقوله تعالى في قصة عيسى عليه السلام : " ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد "[٣] .

---

(١) هو ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان شابور بن ازدشير ، ثنوى تنسب اليه طائفة المانوية ، وكان مجوسي الاصل فاحدث دينا ودعا اليه ، وزعم ان صانع العالم اثنان احدهما فاعل الخير وهو نور وثانيهما فاعل الشر وهو الظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير وما زال الى ان قتل في زمان سابور بن بهرام . الملل (٢ : ٨١) وكان يرى قطع النسل وتعجيل فراغ العالم وفناءه . سرح العيون (ص ٢٨٨) نشأة الفكر للنشار (١ : ١٩٤) .

(٢) هو مزدك الذي ظهر في ايام قباذ والد انوشروان ، ودعا قباذ الى مذهبه فاجابه ، ولما اطلع انوشروان على خرافاته وخزعبلاته فقتله وحكى الوراق ان قول المزدكية كقول كثير من المانوية في الاصلين الا انه يقول ان النور يفعل بالقصد والظلمة وتفعل على خبط ، وكان مزدك ينهى الناس عن القتال والمخالفة ، ولما رأى ان اكثر ذلك انما يقع من النساء والاموال فاحل النساء واباح الاموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والكلأ . الملل (٢ : ٨٦) .

(٣) سورة الصف : ٦ .

والثامن : الامر الذي يأتيهم به هو الذي يتمناه أولوا الالباب في زمانه ، ويظهرون الرغبة فيه ، وعلى ذلك نبه بقوله تعالى " واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم"[1] .

والتاسع : ان يكون رشيدا اعني الرشد المذكور في قوله " ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين"[2] والرشد[3] : هو هيئة بها يقدر الانسان على ايجاد النظام المرضي فيما اليه تدبير من السياسات الثلاثة ، سياسة الانسان لنفسه ، وسياسة لماله وداره وسياسة للبلاد والعباد ، الا ان بين حصول الرشد للانبياء وبين حصوله لغيرهم ان المتولي لرشد الانبياء هو الروح الامين والمتولي لرشد غيرهم واحد من الادميين .

والعاشر : ان يؤخذ بادني زلة تقع منه وايسر هفوة تبدر ، لئلا تستمر به العادة فتؤدي الى ماهو اكبر منه ، ولهذا ماقرع داود عليه السلام بقصة الخصمين حتى قالا " احكم بيننا بالحق ولا تشطط"[4] وسليمان عليه السلام بان القي على كرسيه جسدا[5] ، ومحمد صلى الله عليه بان قال

---

(١) سورة فاطر : ٤٢ ، قال القرطبي : وكانت العرب تتمنى ان يكون منهم رسول كما كانت الرسل من بني اسرائيل (١٤ : ٣٥٨) .

(٢) سورة الانبياء : ٥١ .

(٣) الرشد قال الفراء : الهداية ، وقيل النبوة وقيل التوفيق للنظر والاستدلال له القرطبي (١١ : ٢٩٦) وقيل هو الاهتداء الى وجوه الصلاح في الدين والدنيا . روح المعاني (١٧ : ٥٨) .

(٤) سورة ص : ٢٢ .
لقد اورد المفسرون ههنا قصة اكثرها من الاسرائيليات ولا صحة لها وهو هراء وافتراء كما قال به البيضاوي (٧ : ٣٠٧) وقال ابن كثير : لم يثبت عن المعصوم صلى الله عليه وسلم حديث يجب اتباعه فالاولى ان يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وان يرد علمها الى الله عز وجل ، فان القرآن حق وماتضمن فهو حق ايضا (٤ : ٣١) .

(٥) اظهر ماقيل في فتنته عليه السلام انه قال : لاطوفن الليلة على سبعين امرأة او اربعين كما في البخاري ، تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة

" لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم"[1] .

والحادى عشر : ان يخصه الله تعالى بفضل اكرام وايجاب واجابة دعوة كما فعل لموسى عليه السلام حين قال : " رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى" الى قوله " قد اوتيت سؤلك يا موسى"[2] .

والثانى عشر : ان يمده الله بسكينة وروح من عنده ، وبنور يسرى فى مشاعره وحواسه[3] ، فيكون ذلك سببا لاستعطاف نفوس الورى اليه حتى لا يكاد ينظر اليه الا هابه وآثره واحبه وقدمه على النفس والاهل والولد وذلك هو المشار اليه بقوله تعالى لموسى" والقيت عليك محبة منى"[4] وقوله " وانا اخترتك"[5] وبقوله فى عيسى" وكلمته القاها الى مريم وروح منه"[6] وقوله لمحمد عليه السلام " كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا"[7] ولهذا

= وجاءت بشق رجله وقد روى ذلك الشيخان وغيرهما عن ابى هريرة مرفوعا وفيه " فوالذى نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهد وافرسانا" روح المعانى(٢٣ : ١٩٨) .

(١) سورة الانفال : ٦٨ .
وقد اخرج احمد عن انس رضى الله عنه قال : استشار النبى صلى الله عليه وسلم الناس فى الاسارى يوم بدر فقال ان الله قد امكنكم منهم ، فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله قد امكنكم منهم وانما هم اخوانكم بالامس ، فقام عمر فقال : يا رسول الله اضرب اعناقهم فاعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم ثم عاد فقال مثل ذلك فقام ابوبكر الصديق فقال يا رسول الله نرى ان تعفو عنهم وان تقبل منهم الفداء فعفا عنهم وقبل منهم الفداء فانزل الله تعالى" لولا كتاب من الله انظر ابن كثير(٢ : ٣٢٥)، فتح القدير (٢ : ٣٢٦) .

(٢) سورة طه : ٢٥ - ٣٦ .

(٣) وفى الاصل" مشاعرهم وحواسهم " .

(٤) سورة طه : ٣٩ .

(٥) سورة طه : ١٣ .

(٦) سورة النساء : ١٧١ .

(٧) سورة الشورى : ٥٢ .

روى ان نبينا صلى الله عليه [1] كان يأتيه من يريد قتله فما هو الا ان ينظر اليه وقد احبه وهابه .

ومن لم يؤت بصيرة يعرف بها هذه الفضائل وشاهد الاشباح المجردة والاجسام الممثلة اعترته الشبهة فيمن يأتيه الوحي من الله عز وجل وادعى السفارة بين الله وبين عبيده كما قال الله تعالى " وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون [2] .

---

(١) قد روى ابن اسحاق حديث سراقة بن مالك بن جعشم الطويل وفيه انه انطلق وراء الرسول صلى الله عليه وسلم لما خرج مهاجرا الى المدينة ليرده الى قريش وفيه قصة اسلامه انظر سيرة ابن هشام (٢ : ١١٣).
وكذلك اورد ابن حجر في المطالب العالية عن عبد الرحمن بن ابي عقيل الثقفي قال انطلقت في وفد ثقيف فاتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقمنا بالباب وما في الناس ابغض الينا من رجل نلج عليه فما خرجنا وفي الناس من رجل احب الينا من رجل دخلنا عليه .
(٤ : ٣٨٧) .

(٢) سورة المؤمنون : ٣٣ ، ٣٤ .

ذكر المعجزات للانبياء والكرامات للاولياء .

المعجزة : هي فعل ناقض للعادة تقصر عنه قوة البشر بالتدبير والصنعة ، ويختص بمن يدعي السفارة بين الله وبين البشر ، ومن انكر جواز المعجزة ممن يدفع النبوة[1] ، وقال هذا ممتنع ، فان كان ممن لا يقر بالباري سبحانه وسعة قدرته فمكالمته في تثبيت النبوة محاله وان كان ممن يقر بذلك فمعلوم ان القادر على ايجاد الجوهر واعدامه قادر على تغيير بعض خواصه ، وواجب لكل نبي ان يكون له معجزة تسكن نفوس البشر اليه فيما يدعوهم اليه .

والمعجزات ضربان : حسي وعقلي .

فالحسي : مايدرك بالعيان وتقع عليه المشاهدة كطوفان نوح وناقة (صالح) ونار ابراهيم وعصا موسى .

والعقلي[2] : مالا يدرك الا بالبصيرة والروية والفكرة كالخصائص التي تقدم ذكرها .

فاما الحسي فانه اوقع عند العامة وابهر لعقولهم الا ان التمييز بينه وبين مايكون من جهة التدبير والصناعة والعادة الجارية ليس الا للمبرز في العلم الذي يقوى للفرق بين الحجة والشبهة ، ويعرف طرق الشعبذة[3] وكيد السحر ومايتوصل اليه بالنيرنجات[4] والتوهميات .

واما العقلي فهو ابلغ في القوة وادل على الصدق وابعد من الشبهة لكن لا يعرفه الا عالم نحرير يكون متأملا لاحوال النبي المبعوث متعرفا لكل

---

(١) قد تقدم ان الذين ينكرون النبوة هم البراهمة . انظر (ص ١٢٧) .

(٢) وفي الاصل " العقل" .

(٣) الشعبذة : هو الاخذ بالعيون المخيلة لسرعة فعل صانعها برؤية الشيء على خلاف ماهو عليه . مفتاح السعادة (١ : ٣٦٩) .

(٤) وهو معرب نيرنك وهو التمويه والتخييل وهو اظهار غرائب الامتزاجات بين القوى الفاعلة والمنفعلة . مفتاح السعادة (١ : ٣٦٥) .

ماتقدم ذكره ، ولا تدخل للعامة من هذا من المعجزات لا في رؤيته ولا في الحكم عليه . واما الحسية فلهم تدخل في رؤيته دون الحكم بصحته ، فان العامة قليل الحظ في معرفة المعجزات ، ومن اعتمد المعجزة العقلية استفاد يقينا لا يعقبه شك ، ومن اعتمد المعجزة الحسية(١) فقد يعرض له الشك حتى ربما يزيد كقوم ثمود حيث اخبر الله تعالى بقوله " واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها"(٢) ومن عرف المعجزات المعقولة لم يركن الى المحسوسات ، بل اذا رأى صاحبها يدعي النبوة صدقه كما فعل ابو بكر الصديق رضي الله عنه فانه لما شاهد الخصال النبوية صدقه ، ولهذا قال عليه السلام " ماعرضت الاسلام على احد الا كانت له كبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعثم"(٣) .

والمعجزة للانبياء كالكرامة للاولياء ، وهما من حيث ان فيهما نقض العادة والخروج عن القدرة بالتدبير والصنعة ، غير ان المعجزة تظهر على الانبياء ابتداء ، والكرامة تظهر على الاولياء بعد الاجتهاد في العبادات ، وايضا فالمعجزة تكون معها التحدي والكرامة بخلاف ذلك .

وانكر المعتزلة كرامات الاولياء(٤) وكذبوا رواتها المدعين لمشاهدتها مع كونهم صادقين في جميع اخبارهم ، وقالوا ان ذلك لو ظهر على غير نبي وفي غير زمانه لادى الى التشكيك في امر النبوة .

وهذا جهل بحقيقة المعجزة وانما كان ذلك يلزم ان لو اظهره الله

---

(١) وفي الاصل " العقلية " .

(٢) سورة الاسراء : ٥٩ .

(٣) وكان في الاصل " فانه يتلشم " وهو خطأ ، ذكره السيوطي في الجامع الكبير (ص ٧٠٦) وعزاه الى الديلمي عن ابن مسعود وفيه نظرة بدل كبوة ، وايضا ابن هشام نحوه سيرة ابن هشام (١ : ٢٥٥) تلعثم في الامر : اذا تمكث فيه وتأنى . مختار الصحاح (ص ٤٧١) .

(٤) انظر موقفهم في اصول الدين (ص ١٧٥) ، الاربعين للرازي (ص ٣٨٤) الفتاوى (٣ : ١٥٦) .

على يد من يقوى به ويدعو الى نفسه ، فاما اذا اظهره على يد من يقوى به نبوة نبيه ويرغب الناس في عبادة الله ليقربوا من منزلته ، فذلك مقو للنبوة ، على ان الظهور في امة النبي صلى الله عليه كظهورها في زمانه على يد غيره ، ومعلوم ان ذلك قد ظهر في ازمنة الانبياء كقول من قال لسليمان عليه السلام : " انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك "(١) ويحكى عن مريم فيما كان يوجد عندها طعام الصيف في الشتاء ، وطعام الشتاء في الصيف ، وعلى ذلك قوله " انى لك هذا قالت هو من عند الله "(٢) ويقوى ذلك ما قال عليه السلام " ان في امتي لمحدثين ومروعين وان عمر رضي الله عنه منهم "(٣) ومتى ظهر شئ من ذلك على بعض امة محمد كان ذلك تصديقا وتحقيقا لما اخبره .

شرط المعجزة :

ان تكون موافقة لطباع المبعوث اليهم وملائمة لعقولهم ، ولهذا كان اكثر آيات موسى عليه السلام حسية ليدركوها بحواسهم ، فقد كانوا لغباوتهم يقصرون عن ادراك المعقولات ، وكان اكثر معجزات النبي صلى الله عليه معقولة لكون جل اصحابه ذوى العقول الراجحة ، وقد اجرى الله

---

(١) سورة النمل : ٤٠ .
الذى قال هذا اسمه آصف بن برخيا وهو من بني اسرائيل وكان وزيرا لسليمان وكان يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى . وقيل هو جبريل وقيل الخضر ، والصواب الاوله فتح القدير (٤ : ١٣٩) .

(٢) سورة آل عمران : ٣٧ .

(٣) روى البخاري (٦ : ٥١٢) ، ومسلم (٤ : ١٨٦٤) والبيهقي في الاعتقاد (ص ١٥٨) عن ابى هريرة نحوه وليس فيه لفظ " مروعين " وذكره ابو عبيد البكري في كتابه فصل المقال وقال : يروى من طرق مختلفة عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان فيمن كان قبلكم من الامم ناس محدثون - وفي رواية - رجال يكلمون - من غير ان يكونوا انبياء فان يكن في امتي منهم احد فعمر ويروى - لم تكن امة الا وفيها مروعون فان يكن في هذه الامة مروع فانه عمر بن الخطاب (ص ١٥) . محدثون ومروعون : ملهمون .

تعالى العادة انه اذا اراد ان يبعث نبيا الى خلقه ان يجعل معجزته من جنس مابرع فيه قومه ، حتى اذا جاءهم ذلك النبي صلى الله عليه بمعجزته سهل عليهم معرفتها وعلو مرتبته فيها ، وذلك مستحق باعتبار ازمنة التي ظهرت فيها النبوات ، وذلك ان قبل زمن موسى عليه السلام ظهر السحرة وتوفرت دواعي الناس حتى بلغوا[1] فيها الغاية ، فلما جاءهم موسى عليه السلام بما كان من الظاهر شبيها بصناعتهم فعلاهم وعجزوا عن الاتيان بمثله ، فاقروا بالعجز عنه واعترفوا بالاذعان له ، فقالوا " آمنا برب العالمين رب موسى وهارون "[2] وكذلك ظهر قبل زمان عيسى عليه السلام الطب وتوفرت عليه دواعي الناس حتى لم يعهد الطب في زمن اكثر منه في زمانه فلما جاء بالمعجزة من عنده ولم يكن في طوق مثله اذعنوا له ، ولهذا لما حكى لجالينوس[3] عن عيسى عليه السلام في معالجة الابرص استعظامه ولم يقربه فلما (اخبر) انه يحيي الموتى اذعن له واعترف به ، وكذلك ظهر قبل زمان نبينا عليه السلام نوعان من العلم توفرت عليه دواعي الناس ، احدهما عقلي وهو الكهانة[4] والقيافة[5] والعرافة[6] وتعبير الرؤيا ، والاخر لفظي وهو توالي نظم

---

(١) وفي الاصل " يلفوا " .

(٢) سورة الاعراف : ١٢٢ .

(٣) هو الحكيم الفيلسوف اليوناني امام الاطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في عصره مؤلف الكتب القيمة ولا اعلم بعد ارسطو اعلم بالطبيعي ممن هذين : بقراط وجالينوس . وبينه وبين المسيح عليه السلام سبع وخمسون سنة ، المسيح عليه السلام اقدم منه ، مفتاح السعادة (١ : ٣٢٧)، فهرست ابن النديم (ص ٤٠٢)، تاريخ الحكماء (ص ١٢٢) مرج العيون (ص ٢١٨) .

(٤) هو الاخبار عن المغيبات قبل وقوعها . مروج الذهب (٢ : ١٧٢) مفتاح السعادة (١ : ٣٦٤)،

(٥) وهي قسمان : قيافة الاثر : وهو علم باحث عن تتبع اثار الاقدام والاخفاف والحوافر على الطرق القابلة للاثر .
قيافة البشر : وهو علم باحث عن كيفية الاستدلال بهيئات الاعضاء في الانسان على الاشتراك في النسب والولاء وفي سائر الاخلاق والاحوال . مفتاح السعادة (١ : ٣٥٣) .

(٦) هو الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الاتية بمناسبة بينهما . المرجع السابق (١ : ٣٥٧) .

الالفاظ من الشعر والسجع[1] وارتجال الخطب فما عرف في زمن من قوة الكهانة والعرافة والفصاحة ماكان في زمن النبي صلى الله عليه فلما جاءهم عليه السلام بما كان من جنس صناعتهم فاعجزهم اذعنوا له ، وكان عليه السلام يقرعهم بالعجز والتقصير ويبعث خاطرهم على الاتيان بمثله تأكيدا عليهم فما[2] زادوه على ان قال معاندوه مرة " لو نشاء لقلنا مثل هذا "[3] وتارة قالوا " لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة "[4] وتارة قالوا " ائت بقرآن غير هذا "[5] .

الفرق بين النبي والمتنبي :

والفرق بينهما وان كان يدق عند العامة ، فانه ظاهر عند الحكماء ومن تعرى من الخصائص التي ذكرناها للانبياء عليهم السلام فمعلوم انه متنبي متكلف لما يظهره من ذلك ولن يخلو من ظهور تكلفه وافصاحه به .

ان التخلق يأتي دونه الخلق[6]

ثم محال ان يمكنه الله تعالى من معجزة ، وان اتى سحرا وشعبذة واشياء من النزنجات[7] لن يخفى امره على حكماء زمانه وان خفي على الاغبياء .

صحة نبوة محمد صلى الله عليه :

من عرف الشرائط المتقدمة سهل عليه معرفة صحة نبوة محمد صلى

---

(١) كان في الاصل " السمع " .
(٢) في الاصل " فلما " .
(٣) سورة الانفال : ٣١ .
(٤) سورة الفرقان : ٣٢ .
(٥) سورة يونس : ١٥ .
(٦) هذا عجز بيت للعرجي، انظر الشعر والشعراء (ص ٤ ٢ ٢)، العقد الفريد (٢ : ٢٤)، شرح ابيات المغني للبيب (٣ : ٢٤٣)، وجاء نسبتها الى سالم بن وابصة ، انظر اللسان (خلق) واورده المؤلف في المحاضرات بدون نسبته الى قائل (١ : ٢٧٦) .
(٧) تقدم معنى شعبذه ونيرنجات (ص ١٣٨) .

الله عليه وسلم ، فقد كان من اشرف نسل عمومه وخؤوله[1] ، فمن تأمل احوال الامم عرف صحة قوله عليه السلام " ان الله اصطفى العرب من بني آدم واصطفى كنانة من العرب واصطفى بني هاشم من كنانة واصطفاني من بني هاشم "[2] وكان موصوفا بالخلق السوي على مانطق به الاخبار المروية[3] وكان في الغاية من حسن الخلق حتى قال جل وعز له " وانك لعلى خلق عظيم "[4] . ودعا الى ما اقتضت العقول الصحيحة من العلوم النظرية والعملية . وكان زمانه مقتضيا لمجيء رسول فيه لانهم كانوا على فترة من الرسل ولذلك قال تعالى : " قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ماجاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير "[5] وكان يتمنى مجيئه كما قال تعالى : " واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم "[6] وكان مكانه الذي ظهر منه لائقا بذلك لكونه مجمعا ، ولذلك قال تعالى : " وكذلك اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى ومن حولها "[7] .

---

(١) هو خير اهل الارض نسبا على الاطلاق، قد شهد له به عدوه اذ ذاك ابو سفيان بين يدي ملك الروم فقال اشرف القوم قومه ، واشرف القبائل قبيلته ، واشرف الافخاذ فخذه ، وامه امنة بنت وهب بن عبد مناف فهي يومئذ افضل امرأة في قريش نسبا وموضعا . زاد المعاد (١ : ٢٨) ، سيرة ابن هشام (١ : ٩ ، ١٦٣) .

(٢) رواه مسلم بلفظ يقاربه (٤ : ١٧٨٢)، الترمذي (٥ : ٥٨٣) وقال حسن صحيح ، واحمد (٤ : ١٠٧) .

(٣) روى مسلم عن عائشة قالت : " فان خلق النبي صلى الله عليه وسلم كان القرآن " (١ : ٥١٣)، وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا (١ : ٤٥٧)، وغير ذلك من الاحاديث .

(٤) سورة القلم : ٤ .

(٥) سورة المائدة : ١٩ .

(٦) سورة فاطر : ٤٢ .

(٧) سورة الشورى : ٧ .

واما المعجزات الحسية فظاهرة ، كحنين الجذع[١] ، وكلام الذئب[٢] وتسبيح الحصا في يده[٣] ، وانشقاق القمر[٤] ، ومجيء الشجرة[٥]

---

(١) روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما "كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه ، فحن الجذع فاتاه فمسح يده عليه" (٦ : ٦٠١)، وابو نعيم في دلائل النبوة (٢ : ١٤٢) .

(٢) عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم اقبل على الناس فقال : بينا رجل يسوق بقرة اذا ركبها فضربها ، فقالت : انا لم نخلق لهذا انما خلقنا للحرث فقال الناس : سبحان الله ، بقرة تكلم ، فقال فاني اؤمن بهذا انا وابو بكر وعمر وماهما ثم ، وبينما رجل في غنمه اذ عدا الذئب فذهب منها بشاة ، فطلب حتى كانه استنقذها منه ، فقال له الذئب هذا استنقذتها مني ، فمن لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري فقال الناس سبحان الله ذئب يتكلم ، قال فاني اؤمن بهذا انا وابو بكر وعمر ، وماهما ثم . رواه البخاري (٦ : ٥١٢) .

(٣) ذكر ابن كثير عن ابي ذر رضي الله عنه : "وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات او قال تسع حصيات فاخذهن في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخل ثم وضعهن فخرسن ، ثم اخذهن فوضعهن في كف ابي بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخله ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخله ثم وضعهن فخرسن ، ثم تناولهن فوضعهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النخله ثم وضعهن فخرسن ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه خلافة النبوة" الحديث وعزاه الى البيهقي في البداية (٦ : ١٣٢) .

(٤) قال ابن مسعود رضي الله عنه : "انشق القمر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم شقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشهدوا" رواه البخاري (٦ : ٦٣٠)، مسلم (٤ : ٢١٥٨) .

(٥) روى مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه قال : سرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلنا واديا افيح فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فاتبعته باداوة من ماء فنظر فلم ير شيئا يستتر به ، واذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق الى احداهما فاخذ بغصن من اغصانها ، وقال انقادي علي باذن الله =

وكلام الذراع المسمومة معه[١] ، ونبوع الماء[٢] من تحت اصابعه ، ودر الشاة الحائل لما مسحها[٣] وغير ذلك مما نقله اصحاب الحديث ، ثم ماروى من اخباره/ بالغيب اكثر من ان تحصي، نحو قوله :" قوموا بنا نصلي على ملك الحبشة فانه مات"[٤] وقوله لرسول[٥] ملك الفرس :" ان ربي قتل ربك البارحة"[٦] وقوله لعمار[٧] :

= فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده ، حتى اتى الشجرة الاخرى فاخذ بغصن من اغصانها ، وقال انقادي علي باذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى اذا كان بالمنتصف فيما بينهما لأم بينهما - يعني جمعهما - وقال : التئما علي باذن الله فالتأما" الحديث بطوله (٤ : ٢٣٠٦)

(١) اخرجه ابو داود عن جابر رضي الله عنه (٣ : ٣٥١) .

(٢) عن انس رضي الله عنه قال : اتي النبي صلى الله عليه وسلم باناء وهو بالزوراء فوضع يده في الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ القوم . رواه البخاري (٦ : ٥٨٠) ومسلم (٤ : ١٧٨٣) .

(٣) ماروي احمد رحمه الله في مسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كنت ارعي غنما لعقبة بن ابي معيط ، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر ، فقال ياغلام هل من لبن قال قلت نعم ولكني مؤتمن قال : فهل من شاة لم ينز عليها الفحل فاتيته بشاة فمسح ضرعها فنزل لبن . الحديث (١ : ٣٧٩) .

(٤) رواه البخاري (٧ : ١٩١) ومسلم (٢ : ٦٥٨)، والنسائي (٤ : ٧٠) واحمد (٣ : ٤٣٨) بلفظ قريب منه .

(٥) في الاصل" لسؤل" .

(٦) اورده السيوطي في الخصائص الكبرى وعزاه الى البزار والبيهقي وابي نعيم (٢ : ١٣٢)، وقد ذكره المؤلف في المحاضرات (٤ : ٤٣٠)

(٧) هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي ابو اليقظان وامه سمية ، وكان من السابقين الاولين هو وابوه وكانوا ممن يعذب في الله ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر عليهم فيقول صبرا آل ياسر موعدكم الجنة ، اختلف في هجرته الى الحبشة وهاجر الى المدينة وشهد المشاهد كلها ، ثم شهد اليمامة فقطعت اذنه بها ، وقتل في صفين سنة ٨٧هـ . الاصابة (٢ : ٥١٢) الاستيعاب (٢ : ٤٧٦)، الطبقات (٣ : ٢٤٦) .

" تقتلك الفئة الباغية"[1][2] الى غير ذلك من الاخبار التي جمعها اصحاب الحديث .

ومن معجزات نبينا محمد صلى الله عليه اتيانه بالقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتقريع بالعجز عن الاتيان بمثله[3] او بمثل عشر سور[4] أو سورة واحدة مثله[5] مع كون العرب في وقته ارباب الكلام وحذاق اهل الصناعة لنظم الخطب والرسائل واتيان السجع ، وكان ما اتى به من القرآن متضمنا لاجناس كلامهم من وجه وخارجا من كلامهم من وجه فقصرت الفصحاء عن اختراع مثله حسن لفظ وجودة معنى وتضمن من الاخبار بالغيب ماقصر عن الاتيان بمثله الكهنة والعرافون والمنجمون، ومن الحكم البديعة المزجرة ماعجز عنه الحكماء البرعة فصار لتضمنه انواع المحاسن من كل وجه بحيث وصفه تعالى بانه تبيان لكل شيء[6] وقوله " مافرطنا في الكتاب من شيء"[7] ولذلك اشار تعالى بقوله الى الاكتفاء بالاستدلال به " او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم"[8] وشرح ذلك يستدعي كتابا حجمه ايطول وقد نصت عليه كتب كثيرة والله الموفق للصواب .

---

(١) كان في الاصل " سلك" وهو تحريف .

(٢) رواه البخاري (١ : ٥٤١)، ومسلم (٤ : ٢٢٣٥)، واحمد (٢ : ١٦١) والترمذي (٥ : ٦٦٩)، وقال حديث حسن صحيح ، وابن سعد الطبقات (٣ : ٢٤٨) .

(٣) كما قال تعالى " قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله " . سورة الاسراء : ٨٨ .

(٤) " قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله " هود : ١٣ .

(٥) " وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين" البقرة : ٢٣ .

(٦) قال تعالى : " ونزلنا عليك الكتب تبيانا لكل شيء " النحل : ٨٩ .

(٧) سورة الانعام : ٣٨ .

(٨) سورة العنكبوت : ٥١ .

كون الاسلام مؤيدا .

قد دل على ذلك السمع والعقل .

اما السمع فقوله تعالى في صفة محمد عليه السلام انه " خاتم النبيين"[١] وقوله عليه السلام : " انه لا نبي بعدي"[٢] وغير ذلك من الاخبار والعقل مانبه تعالى عليه بقوله : " وكذلك جعلناكم امة وسطا"[٣] وقوله " دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا"[٤] وبيان (ذلك) ان اديان الانبياء بعد ابراهيم عليه السلام تجري من نفوس البشر مجرى الطب للاطباء فمابد انهم وبهذا التشبيه روى ان المسيح عليه السلام كان اذا دخل قرية نزل على اشرارهم وقال" اني طبيب والعليل احوج الي من الصحيح"[٥] وقيل : العالم طبيب الدنيا والدين، فاذا جر الطبيب الداء الي نفسه فكيف يداوي غيره ولاجل ذلك سمي الكفر والنفاق مرضا في نحو قوله : " في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا"[٦] .

وهو ضربان : ازالة الامراض بالدواء، وحفظ الصحة بالغذاء، والغذاء يحتاج اليه في كل حاله والشرائع التي كانت قبل الاسلام جرت من نفوس الناس مجرى الدواء، اما معالجة افراط او معالجة تفريط، وذلك ان بني اسرائيل كان قد حمل منهم الحمية لما لحقهم من جهة القبط، فانهم كانوا يسومونهم سوء العذاب يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم[٧]، فبعث الله موسى عليه السلام لينقذهم من المذلة ويحيي فيهم قوة الحمية ، والى ذلك اشار تعالى بقوله : " ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من

---

(١) سورة الاحزاب : ٤٠ .
(٢) رواه البخاري (١٠ : ٥٧٧)، ومسلم (٣ : ١٤٧١) .
(٣) سورة البقرة : ١٤٣ .
(٤) سورة الانعام : ١٦١ .
(٥) انجيل متى الاصحاح ٩ آية ١٠ .
(٦) سورة البقرة : ١٠ .
(٧) كما قال تعالى" واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم" . البقرة : ٤٩ .

الظلمات الى النور"[1] ولذلك اباح لهم الاطعمة الخشنة والاكسية الخشنة وحملهم على الاسفار الشاقة وحرم عليهم استيطان البلد ان اربعين سنة يتيهون في الارض ، وقيل لهم اقتلوا انفسكم فروى انهم تقاتلوا حتى قتل منهم سبعون الفا[2] ، فلما شبوا على ذلك وطالت مدتهم وتعدوا اطوارهم فصاروا كما قال تعالى : " او كلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون"[3] فاحتيج الى مداواة ذلك الافراط[4] بما يضاده من التفريط ، كمداواة الحرارة المفرطة بما يضادها ، فبذلك يعود حاله الى حد الاعتدال ه كذلك الضلال[5] الدين لما فسد بالافراط احتيج في رده الى حد الاعتدال ان يداوى بما يضاده من التفريط ، فبعث الله تعالى عيسى بشريعة اقتضت خمود شهوتهم وكلال[6] قوتهم ، فامرهم بالزهد في الدنيا والاقتصاد في المطعم والمشرب والمنكح ، واحتمال الفظاظة والتزام المهانة حتى قال لهم : اذا لطم الواحد منكم في احد خديه فليمكن الخد الاخر حتى يلطم ، واذا سخرت ميلا[7] فتسخر ميلين"[8] ولذلك قال تعالى " وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم"[9] وقال " وجعلنا في قلوب الذين

---

(١) سورة ابراهيم : ٥ .
(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه : مات اكثر بني اسرائيل في تلك المدة وانه لم يبق منه احد سوى يوشع وكالب ، وروى عنه ايضا قال هلك موسى وهارون وكل من جاوز الاربعين سنة . انظر تفسير القرطبي (٦ : ١٣٠)، وابن كثير (٢ : ٤٠)، واما العدد المذكور فلم اقف عليه .
(٣) سورة البقرة : ٨٧ .
(٤) في الاصل " الافراد " والصحيح ما اثبت .
(٥) في الاصل " حد " والصحيح ماذكرت .
(٦) كل كلالا : اعيا . مختار الصحاح (ص ٢٠ ٤) .
(٧) في الاصل " مثلا فتسخر مثلهن" .
(٨) انجيل متى الاصحاح ٥ آية ٣٨ .
(٩) سورة المائدة : ٤٦ .

اتبعوه رأفة ورحمة"[١] كل ذلك لقمع شهوتهم وكف غرثهم حتى ظهر بهذه المداواة الاعتدال . فلما رجعت نفوسهم الى حالة الاعتدال احتيج الى طبيب يأتيهم بغذاء يحفظ عليهم الصحة ، فبعث محمدا صلى الله عليه بدين قيم ووسط معتدل لا افراط فيه ولا تفريط وذلك (دين ابراهيم)[٢] عليه السلام ، ولذلك قال تعالى :" دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا"[٣] وقال " ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل"[٤] والى نحو هذا اشار النبي صلى الله عليه " ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض"[٥] تنبيها انها قد عادت الى الحق المشار اليه بقوله :" يوم خلق السموات والارض"[٦] فامر بالقتل تارة وبالعفو تارة ، وبالصوم تارة وبالافطار اخرى وبالنكاح مرة وتركه اخرى ، ولذلك قال" كنتم خير امة اخرجت للناس"[٧] وقال :" وكذلك جعلناكم امة وسطا"[٨] فدل ذلك ان دينه عدل ووسط ، وكل عدل حق ومابعد الحق الا الضلال ، فاذا واجب تنقية هذا الدين ومراعاته في كل حال وحفظه عن العدول عنه في كل زمان .

---

(١) سورة الحديد : ٢٧ .
(٢) مابين الهلالين كان في الاصل" وبرهيم" .
(٣) سورة الانعام : ١٦١ .
(٤) سورة الحج : ٧٨ .
(٥) رواه البخاري واستدل به على ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، ووقع في حديث ابن عمر عند ابن مردويه " ان الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والارض" وذكر الطبري في سبب ذلك : كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ومن وجه آخر كانوا يجعلون السنة اثني عشر شهرا وخمسة وعشرين يوما ، فتدور الايام والشهور كذلك . الفتح (٨ : ٣٢٤) .
(٦) سورة التوبة : ٣٦ .
(٧) سورة آل عمران : ١١٠ .
(٨) سورة البقرة : ١٤٣ .

الكلام في الوحي.[1]

الاصل في الوحي الاشارة اللطيفة ، وذلك يكون بالاشارة طورا وبالقول وبالكتاب وبضرب المثل ، وعلى ذلك قال تعالى :" فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا"[2] قال الشاعر في وصف ظليم[3] :

يوحي اليها بانقاض ونقنقة كما تراطن في افدانه الروم[4]

وقيل : لا يعرف الوحي من الكي الى الاشارة من الكشف ، يقال وحى واوحى اكثر ، قال تعالى :" وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم"[5] ويعبر بالوحي عن الالهام الملقى الى الحيوانات والبشر ، نحو" و اوحى ربك الى النحل"[6] وقوله :" و اوحينا الى ام موسى ان ارضعيه"[7] .

والوحي من الله تعالى الى عباده ربما كان نفثا وقذفا في القلب وربما كان سمعا في الاذن من غير رؤية ، وربما كان بلسان شخص مرئي يشافه بما يوديه عن الله تعالى الى النبي المبعوث اليه ، فادنى هذه المنازل الثلاثة النفث ، نحو ماروى عنه عليه السلام :" ان روح القدس نفث[8] في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب"[9] ثم

---

(١) الوحي لغة : الاعلام في خفاء ، وشرعا : الاعلام بالشرع . فتح الباري (١ : ٩) .

(٢) سورة مريم : ١١ .

(٣) الظليم : الذكر من النعام . مختار الصحاح (ص ٤٥٨) .

(٤) هذا البيت لعلقمة ، الانقاض والنقنقة صوت الظليم ، تراطن الروم : مالا يفهم من كلامهم ، والافدان جمع فدن وهو القصر . انظر ديوان علقمة الفحل تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب (ص ٦٢) .

(٥) سورة الانعام : ١٢١ .

(٦) سورة النحل : ٦٨ .

(٧) سورة القصص : ٧ .

(٨) في الاصل" نفث" .

(٩) رواه ابو نعيم في الحلية (١٠ : ٢٧)، والشافعي في الرسالة (ص ٣٢١) وذكره ابن كثير وعزاه الى ابن حبان تفسير ابن كثير (١ : ١٢٣)، قال ابن حجر في الفتح : اخرجه ابن ابي الدنيا وصححه الحاكم من طريق =

ماكان ملقى بالسمع، ثم ماكان من قول شخص مرئي، والاول مبدا الثاني والثالث وقد ابان الله تعالى عن ثلاثته بقوله : " وماكان لبشر ان يكلمه اللـه الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء"(١) وقد غلب على نبينا عليه (الصلاة والسلام) الوحي الى قلبه [illegible] وعلى ذلك قوله تعالى : " فانه نزله على قلبك باذن الله "(٢) وكان عليه السلام ربما يأتيه جبرئيل في صورة بعض الاعراب،(٣) وفي صورة دحية الكلبي،(٤) ولقيه في بعض الاوقات على هيئته وصورته المختصة،(٥) قال بعض الحكماء : ان النبي صلى الله عليه لم يكن يخلو في عامة اوقاته من نفث روح القدس في روعه ، واما سماع الصوت ورؤية الشخص فقد كان حينا بعد حين، ومن خصه الله بمأثرة النبوة ووفر حظه من الرسالة ناله من ثقل الوحي مايكابده(٦) ، فقد روي عن الانبياء عليهم السلام انه كان يعتريهم عند الوحي نوع من التغير،(٧) الا انه لم يبلغ ماكان ينالهم مبلغ ماوصف به نبينا

= ابن مسعود (١ : ٢٠)، وذكره العجلوني وعزاه الى الطبراني والبزار ومسند الفردوس . كشف الخفاء (١ : ٢٢١) .

(١) سورة الشورى : ٥١ .

(٢) سورة البقرة : ٩٧ .

(٣) فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها ان الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحي فقال - وفيه - واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي مايقول . الفتح (١ : ١٨)، ومسلم عنها " كان يأتيه في صورة الرجال" (١ : ١٦١) .

(٤) كما روى احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية (٢ : ١٠٧) . وابن بطة (ل ١٠٦) .

(٥) قد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم ولكنه قد رأى جبريل في صورته وخلقه سادا مابين الافق . الفتح (٦ : ٣١٣) .

(٦) كابد الامر : قاسى شدته . مختار الصحاح (ص ١٢٠) .

(٧) روى مسلم في صحيحه : كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه ، وفي رواية نكس رأسه (٤ : ١٨١٧) . =

عليه السلام، فقد روى انه ربما كان يحتاج عند نزول الوحي عليه الى تزمل وتدثر،[١] حتى صار ذلك من حاله وصفا مختصا به ، ولذلك قال تعالى " يا ايها المدثر"[٢] و" يا ايها المزمل"[٣] وروى انه كان اذا نزل عليه الوحي وهو على راحلته ثقل عليها حتى بركت لعجزها عن حمله[٤] ، وكان ذلك امرا بينا ، ولاجل هذا الثقل قال تعالى" انا سنلقي عليك قولا ثقيلا"[٥] وروى انه عليه السلام كان يأتيه الوحي في اليوم الشتائي فلا يزال يعرق حتى تبتل ثيابه[٦] ، وروت عائشة[٧] رضي الله عنها ان الحرث[٨] بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه عن الوحي كيف يأتيه فقال عليه السلام :" احيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشد مايكون علي فيفصم عني وقد وعيته ، واحيانا

= وجاء في انجيل برنابا في عيسى عليه السلام انه لما بلغ ثلاثين سنة وتلقى من جبريل كتابا على جبل الزيتون وعلم انه نبي مرسل فقال انه يترتب عليه احتمال اضطهاد عظيم لمجد الله . (ص ١١) .

(١) روى مسلم عن جابر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي قال : فبينا انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاء في بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه فرقا فرجعت فقلت زملوني زملوني - وفي رواية - دثروني دثروني (١ : ١٤٣) .

(٢) سورة المدثر : ١ .

(٣) سورة المزمل : ١ .

(٤) كما جاء في الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اوحي اليه وهو على ناقته وضعت جرانها - يعني صدرها - على الارض ، فما تستطيع ان تتحرك حتى يسترى عنه . القرطبي (١٩ : ٣٨) .

(٥) سورة المزمل : ٥ .

(٦) روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها بلفظ : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا (١ : ١٨) .

(٧) هي ام المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه توفيت سنة ٥٨هـ وصلى عليها ابو هريرة . الاصابة (٣ : ٣٥٩)، الاستيعاب (٣ : ٣٥٦) .

(٨) هو ابو عبد الرحمن المخزومي، شقيق ابي جهل اسلم يوم الفتح وكان من فضلاء الصحابة واستشهد في فتوح الشام في طاعون عمواس سنة ١٨هـ . الاصابة (١ : ٢٩٣)، الاستيعاب (١ : ٣٠٨) .

يتمثل لي الملك (رجلا) فاعي مايقول"[١] وقد جعل النبي صلى الله عليه المنام الصادق جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة[٢]، وقد جعل الله هذا الجزء من النبوة لكثير من الناس وان اختلفت احوالهم فيه ، وقد اخبر الله تعالى بان ذلك بعض ما خص به النبي من الوحي اليه بقوله تعالى : " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق"[٣] الاية .

عصمة الانبياء عليهم السلام .

العصمة في اللغة : المنع الشديد ، اما بالقهر واما بالزجر والامر.

وقد اجمع (العلماء) على ان النبي من حقه ان يكون معصوما عن الكفر والفسق والكذب في اوامره والجهل باحكامه ، لكن اختلفوا في وجه عصمتهم :

فقال قائل : هي فعل يوقعه الله تعالى فيهم يمنعهم عن المعاصي[٤].

وقال قائل : ينزع هممهم عنها[٥] بآياته الباهرة ، كما قال يوسف عليه السلام حيث قال : " ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه"[٦] .

وقال بعضهم : يأخذ اياهم لصغائر اجرامهم حتى يصير ذلك مانعا لهم[٧] .

وقائل قال : بل ذلك باختيارهم وعزيمتهم[٨] .

وعند المحققين : ان عصمتهم بتخصيصهم بالخصال المذكورة في الباب المتقدم في صفة المستصلح للنبوة .

---

(١) رواه البخاري (١ : ١٨)، ومسلم (٤ : ١٨١٧) .
(٢) رواه البخاري (١٢ : ٣٧٣)، ومسلم (٤ : ١٧٧٣) .
(٣) سورة الفتح : ٢٧ ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم " رؤيا الانبياء وحي" مسند الحميدي (١ : ٢٢٤) .
(٤) قال به الاشاعرة . انظر شرح المواقف (٨ : ٢٨٠) .
(٥) انظر كشاف اصطلاح الفنون (٤ : ١٠٤٧)، شرح المواقف (٨ : ٢٨١).
(٦) سورة يوسف : ٢٤ .
(٧) هذا عند الحكماء . انظر شرح المواقف (٨ : ٢٨١) .
(٨) انظر شرح عبد السلام على جوهرة التوحيد (ص ١٨٠)، شرح الباجوري عليه (ص ٢٧٤) .

فاما من قال : هم ممنوعون عن الذنوب حتى لا يقدروا عليها بخطأ فان الله تعالى خلق الانسان حيا ناطقا مميزا مختارا فقال : " انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا "[١] وقال : " الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين "[٢] واخراج الانسان عن هذه البينة المخصوصة اخراج له عن الانسانية ، فان ذلك من خصائص الانسان ، ولذلك قال تعالى " قل انما انا بشر مثلكم "[٣] ومن لا يمكن المعصية منه فليس بواجب وقوع الطاعة منه ، لانهما متقابلان ، ومن فعل فعلا انطباعا لم يوصف بكونه مطيعا ولا استحق عليه ثوابا ، و (لو) لم يكن النبي صلى الله عليه قادرا على المعصية لم يقل : " لئن اشركت ليحبطن عملك "[٤] الى غير ذلك من الوعيد ولذلك لا يصح ان يقال انه كان مصروفا عن الشر قهرا ، فان ذلك يخرجه من كونه مستحقا للثواب،[٥] وقوله " وهم بها لولا ان رأى برهان ربه "[٦] يقتضي ان لم يكن منه هم لتذكره برهان ربه ، ولو هم كما همت لما قال

---

(١) سورة الدهر : ٣ .
(٢) سورة البلد : ٩ .
(٣) سورة الكهف : ١١٠ .
(٤) سورة الزمر : ٦٥ .
الانبياء هل يجوز عليهم ارتكاب المعاصي، هذه المسألة مختلف فيها .
ذهبت طائفة الى ان رسل الله يعصون الله في جميع الكبائر والصغائر عمدا حاشى الكذب في التبليغ فقط ، هذا قول الكرامية من المرجئة وقول الباقلاني وهو قول اليهود والنصارى .
وذهبت طائفة الى ان الرسل لا يجوز عليهم كبيرة من الكبائر اصلا وجوزوا عليهم الصغائر بالعمد وهو قول ابن فورك .
وذهبت جميع اهل الاسلام من اهل السنة الى انه لا يجوز البتة ان يقع من نبي اطلا معصية لا صغيرة ولا كبيرة وهو الراجح ، ويقع منهم السهو عن غير قصد ، ويقع منهم ايضا قصد الشئ يريدون به وجه الله فيوافق خلاف مراد الله تعالى الا انه لا يقرهم على هذا بل ينبئهم على ذلك . الفصل (٤ : ٢) ، الفتاوى (٤ : ٣١٩) .
(٥) قارن بالجرجاني في شرح المواقف (٨ : ٢٨١) .
(٦) سورة يوسف : ٢٤ .

" ولقد راودته عن نفسه فاستعصم"[١] ولا يمكن لاحد ان يستعصم باختياره المجرد ، والله تعالى يقول لنبيه عليه السلام : " ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا"[٢] فثبت بهذه الجملة ان العصمة تحصل باجتماع امور كثيرة على حسب ماتقدم ذكره ، فان الله تعالى جعل جبلة الناس متفاوتة ، كما قال الله تعالى" ورفع بعضكم فوق بعض درجات"[٣] فجعل بعضهم للحرب اصلح ، وبعضهم للحرث وبعضهم للعلم ، فكذلك جعل بعضهم للنبوة والرسالة ، وعلى هذا قال : " انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار"[٤] .

---

(١) سورة يوسف : ٣٢ .
(٢) سورة الاسراء : ٧٤ .
(٣) سورة الانعام : ١٦٥ .
(٤) سورة ص : ٤٦ ، ٤٧ .

الفصل الرابع

في الملائكة والجن واثبات الروحانيات وانواعهـــــا

جل العقلاء على ان الاعيان الموجودة ثلاثة : جسماني مجـــــرد وجسماني روحاني كانسان، وروحاني مجرد وهم الملائكة والجن ، ولا خلاف بين اهل الملل المختلفة المحقة والمبطلة في وجود الملك والشيطان وهمـــــا المسميان عند المتقدمين الارواح الطيبة والارواح الخبيثة[1]، ومن انكر وجود ها من الطبيعيين اعتمادا على انا لسنا نتصورها ، وعدوا كل ما ذكر في تأثيراتهـــا اباطيل، ولا اعتبار بهؤلاء ، فان تصور الشئ بالوهم يتبع الحس وما لا يحــس لا تتصوره النفس وانما اثبته العقل بالبراهين والادلة[2] .

وجملة الامر ان من اقر بالباري سبحانه وقدرته لم يمتنع من وجود الملائكة والشياطين، فان ذلك داخل تحت قدرة الله تعالى، والحكمة لا تمنع مـــن ايجادها بل تقتضيها ، فوجودها اذا ممكن وقد ورد السمع به ، ومـــن وصف القادر التام القدرة ايجاد كل ضدين لما لم يكن محالا ، فلما جعـــل تعالى بازاء الشئ القائم بذاته وهو الجوهر الشئ الذي قوامه بغـــيره وهو العرض، وجعل بازاء (الاشياء) المحسوسة المركبة الاشياء المعقولـــة البسيطة ، وبازاء الحركة السكون، وبازاء الاجسام التي[3] تقبل الكون والفساد الاجسام التي لا تقبلها في كل حاله كذلك جعل بازاء الخلق الذين يحســون وهم الاجسام الكثيفة خلقا لا يحسون وهم الروحانيات اللطيفة ، وذلك احـــد ما نبه عليها بقوله تعالى " ومن كل شئ خلقنا زوجين"[4] فدل ذلك علـــى

---

(١) انظر الفتاوى (٤ : ٣٤٦) .

(٢) الحق اننا لا نعرفهم الا بدليل السمع، لان اثباتهم امر خارج عـــن قانون العقل .

(٣) في الاصل " الذي " . (٤) الذاريات : ٤٩

جل المفسرين قالوا : زوجين معناه صنفين ونوعين وهما الذكر والانثى قال مجاهد هما السماء والارض ، والشمس والقمر ، والجن والانـــس والخير والشر ، تفسير القرطبي (١٧ : ٥٣) .

ان الروحانيات موجودة .

ماهية الملائكة .

اختلف في ذلك :

فقال عبدة الاصنام : انها كالكواكب وان المسعدات منها ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب[1] .

وقال قوم من النصارى : الملائكة ارواح الاخيار، والشياطين ارواح الاشرار وقالوا ويسميان بذلك اذا فارقت البدن .

وقال جملة الاعراب هي بنات الله ولذلك قال تعالى " ويجعلون لله البنات[2] وقال " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا "[3] .

وقال المسلمون وغيرهم من اهل الملل : انها روحانيات وهم لباب الخليقة وخلاصة العالم، ابداهم الله من النور، والايمان بهم احدى قواعد الشرع وبذلك ورد الكتاب والسنة وقول النبي : " الايمان ان تؤمن بالله وملائكته "[4] .

واما اثباته من جهة العقل والكلام فيه غموض ، ويخفى على من لم يتدرب بالحقائق فلذلك اضربت من ذكره .

واشتقاق لفظ الملائكة من قولهم : الكت اليه اى ارسلت، والالوكة الرسالة[5]، وواحد الملائكة ملاك واصله مألك فقلب نحو جبذ وجذب .

واما ملك فقد قيل : اصله ملأك فحذفت الهمزة بعد ان القيت حركتها على اللام[6]، وقيل بل ليس من لفظه وانما الملك اسم للسائس الروحاني، كما ان الملك للسائس الانسي[7]، ومن هذا قيل : ملك الموت، ومالك النار .

---

(١) انظر تفسير الرازى (٢ : ١٦٠) .
(٢) سورة النحل : ٥٧ .
(٣) سورة الزخرف : ١٩ .
(٤) رواه البخارى (١ : ١١٤)، مسلم (١ : ٣٩)، ابن ماجة (١ : ٢٤) وقد تقدم تخريجه في (ص) .
(٥) انظر القاموس (٣ : ٣١٧) .
(٦) انظر اللسان (ملك) .
(٧) قال به الراغب في المفردات (ص ٤٧٢) .

والملائكة رسل الله وخلفاؤه على امور لا يستصلح له الناس، كما ان الناس خلفاؤه في امور لا يستصلح له الملائكة، ولقصور الملائكة عن امور يستصلح له الناس. قالوا لما نبههم الله تعالى على ذلك " سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا "(١) ولقصور الانسان عن امور يستصلح له الملائكة امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول: " ولا اقول لكم اني ملك "(٢).

تأثيرات الملائكة .

لكل نوع من الملائكة مقام معلوم كما قال تعالى حكاية عنهم: " ومامنا الا له مقام معلوم "(٣) وهم على القول المجمل ثلاثة اضرب:

ضرب اليهم تدبير الاجرام السماوية، وضرب اليهم تدبير الاركان الهوائية، وضرب اليهم تدبير الامور الارضية، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: " والمدبرات امرا "(٤).

فالذين اليهم تدبير الاجرام السماوية هم المقربون المعنيون بقوله " لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون "(٥) وقال بعض المتوسمين بالحكمة: المقربون هم سبعة: اسرافيل وميكائيل وجبرئيل ورضوان ومالك وروح القدس(٦) وملك الموت عليهم السلام والله اعلم بذلك.

وقد وصف الله تعالى المحققين بالعرش فقال: " وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم "(٧) وقال تعالى: " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون ويستغفرون للذين

---

(١) سورة البقرة: ٣٢.
(٢) سورة الانعام: ٥٠.
(٣) سورة الصف: ١٦٤.
(٤) سورة النازعات: ٥.
(٥) سورة النساء: ١٧٢.
(٦) روح القدس هو جبريل عليه السلام.
(٧) سورة الزمر: ٧٥.

امنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم"[١] تسبيحهم لله واستغفارهم للمؤمنين ليس بالمقال فقط بل بالفعال ايضا ، وبالجد والمحافظة على مايوحي اليهم ، وينصر المؤمنين وارشادهم بما يلقي في روعهم ، ومنهم الموكلون بابواب الجنة وهم رضوان واصحابه ، والموكلون بابواب النار وهم مالك واصحابه المعنيون بقوله :" عليها تسعة عشر وماجعلنا اصحاب النار الا ملائكة وماجعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا"[٢] .

واما الضرب الذين اليهم تدبير الاركان الهوائية فكالملك الذى روى بانه يصوت الرعد والذى يزجى السحاب[٣] .

واما الضرب الذين اليهم تدبير الارض فكمن اشير اليه بقوله عليه السلام في صفة الجنين:" ثم يبعث الله اليه ملكا فينفخ فيه الروح"[٤] وكالحفيظ والرقيب والعتيد[٥] ، وبقوله :" له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله"[٦] .

وقد ذكر الله تعالى الملائكة في مواضع فجعلهم اقساما : فمن

---

(١) سورة المؤمن : ٧ .

(٢) سورة المدثر : ٣٠ ، ٣١ .

(٣) روى الترمذى عن ابن عباس رضي الله عنه قال : اقبلت يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا ابا القاسم اخبرنا عن الرعد ماهو ؟ قال : ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله ، فقالوا فما هذا الصوت الذى نسمع ؟ قال زجره بالسحاب اذا زجره حتى ينتهي الى حيث امر . وقال هذا حديث حسن غريب (٥ : ٢٩٤) ورواه احمد (١ : ٢٧٤) .

(٤) رواه البخارى (٦ : ٣٠٣)، الترمذى (٤ : ٤٤٦)، احمد (١ : ٣٨٢) بتمامه .

(٥) في الاصل" القعيد" والصحيح ما اثبته اعتمادا على تفصيل النشأتين (ص ٣٨)، وعلى مانقله السيوطي عن الراغب في الحبائك في اخبار الملائك (ق ٨٧) .

(٦) سورة الرعد : ١١ .

نقل السيوطي هذه الضروب الثلاثة للملائكة من هذا الكتاب تماما مع نسبته الى الراغب. انظر " الحبائك في اخبار الملائك" (ق ٨٧) .

ذلك قوله :" والصافات صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا"[١] فاشار بذلك الى المقربين من الملائكة ، فاصطفافها مراعاتها لمقاماتها المعلومة كما قال :" ومامنا الا له مقام معلوم"[٢] وزجرها قيل : هو زجرها للفلك ودورانه ، وقيل : زجرها نفوس الورى عن الفواحش[٣] ، وتسميتها بالزاجرات كتسمية العقل عقلا وحجرا وحجى ونهى لكونه عاقلا وحاجرا وحاجيا وناهيا عن القبائح ، واشار بتلاوتها للذكر الى نحو قوله :" يسبحون بحمد ربهم"[٤] ومن ذلك قوله :" والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا"[٥] فاشار بذلك الى الذين وكلهم الله في الامور فيعصفون عصفا اى يسرعون اسراعا[٦] ، والى الذين وكلوا بنشر نعمة الله بالعباد ويفرقون بين الاشياء ويميزونها ، ويوحون الى قلوب الانبياء والاولياء مافيه الاعذار والانذار ، وعلى نحو هذا قوله :" والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا"[٧] وقوله :" والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات امرا"[٨] واما الارواح اعني المذكورة في قوله :" تنزل الملائكة والروح

---

(١) سورة الصف : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٢) السورة المذكورة : ١٦٤ .

(٣) انظر البيضاوى (٧ : ٢٥٧)، روح المعانى (٢٣ : ٦٥) .

(٤) سورة الزمر : ٧٥ .

(٥) سورة المرسلات : ١ ـ ٥ .

(٦) هذا قول مرجوح قال به ابو صالح ، والراجح انها الرياح قال به ابن عباس ومجاهد وقتادة وابو صالح في رواية ، واليه مال ابن مسعود ، القرطبي (١٩ : ١٥٥)، تفسير ابن كثير (٤ : ٤٥٩) .

(٧) سورة النازعات : ١ ـ ٥ . (٨) سورة الذاريات : ١ ـ ٤

(٨) ثبت عن امير المؤمنين على رضى الله عنه انه صعد منبر الكوفة فقال لا تسألوني عن آية في كتاب الله تعالى ولا عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبأتكم بذلك . فقام اليه ابن الكواء فقال يا امير المؤمنين ما معنى قوله تعالى " والذاريات ذروا" قال على رضى الله عنه : الريح ، قال (فالحاملات وقرا) قال رضي الله عنه : السحاب قال (فالجاريات يسرا) قال رضي الله عنه : السفن ، قال (فالمقسمات امرا) قال رضي الله عنه : الملائكة . انظر تفسير ابن كثير (٤ : ٢٣١) .

فيهـــا"[١] فقد قيل : هم ضرب من الملائكة ، فوكله لمعاونة الناس والقاء الخيرات في اوهامهم ، وسموا ارواحا للمناسبة بينها وبين ارواح النـــاس في القاء الذكر في روعهم والايصال به ، وقوله : " تعرج الملائكـــة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة"[٢] فقد قيل عـــنى بالروح هذا ضرب من الملائكة[٣] ، وقيل : بل عنى الروح الذي يخرج مـــن الانسان[٤] والله اعلم ، وقوله : " الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين"[٥] فقد قيل : هم الارواح المختصون بمعاونة البشـــر واياهم عنى الله تعالى بقوله : " والعاديات ضبحا"[٦] فاما كيفية تصرفهـــم للمؤمنين فالكلام يدق فيه ، والاولى في مثله التسليم الظاهر والاقتصار على ماورد فيه من الخبر .

صحة رؤية الناس الملائكة .

قد اجمع السلف ان كثيرا من الناس رأوا الملائكة وكذا الشيطـــان وانهم رأوهم في صور مختلفة ، وذلك ظاهر من خبر جبرئيل واتيانه النـــبي صلى الله عليه تارة في صورة دحية الكلبي وتارة في صورة بعض الاعـــراب[٧] وروي انه رآه مرة وقد سد الافق[٨] .

---

(١) سورة القدر : ٤ . المراد بالروح جبرئيل عليه السلام فيكون مـــن باب عطف الخاص على العام . وقيل : ضرب من الملائكة . ابن كثير (٤ : ٥٣١) ، القرطبي (٢٠ : ١٣٣) .

(٢) سورة المعارج : ٤ .

(٣) انظر القرطبي (١٨ : ٢٨١) .

(٤) انظر المرجع السابق وتفسير ابن كثير (٤ : ٤١٨) .

(٥) سورة ال عمران : ١٢٤ .

(٦) جمهور المفسرين قالوا ان الله يقسم بخيل الغزاة في سبيله انظـــر القرطبي (٢٠ : ١٥٣) ، ابن كثير (٤ : ٥٤١) ، روح المعانـــــي (٣٠ : ٢١٥) لم يقل احد انه الملائكة .

(٧) تقدم (ص ١٥٩) .

(٨) رواه البخاري عن عائشة وفيه " وانما اتى هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد الافق" (٦ : ٣١٣) ، مسلم (١ : ١٦١) .

وكثرت[1] الروايات في رؤية الصحابة للملائكة يوم بدر[2] في صور مختلفة حيث ايدهم الله عز وجل بثلاثة الاف من الملائكة منزلين"[3] فكذا ورد الاخبار المتظاهره لظهور ابليس والشياطين لكثير من الانبياء والاولياء[4] ونبه تعالى بقوله : " يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين"[5] ان المحتضر يراهم لا محالة . ومن تطهر قلبه من الانجاس وتزكى نفسه وصفى روحه يحصل بينه وبين الارواح العلية والسكينات ملاقاة، تارة من الظاهر وتارة من الباطن، فيأتونه بالاعتذارات والانذارات . كما نبه تعالى عليه بقوله : " رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده"[6] وقوله : " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا

---

(١) في الاصل " كثرة " .

(٢) تظاهرت الروايات بان الملائكة حضرت يوم بدر، ومن ذلك ما ذكره ابن هشام عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا . قال بعد ان ذهب بصره : لو كنت اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة، لا اشك فيه ولا اتمارى . وايضا عن ابن عباس قال : كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء قد ارسلوها على ظهورهم . انظر سيرة ابن هشام (٢ : ٣١٩) .

(٣) سورة آل عمران : ١٢٤ .

(٤) فقد روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان، فاتاني آت فجعل يحثو من الطعام، وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له مافعل اسيرك البارحة . وقال : ذلك شيطان (٤ : ٤٨٧) .
وايضا روى عنه رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع على الصلاة، فامكنني الله منه، فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا اليه كلكم . فذكرت قول اخي سليمان : " رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي" فرده خاسئا .
(١ : ٥٥٤)، مسلم (١ : ٣٨٤) .

(٥) سورة الفرقان : ٢٢ .

(٦) سورة المؤمن : ١٥ .

تتنزل عليهم الملائكة"[1] الاية .

والفرق بين المتزكي وغير المتزكي ان المتزكي قد يراه قبل حالة الاحتضار، وغير المتزكي لا يراه قبل ذلك وقوله : " انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم "[2] لا يقتضي ذلك انه لا يصح رؤيتهم ولا ان الناس لا يرونهم في شئ من الاحوال، كما اذا قيل : فلان يراك من حيث لا تراه لا يقتضي ذلك .

مفاضلة الملك والناس .

اما فضيلة الملائكة على الدهماء[3] الذين وصفهم الله تعالى بالجهل والصمم والعمي والبكم[4] وجعلهم دون الانعام[5] فلا ارتياب فيه .

واما الكلام في المفاضلة بينهم وبين الانبياء فقد اختلفوا فيه وليس للخوض في هذه المسألة كثير عناية ، لكني اشرت اليه من حيث ان الناس تكلموا فيه ، فقال بعضهم : الملائكة افضل[6] لقوله : " لن

---

(١) سورة فصلت : ٣٠ .

(٢) سورة الاعراف : ٢٧ . قال بعض العلماء : في هذا دليل على ان الجن لا يرون، وقيل جائز ان يروا ، لان الله تعالى اذا اراد ان يريهم كشف اجسامهم حتى تروه قال النحاس الجن لا يرى الا في وقت نبي ليكون ذلك دلالة على نبوته . انظر القرطبي (٧ : ١٨٦) .

(٣) الدهماء : جماعة الناس . القاموس (٤ : ١١٥) .

(٤) قال تعالى : " مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون " . البقرة : ١٧١ .

(٥) قال تعالى : " ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل" . الاعراف : ١٧٩ .

(٦) قال به المعتزلة والباقلاني من الاشاعرة ، واهل السنة يقولون ان الانبياء وصالح البشر افضل من الملائكة . انظر اصول الدين (ص ١٦٦)، شرح المواقف (٨ : ٢٨٣)، هذه المسألة قد تقدمت في صفحة (١٢٨) فارجع اليها .

يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة[1] قال : و ذلك جار مجرى قول القائل لن يستنكف الحاجب من خدمتي ولا الوزير ولا الامير ، قال : فيقدم الا مثل فالا مثل ولا يقال على عكس ذلك .

و (أ) عترض على ذلك بوجوه :

الاول : انه قد يذكر في هذا الموضع مالا يعتبر فيه ترتيب شرف كقولك لن يستنكف من ذلك الرشيد[2] ولا المأمون[3] .

والثاني : انه لم يذكر هاهنا الا عيسى وليس فيه دلالة على انهم افضل من جماعة الانبياء[4] .

وقد اجيب عن ذلك بان المسلمين اختلفوا على وجهين ، فمن قائل قال : الملائكة افضل ، وقائل قال : الانبياء ، ولم يقل احد انهم سووا ، ولا فرقوا ايضا بين عيسى وغيره ، ولا بين المقربين وغير المقربين ، وليس هذا الجواب بشئ .

وقد اعترض عليه ايضا ، بان القصد بذلك الانكار على من ادعى ان عيسى ابن الله وعلى من ادعى ان الملائكة بنات الله ، وانهم اشرف من ان يوصفوا بالعبودية ، فقال : ان من ادعيتم انه ابنه ومن ادعيتهم انهم بناته لا يستنكفون من الاذعان لعبوديته .

---

(١) سورة النساء : ١٧٢ .

(٢) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي . ولد بالري لثلاث بقين من ذي الحجة سنة خمسين ومائة ، استخلف وهو ابن تسع عشرة سنة وبويع له سنة سبعين ومائة في اليوم الذي توفي فيه الهادي وولد المأمون ، فاجتمعت له البشارة بالخلافة والولد ، وكان متدينا زاهدا عادلا ومات سنة ثلاث وتسعين ومائة . تاريخ بغداد (١٤ : ٥) ، اللسان (٣ : ٢٥٥) ، البداية (٩ : ٢١٣) .

(٣) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد القرشي الهاشمي . ولد سنة سبعين ومائة ليلة توفي عمه الهادي وولي ابوه . وكان شهما قويا ، ظهرت فتنة قول خلق القرآن في عهده . توفي بطرسوس سنة ثمانية عشر ومائتين . البداية (٩ : ٢٧٤) ، مروج الذهب (٤ : ٤) .

(٤) قارن بما قاله البغدادي في اصول الدين (ص ١٦٦) .

واحتج في ذلك ايضا بقوله تعالى :" مانهاكما ربكما عن هـــــــذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين"[١] فلو انهما فوقهما لمــا اغترا بذلك . وكذلك قوله :" ولا اقول اني ملك"[٢] فبين انه لا يدعي مرتبــــة ليست له .

وقال بعضهم : الانسان اذا نفض بنجاسة النفسية وقاذوراتـــــه البدنية ، وحصل في جوار الله[٣] يكون حينئذ افضل من الملائكة لقولــــــه عز وجل :" والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم"[٤] وقد روى :"ان الملائكة خدم اهل الجنة"[٥] .

<u>الجـــن .</u>

الجن لم ينكر وجوده الا الذين انكروا وجود الملائكة[٦] . وشبهتهـــم فيه مثل شبهتهم في ذلك . والكلام في اثباتهما على حد واحد ، وسميـــوا ذلك لاستتارهم عن اعين الناس كما يسمى الانس انسيا لظهورهم ، مـــن قولك : انست فلانا اي ابصرته[٧] ، وخلقهم الله تعالى من النار لقولـــــه تعالى :" والجان خلقناه من (قبل من) نار"[٨] وتكليفهم كتكليف الانســـان لقوله :" وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون"[٩] وقوله : " يامعشر الجن

---

(١) سورة الاعراف : ٢٠ .
(٢) سورة هود : ٣١ .
(٣) قد افرد الراغب بابا في بيان الامراض والانجاس ، فالانســـان يتوصل الى الملأ الاعلى بعد ازالة نجاسته النفسية والروحية . انظر تفصيل النشأتين (ص ٨٢) .
(٤) سورة الرعد : ٢٣ .
(٥)
(٦) انكره الفلاسفة والطبيعيون . انظر كشاف اصطلاح الفنون (١ : ٣٧٤) .
(٧) انظر مختار الصحاح (ص ٢١٦) .
(٨) سورة الحجر : ٢٧ .
(٩) سورة الذاريات : ٥٦ .

والانس الم يأتكم رسل منكم" [1] الاية ، وتوعدهما على حد واحد لقوله " لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين" [2] .

وقال بعض الناس : لفظ الجن يقع (على) الملائكة ايضا [3] ، وقيل ان ذلك يقع على جنس منهم [4] لقوله : " الا ابليس كان من الجن" [5] قالوا ان الجن على ثلاثة اضرب كالناس سابق ومقتصد وظالم ، وقد اشار الى ذلك في قوله تعالى : " قل اوحي الي انه استمع نفر" [6] السورة ، وقوله : " واذ صرفنا اليك نفرا من الجن" [7] الاية .

واما الشيطان : فالعالي من الجن من شاط يشيط اذا احتد [8] ، وذلك من صفة النار ، وقيل من شطن اذا تباعد [9] وذلك لتباعده عن الخير واهله قال تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن" [10] وقال " واذا خلوا الى شياطينهم" [11] .

والعفريت المتناهي منه في الشر كأنه الذي يلقي الانسان في العفر وهو التراب وشبه به الرجل الخبيث ، وروى ان الله يبغض كل عفريت نفريت لم يرزا في جسمه وماله [12] . معناه لم يصبه مصيبة .

---

(١) سورة الانعام : ١٣٠ .
(٢) سورة السجدة : ١٣ .
(٣) انظر القرطبي (١ : ٢٩٤) قال به سعيد بن جبير ، وانظر اللسان (جن) مقالات الاسلاميين (٢ : ١١٥) .
(٤) انظر تفسير الرازي (٢١ : ١٣٦) .
(٥) سورة الكهف : ٥٠ .
(٦) سورة الجن : ١ .
(٧) سورة الاحقاف : ٢٩ .
(٨) انظر القاموس (٢ : ٣٧٠) .
(٩) انظر اللسان (شطن) .
(١٠) سورة الانعام : ١١٢ .
(١١) سورة البقرة : ١٤ .
(١٢) ذكره الزمخشري في الفائق (١ : ٤١٤) بلفظ " ان الله يبغض العفرية والنفرية الذي لم يرزأ في جسمه ولا ماله " وذكر ابن الاثير في النهاية (٣ : ٢٦٢) جزء منه .

والمارد : المتجرد عن الطاعة والخيرات تجرد الخد عن الشعر والشجر عن الورق والثمر .

والرجيم : مرجوم لقوله تعالى : " ويقذفون من كل جانب دحورا"[١] .

والغول[٢] : ما يغول الانسان .

والسعلاة : اخبث الغيلان .

والقوى الردية في نفوس البشر نحو الهوى والغضب والحسد والجهل والظلم خلفاء الشيطان فينها ، ويقال لها شيطان، وبها يتوصل الى نفوسهم ، وقد روى " الهوى شيطان والغضب شيطان والحسد شيطان"[٣] والقوى الفاضلة نحو العلم والحلم والعفة والعدالة خلائف الملائكة وبها تتوصل الملائكة الى ارشادهم وبحسب قوتيهما في النفوس المام[٤] كل واحد منهما بها ، كما قال عليه السلام : " للملك لمة وللشيطان لمة فاما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق، واما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق"[٥] وقال عليه السلام : " ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم"[٦] فمن تطهر نفسه تمكن منه السكينات والارواح كما قال تعالى : " هو الذى انزل السكينة في قلوب المؤمنين"[٧] ومن تنجس[٨] قلبه

---

(١) سورة الصافات : ٩ .

(٢) الغول هو جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم ان الغول في الفلاة تترائى للناس تتلون تلونا في صور شتى فتضلهم عن الطريق وتهلكهم . فتح المجيد (ص ٣١٠) .

(٣) الغضب من الشيطان . رواه احمد موقوفا (٤ : ٢٢٦) وذكر محمد طاهر الفتني في كتابه مجمع بحار الانوار . كل هوى شاطن(٣ : ٢٢١).

(٤) الالمام : المقاربة . المرجع السابق (٤ : ٩ ص) .

(٥) رواه الترمذى وقال : حديث حسن غريب(٥ : ٢١٩) . واورده السيوطي في الجامع الكبير وعزاه الى ابن حبان وابن ابى الدنيا (ص ٢٦٤) .

(٦) رواه البخارى وفيه " يجرى من الانسان" (٦ : ٣٣٧) ومسلم (٤ : ١٧١٢)، ابو داود (٤ : ٢٣٠)، احمد (٣ : ١٥٦) .

(٧) سورة الفتح : ٤ .

(٨) في الاصل " تحس" .

تمكن منه الشيطان، كما قال تعالى : " استحوذ عليهم الشيطان فانساهم[1] ذكر الله[2] " وقال : " انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا[3] " وكما قال تعالى " الخبيثات للخبيثين والطيبات للطيبين[4] " وقال النبي عليه السلام : " مامنا الا وله شيطان يغويه ويرديه وان الله اعانني على شيطاني فاسلم[5] " .

بيان افعال الشياطين .

للجن افعال كثيرة[6] عجيبة على ماد ل عليه قصة سليمان في توليه " يعملون له مايشاء[7] من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب[8] " الاية ، وقوله " ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه[9] " وقوله : " ومن الشياطين من يغوصون له[10] " وبعض الحكماء من افعالها تأثيرات الطلسمات[11] والرقى[12]

---

(١) في الاصل " فانشأهم " .

(٢) سورة المجادلة : ١٩ .

(٣) سورة مريم : ٨٣ ، تؤزهم ازا اى تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية . القرطبي (١١ : ١٥٠) .

(٤) سورة النور : ٢٦ .

(٥) رواه مسلم بلفظ قريب منه (٤ : ٢١٦٨)، الدارمي (٢ : ٣٠٦) ، وذكره ابن بطة في الابانة الصغرى (ص ١٣٨) .

(٦) " كثيرة " ورد متكررا في الاصل .

(٧) في الاصل " مايشاؤن " .

(٨) سورة سبأ : ١٣ .

(٩) سورة سبأ : ١٢ .

(١٠) سورة الانبياء : ٨٢ .

(١١) الطلسم : خطوط واعداد يزعم كاتبها انه يربط روحانيات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية لجلب محبوب او دفع اذى . وهو لفظ يوناني . المعجم الوسيط (٢ : ٥٦٨) .

(١٢) الرقية : هي افعال مخصوصة تترتب عليها اثار مخصوصة كعقود الخيط والشعر وامثالها وهي كثيرا ماتقع في الامراض كوجع العين ووجع السن وكذا اصابة العين . مفتاح السعادة (١ : ٣٦٦) .

والسحر وماتواتر من اخبار الكهنة[1].

وقد انكر المتكلمون تأثير الجن[2] وانكروا السحر[3]، وقالوا اكثر مايمكن الشيطان القاء الوسواس، وقالوا ان ماحكى الله تعالى من الجن المطيعة لسليمان انما كانت لتكثيف الله اجسامها وتقويته لها اعجازا له ، وعدوا ماتمكه الناس من ذلك خرافة[4]، وقالوا السحر اسم خداع وتخيلات وشعبذة صارفة للابصار، وتميمة[5] عائقة للاسماع، قالوا ويصرف الابصار بخفة اليد ، قال تعالى : " سحروا اعين الناس واسترهبوهم "[6] وان الذى كانوا يتعلمون من هاروت وماروت ويفرقون به بين المرء وزوجه كان من جنس التميمة وقالوا لو كان للشيطان سلطان لكانوا يأتون الانبياء فيحيلونهم، والى دور المؤمنين فيسرقون ثيابهم وينكحون نساءهم، ولكان يشتبه طريق السحر فيتصور الساحر بصورة نبي يدعو الى نفسه ، وذلك يؤدى الى ما ادعاه الزنديق على كثير من الانبياء في انهم كانوا سحرة معاونين من قبل الشيطان . والى تصحيح ما ادعى المشركون على النبي صلى الله عليه حيث قالوا : " ساحر كذاب "[7] و " معلم مجنون "[8] اى معاون من قبل الجن .

وماقالوا فلو عرفوا حقيقة الشيطان ومبلغ قواه ومقدار ماتمكنه ان يتعاطاه لاحجموا عن هذا القول وعن تكذيب كتاب الله . فاذا يجب ان يبين ما السحر، وما الذي يتأتى منه ، وفي اى موضع يتأتى وفيمن يؤثر فيه

---

(١) تقدم معناها (ص) .

(٢) هم المعتزلة انظر موقفهم في اعمال الجن . تفسير الرازى (٣٠ : ١٥١) وحياة الحيوان الكبرى للدميرى (١ : ٢٠٦) .

(٣) هم ايضا المعتزلة . انظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (ص ١٧٧)، مقالات الاسلاميين (٢ : ١١٥)، شرح النووى (١٤ : ١٧٤)، دائرة المعارف الاسلامية (١١ : ٣١٢) .

(٤) انظر صفحة ( ) .

(٥) التميمة : وسواس همس الكلام . القاموس (٤ : ١٨٣) .

(٦) سورة الاعراف : ١١٦ .

(٧) سورة ص : ٤ .

(٨) سورة الدخان : ١٤ .

فبذ لك ينكشف حقيقته ، فنقول وبالله التوفيق .

السحر : اجتلاب الناس معاونة الشيطان بكلمات من الشرك يقروها[1] والذى يتأتى منه ذ لك : كل خبيث فاجر افاك اثيم ، ولذ لك قال تعالى " ومن يعش عن ذ كر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين"[2] وقال " هل انبئكم على من تنزل الشياطين، تنزل على كل افاك اثيم"[3] ولذ لك اكثر ظهوره على يدى الحيض وعبدة الاصنام وضعاف العقول، والموضع الذى يتأتى فيه ذ لك كل موضع قذ ر من بلاد الكفرة وعبدة الاصنام وحيث لا يد رى ذ كر الله ، ولذ لك اذ ا وافقه ذ كر الله تعالى بطل واضمحل، والذى يؤثر فيه السحر فيرد يه السحر كل من قل منه ذ كر الله تعالى ويبعد عن سكينات الله وعصمته ، ثم لا يكون الا فى الند رة ، وقلما يؤثر فى مؤمن محض الايمان ومن انكر السحر لقصور فهمه وعمى بصيرته عن اد راكه وكونه غير متجاوز منزلة تأثير المحسوسات بعضها من بعض فهو مع جهله قد ابطل دعواه كتاب حيث يقول : " وجاءوا بسحر عظيم"[4] فاثبته ووصفه بالعظيم وان كان خفى الاثر ، ونسب تعليمه الى الشيطان، فقال الله تعالى" ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر"[5] ونفيهم عن بلاد الاسلام ، ولما اجرى مجرى الشرك حتى قال بعض الفقهاء : لا تقبل توبتهم كالمستتر بالكفر فان الخديعة والنميمة لا تستحق بهما التوبة[6] ، فان قالوا

---

(١) قارن بالمفردات (ص ٢٢٦) .
(٢) سورة الزخرف : ٣٦ .
(٣) سورة الشعراء : ٢٢٢ ، ٢٢٣ .
(٤) سورة الاعراف: ١١٦ .
(٥) سورة البقرة : ١٠٢ .
(٦) فى الاصل" بقبل" .
(٧) اختلف العلماء هل يكفر الساحر ام لا فذهب طائفة الى انه يكفر به قال مالك و ابو حنيفة واحمد وروى عن احمد : الا ان يكون سحره بادوية او سقى شيء فلا يكفر ، وقال الشافعى : ان اعتقد ما يوجب الكفر كفر والا فسق ، واما انه لا تقبل توبته انفرد به مالك ، وحد الساحر القتل ، واما نفيه عن البلاد الاسلامية فلم اعرف قائله ، المغنى ٩ : ٢٩ ، نيل الاوطار ٧ : ٢٠٠ ، شرح النووى ١٤ : ١٧٦

ما الذي هو كفر ؟ نقول : هو مايقوله العامة ان الساحر يطير بلا جناح ويركب البيضة والمكنسة فيبلغ باقصر مدة الى ابعد بلدة ، قيل : مدعى ذلك ومصدقه سخيفان لا يقتلان بل يضحك منهما [(١)] ، ولا خلاف ان دعوى بذلك وتصديقه لا يستحق القتل وانما يستحق اذا ادعى قتل الانسان بسحره .

وقد انكر المتكلمون ايضا ماروى ان اليهود سحروا النبي صلى الله عليه [(٢)] ، وانه عليه السلام قال : " اتاني ملكان وقعد احدهما عند رأسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه : ما بالرجل ؟ فقال الاخر مطبوب ، فقال : من طبه ؟ قال : بنات لبيد بن اعصم اليهودي فقال في ماذا ؟ فقال : في مشط ومشاطة في جف طلعة ذكر طرح في بئر ذي اروان . فبعث صلى الله عليه من اخرجه وحل عقده ، فكلما حلت عقدة وجد لذلك خفة ، كانما انشط من عقال [(٣)] " قالوا : ان قلنا بصحة هذا الخبر كان ذلك قادحا في النبوة .

وليس كذلك لما تقدم ، ولان تأثير السحر في النبي صلى الله عليه لم يكن في امر يرجع الى النبوة ، وكونه معصوما لا يقتضي ان لا يؤثر شيء في بدنه تأثيرا صغيرا وانما كان قادحا ان لو اثر فيه من حيث ما هو نبي فكأن يزيل عقله او يفسد نفسه [(٤)] ، ولو كان تأثير ذلك في جسده يقدح في

---

(١) انظر " المحرر في الفقه " (٢ : ١٦٩) .

(٢) هم المعتزلة ، انظر تأويل مختلف الحديث (ص ١٧٧) ، شرح النووي (١٤ : ١٧٤) ، دائرة المعارف الاسلامية (١١ : ٣١٢) .

(٣) رواه النسائي بالفاظ متقاربة (٧ : ١١٣) ، احمد (٤ : ٣٦٧) ايضا رواه البخاري (٦ : ٣٣٤) ، مسلم (٤ : ١٧١٩) وفيهما ان الرسول صلى الله عليه وسلم اتى بنفسه البئر ، واما لفظ " بنات " فلم يذكر احد .
جف طلعة : وعاء طلع النخل . بئر ذي اروان : وهي بئر بالمدينة .
انشط : حل . عقال : حبل يشد به .

(٤) قال النووي : ان من انكر حديث السحر لانه يحط منصب النبوة باطله لان الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ ، والمعجزة شاهدة بذلك . فاما ما يتعلق ببعض امور الدنيا التي لم يبعث بسببها ولا كان مفضلا من اجلها وهو مما يعرض للبشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لا حقيقة له . (١٤ : ٢٧٤) .

النبوة لكان كسر ثناياه يقدح فيما (ذكر) الله تعالى من عصمته حيث قال الله تعالى: " والله يعصمك من الناس "[1] وكان يقدح تسلط المشركين على بعض النواحي فيما ذكر الله تعالى من كمال الاسلام حيث قال تعالى: " اليوم اكملت لكم دينكم "[2] وهذا ظاهر وبالله التوفيق .

---

(١) سورة المائدة : ٦٧ .
(٢) سورة المائدة : ٣ .

الفصل الخامس

في كتاب الله عز وجل وتحقيق الكلام واحواله ، وحال مورده ووصوله من المخاطب الى المخاطب .

اعلم ان المعنى اذا كان في النفس فعلم ، واذا انتهى الى الفكر فروية ، واذا جرى به اللسان فكلام واذا كتب باليد فكتاب فهو بالذات شئ واحد ، ويختلف عليه هذه الاسامي بحسب اختلاف الاحوال به ، وذلك كما ان القطن مادام بحالة قطن، فاذا غزل فهو غزل[1] ، فاذا نسج فثوب، فاذا خيط فقميص ، وقد يسمى الشئ وهو على حال باسم ماكان عليه من قبل وباسم مايؤل اليه من بعد كتسمية الشحم ثدى من حيث انه كان منه ، وتسمية الثدى شحما من حيث مايؤل اليه ، وعلى هذا قوله تعالى" اعصر خمرا"[2] وانما كان يعصر العنب والعنب يصير خمرا .

اذا ثبت هذا ، فيقال و كلام قد يقال له كلام قبل ان يصير حروفا واصواتا محسوسة كما قد يسمى كتابا وصحفا قبل ان يكتب، نحو قوله تعالى" لقد[3] انزلنا اليكم كتابا"[4] وقوله تعالى" يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة"[5] وعلى هذا يقال : في قلبي كلام لا اريد اظهاره .

فالكلام ضربان : محسوس ومعقول .

فالمحسوس : هو الجاري فيما بين الناس ويحتاج في تحصيله الى معان ثلاثة ، معبر من جهة القائل وهو آلة الكلام من الرئة واللهاة[6]

---

(١) كان في الاصل" عزب" والصحيح ما اثبته .
(٢) سورة يوسف : ٣٦ .
(٣) في الاصل" انا انزلنا" .
(٤) سورة الانبياء : ١٠ .
(٥) سورة البينة : ٣ .
(٦) اللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق . القاموس (٤ : ٣٨٨) .

واللسان والشفة ، ومعبر من جهة السامع و (هو) سمع معتدل وقوة مخصوصة ، ومعبر بينهما وهو هواء معتدل ومسافة معتدلة ، ومتى فقد ذلك لم يحصل السماع والاستماع ، ولهذا سمي الكلام بيننا عبارة لكونه معبر عن المعنى من نفس المخاطب الى نفس المخاطب تشبيها بعبور النهر ومعبر الماء .

والضرب الثاني الكلام المعقول : وهو حصول ثمرة الكلام والمقصود منه وهو الاعلام والاستعلام دون قشوره ، وما احسن ما نبه لهذا المعنى من قال : اللفظ شجر والمعنى ثمر ، ولولا الثمر ما اختفل بالشجر ولما كان الله تعالى على اتمام حكمته وقدرته قادرا على ايصال المعنى المقصود الى ذوات الاشياء ناطقها وجامدها ، وعلى الوقوف على باقي ذواتها من غير آلة الافهام والاستفهام ، يجب ان لا يتصور الكلام منه واسماعه الخلق وسماعه منهم على وجه ما يتصور في الناس اذا تخاطبوا فيما بينهم ، بل كلامه يكون منه بالخطاب المسموع من خارج تارة ، وبالالهام المجرد عن الخطاب تارة ، وبالتسخير الالهي كقوله تعالى " يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم "(1) وقوله تعالى " ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين "(2) ويدل على صحة هذا المعنى ان الله تعالى جعل خدعة الشيطان وان لم يكن بمقال مسموع من خارج دعاء ، فقال الله تعالى " وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم "(3) وكذا قوله تعالى " وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث "(4) يسمي ما يسمعه في المنام حديثا وان (لم) يكن محسوسا ، وقال عليه السلام " ان في امتي لمكلمين ومروعين "(5) يسمي ما يسمع في المنام كلاما ، وقال الله تعالى

---

(١) سورة الانبياء : ٦٩ .
(٢) سورة حم السجدة : ١١ .
(٣) سورة ابراهيم : ٢٢ .
(٤) سورة يوسف : ٤ في الاصل " يجتبيكم " .
(٥) تقدم هذا الحديث (ص) .

" يسبح له من في السموات والارض"[١] وغير ذلك من الايات وماذكرناه فقد اعتبره الناس وعرفوه .

وقد جعل المعاني فيما بينهم من الجمادات والبهائم كلاما ونطقا ، ولذلك قيل" الاشياء هي مع الحكماء ناطقة ، وجعل الكلام ناطقا ، فقال الله تعالى" هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق"[٢] وقال الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قطني[٣]

فجعل ما بان منه وعرف عبارة .

ولما تقدم من ان الله تعالى قادر على ايصال المعنى المقصود الى ذوات الاشياء[٤] ، قالت الحكماء لله تعالى امران : ظاهر مسموع وهو قوله تعالى للعقلاء المميزين افعلوا او لا تفعلوا[٥] ، وباطن معقول وهو امره الساري في جميع الموجودات المشار اليه بقوله تعالى" واوحى في كل سماء امرها"[٦] وبقوله تعالى" انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون"[٧] وذلك ان شيئا من الاشياء لا يكون الا بامره سبحانه[٨] ، وامر السلاطين اذا اضيف الى هذا الامر وقوبل به

---

(١) سورة النور : ٤١ . وفي الاصل" ومن في الارض" .
(٢) سورة الجاثية : ٢٩ ، وكان في الاصل" هذا كتابا" .
(٣) تجد هذا البيت في التمهيد (ص ٢٤٢)، وتفسير القرطبي (٢ : ٣٥٦) وهكذا نجده في اللسان (حوض) ولكنه في هذه المصادر جميعا لم ينسب الى قائل معين .
(٤) في الاصل" الا" .
(٥) اراد به المؤلف امر تكليفي هو ما يتعلق بالمكلفين بطلب ايقاع المأمور وعدم ايقاع المنهي عنه .
(٦) سورة حم السجدة : ١٢ وفي الاصل" كل منها امرها" .
(٨) هذا امر تكويني وهو المتعلق بكل مراد فما اراد الله كونه كان وما لم يرد لم يكن .
(٧) سورة يس : ٨٢ .

وجد مجازا في جنبه ، لان اول الامور بذلك هو النافذ الذي لا يمنع من نفوذه شيء ومن الانقياد له حيث مايوجه ، وهذا الامر هو النافذ بكل زمان وبكل مكان وعلى كل حاله فهو المشار اليه بقوله تعالى " وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر "[١] تنبيها على ان ذلك النافذ نسوع نفوذ قصور الناس باسرع محسوس ليدركه اوهامهم .

وبعض المعتزلة لما قصروا عن ادراك هذا الضرب من الامر انكروا ودفعوا ماورد من نحو هذا في الاخبار والايات وصرفوا لما ورد عليهم من القرآن[٢] .

فان قيل : ان ذلك يقتضي ان يكون المعدوم مأمورا .

قيل : ان يكون ذلك في امر البشر وانهم لا يصلح ان يأمروا المعدوم فمنكر ، وان انكرت ذلك في الباري سبحانه فغير منكر لان المعدوم المرشح للوجود عندكم في حكم الموجود[٣] ، وان قوله تعالى " انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون "[٤] انما ذلك امر لما يريد تكوينه ، والتكوين في الحقيقة ليس هو الابداع ، وانما هو جعل الشيء شيئا آخر كالطين الذي جعله الله حيوانا وانسانا ، وكالنار الذي جعله بردا وسلاما ، وهذا في الحقيقة ليس بمخاطبة المعدوم .

فان قال : فالجماد لا يصح مخاطبته .

قيل : مخاطبتنا له لا يصح اذ ليس في قدرتنا افهامه ومخاطبة الله تعالى له يصح لانه تعالى لا يعجز عن افهامه ، ومن قاس قدرة الله تعالى بقدرة العباد فما قدروا الله حق قدره تعالى الله عن المقايسة بالعباد علوا كبيرا .

---

(١) سورة القمر : ٥٠ .

(٢) انظر موقفهم وانكارهم الكلام النفسي في شرح المواقف (٨ : ٩٥) وغاية المرام (ص ٩٤)، والمغني (٧ : ١٥) .

(٣) المعدوم عند المعتزلة شيء انظر الفصل (٥ : ٤٢)، ونهاية الاقدام (ص ١٥٠)، والشامل (ص ١٢٤)، ومجموعة الرسائل الكبرى (٢ : ٧٢) .

(٤) سورة النحل : ٤٠ .

فاذا ثبت ذلك فالكلام من الله تعالى يصل الى البشر من ثلاثة اوجه :

اما سماع وعيان من الظاهر نحو ما كان يأتي به جبريئل في صورة دحية او بعض الاعراب.(١)

اما سماع من غير رؤية كسماع موسى عليه السلام كلامه تعالى .

اما من الناطق من غير رؤية شخص ولا سماع من خارج كما ذكر الله تعالى " نزل به الروح الامين على قلبك"(٢) وقد نبه الله تعالى على ثلاثتها بقوله تعالى " ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء (حجاب) او يرسل رسولا"(٣) ومثال ذلك كتابة تحصل دفعة في شئ ينتقش بها ، والى ذلك اشار تعالى بقوله " اولئك كتب في قلوبهم الايمان"(٤) لكن كتابة ذلك روحانية بلا آلة حسية ، وكتابة الانسان جسمانية بآلة حسية ، وما ذكرناه وان كان صعب الادراك لمن لا يعتمد الا على الحس ولا ينظر اليه (الا) بالبصر فسهل على من اعتمد العقل ونظر اليه بالبصيرة(٥) .

---

(١) انظر (ص ١١٠) .
(٢) سورة الشعراء : ١٩٣ .
(٣) سورة الشورى : ٥١ .
(٤) سورة المجادلة : ٢٢ .
(٥) قصد الراغب الاصفهاني هنا ان كلام الله تعالى متعر من الحروف والاصوات ويثبت له الكلام النفسي، وهذا خلاف ما عليه السلف الصالح ، فعندهم ان الله تعالى لم يزل متكلما اذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وهو يتكلم بصوت يسمع وان نوع الكلام قديم وان لم يكن الصوت المعين قديما .
شرح الطحاوية (ص ١٨٠) .
قال ابن قدامة المقدسي : كلام الله هو سور محكمات وآيات بينات وحروف وكلمات، متلو بالالسنة ، محفوظ في الصدور ومسموع بالاذان، لمعة الاعتقاد (ص ١٨) .
وذكر ابن تيمية ان عبد الله بن احمد قال : قلت لابي : ان اقواما يقولون ان الله لا يتكلم بصوت، فقال هؤلاء جهمية ، انما =

....

= يدورون على التعطيل . فتاوى (١٢ : ٥٧٩) .
والبخاري ترجم في صحيحه بابا في قوله " حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق " وبين فيه الحجة على ان الله يتكلم بصوت يسمع (٨ : ٥٣٧) .
وقال الشيخ محمد بن مانع رحمه الله : القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه فلا يقال اللفظ دون المعنى كما هو قول اهل الاعتزال ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال ومن تابعهم على باطلهم من اهل الكلام الباطل المذموم فاهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون ان القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ، الفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتلو بالالسنة .
عقيدة اهل السنة (ص ٧) .
والادلة على ان الله يتكلم بصوت يسمع كثيرة جدا منها قوله تعالى " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه " الاعراف : ١٤٢ .
وقوله " ياموسى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى " طه : ١٢ ، وقوله " ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم " آل عمران : ١٧٧ . وقوله " اخسأوا فيها ولا تكلمون " المؤمنون : ١٠٨ . وقوله " اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى " النازعات : ١٦ .
اما السنة فحديث احتجاج آدم وموسى وفيه قال آدم : انت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالته ، وكذلك قول الله يامحمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع .
انظر الاسماء والصفات (ص ١٨١) .

بيان اختلاف الناس في كون كلام الله تعالى بين الخلق .

اعلم ان السلف قالوا ان كلام الله تعالى موجود بذاته وهو صفة من صفاته ، وقالوا مع ذلك هو فيما بيننا متلو ومسموع ومحفوظ ومكتوب ، ولم يتحاشوا ذلك وكانوا بين فرقتين .

فرقة استسلموا الاثر ولم يستكشفوا عن تحقيق ذلك .(١)

وفرقة عرفوا حقيقة ذلك لبلوغهم منزلة الحقائق في العلوم ، كما وصفهم الله تعالى بقوله " الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله "(٢) فلم يكن له شبهة ولا بينهم خلاف الى ان تبع قوم من الجد ليين خرجوا بتحذلقهم(٣) عند قيد الشرع ولم يستفيدوا بجهدهم الهدى الذى اشار الله تعالى اليه بقوله " والذين اهتدوا زادهم هدى "(٤) ولم يتجاوزوا منزلة المحسوسات والموهومات الى التحقيق بالمعقولات واخذوا الكلام محسوسا فقط ، ورأوا من المحال ان يكون الجسم المحسوس يقع كونه في محل يحصل في محل آخر ولم يعلموا ان الصور المجردة المعقولة تكون بخلاف الاشباح المحسوسة فاختلفوا فيما بينهم .

---

(١) ان مذهب السلف في صفات الله واضح كل الوضوح فهم يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله حقيقة لا مجازا ، وليس مذهبهم التفويض كما شاع عند البعض فكل الايات القرآنية التي تضمنت الصفات الكريمة ، ثم الاحاديث النبوية الكثيرة في الصفات كل ذلك من اوضح الادلة على اثباتها لله عز وجله فان لم يكن المراد منها اثباتها له جل وعلا فما المقصود منها اذا ؟

(٢) سورة الرعد : ٢٨ .

(٣) تحذلق الرجل : اذا اظهر الحذق فادعى اكثر مما عنده . مختار الصحاح (ص ١٤١) .

(٤) سورة محمد : ١٧ .

فقال جل المعتزلة : كلام الله تعالى قط لم يصل الى الوجود وذلك ان الكلام حروف مركبة ولا يكاد يوجد الحرف الثاني الا بعد عدم الحرف الاول ، ولا الثالث الا بعدم الثاني ، والموجود لا يتركب مع المعدوم ، فاذا لا يتصور وجود الكلام على اصلهم قط لا في نفوس[1] الحفاظ ولا في تلاوة التالين ولا في كتابة الكاتبين والذي يوجد في كل وقت منه هو فعل البشر وخلق لهم من كل وجه ، وليس شئ منه وجد لا في هذا الوقت ولا في وقت النبي عليه السلام .

وزعمت الكلابية[2] أن كلام الله تعالى قائم بذات الباري عز وجل وانه ليس بحروف ولا صوت ولا امر ولا نهي ولا شئ من اقسام الكلام[3] وانه لم يوجد قط من البشر وان القرآن في التحقيق ليس بكلام الله تعالى فان القرآن هو الاصوات والحروف وذلك عبارة عن كلام الله تعالى وربما غالطوا بان القرآن اسم مشترك يقع على كلامه القائم بذات الباري عز وجل وعلى الذي في صدور المؤمنين وعلى المصاحف وهذا يؤدي الى ان يكون القرآن ثلاثة كل واحد بخلاف الاخر ، بل يؤدي الى ان يكون اشياء كثيرة .

---

(١) انظر مذهبهم في المغني (٧ : ٦)، شرح الاصول الخمسة (ص ٥٢٩)، مطالع الانظار (ص ٣٨٦)، شرح المواقف (٨ : ٩٢)، غاية المرام (ص ٨٨) .

(٢) هؤلاء اتباع عبد الله بن سعيد الكلاب احد المتكلمين في ايام المأمون، وله مع عباد بن سليمان مناظرات وكان يقول ان كلام الله هو الله ، وكان عباد يقول انه نصراني بهذا القول، وله مؤلفات وكان بعد الاربعين ومائتين .
انظر اللسان (٣ : ٢٩٠)، فهرست ابن النديم (ص ٢٥٥) ، معجم المؤلفين (٦ : ٥٩)، وقد تعرض لنقد شديد من بعض اهل السنة لمخالفته منهج السلف في الصفات الفعلية .
التفكير الفلسفي للنشار (١ : ٢٧٩) .

(٣) انظر شرح الطحاوية (ص ١٨٠)، شرح البـاجوري على الجوهرة (ص ١١٣)، درء تعارض العقل والنقل (١ : ٢٦٧) .

ولو اعتبر الفريقان ادنى اعتبار بان الصور المعقولة بخلاف المحسوسات لما ارتكبوا هذه الجهلات وذلك انه قد علم ان العلوم تبادر من نفس المعلم الى نفس المتعلم من غير مفارقته نفس المعلم ثم تكون موجودة في نفسهما[1] معا ، وان هيئة الصناعة تكون في نفس الصانع معقولة ويوجد ها في المصنوع محسوسة من غير مفارقته نفس الصانع كنقش الخاتم الموجود في الفص ويوجد بالطبع في شموع كثيرة من غير مفارقة الخاتم ، وكذا الصورة الواحدة قد توجد في مرايا كثيرة من (غير) ان يفاوت ذات المصور ، فاذ اثبت ذلك ففي القرآن الذي هو كلام الله تعالى مع انه لا قياس له كلام البشر شرفا ، ليس بعجب[2] ان يكون في وقت واحد[3] مع قيامه بالله تعالى موجودا في اللوح[4] المحفوظ وفي نفوس البشر وتلاوتهم وفي سمع من يسمعه عند قراءة القارئ وفي المصاحف .

فان قيل : لو كان كلام الله تعالى موجودا (في) الاحوال لكان مسموعا في كل حال .

قيل من شرط سماعه ان يصور بصور النظم الظاهرية ، واذا لم يحصل الشرط لم يحصل المشروط ، والمعتزلة يقولون : القرآن فيما بيننا فاذا حقق عليهم قالوا انما نعني به العبارة عنه ، وعندهم ان العبارة من جنس المعبر عنه[5] ، والكلابية قد يقولون : هو ما لا بداية له ، ولكن متلوا ومسموعا ومكتوبا ومحفوظا .

---

(١) في الاصل" نفسها" .
(٢) في الاصل" تعجب" .
(٣) في الاصل" واحدة" .
(٤) في الاصل" لوح" .
(٥) انظر شرح الاصول الخمسة (ص ٥٥١) .

البيان في وصف القرآن بانه مخلوق او غير مخلوق .

ان هذه المسألة غير خافية على الخائضين فيها ، وقد صارت فتنة لقوم وسببا لوقوع التهاجر والتناكر والتكفير والتبديع لاقوام صالحين، وذريعة الى الاستخفاف ببعض من المسلمين[1].

وقد حكى ان اول[2] ما احدثت هذه المسألة احدثت بالكوفة من جهة بنان بن سمعان[3] الرافضي، وكان قاصا احسن القاصين اخبار اليهود لتحققه بهم ،

وقيل : هو الذي اوقع الشبهة بين الناس والوقيعة في الصحابة .

وقال علي بن حرملة[4] : اتفق ان اجتمعنا يوما مع

(١) يشير به الراغب الى الفتنة التي وقعت في عهد المأمون فهو يمتحن العلماء بالقول بخلق القرآن فبعضهم اظهروا موافقته وهم كارهون، فوقع بذلك فتنة عظيمة صماء ، وبعضهم كانوا مصرين على الامتناع من القول بذلك كامام احمد ، ثم ما وقع في عهد المعتصم من المحنة .

(٢) ذكرت المصادر ان اول من قال بخلق القرآن هو الجعد بن درهم وقد اخذ الجعد من بنان بن سمعان واخذها بنان عن طالوت ابن اخت لبيد بن اعصم اليهودي . انظر البداية والنهاية (٩ : ٣٥٠)، سرح العيون (ص ١٥٩)، تاريخ ابن عساكر (٤ : ٢٠٥) .

(٣) هو بنان بن سمعان الرافضي ظهر بالعراق في اوائل القرن الثاني من الهجرة ، وهو من الغلاة القائلين بالهية امير المؤمنين علي رضي الله عنه قال حل في علي جزء الهي ثم في محمد بن الحنفية ثم في ابنه ابي هاشم ، ثم تزايد بمخرقته فادعى النبوة وكان على ذلك حتى رفع خبره الى خالد بن عبد الله القسري في زمان ولايته في العراق، فاحتال على بنان حتى ظفر به وصلبه ، الملل والنحل (١ : ٢٠٣)، مقالات الاسلاميين (١ : ٦٦) ذكر عبد القاهر البغدادي في الفرق (ص ٢٣٦) ان اسمه بيان ابن سمعان وصاحب سرح العيون ذكر ابان بن سمعان (ص ١٥٩).

(٤) علي بن حرملة التيمي الكوفي، ولي قضاء بغداد في ايام هارون الرشيد بعد موت محمد بن الحسن، وكان من اصحاب ابي حنيفة =

حماد[1] بن ابي حنيفة في منزل عثمان البتي[2] ، قال بنان بن سمعان سائلا حماد بن ابي حنيفة عن القرآن امخلوق هو ام غير مخلوق ؟ قال : ولم يكن قد سمع هذه المسألة من احد قبل ذلك ولا كان قد خاض فيه العلماء ، فقال حماد هو كلام الله تعالى ، ولم يزد على هذا قال علي : والتفت الى بنان متعجبا ومستفتيا فقال : اسأله امخلوق هو ام غير مخلوق ؟ وهو يقول كلام الله تعالى ، فقلت دعه فقد اجابك فاخذ يتعجب مني ويتهكم علي ، فلما خرجنا قلت لحماد اكتم هذه المسألة فاني لا آمن ان يرتد كثير من امة محمد صلى الله عليه على رأس هذه المسألة كما ارتد كثير من النصارى حيث سمى الله تعالى عيسى عليه السلام كلمته ، فقال حماد : هو ذلك ولذلك سكت من الجواب ، فلما دخلنا المسجد رأينا الناس لا يخوضون الا في هذه المسألة ، فقلت لحماد قد جاء ما كنا نحذره ، فاول من اجاب فيه ابو حنيفة[3] .

= وابي يوسف قال طلق علي بن حرملة مقدم في العلم وحسن المعرفة ، وقد حمل عنه العلم كثير ، وله حديث صالح واخبار . تاريخ بغداد (١١ : ٤١٥) .

(١) حماد بن ابي حنيفة تفقه على ابيه وافتى في زمانه ، وهو من طبقة ابي يوسف ومحمد والحسن بن زياد ، وقد تغلب عليه الزهد والورع ، وكان قاضيا في الكوفة بعد القاسم بن معن تلميذ ابي حنيفة ، قال الذهبي عن عدي انه ضعيف من قبل حفظه ، وكان على مذهب ابيه ، ميزان الاعتدال (١ : ٥٩٠) ، لسان الميزان (٢ : ٣٤٦) ، وفيات الاعيان (٢ : ٢٠٥) .

(٢) هو عثمان بن اسلم بن جرموز البتي ابو عمرو ، ويقال ابن سليمان ابن جرموز ، وكان يبيع البتوت ثيابا بالبصرة روى عن الحسن والشعبي وروى عنه الثوري وحماد بن سلمة واشعث بن عبد الملك ويزيد بن زريع ، يقول احمد بن حنبل عثمان البتي صدوق ثقة . الجرح والتعديل (٦ : ١٤٥) .

(٣) تقدمت ترجمته (ص ١٠٥) .

وقال : هو مخلوق[1] ، فالب[2] بنان العامة واشلاهم عليه حتى صاروا الى منزلة ليهجموا عليه ، فاشرف عليهم ابو حنيفة ، وقال ياقوم ماتريدون؟ قالوا : اكفرت ، قال اكفر منه توبة ام كفر ليس منه توبة ، قالوا : بل كفر منه توبة ، فقال اشهدوا انى قد تبت من كل كفر ، فرجعوا عنه ، وكان رئيس الكوفة فى العلم يومئذ ابو الصباح موسى بن (ابى) كثير[3] وكان فى الحج ، فلما رجع ونزل بالقادسية[4] قصده ابو حنيفة مبتكرا فى جوف الليل فلما دخل خيمته قال ابو الصباح : نعمان فقال نعم ، قال ماجاء بك؟ قال شر قد كان كذا وكذا ، فقال بئس ماعملت ، ولكن انصرف واعمل على ان لا يعلم بقصدك ثم لا يمكنني ان اعاونك ، فرجع فلما دخل ابو الصباح وحضر المسجد اجتمع عليه الناس فسألوه عن ذلك فقد اراهم واسكتهم عن هذه المسألة وقال ابو الصباح لما اعياه امر بنان لاصحابه انى اريد ان ادعو بدعاء

---

(١) قد ذكرت بعض المصادر قول الامام ابى حنيفة بان القرآن مخلوق كابن حبان فى المجروحين (٣ : ٦٥)، والخطيب فى تاريخه (١٣ : ٣٧٨)، وابو الهلال العسكرى فى الاوائل (ص ٢٩٤)، ولم يذكروا توبته ورجوعه عن هذا القول لعلهم ما اطلعوا عليه ، نعم ان ابا الحسن الاشعرى ذكر توبته ورجوعه فى الابانة (ص ٢٧) كما ذكر الراغب توبته . ولعل الامام الف كتابه " الفقه الاكبر" ورسالته " الوصية نقر" بعد رجوعه وتوبته حيث يصرح فيهما . انظر الفقه الاكبر (ص٢) والوصية نقر (ص ٢) . ان القرآن كلام الله غير مخلوق .

(٢) الب: القوم اليه اتوه من كل جانب . القاموس (١ : ٣٧) .

(٣) هو موسى بن ابى كثير الانصارى ويكنى ابا الصباح وكان من المتكلمين فى الارجاء وكان فيمن وفد الى عمر بن عبد العزيز فكلمه فى الارجاء وكان ثقة فى الحديث . قال شعبة ابو الصباح شيخ من اهل واسط سمع سعيد بن المسيب . الطبقات الكبرى (٦ : ٣٣٩)، التاريخ الكبير (٧ : ٢٩٤) .

(٤) بين القادسية والكوفة كان خمسة عشر فرسخا . معجم البلدان (٤ : ٢٩١) .

فامنوا ، فرفعوا ايديهم وقال يارب أني علمت أن بنانا تمادى في غيه لجاجا وعتوا فلاتخرجه من الدنيا حتى تفضحه وتهتك ستره فامن القوم ، قال علي بن حرملة : فوالله ماخرج من الدنيا حتى رؤى مقطوع اليد والرجل مصلوبا بالكوفة ، وقد اقر بالزندقة واحد في بيت النار مع الزنادقة ، وكان يبغض النبي ويتوصل الى ذمه بذم الصحابة ، ثم زجر اهل العلم الناس على الخوض في هذه المسألة ، واسكتوا عنها الى ان انتصب هشام بن الحكم[1] فاخذ يجددها ، واول من اعربها عبد الله بن كلاب[2] واعادها جذعا ، فصار فتنة الى اليوم ، وحكاية هذه انما هي لما ارى من الفتنة الواقعة في هذا الوقت بسهو وقع على اهل زماننا فيما نرى يتعلق بفروع هذه المسألة ثم نرجع الى المسألة فنقول ان وصف كلام الله تعالى بانه مخلوق بين كفر وبدعة وذلك انه اذا اشير الى الوصف الصادر عنه الكلام المسموع بانه مخلوق فهو كفر[3]، وان اشير الى المسموع من كلام الله تعالى بانه مخلوق فهو بدعة[4]، اذ كان ذلك مما لم يذكره النبي والسلف وقد قال

---

(١) هو ابو محمد هشام بن الحكم مولى بني شيبان الكوفي ، ولد بالكوفة ونشأ بواسط وسكن بغداد ، وكان من متكلمي الشيعة ويعد من كبار الرافضة بل غلاتهم وكان مجسما ويقول ان الله جسم وله نهاية وحد ، وانه طويل عريض عميق ويقول في القرآن انه لا خالق ولا مخلوق ولا يقال انه غير مخلوق وتوفي بعد نكبة البرامكة بمدة ، وقيل في خلافة المأمون .
انظر اللسان (٦ : ١٩٤)، مقالات الاسلاميين (١ : ١٤٨) ، ايضاح المكنون (١ : ٤٨)، فهرست ابن النديم (ص ٢٤٩) تأويل مختلف الحديث (ص ٤٨) .

(٢) انظر ترجمته (ص) .

(٣) اتفق العلماء على تكفير من قال بخلق القرآن . انظر عقيدة السلف (ص ١٣)، الابانة (ص ٢٦)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ١٠٢)، الابانة الصغرى (ص ٧٧) .

(٤) بل هو ايضا كافر كما قال الامام الصابوني في كتابه " عقيدة السلف" نقلا عن ابن مهدي الطبري من قال ان القرآن بلفظي =

عليه السلام " من احدث في دينا ما ليس منه فهو رد "[1] اي من احدث بدعة فليس منا على ان الخلق في صفة الكلام هو الكذب ، مخلوق ومختلق ومفترى اي كذب ويتعالى كلام الله تعالى من ذلك .

فقد تقدم[2] انا لا نصف الله تعالى ولا نصف الامور الالهية الا بما ورد به السمع ، ولما لم يرد السمع بشئ من ذلك لم نصف به ولما ورد بانه منزله وصفنا به لقوله تعالى " انا انزلناه في ليلة القدر "[3] وكذلك انه عربي لقوله تعالى " انا جعلناه قرآنا عربيا "[4] وانه محدث اي احد وجوده عندنا بعد ان لم يكن لقوله تعالى " ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث "[5] وانه محكم مفصل لقوله تعالى " كتاب احكمت آياته ثم فصلت "[6] وانه موصل لقوله تعالى " ولقد وصلنا لهم القول "[7] وان منه منسوخا ومنسيا لقوله تعالى " ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها "[8] ومن تأمل هذه الايات وكان ذا توفيق اطلع منها على ما يزول عنه الشك والاولى بالمؤمنين ترك الخوض في بحر ذلك مع العامة ، فلو احجم اماثل هذا الزمان عن

= مخلوق ، او لفظي به مخلوق فهو جاهل ضال كافر بالله العظيم (ص ١٤) ، وقال الامام احمد بن حنبل في كتاب السنة (ضمن مجموعة شذرات البلاتين ص ٤٩) والقرآن كلام الله ليس بمخلوق فمن زعم ان القرآن مخلوق فهو جهمي كافر ومن زعم ان القرآن كلام الله عز وجل ووقف ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو اخبث من الاوله ومن زعم ان الفاظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي ، ومن لم يكفر هؤلاء كلهم فهو مثلهم .

(١) رواه البخاري (٥ : ٣٠١) ، ومسلم (٣ : ١٣٤٣) ، وابو داود (٤ : ٢٠٠) ، وابن ماجة (١ : ٧) ، واحمد (٢ : ١٤٦) بلفظ " امرنا " .

(٢) تقدم في (ص ٩٩) .

(٣) سورة القدر : ١ .

(٤) سورة الزخرف : ٣ .

(٥) سورة الانبياء : ٢ .

(٦) سورة هود : ١ .

(٧) سورة القصص : ٥١ .

(٨) سورة البقرة : ١٠٦ .

ذلك ولم يحلوا قيد شياطين الانس لما اقدموا على وصف الله تعالى بما تنزه الاسماع عن الاصغاء اليه ، كفى بالله الملهم واعاذنا من فتنة الجهال .

بيان ما يورد كلام الله تعالى من انواع الكلام المركب من الخبر والاستخبار والامر والنهي والطلب والشفاعة .

والوارد في كلام الله تعالى من ذلك الامر والنهي وبعض انواع الخبر ، وذلك ان علام الغيوب مستغن عن الاستخبار ، وما ورد من لفظه في القرآن فعلى الحكاية او الانكار والتوبيخ ، ولا يطلب المولى من العبد ولا يتشفع اليه ، فهذه الثلاثة ليست في القرآن فلا يكون منه تعجب ولا تمني فالتعجب يكون من الجهل بسبب الشيء ، والتمني انما يكون لحاجة الانسان الى ما ليس له وهو يتعالى عنهما .

فاما الخبر : فيطلق عليه الصدق والكذب ويتعلق باحد الازمنة وفائدته القاء ما ليس عند المخاطب ليتصوره ، او القاء ما قد تصوره اليه ليتأكد عنده[1] ، والامر والنهي لا يتعلقان الا بالمستقبل وفائدتهما حث[2] الانسان على ما يكتسب محمدة ويجتنب به مذمة او حثه على الوجه الذي يكتسب به المحمدة ويجتنب منه المذمة والامر والنهي ضربان ، عقلي : وهو الذي يقتضي العقل حسنه وشرعي : وهو ما لا يقتضي العقل قبحه بل يجوز فيه الامرين الفعل والترك[3] والعقلي فلا يصح تغيره على مرور الايام ، والشرعي يصح فيه فلهذا يدخله النسخ[4] .

---

(١) هذا في اصطلاح البلاغيين يقال لازم فائدة الخبر .
(٢) في الاصل " حيث " .
(٣) هذا بقطع النظر بان الشرع جاء مرجحا لاحد الطرفين فيرجح الفعل في المأمورات والترك في المنهيات .
(٤) هذا في زمن الرسول فقط .

بيان انطواء كلام الله تعالى على الحكم كلها .

وقد وصف الله تعالى كتابه بانطوائه على كل علم فقال الله تعالى " مافرطنا في الكتاب من شيء "[١] وقال الله تعالى " ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء "[٢] وقال الله تعالى " وكل شيء احصيناه في امام مبين "[٣] وقال الله تعالى " ماكان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء "[٤] وقال الله تعالى " يس والقرآن الحكيم "[٥] هو الذي ينطوي على العلوم كلها والاعمال المحكمة ولاشتمال الكتاب على ذلك قيل في تفسير قوله تعالى " ومن يوت[٦] الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا "[٧] انه تفسير القرآن[٨] ، وقال الله تعالى " فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله "[٩] وقال الله تعالى " وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله "[١٠] اي الى كتابه ، لكن الوقوف على حقيقة ماقد اشار تعالى اليه باشتمال الكتاب على كل شيء صعب جدا لما يذكر من بعد ، فالقرآن كحانوت الصيد لاني فيه كل دواء نافع لكن لا يتم الانتفاع به الا بعد المعرفة بها بمنافعها ومضارها ، والناس يتفاوتون في معرفتها فهو على القول المجمل ثلاثة اضرب :

---

(١) سورة الانعام : ٣٨ .
(٢) سورة النحل : ٨٩ .
(٣) سورة يس : ١٢ .
(٤) سورة يوسف : ١١١ .
(٥) سورة يس : ١ ، ٢ .
(٦) وفي الاصل " يؤتي " .
(٧) سورة البقرة : ٢٦٩ .
(٨) قال به ابن عباس وقتادة ومجاهد ، انظر تفسير القرطبي (٣ : ٣٣٠) .
(٩) سورة النساء : ٥٩ .
(١٠) سورة الشورى : ١٠ .

ضرب : لا يعرف اعيانها واساميها فضلا عن معرفة مضرتهـــا ومنفعتها كمن وصفهم الله تعالى بقوله " مثل الذين حملوا التـــوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا "(١) .

وضرب : يعرف اساميها واعيانها دون خصائص مضارهـــا ومنافعها كالصيدلاني الذي يعرف الادوية باساميها واعيانهـــا دون خصائص مضارها ومنافعها .

وضرب : عرف كل ذلك وهو العالم الحكيم كالطبيب الذي يعــرف خصائص الادوية ، فحق من لم يعرف الحقائق ان لا يتعرض لكيفيـــة القرآن ، كما ان من حق من يتخصص بالطب ان لا يتعرض لحانوت الصيدلاني فيتداوى ويداوى لما فيه فيهلك ويهلكه ولهـذا قال الله تعالـــى " ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونـه منهم "(٢) فالناس يتفاوتون في معرفة القرآن مثل تفاوتهم في سائر الاشيـــاء فان القرآن منطو على فنون من العلم وكل طائفة (يختصون بفن ، فالبليـــغ) يختص بمعرفة بلاغته وفصاحته ، والفقيه يختص بمعرفة احكامـــه واهل الاثر يختصون بمعرفة قصصه .

واعلم ان الله تعالى قد انزل القرآن بقدرته البالغة وحكمتـــه الباهرة على وجه ليس عليه شيء من كلام الورى وذلك ان كلام البشـــر ضربان ، خاصي لا ينتفع به الا الخاصة دون العامة ككلام الحكمـــاء وعامي يعده الخاصة لغوا(٣) ومكاء(٤) وتصدية(٥) ، وكلام رب العزة جلـــت قدرته وهو على وجه يحصل لكل انسان منه بقدر فهمه وعقله ومنزلتـــه من العلم ، فمن كثر حظه من الحقائق كثرت فائدته ، ولهذا قال اللـــه

---

(١) سورة الجمعة : ٥ .

(٢) سورة النساء : ٨٣ .

(٣) ~~اللغو : مايحصى به . القاموس (٢ : ١٩٠)~~ .

(٤) المكاء : الصفير . مختار الصحاح (ص ٦٩٥) .

(٥) التصدية : التصفيق . المرجع المذكور (ص ٥٧٠) .

تعالى" انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها"[1] قال ابن عباس[2]: عني (بالماء) القرآن وبالاودية قلوب العباد[3]، وانما تتحمل منها على قدرها .

الفرق بين المعنى والتفسير والتأويل :

المعنى : هو المقصود اليه من الكلام المبهم به من قولهم عنى فلان بكذا وقيل هو المحتوى تحت اللفظ من المقصود اليه من قولهم المعاني للاسير، والاشتقاقان يتقاربان .

والتفسير : هو الكشف عن المقصود اليه بالكلام، وقيل التفسير مقلوب عن السفر،[4] لكن الفسر[5] يختص بكشف المعنى ولهذا قيل لقارورة الماء فسر من حيث انه ينبئ عن مزاج صاحبه الطبيب[6] والسفر يختص بكشف الاعيان كسفر القناع عن الوجه والعمامة عن الرأس[7] .

والتأويل : مايؤول اليه حقيقة الكلام، والعقل لا يقتضيه ظاهرا، وهو تفعيل من آل يؤول اذا رجع، وذلك رد الكلام من بين المحتملات الى المراد، ومنه الايالة اي السياسة وذلك صرف المسوس الى المقر الذي يحق له، ولاجل انه موضوع لما يرجع اليه ولا يقتضيه ظاهره استعمل في الرؤيا، نحو قوله تعالى" ويعلمك

---

(١) سورة الرعد : ١٧ .

(٢) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، الامام البحر وترجمان القرآن، ولد قبل الهجرة بثلاث سنة، وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفقه في الدين ويعلمه التأويل .توفي بالطائف سنة ٦٨هـ. التذكرة (٤ : ٤٠)، الاصابة (٢ : ٣٣٠)، طبقات القراء (١ : ٤٢٥) .

(٣) رواه الطبري (١٢ : ١٣٥)، وذكره القرطبي (٩ : ٣٠٥).

(٤) السفر : هو الكشف .اللسان (سفر) .

(٥) كان في الاصل" سفر" والصحيح ما اثبته .

(٦) انظر اللسان (فسر) .

(٧) قارن بما قاله الراغب في المفردات (ص ٢٣٣ ، ٣٨٠) .

من تأويل الاحاديث[1] وذلك لاجل ان اكثر الرؤيا يقتضي ظاهره امرا وباطنه غيره كمن رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر واخر يابسات[2] وقوله تعالى في قصة العبد الصالح لما بين المقصود من فعله لموسى عليه السلام " ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبرا"[3] فسمي ذلك تأويلا لما كان ظاهر فعله لم ينبئ عن مقصوده وقال تعالى" هل ينظرون الا تأويله يوم يأتي تأويله"[4] وقال تعالى " ذلك خير واحسن تأويلا"[5] .

الفرق بين التفسير والتأويل .

ان التفسير اعم من التأويل لان كل تأويل تفسير وليس كل تفسير تأويلا ، وذلك من وجهين :

احدهما : ان كل لفظ يشكل على المخاطب اذا بين بما هو اسهل فقيل هو تفسير ولا يقال له تأويل .

والثاني : ان التأويل لا يقال الا في المركبات من الالفاظ دون المفردات ، والتفسير قد يقال فيهما .

---

(١) سورة يوسف : ٦ .
(٢) هذا الرؤيا رآه الملك الريان بن الوليد فعبره يوسف عليه السلام ان السبع من البقرات السمان والسنبلات الخضر سبع سنين مخصبات واما البقرات العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبات ، فتزرعون سبع سنين متوالية فاستخرجوا ماتحتاجون اليه بقدر الحاجة والبقية فاتركوها في سنبلته لسنين مجدبات .
(٣) سورة الكهف : ٨٢ .
(٤) سورة الاعراف : ٥٣ .تأويله : ماوعدوا به من العقاب والحساب . القرطبي (٧ : ٢١٧) .
(٥) سورة النساء : ٥٩ . احسن تأويلا اي عاقبة ومآلا . ابن كثير (١ : ٥١٨) .

والتأويل يتسع لطاق مجاله نحو قوله تعالى" ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة "[1] فان من نظر نظرا دنيويا ولم ينفر عن الشهوات قال في تأويله هو ان يتحمل الانسان ما يعلم انه يقصر عنه كحمله مفردا في الحرب[2] على مابه التأويل اراد ، ومن نظر نظرا اخرويا منفرا عن الشهوات قال هو ان يقصر في آخر يجوز ان يعاقب على تركه كتقصيره في الحرب فان كثر اعداؤه ألف على نفسه ، وترك الحج مع التمكن من ادائه وان كان يشق الانفس[3] ، وكقوله تعالى" واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة "[4] فقد ذكر اكثر من عشرين وجها في ذلك كلها يعرض الاحتمال وامثال ذلك يكثر تعدادها .

---

(١) سورة البقرة : ١٩٥ .

(٢) كان في الاصل" الحوف " وهو خطأ .

(٣) قد روى الطبري في تفسيره عن اسلم ابي عمران قال حمل رجل من المهاجرين بالقسطنطينية على صف العدو حتى خرقه ومعنا ابو ايوب الانصاري فقال ناس القى بيده الى التهلكة فقال ابو ايوب: نحن اعلم بهذه الاية انما نزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدنا معه المشاهد ونصرناه فلما فشا الاسلام وظهر اجتمعنا معشر الانصار نجيا فقلنا قد اكرمنا الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونصره حتى فشا الاسلام وكثر اهله وكنا قد آثرناه على الاهلين والاموال والاولاد وقد وضعت الحرب اوزارها فنرجع الى اهلينا واولادنا فنقيم فيهما فنزل (وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة) فكانت التهلكة في الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد . (٣ : ٥٩٠) ت احمد شاكر ، فاخبر ابو ايوب ان الالقاء باليد الى التهلكة هو ترك الجهاد ، وروى مثله عن حذيفة والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك .
تفسير القرطبي (٢ : ٣٦١) .

(٤) سورة لقمان : ٢٠ .

بيان الوجوه التي منها يصعب مايصعب من تفسير القرآن وتأويله .

تفسير مفرد الالفاظ على حسب موضوع اللغة قريب المنال[1] سهل الادراك على من تدرب في معرفة اللغة العربية ، فان كان قد تقع فيهما الفاظ ربما يشكل على بعض ارباب اللغة نحو ماذكر ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : كان يشكل على ثلاثة الفاظ من القرآن قوله تعالى " يوم تمور السماء مورا "[2] وقوله تعالى " وكأسا دهاقا "[3] وقوله تعالى " ياليتها كانت القاضية "[4] فخرجت الى البادية فانتهيت الى خيمة فيهما صبية فقلت : اين امك ؟ فقالت : في المور ، فلما كانت بعد ساعة عادت فكانت تطحن طعاما لها فقالت : اطعمي ضيفك الكأس فصبوا لي قدحا فقالت : ادهقي الكأس و (رماك الله[5] بالقاضية) تأويله صب الله عليك القاضي . قال فاستفدت ثلاثتها وانصرفت .

واكثر مايصعب من تفسير القرآن يصعب من جهة تركيبات الالفاظ وذلك من وجهين : احدهما من حيث اللفظ والاخر من حيث المعنى .

فاما الذي من حيث اللفظ فثلاث اشياء :

احدهما : ما اختص به القرآن من الحذف والايجاز ، وذلك ان عامة القصص المذكورة فيه كثير مايترك من بينها مايعلم ان السامع يستدل بالمذكور عليه سخطا الى مابعده نحو قوله تعالى " ان اضرب بعصاك البحر فانفلق "[6] فترك من ذكر ماكان من موسى عليه السلام وضربه ثم ترك ذكر ماكان من اصحابه من دخولهم البحر وتخطيهم الى ذكر ماصنع .

---

(١) كان في الاصل " المثال " والصحيح ما اثبته .
(٢) سورة الطور : ٩ .
(٣) سورة النبأ : ٣٤ .
(٤) سورة الحاقة : ٢٧ .
(٥) مابين المعكوسين زيادة مني لتستقيم العبارة ، والله اعلم .
(٦) سورة الشعراء : ٦٣ .

والثاني : مايختص به لغة العرب من الحذف والايجاز ، والتلميحات[1] الدالة والاستعارات[2] الغريبة التي لا تكاد توجد في غيرها من اللغات ولذلك قيل : كلام العرب شبه الوحي ، وذلك ظاهر في الكتب المصنفة في البلاغات.

والثالث: مايوجد في كل آية مما ينبه به الخاصة عن العامة من العدول عن التصريح الى التعريض، ومن الكلام العامي الى الخاصي كالامثال وذلك وان كان موجودا في كل لغة وفي لغة العرب اكثر

---

(١) التلميح : وهو ان يشار في فحوى الكلام الى قصة او شعر من غير ان تذكر صريحا . التعريفات (ص ٦٩) .

(٢) الاستعارة : هو ادعاء معنى الحقيقة في الشئ للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين، كقولك لقيت اسدا المرجع السابق (ص ٢٩).
هل في القرآن مجاز او استعارة ؟ هذه المسألة مختلف فيها .
فقوم قالوا بوجوده في القرآن .
وقوم منعوا عن ذلك منهم ابن تيمية وابن القيم وابن خويز منداد وابو اسحاق الاسفرائيني .
قال ابن تيمية : تقسيم الالفاظ الدالة على معانيها الى حقيقة ومجاز هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به احد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان، ولا احد من الائمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والاوزاعي وابي حنيفة والشافعي بل ولا تكلم به ائمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وابي عمرو بن العلاء ونحوهم . الايمان (ص ٧٥) .
القائلون بالمجاز يتوصلون بذلك الى نفي كثير من الصفات الثابتة من الكتاب والسنة الصحيحة ، زاعمين انها مجاز ، وان المجاز يجوز نفيه ، فلو اقررتم بانه لا يجوز نفيه لوافقتم على انه اسلوب من اساليب اللغة العربية وهو حقيقة في محله وسلمتم من نفي صفات الكمال والجلال الثابتة في القرآن .
منع جواز المجاز للشنقيطي (ص ٤٢) .

وجودا (كقولهم) : اطرى فانك ناعلة[1] ، في الحث على الجد ، وقولهم " الصيف ضيعت اللبن[2] " في معاتبة من اهمل امره حتى فاته ، وقولهم " يداك اوكتا وفوك نفخ[3] " فيمن جنى على نفسه ، ومن سمع هذه الامثال واعتبر ظاهرها ولم يكن قد اوكى الزق ولا نفخ فيه ، ولا كان له لبن في الصيف فضيعته استسخف قائله وكذب مقاله .

وقد اخبر الله تعالى انه جعل القرآن مثلا في غير موضع نحو قوله تعالى " ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل[4] " وقوله تعالى " الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم ـ الى قوله ـ كذلك يضرب الله للناس امثالهم[5] " ولم يذكر في هذه الاية ما يبين ظاهره عن مثله وقال الله تعالى " ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون[6] " وماذكره الله تعالى من القصص القصد به الامثال والاعتبار والاسمار والاخبار ، واذا كان كذلك فمن اعتبر في جميع القرآن ظواهر الالفاظ دون مراعاة الحقائق كان كمن حمل قول

---

(١) كان في الاصل " فاعله " وهو تحريف .
انظر مجمع الامثال (١ : ٤٣٠) ، مستقصى الامثال (١ : ٢٢١) ، كتاب الامثال (ص ١١٥) ، جمهرة الامثال (١ : ٥٠) ، اللسان (طرر) .
" اطرى " اي خذي طرر الوادي وهي نواحيه " فانك ناعلة " اي فان عليك نعلين .

(٢) كان في الاصل " ضيعه " وهو خطأ .
كتاب الامثال لابن سلام (ص ٢٤٧) ، المستقصى (١ : ٣٢٩) ، امثال العرب (ص ٧) ، الفاخر (ص ١١١) ، جمهرة الامثال ... اللسان (صيف) .

(٣) كتاب الامثال (ص ٣٣١) ، جمهرة الامثال (٢ : ٤٣٠) ، امثال العرب (ص ٤٨) ، اللسان (يدى) .
اوكتا : شدتا ، الوكاء : كل سير او خيط يشد به فم السقاء او الوعاء .

(٤) سورة الروم : ٥٨ .

(٥) سورة محمد : ١ ، ٢ ، ٣ .

(٦) سورة ابراهيم : ٢٥ .

القائل له : يداك أوكتا وفوك نفخ على ظاهره ، وقول النبي صلى الله عليه وقد اخبر عن الدنيا " انها عجوز هتماء[١] وانه رآها متزينة[٢] على الظاهر ، وقد قال عليه السلام " ضرب الله مثلا صراطا مستقيما على جنبي الصراط سور فيه ابواب مفتحة وعلى تلك الابواب ستور[٣] مرخاة وعلى رأس الصراط داع يدعو الناس يقول ادخل الصراط ولا تفرجوا[٤]" وما يذكر على سبيل المثل لا يعد كذبا متى لم يكن الامر على ما اقتضى ظاهره نحو قول الملكين الذين اتيا داود فقال احدهما : " هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة[٥]" ولا يعد قوله تعالى " كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة[٦]" وان لم توجد حبة هكذا ، فان قيل : فما الفائدة في العدول الى المثل .

قيل : المثل اشرف لفظا لما فيه من الصنعة وحسن النسج والنظم واختصار اللفظ واشرف معنى لدلالته على المقصود اليه وعلى غيره مما شاركه ، فدلالته دلالة كلية لا جزئية ، وتعريض لا تصريح وفي التعريض تلطف ، وهو اشرف لمنزلة المخاطبين لكونه من كلام الحكماء ، ولذلك قيل : ان الله يخاطب الناس بقدر عقولهم[٧] ، فلشرف

---

(١) هتماء : التي انقلعت ثناياه من اصلها وانكسرت.
النهاية (٥ : ٢٤٣) .

(٢) ذكر الغزالي قول ابن عباس رضي الله عنه " يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء انيابها بادية ومشوه خلقها" . احياء علوم الدين (٣ : ٢١٥) .

(٣) وفي الاصل " سور" وهو تحريف.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم (١ : ٧٣) والترمذي (٥ : ١٤٤) ، وقال حديث غريب ، واحمد (٤ : ١٨٢) .

(٥) سورة ص : ٢٣ .

(٦) سورة البقرة : ٢٦١ .

(٧) قال ابن تيمية : ان الحافظ ابو حاتم والدارقطني وابن الجوزي وغيرهم قالوا ان الاحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم في العقل لا اصل لشيء منها وليس في رواتها ثقة يعتمد .
التسعينية (ص ٥) ، وقال ابن حجر : الاحاديث التي ذكرت في فضل العقل كلها موضوعة . المطالب العالية (٣ : ٢٣) .

هذه الاية صار في القرآن من الاستعارات والامثال ما يجري مجـــرى كتبه المنزلة ، وايضا فان ما ذكره الله من المعقولات بينة بينهـــا ولا تكون بينة بيننا ، نحو قوله تعالى " ان في خلق السموات والارض[١] " الاية ، فمن هذا الوجه يخفى حقائقه على العامة ، ولهذا قـــال " ان في ذلك لايات لاولي النهى[٢] " و " لاولي الالباب[٣] " و " لمن كـــان له قلب[٤] " فخصهم بالذكر من حيث انه لا يشاركهم فيه من لم يبلـــغ منزلتهم .

انواع ما ينطوي عليه القرآن ما يسهل او يصعب .

ذكر جماعة من المحققين ان جميع ما في القرآن ثلاثة انواع[٥] :

نوع : ظاهره وباطنه سواء ، ويتشارك في معرفته كل مـــن اختص بالعلوم الظاهرة ، وذلك هو الاحكام التي تتساوى في الحاجـــة اليه الكافة ، وحقه ان يكون مستقلا بنفسه ومصديا عن صفحتـــه اما بذاته واما بما يضامه من بيان النبي عليه السلام له بالفـــاظ سهلة المتناول كآية الوضوء والصلاة والصوم وسائر الاحكام .

وضرب له ظاهر وباطن ويختص بالحاجة اليه الانبياء والاولياء والصديقون وشرف العامة من ظاهره وتلاوته ، وباطنه وتأويلاتـــه وافهام العامة تقصر عن باطنه وحقائقه ، وعلى هذا ماذكر قتـــادة[٦]

---

(١) سورة البقرة : ١٦٤ .
(٢) سورة طه : ٥٤ .
(٣) سورة آل عمران : ١٩٠ .
(٤) سورة ق : ٣٧ .
(٥) قارن بالغزالي في الاحياء حيث ذكر خمسة انواع (١ : ١٠٠) .
(٦) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي ابو الخطاب البصـــري اكمه ، ثقة ثبت مات سنة بضع عشرة ومائة .
التقريب (٢ : ١٢٣) .

عن ابن عباس[1] رضي الله عنهم : " انه كان يكتم تأويل آيات عن العامة"[2] منها قوله تعالى" ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد"[3] وقوله تعالى" يسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي"[4] وقوله تعالى " لقد كان لسبأ في مسكنهم"[5] الاية ، وقال لسائل سأله عن قوله تعالى" ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن"[6] فقال لولا اني اخشى ان تكفر لفسرته لك[7].

وضرب: ظاهره للكافة عامهم وخاصهم وباطنه للنبي صلى الله عليه وهو كالسر بين الله وبينه عليه السلام، وقد ذكر سفيان بن عيينة[8] : انه كما ان بين الرجل وخاصة اصحابه سرا في اظهاره لغيره فساد وكذا بين السلطان ووزيره ، كذلك يكون بين الله تعالى وبين انبيائه عليهم السلام سر في اظهاره لغيرهم فساد[9] ، والى هذا المعنى اشار بقوله تعالى" عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول"[10] وليس طي ماطواه عنهم بخلا به عليهم ، لكن نظرا لهم ، وعلما بقصور افهامهم عن احتماله ، كما ان ماطواه من الدنيا عن انبيائه واوليائه لم يطو عنهم بخلا به بل نظرا لهم، ولنظره ولطفه قال الله تعالى

---

(١) تقدمت ترجمته (ص ١٩٢) .
(٢) ذكره القرطبي (١٠ : ٣٢٣)، ابن كثير (٣ : ٦١) .
(٣) سورة القصص : ٨٥ .
(٤) سورة الاسراء : ٨٥ .
(٥) سورة سبأ : ١٥ .
(٦) سورة الطلاق : ١٢ .
(٧) رواه الطبري (٢٨ : ١٥٣)، وذكره ابن كثير (٤ : ٣٨٥) .
(٨) تقدمت ترجمته (ص) .
(٩) انظر تفسير الطبري (١ : ٩ : ٢٠) ت احمد شاكر .
(١٠) سورة الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

حين قال موسى " رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل "[١] فنبهه بتجليه[٢] للجبل ان منعه ماسأله رحمة منه ، وما أحسن ما قال بعض الصوفية : يا من منعه عطاؤه ، يا من لا يستحق بمنعه الشكر غيره .

واعلم ان الله تعالى يفتح سراير وبواطن كتابه على عباده[٣] بحسب تزكيتهم لانفسهم وتطهيرهم لها وازالتهم د ونها ، فمثل النفس مثل مرآة صدئة لا تتجلى فيها الاشياء ، وانما تتجلى فيها اذا زكيت فتريه ولذلك قال الله تعالى " قد افلح من تزكى "[٤] وقال الله تعالى " قد افلح من زكاها "[٥] والانسان مادام محشوا بارجاسه البدنية وانجاسه النفسية من الكبر والعجب والفخر والكذب والشره محول بينه وبين حقائق آياته كما قال الله تعالى " سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق "[٦] قال سفيان بن عيينة : حرمهم فهم القرآن[٧] وقال الله تعالى في امثالهم " ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون "[٨] .

---

(١) سورة الاعراف : ١٤٣ .
(٢) كان في الاصل " بتخليه " والصحيح ما اثبت .
(٣) في الاصل " عادة " والصحيح ماذكرت .
(٤) سورة الاعلى : ١٤ .
(٥) سورة الشمس : ٩ .
(٦) سورة الاعراف : ١٤٦ .
(٧) رواه الطبرى (١٣ : ١١٢) ت احمد شاكر وذكره القرطبي (٧ : ٢٨٣) ، وابن كثير (٢ : ٢٤٧) .
(٨) سورة هود : ٢٠ .

بيان فائدة ما ورد في القرآن من المتشابه .

قال المتكلمون : فائدة ذلك ان الله تعالى اراد ان يعظم ثواب العلماء بجهد انفسهم في استخراج معانيها[١] .

وماقالوه بعيد ، اذ لم يكن فيه غير ذلك فانه يجرى مجرى مايتعاطاه للصبيان في اثبات المعميات والمسائل المعاياه والالغاز والاحجيات .

ولغيرهم في ذلك جوابان :

احدهما : ان الله تعالى خص الانسان بالفكر والتمييز الذى ثمرته استخراج المجهول بالمعلوم فاعطاه اكثر الاشياء قاصرة عن درجة الكمال ليكملها بفكرته كالمطاعم والملابس وهداه بفكرته الى اصلاحها والانتفاع بها ، وهذا من اشرف اكرام الله تعالى بنى آدم[٢] .

والثاني : انه تعالى لما وصف نفسه ، وقد علم انه " ليس كمثله شيء"[٣] وذكر لهم المعاد والجنة والنار وهي امور لا يتصورها الانسان ، اذ كان التصور يصح فيما احسه او احس مثله ، وكانت الالفاظ المتداولة موضوعة للمعاني المتصورة وتدل على تلك المعاني غير متصورة كقوله عليه السلام مخبرا عن الله تعالى في وصف الجنة " اعددت لعبادي الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر[٤] على قلب بشر"[٥] . وقوله تعالى" وننشئكم في مالا تعلمون"[٦] قد ذكر الله تعالى انالا نعلم النشأة الثانية فضلا ان نتصورها ، اذ وردت العبارة

---

(١) انظر تفسير الرازي (٧ : ١٨٤)، وماقاله البيضاوي (٣ : ٥) والزمخشري في الكشاف (١ : ٣٣٨) .

(٢) قارن بماقاله الرازي (١ : ١٨٤)، والالوسي في روح المعاني (٣ : ٥٣)، والسيوطي في الاتقان (٢ : ١٢) .

(٣) سورة الشورى : ١١ .

(٤) في الاصل " خطرت" .

(٥) رواه البخاري (٦ : ٣١٨)، ومسلم (٤ : ٢١٧٤) .

(٦) سورة الواقعة : ٦١ .

عن تلك المعاني بالفاظ العرب وكانت الفاظهم موضوعة لمعان محسوسة لم يمكن ذلك الا ان تذكر تلك المعاني من هذه الالفاظ على سبيل المثل فصار من هذا الوجه الفاظ القرآن ضربان .

(ضرب) مستعمل في معنى يتعارفه عامهم وخاصهم وهو غير المتشابه .

وضرب مستعمل في معنى على غير الحد الذي تعارفوه وهو المتشابه [١] .

ومن تصور هذه الجملة [٢] سهل عليه معرفة كون المتشابه في القرآن أي وجه وقع ، والعلة التي من اجلها احيل ارباب اللغة الى مراجعة النبي صلى الله عليه والعلماء ، قال تعالى " ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم [٣] " ومن هذا الوجه امر الائمة من الاسلاف ان يكون الانسان بالقبول ما ورد عليه من متشابه القرآن واخبار النبي صلى الله عليه ما في ظاهره تشبيه واقع من جهة اللفظ من الوجه الذي تقدم ذكره ، فان اطلعه الله على حقائق

---

(١) نقل السيوطي عن بعض انه قال ان قيل ما الحكمة في انزال المتشابه ، قلنا ان كان المتشابه مما يمكن علمه فله فوائد منها الحث للعلماء على النظر الموجب للعلم بغوامضه والبحث عن دقائقه ، ومنها ظهور التفاضل وتفاوت الدرجات ، وان كان المتشابه مما لا يمكن علمه اي بان استأثر الله بعلمه فله فوائد منها ابتلاء العباد بالوقوف عنده والتعبد بالاشتغال به . الاتقان (٢ : ١٢) .

(٢) في الاصل " الجلمة " .

(٣) سورة النساء : ٨٣ .

[illegible]

ذلك يمنع في نفسه من غير ان يذكر مخافة ان يصير فتنة له ، وان يطلعه على حقيقته غيره اجراه على ظاهره من غير تكييف وتخبيط لقول الله تعالى" ليس كمثله شيء"[١] وقول امير[٢] المؤمنين رضي الله عنه : التوحيد ان لا تتوهمه والعدل ان لا تتهمه فبذلك تسلم من التعطيل والتشبيه جميعا[٣] . ولا يجوز للعامي ان يسأل عن مثل ذلك ويبحث عنه ، ولا العالم ان يذكره لمن يقصر فهمه عن ادراك الحقائق بل يجب ان يعامل بما عامل[٤] به مالك بن انس[٥] رحمه الله من سأله عن قوله تعالى" الرحمن على العرش استوى"[٦] وماعامل[٧] به عمر[٨] رضي الله عنه من سأله عن حروف التهجي في اوائل السور[٩] .

---

(١) سورة الشورى : ١١ .

(٢) تقدمت ترجمته (ص) .

(٣) جزء [illegible] لعل الراغب اعتبر آيات الصفات من المتشابه ، هذا باطل فقد تطرق ابن جرير في تفسيره الى بيان المراد بالمتشابه عند آية آل عمران (واخر متشابهات) وذكر الاقوال في ذلك عن السلف ولم يذكر ان احدا من السلف قال بدخول آيات الصفات في المتشابه .

(٤) قد اخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب قال كنت عند مالك فدخل رجل فقال يا ابا عبد الرحمن (الرحمن على العرش استوى) كيف استوى ؟ فاطرق مالك فاخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ولا يقال كيف ، وكيف عنه مرفوع وما اراك الا صاحب بدعة فاخرجوه . فتح الباري (١٣ : ٤٠٧) . وذكره ابو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (ص ١٩) .

(٥) تقدمت ترجمته (ص) .

(٦) سورة طه : ٥ .

(٧) فقد اورد ابن بطة في الابانة الصغرى ان عمر رضي الله عنه جلد صبيغا التميمي في مسألته في حروف القرآن (ص ٢١) . واخرجه ايضا الهروي في " ذم الكلام " (ق ٨٣) والدارمي (١ : ٥٤) ، واخرجه ابن عساكر والخطيب كما في الاصابة (٢ : ١٩٨) .

(٨) تقدمت ترجمته (ص) .

(٩) كان في الاصل" الصور" والصحيح ما اثبت.

بيان انه هل في القرآن مايخفي تأويلة على العلماء .

ذهب المتكلمون الى ان ذلك لا يجوز ، وانه يؤدى الى ان لا نفع في انزاله ، وقالوا في قوله تعالى " لا يعلم تأويله الا اللـــه والراسخون في العلم "[1] ان قوله " والراسخون في العلم " عطف علـى قوله " الله " وان قوله تعالى " يقولون " في موضع الحال[2]، كما قـال الشاعر :

الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامة[3]

اى والبرق يبكي لامعا ، وقووا ذلك بقراءة من قرأ " يقولون آمنا به "[4] .

وعامة الصحابة[5] ذهبوا الى جواز ذلك من عدة اوجه :

احدها : ان التأويل ما آل الشئ اليه ، وهو تصور اولـــه

---

(١) سورة آل عمران : ٧ .

(٢) قارن بالرازى في التفسير الكبير (٧ : ١٨٩)، والبيضـــاوى (٣ : ٦)، والصحيح ان قوله "والراسخون في العلم" مقطـوع مما قبله وان الكلام قد تم عند قوله " الا الله " هذا قول ابن عمر وابن عباس وعائشة وعروة بن الزبير وعمر بن عبد العزيـــز وغيرهم ، وهو مذهب الكسائي والاخفش والفراء وابى عبيدة .
تفسير الطبرى (٦ : ٢٠١)، ت احمد شاكر، القرطبي (٤ : ١٦)
اضواء البيان (١ : ٢٣٦) .
ومن العلماء من فصل ههنا وقال التأويل له معنيان :
١ - بمعنى حقيقة الشئ ومايؤول اليه امره ، فهذا مايعلمه الا الله فالوقف يكون على " الله " .
٢ - بمعنى التفسير والبيان والتعبير عن الشئ ، فالوقـــف يكون على " الراسخون في العلم " لانهم يعلمون ويفهمـــون ماخوطبوا به ، تفسير ابن كثير (١ : ٣٤٧)، وبه قال ابـــن تيمية . مجموعة الرسائل الكبرى (٢ : ٨) .

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره بدون نسبته الى القائل (٤ : ١٧) .

(٤) روى عن مجاهد انه نسق " الراسخون " على ماقبله وهو قـــول ثان لابن عباس حيث قال " انا ممن يعلم تأويله " رواه ابـــن جرير (٦ : ٢٠٣)، ت احمد شاكر ، ورواه عنه ايضا ابن المنذر وابن الانبارى كما في الدر المنثور (٢ : ٦) .

(٥) كما ذكرت في الصفحة الماضية ان مذهب عامة الصحابـــة هو الوقف على " الله " .

واحواله المؤدى الى آخره ، وذلك بمعرفة اربعة اشياء :

أولا : معرفة وجود الشئ المطلوب علمه بقولهم هو هو .

وثانيا : المعرفة بجنسه المطلوب علمه بقولهم ماهو ان كان لذلك الشئ جنس .

وثالثا : المعرفة بصفته المميزة عن غيره المطلوب علمه بقولهم اى شئ هو، وكيف هو .

رابعا : المعرفة بعليته التى اقتضت كونه لذلك المطلوب علمه بقولهم لم هو وذلك مما لا يعرفه الا الله وخواص اوليائه الذين ارسخهم لاطلاعه على ملكوته .

والثانى : انه لا يعلمه الا الله ، التأويل المذكور فى قوله تعالى " هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله "[1] فان هذا التأويل مما تفرد الله تعالى بعلمه .

والثالث : انه قد علم ان فى القرآن ما ليس لها غاية نقف عليها وهى المشار اليه بقوله تعالى " ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله "[2] ويقول النبى صلى الله عليه " القرآن بحر لا ينزف " وقول ابن عباس رضى الله عنهما " القرآن ذو شجون وفنون لا تنقضى عجائبه ولا تبلغ غايته فمن اوغل فيه برفق نجا ، ومن اوغل فيه بعنف هوى "[3] ومعلوم ان قوى البشر تقصر عن بلوغ الغايات .

والرابع : ان فى القرآن ذكر اشياء عرف اسمها دون ذواتها وماهياتها نحو دابة الارض واهوال القيامة .

والخامس : ان فى القرآن آيات فسرت على عشرة اوجه فصاعدا

---

(١) سورة الاعراف : ٥٣ .

(٢) سورة لقمان : ٢٧ .

(٣) ذكر نحوه ابن كثير عن ابن مسعود رضى الله عنهما . فضائل القرآن (ص ٥) .

واللفظ يحتمل الكل والعقل لا يدفع شيئا منها ، ومراد الله تعالى وان لم يخرج من واحد من هذه الوجوه ، وليس هو معلوما لنا معينا فمن هذا الوجه ايضا يصح ان يقال فيه مالا يعلمه الا الله تعالى فان من صادف قوما ان زيدا مثلا هو فيما بينهم ، لكن لا يعرفه معينا فليس يخرج بذلك من كونه جاهلا بزيد ،

والسادس : ان الحكمة لا تنافي ان نؤمن بالفاظ تشغل السنتنا ثم لا نعرف معناها ، كما نؤمن باعمال فتتعلق بسائر الجوارح فلا نعرف معناها فلنأت على تحريها ، وعلى هذا قوله تعالى " وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم "[1] .

---

(١) سورة البقرة : ٥٨ .

الفصل السادس

في اليوم الاخر ومتعلقاتــــه

بيان اثبات البعث والنشور .

قد اثبت جماعة من اولي الالباب والعقول الراجحة البعث والنشور والثواب والعقاب وان اختلفوا في كيفيتها ، ولم ينف ذلك الا شرذمـــة قليلة من الدهرية[1] لا اعتداد بهم ، قد حكى الله تعالى : " وما لهــم بذلك من علم ان هم الا يظنون"[2] والدلالة على اثبات (ذلك) ان حكمة اللـه التامة لا تقتضي ان يقتصر الانسان على هذه الحياة الدنيا الخسيســة المضمحلة مع عظم عنايته تعالى به وخلق ما في الارض لاجله ، كما قــال الله تعالى :" وهو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا"[3] وان خصه بالعقل والنطق والسياسة والتدبير وما فيه من عجائب التركيب ثم ينبه من طريــق آخر ، وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله : افحسبتم انما خلقناكم عبثـا وانكم الينا لا ترجعون"[4] وذلك يؤدي الى ان يكون في خلق الانسان غرض يقصـد به وكمال ينتهي اليه ، غير ما جعل له في الدنيا من الاكل والشرب والسفاد وهذا مما تنكره العقول وما اصدق ما اشير اليه بالخبر المروي :" الدنيا دار ممر والاخرة دار مقر ، وقد خلقكم للابد لكنكم[5] تتقلبون من دار الـــى

---

(١) هم الذين الغوا المحسوس وركنوا اليه وظنوا انه لا عالم ســوى ما هو فيه من مطعم شهي ومنظر بهي ولا عالم وراء العالم المحسوس وجحدوا الصانع المدبر حتى قالوا وما يهلكنا الا الدهر .
الملل (٢ : ١٩٣) المنقذ من الضلال (ص ٤٠) .

(٢) سورة الجاثية : ٢٤ .

(٣) سورة البقرة : ٢٩ .

(٤) سورة المؤمنون : ١١٥ .

(٥) " للابد لكنكم " كان في الاصل " ابدانكم " والصحيح ما اثبتـــه اعتمادا على " تفصيل النشأتين " (ص ١٠٤) .

دار حتى يستقر بكم القرار[1]" .

واعلم ان العقل وان اقتضى كون البعث والنشور فوقوفه على احوالها صعب جدا ، ولا مجال للعقل في ذلك وانما طريقة السمع من جهة من له الخلق والامر بلسان انبيائه ، ووجه صعوبته شيئان :

احدهما : صعوبة معرفة المبدأ ، فان معرفة المعاد مبنية على معرفة المبدأ ، ولهذا قال تعالى " كما بدأكم تعودون[2]" وقال : " وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه[3]" .

والثاني : ان جميع ماندركه بحواسنا هي اشياء مضمحلة معرضة الكون والفساد والربو والاضمحلال حتى انه لو قيل : لا يبقى شئ في الدنيا على حالة ولا طرفة عين لكان ذلك صدقا ، ولهذا اشبهه الله تعالى بسراب بقيعة[4] وبهشيم تذروه الرياح[5] والاخرة هي دار القرار[6] وهو قوله تعالى " ماعندكم ينفد وماعند الله باق[7]" ومعلوم ان مالا ندركه او مثله بحواسنا لا يمكننا تصوره . كما ان الاكمه لا يمكنه تصور الانوار فاذا تصور امر المعاد صعب جدا الا ان يشرح الله تعالى له قلب عبد فيدركه ببصيرته كابراهيم صلى الله عليه وسلم حيث اراه الله

---

(١) جزء منه ذكره ابن كثير في البداية موقوفا على علي رضي الله عنه (٧ : ٢٦٣) وانظر ايضا نهج البلاغة (٢ : ١٨٣) وقد ذكره الراغب تماما عن علي في تفصيل النشأتين (ص ١٠٤) .

(٢) سورة الاعراف : ٢٩ .

(٣) سورة الروم : ٢٧ .

(٤) قال تعالى " والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء" . النور : ٣٩ .

(٥) قال تعالى " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح " . الكهف : ٤٥ .

(٦) قال تعالى " انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هي دار القرار " . المؤمن : ٣٩ .

(٧) سورة النحل : ٩٦ .

ملكوت السموات والارض[1] ، وكأمير المؤمنين رضي الله عنه حيث قال : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا[2] وكحارثة حيث قال النبي صلى الله عليه (كيف اصبحت ياحارثة ، قال)عزفت نفسي عن الدنيا حتى كأني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها والى اهل النار يتعاوون فيها[3] واذا كان كذلك ثبت ان عامة احوال القيامة مذكورة على طريق المثل كما قال الله تعالى " مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن[4]" اى مثل الجنة مثل جنة فيها انهار ، وروى " انه ليس في الجنة شئ مما في الدنيا الا اسماؤها[5]" .

بيان كيفية المعاد .

اختلفوا في كيفيته وذلك بحسب اختلافهم في مبدأ الكون فيجب ان يذكر طرفا من الكلام في المبدأ ليعرف به المعاد .

فاما اصحاب التناسخ فقد ذهبوا الى ان الله تعالى خلق الانسان في المبدأ على احسن صورة وفي انعم عيش وسوى بين جميعهم ولم

---

(١) قال تعالى " وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض " الانعام : ٧٥ قال ابن كثير معناه نبين له وجه الدلالة في نظره الى خلقهما على وحدانية الله عز وجل في ملكه وخلقه وانه لا اله غيره وقيل كشف الله له عن السموات والارض حتى العرش واسفل السافلين وقيل اراد به مافي السموات والارض من عبادة الملائكة ومن عصيان بني آدم ، ويحتمل ان يكون عن بصيرته حتى شاهده بفؤاده .
(٢ : ١٥٠)، القرطبي (٧ : ٢٣) .

(٢) تقدم الكلام عليه في (ص) .

(٣) تقدم تخريجه في (ص) .

(٤) سورة محمد : ١٥ .قال ابن عباس : آسن : متغير ، قال قتادة منتن ابن كثير (٤ : ١٧٦) .

(٥) هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما .انظر الفتح (٦ : ٣٢١) ، وذكره ابن التيمية في الحموية (ص ١٦٤)، شرح حديث النزول (ص ٢١) .

يكن لهم حينئذ فقر ولا عجز ولا موض ولا شئ من البلاء ، ثم تحاسدوا وتباغضوا وتعادوا فنزعهم الله من مقارهم وجعل ارواحهم في هذه الابدان المختلفة بحسب استحقاقاتها عقوبة لها ، قالوا فلا تزال تتردد في الاشباح المختلفة حتى تعود الى حالتها ، قالوا ذلك هو المعاد[1] .

وقالت الثنوية[2] : قد كانت مدبرة همامة الخير[3] يعنون بها الله عز وجله وكانت مدبرة همامة الشر هو الشيطان، وكان النور والظلمة عالمين، وكان عالم النور مملوء من الخير ، وعالم الظلمة مملوء من الشر فسوق الشيطان همامة الى عالم النور لما لمع له وميض[4] النور ، وخاف همامة الخير منه فاستعد للقتاله فابتلع همامة الشر واعوانه بعضا من النور ، فلما امتلأ منه واراد ان يذهب لم يقدر لكون رأس النور في يد همامة الخير ، فاحتال هو لتخليص النور من يده فبنا السماء والنيرين، واحتال بذلك ان يسترجعه ، قالوا : فاذا استرجع النور عنه حينئذ عاد العالمان الى ما كان[5] ، وتحرر هامة الخير حينئذ من تسلط همامة الشر عليه ، ويقولون بتخريب الدنيا معاونة لهمامة الخير في انقاذ النور من الظلمة ، ولذلك يؤثرون قطع الحرث والنسل ولهم في ذلك هذيانات تضحك الثكلى[6] ولا يساوي كتبها ، نعوذ بالله مما يرفع

---

(١) قارن بنهارية الاقدام (ص ٣٧٧)، غاية المرام (ص ٢٩٢ ، ٣٢٢) الفصل (١ : ٩٠)، الفرق بين الفرق (ص ٢٧٠) .

(٢) قد تقدم الحديث عنها في (ص) .

(٣) اجناس النور خمسة ، اربعة منها ابدان والخامس روحها فالابدان هي النار والنور والريح والماء وروحها النسيم وهي تدعى الهمامة وهي تتحرك في هذه الابدان . واجناس الظلمة خمسة اربعة منها ابدان والخامس روحها ، فالابدان هي الحريق والظلم والسموم والضباب وروحها الدخان وهي تدعى الهمامة وهي تتحرك في هذه الابدان . انظر دائرة المعارف القرن العشرين (٢ : ٧٧٠) .

(٤) ومض ومضا ووميضا البرق : لمع خفيفا . القاموس (٢ : ٣٤٨).

(٥) قارن بدائرة المعارف القرن العشرين (٢ : ٧٧٢) .

(٦) الثكلى : المرأة التي فقدت ولدها . مختار الصحاح (ص ٣٨٣) .

الدين ويضعف اليقين .

واما المجوس فيخالفونهم في بعض ذلك[1] ويوافقونهم في البعض فعندهم ان الله تعالى يريد عمارة الدنيا والسرور والبقاء الابديه وان الاثيم العاجز ابليس هو الذي يكره ذلك ويسعى في هدم مابناه البارى تعالى، ويقولون ان البارى عز وجل والاثيم تحاربا ثم وقع بينهما عهد على ان لا يتعرض البارى الاثيم فيما يفعله مدة ، فاذا انقضت المدة حينئذ يتمكن البارى من الاثيم ليجلسه بحياله ، ويجعل على رأسه حجرا عظيما فتصفو الدنيا حينئذ من الشرور والبلايا ويعود الناس الى حال اليسرة والنقاء[2]، رواها كثير من المنجمين فقد قالوا بالدور والكور، وقالوا لا تزال الاركان الاربعة تتركب وتعود الارواح في الابدان بحسب دوران الفلك والنجوم .

واما القدماء من الفلاسفة فلهم مذاهب .

فمنهم من يجعل مبدأ العالم النار[3] .

ومنهم من يجعله الهواء[4] .

ومنهم من يقول اول ماخلقه الله تعالى العقل ثم النفس الكلية[5] .

---

(١) قد مضى الكلام عليه في (ص)

(٢) قارن بدائرة المعارف القرن العشرين (٨ : ٤٤٨) وفيه ان الملائكة يتوسطون في الصلح بينهما بعد محاربتهما على ان يكون العالم السفلى خاصا لاثيم ، وليس فيه ذكر وضع الحجر على رأسه .
وانظر ايضا نهاية الاقدام (ص ٦٥) .

(٣) قال به هرقليطس (٥٤٠ - ٤٧٥ ق م) انظر تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٧) ونهاية الاقدام (ص ٥٥) .

(٤) قال به انكسيمانس (٥٨٨ - ٥٢٤ ق م) تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ١٦) الملل النحل (٢ : ١٦٥)، نهاية الاقدام (ص ٥٥).

(٥) قال به افلوطين (٢٠٥ - ٢٧٠ م) انظر الملل والنحل (٢ : ١٩١) ، تاريخ الفلسفة اليونانية (ص ٢٩١) .

وان المعاد أن تصفو النفوس فتعود الى عالمها وتتصل بها[1]، والى هذا القول ذهب جماعة من الباطنية[2]، وعند بعضهم ان الانسان من صفاء نفسه يصير ملكا ومن خبث نفسه يصير شيطانا، وان الملائكة المسميون بالارواح هم نفوس الاخيار وان الشياطين هم نفوس الاشرار[3].

واما مذهب المعتزلة فعندهم ان ذوات الاشياء لم يصر شئ منها ذواتا بالله بل كانت ذواتا في العدم، وان الجواهر والاعراض كانت في العدم جواهر واعراضا المتماثل منها والمتباين، وان الوجود ليس بمعنى ولا الحدوث ولا البقاء ولا البطلان[4]، وان الموجودات بقاءها بنفسها لا بالله تعالى، وان كل موجود انما يحتاج الى الله في حال الوجود فقط، واذ أوجد فقد استغنى عنه ولا حاجة اليه، وكذا الموجودات التي لا تبقى، ولم يثبتوا للايجاد والاحداث معنى سوى اظهاره اياها للحواس[5]، قال بعض المحققين: هذا الذى قالوه في الحقيقة زبدة التعطيل والالحاد كما ترى[6].

---

(١) انظر النجاة (٣ : ٣٠٧).

(٢) الباطنية لهم القاب كثيرة، سموا بهذه لحكمهم بان لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا هذه الفرقة تأثرت بفلسفة اليونان وديانات هندية، ويقولون في الله تعالى: انا لا نقول هو موجود ولا لا موجود ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك في جميع الصفات، لان الاثبات يقتضي شركة بينه وبين المخلوقات، ويذهبون الى ابطال الشرائع والمعاد والنشور من القبر.
الملل (٢ : ٢٩)، الفرق بين الفرق (ص ٢٨١).

(٣) قارن بالنجاة (٣ : ٣٠٧، ٣٠٨).

(٤) المراد به الفناء.

(٥) اول من احدث هذا القول هو الشحام ثم تابعه معتزلة البصرة انظر الشامل (ص ١٢٤) ونهاية الاقدام (ص ١٥٠)، واصول الدين (ص ٢٣٤)، شرح المقاصد (٢ : ١٥٩)، وشرح المواقف (٨ : ٢٨٩) وايضا المغني (١١ : ٤٥١).

(٦) انظر ماقال الجويني في الشامل ردا على فساد مذهب المعتزلة (ص ١٢٦، ١٢٧) وهذا القول يؤدي الى سد باب الصانع، شرح المواقف (٨ : ٢٩١).

فان قالوا : نحن وان احلنا قدرة الله تعالى على ذوات الجواهر والاعراض فانا لا نحيل قدرته على ايجادها [١] .

قيل : هذه مغالطة منكم ظاهرة لان وجود كل شئ ذاته وليس الذات شيئا آخر ، فمتى اثبتم الجواهر والاعراض مع كونهما معلومين ذواتا فقد ناقضتم مع انكم جعلتم ذواتها غير محدثة وهل احد اثبتها على ما ذكرتم الا اظهارها للحواس ، فان كانت هذه الاشياء هي ما هي في القديم مخالفة فيما خالفت او موافقة فيما وافقت فقد كان اختلافهم في المبدأ .

ثم اعلم ان عندهم ان الله تعالى لو اراد ان يفني ذرة لم يقدر على ذلك حتى يخلق معنى ليس بجوهر ويحدثه لا في محل وهو لا يبقى ويفني (بوا) سطته جميع الجواهر [٢] ، وهذا باطل على ما ابينه من بعد .

واما اهل الحق واصحاب الاثر وجل المسلمين قالوا ان الذوات جواهرها واعراضها لم يصر ذواتا واعراضا الا بالله تعالى ، وان ما يحدث انما يحدث لان الله تعالى فاعل حدوثه ، وان ما فني انما فني لان الله تعالى لم يفعل له البقاء فكل شئ عرى من حفظ الله تعالى لم يبق ولا طرفة عين كما قال الله تعالى " ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده " [٣] .

وعند اهل الاثر ان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد [٤] ، على ما ورد به الخبر : " ولم يكن شيئا ثم الابد ان فينفخ فيها الروح " [٥] وكما قال الله تعالى " اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين " [٦] وانه تعالى لما خلق آدم عليه السلام

---

(١) قارن بالمغني (١١ : ٤٤٣) .
(٢) قارن بالبغدادي في اصول الدين (ص ٢٣١) .
(٣) سورة فاطر : ٤١ .
(٤) انظر الروح (ص ١٦٣) ، شرح الطحاوية (ص ٢٦٥) ، معارج القدس (ص ١٢٤) .
(٥) رواه البخاري (٦ : ٣٠٣) ، الترمذي (٤ : ٤٤٦) ، احمد (١ : ٣٨٢) .
(٦) سورة ص : ٧١ ، ٧٢ .

اخرج نسمة منه فنثرها بين يديه كالذر[1] ثم كلمهم فقال تعالى : " الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم "[2] ومن لم يعتبر ماورد به القرآن ودل عليه الاثار اعتبارا روحانيا عقليا بل اعتبره اعتبارا حسيا يكون عند ذلك خرافة وسخفا .

وعند اهل الحق ان الانسان هو روح وبدن ، وموته هو التفريق بين روحه وبدنه ، وان روحه متى فارق بدنه يكون اما معذبا واما مثابا على مايذكر بعد ، ثم اذا كان يوم القيامة يرد روحه في جسده فيحاسب ويجازي المحسن باحسانه والمسئ باساءته .

والمعاد عندهم هو الحقيقة ، وهو عود الانسان الى الله تعالى بعد ان خرج من عنده ، حيث قال الله تعالى " الست بربكم "[3] وعلى هذا دل الايات نحو قوله تعالى " ثم الينا مرجعهم "[4] وقوله " وظنوا انهم الينا لا يرجعون "[5] (وقوله تعالى) : " واليه تقلبون "[6] وقوله تعالى " ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة "[7] وقوله تعالى " الينا مرجعهم "[8] وهذه الالفاظ عند المعتزلة مجاز ، فانه لا يرجع الى الله تعالى شئ جاء من عنده ، فان الارواح عندهم انفاس خارجة داخلة بالانقباض والانبساط[9]

---

(١) قد روى الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة مرفوعا لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الذر (٢ : ٣٢٥)، وقال هذا على شرط مسلم، واحمد (١ : ٢٧٢) .

(٢) سورة الاعراف : ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٣) سورة الاعراف : ١٧٢ .

(٤) سورة يونس : ٧٠ .

(٥) سورة القصص : ٣٩ .

(٦) سورة العنكبوت : ٢١ .

(٧) سورة الجمعة : ٨ .

(٨) سورة لقمان : ٢٣ .

(٩) انظر المغني (١١ : ٣٣٦)، الفصل (٥ : ٧٤)، الروح (ص ١٧٧) ، وبه قال الباقلاني ومن تبعه من الاشعرية .

ويدفعون ماروي في الخبر في اخذ العهد وهم في صلب آدم [١] ، ويصرفون الاية عن مقتضاها ، وذلك لقصور فهمهم عن تصور المعقولات واعتبارهم بالمحسوسات، نسأل الله نورا يهدينا الى الحق ومعرفة تنطق السنتنا بالصدق انه على مايشاء قدير .

ماهية الموت والحياة .

لفظ الموت والحياة يستعملان في الكلام على اوجه :

الاول : هو ان بقاء القوة النامية الموجودة في النبات والحيوان والانسان الحياة ويفقدها الموت، وعلى هذا قوله تعالى : " اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها " [٢] .

والثاني : ان يقال القوة التي بها الحس والحركة في الحيوانات والانسان دون النبات، وذلك هو الاشهر في كلامهم .

والثالث : القوة المختصة بالانسان وبها الفكر والروية وهي المعنية بقوله تعالى : " او من كان ميتا فاحيينا وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها " [٣] فمن كان حظه من الفكر والروية بالحقائق اكثر فحظه في هذه الحياة اوفر ، ولما كانت القوة النامية ابدا في التغير صار الحي بها في كل حال كأنه يموت منه شيء ، وعلى هذا قال الشاعر :

دب في البلاء سفلا وعلوا   وارانى اموت عضوا فعضوا [٤]

---

(١) انظر الحديث المذكور آنفا .
(٢) سورة الحديد : ١٧ .
(٣) سورة الانعام : ١٢٢ .
(٤) البيت مع آخر بنسبته الى ابي نواس في البيان والتبيين للجاحظ (٣ : ١٨٢)، وروايته " شاع في الفناء" وهو في ديوانه يقول " دب في الفناء" ديوان ابي نواس (ص ٦٩١) .

وعلى هذا حمل بعض المفسرين قوله تعالى : " انك ميت وانهم ميتون "[١] فيما قيل : هو الاشارة الى الموت الذى هو الاضمحلال الدائم[٢] تنبيهــا على أن من لا ينفك عن ذلك لا ينفك من الموت الاكبر .

والرابع : الموت الاخروى والحياة الاخروية .

فالموت الاخروى هو الحياة في عذاب دائم ، وذلك هو المذكور في قوله تعالى : " ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت "[٣] اى مستريح ، والحياة الاخروية هو المذكور في قوله تعالى " وان الدار الاخرة لهى الحيــوان لو كانوا يعلمون "[٤] وذلك بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وقدرة بــلا عجز ، واليه اشير في احد التفاسير كقوله تعالى : " فلنحيينه حيــوة طيبة "[٥] وقال عليه السلام : " لا عيش الا عيش الاخرة "[٦] والمشهور مــن هذه الانواع الاربعة الموت : هو خلو الجسد من الروح الذى فيــه القدرة ، والحياة من وجود الروح فيه[٧] ، وعلى ذلك قوله تعالى " وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم "[٨] فالموت الاول اشارة الى حين ما كان الانسان جمادا ، فان الجماد موت ولهذا يقال له موتان ، فان الارض والمــاء ونحوها ميتة ، والحياة الاولى حيث جعل الله تعالى فيه الروح والموت

---

(١) سورة الزمر : ٣٠ .

(٢) قارن بما فسر به الزمخشري في الكشاف (٤ : ١٢٧) ، البيضــاوى (٧ : ٣٢٨) .

(٣) سورة ابراهيم : ١٧ .

(٤) سورة العنكبوت : ٦٤ .

(٥) سورة النحل : ٩٧ . قال الالوسي : المراد بالحياة التى تكون فــى الجنة اذ هناك حياة بلا موت ، وغنى بلا فقر ، وصحة بلا سقم وملـك بلا هلك ، وسعادة بلا شقاوة ، روح المعانى (١٤ : ٢٢٦) .

(٦) رواه البخارى (٦ : ١١٧) ، مسلم ٣ : ١٤٣٠) .

(٧) قارن بالروح (ص ٣٤) ، شرح الطحاوية (ص ٤٤٦) .

(٨) سورة البقرة : ٢٨ .

الثاني هو المعروف، والحياة الثانية هو البعث يوم الحشر،[١] وعلى ذلك قوله تعالى : " امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين "[٢] .

بيان الروح والنفس .

الروح يقال في كلامهم على اوجه :

يقال للنفس : كقول الشاعر في صفة النار :

فقلت لها ارفعها اليك واحيها بروحك (واجعله لها قيتة[٣] قدرا[٤]

ويقال للرحمة وعليها حمل قراءة من قرأ " فروح وريحان "[٥] ولعيسى عليه السلام لقوله تعالى " وروح منه "[٦] ولبعض الملائكة لقوله تعالى " يوم يقوم الروح والملائكة صفا "[٧] وللقرآن لقوله تعالى " اوحينا اليك روحا من امرنا "[٨] ولما يكون به الحياة وصار به الانسان انسانا واياه قصد بقوله تعالى " ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي "[٩] .

واما النفس فقد يقال للدم نحو قولهم : ماله نفس سائلة[١٠]

---

(١) قال به ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما . القرطبي (١ : ٩ ٤ ٢) ابن كثير (١ : ٦٧) .

(٢) سورة المؤمن : ١١ .

(٣) ما بين المعكوسين كان في الاصل (واجعلها لناقيه) والصحيح ما اثبته .

(٤) البيت لذي الرمة ، قيتة : النفخ القليل . اللسان (روح) وذكره الراغب في المفردات (ص ٢٠٥)، وفيه " فيئة " .

(٥) سورة الواقعة : ٨٩ .
قراءة العامة " فرَوح " وقرأ الحسن وقتادة " فرُوح " معناه الرحمة القرطبي (١٧ : ٢٣٢) .

(٦) سورة النساء : ١٧١ .

(٧) سورة النبأ : ٣٨ . اختلف في المراد بالروح فقيل انهم ارواح بني آدم ، وقيل هو جبريل ، وقيل انه ملك من الملائكة وقيل هو اشرف الملائكة وقيل القرآن . ابن كثير (٤ : ٤٦٥) .

(٨) سورة الشورى : ٥٢ .

(٩) سورة الاسراء : ٨٥ .

(١٠) ذكره شارح الطحاوية وظن انه كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وقال محققه : ليس له اصل وانما هو من كلام الفقهاء . (ص ٤٤٥) .

وللذات نحو قوله تعالى" ويحذركم الله نفسه"[1] وللروح واياه قصد بقوله عليه السلام حكاية عن ربه عز وجل" المؤمن عندى بكل خير يحمد نفسى وانا انزع النفس من بين جنبيه"[2] وماروى ان الله تعالى قال : للنفس اخرجى فقالت لا اخرج الا كارها[3] وعليه قوله تعالى" اخرجوا انفسكم"[4] وقوله تعالى" يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى"[5] ولا يطلق على الجسد كما قال الله تعالى " الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها"[6] فلو كان النفس هو الجسد كما زعم جماعة من المعتزلة[7] لكان من المحال توفيها وارسالها طورا وامساكها طورا .

كون الانسان مركبا من روح و بدن مما وان مادل عليه قوله تعالى" انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى"[8] والروح عند كافة المسلمين جوهر له ثواب وعقاب بعد مفارقة البدن الى الى ان يعيده الله تعالى فى البدن يوم القيامة[9] .

وزعم الطبيعيون وعامة المعتزلة ان الروح الذى عظم الله تعالى امره بقوله :" يسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربى"[10] هو النفس الداخل

---

(١) سورة آل عمران : ٢٨ .

(٢) رواه احمد بلفظ قريب منه عن ابن عباس (١ : ٢٧٣) وذكره السيوطى عن ابى هريرة وعزاه الى البيهقى . الجامع الكبير (ص ١٨٨) ، الهيثمى فى مجمعه وعزاه الى البزار (٢ : ٣٢١) .

(٣) ذكره الهيثمى فى مجمعه وعزاه الى البزار ورجاله ثقات (٢ : ٣٢٥) .

(٤) سورة الانعام : ٩٣ .

(٥) سورة الفجر : ٢٧ - ٣٠ .

(٦) سورة الزمر : ٤٢ .

(٧) قال به الاصم وابو الهذيل . انظر الروح (ص ١٧٦) ، الفصل (٥ : ٧٦) ، المغنى (١١ : ٣٣٥) ، شرح المواقف (٨ : ٢٩٧) .

(٨) سورة ص : ٧١ ، ٧٢ .

(٩) قارن بالفصل (٥ : ٧٤) ، الروح (ص ١٧٧) ، شرح الباجورى (ص ٥٠ ٣) تفسير القرطبى (١٥ : ٢٦٠) .

(١٠) سورة الاسراء : ٨٥ .

والخارج بالانقباض والانبساط[1]، وأن الانسان متى عرض له الموت بـادر روحه وفنى، وبقي القالب بعد تلاشيه على هيئة تركيب ثم يستحيل الى جوهر الارض الى ان يجمع الله اجزاؤه في النشأة الاخرة فيخلق فيه الحياة[2]، واحالوا كل ما ورد في القرآن وفي الاخبار من توفي الملائكة لـه وقالوا : نفس الانبياء والمرسلين ونفس الكفار متساوية في حال العدم الى يوم القيامة وماقالوه مخالف لما نطق به الكتاب والسنة .

اما الكتاب فقوله تعالى في صفة الشهداء " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون ـ الى قوله ـ ان الله لا يضيع اجر المحسنين"[3] وقوله تعالى" ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات"[4] وروى في تفسير ذلك ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه " ان الله تعالى جعل ارواح الشهداء في جوف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة تحت العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم[5] قالوا من يبلغ اخواننا انا احياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب، فقال تعالى انا ابلغهم عنكم[6] فانزل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله[7] .. الاية وقوله تعالى"ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون"[8] فقوله تعالى" اليوم " اشارة الى اليوم الذي

---

(١) انظر موقفهم في المغني (١١ : ٣٣٦)، الفصل (٥ : ٧٤)، الروح (ص ١٧٧)، وبه قال الباقلاني ومن تبعه من الاشعرية .
(٢) قارن بشرح المواقف (٨ : ٢٨٩) .
(٣) سورة آل عمران : ١٦٩ .
(٤) سورة البقرة : ١٥٤ .
(٥) وفي الاصل" متقلبهم " .
(٦) وفي الاصل" عنك" .
(٧) رواه الطبري (٧ : ٣٨٥) ت احمد شاكر، وابو داود (٣ : ١٥)، الحاكم في المستدرك (٢ : ٢٩٧)، وقال هذا حديث صحيح على شرط مسلم، قال القرطبي رواه ابو داود في مصنفه باسناد حسن (٤ : ٢٦٨) .
(٨) سورة الانعام : ٩٣ .

اخرج فيه نفوسهم قبل يوم القيامة . ويدل على ذلك قوله تعالى في صفة آل فرعون " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا "[1] فهذا قبل القيامة بدلالة قوله تعالى " ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب "[2] .

واما السنة فنحو ماروى ابو هريرة[3] رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المؤمن اذا قبض قبضته ملائكة الرحمة فتجعل نفسه في حريرة بيضاء حتى ينتهوا به الى السماء ، فتقول الخزنة ماوجدنا ريحا اطيب من هذا ، حتى تأتي به ارواح المؤمنين فتقول دعوه حتى يستريح فانه كان في غم الدنيا . وتقول الارواح له مافعل فلان ومافعلت فلانة ؟ فاذا قال لهم : لما اتيتكم فانه قد مات فيقولون قد ذهب به الى امه الهاوية . واما الكافر اذا قبض قبضته ملائكة العذاب فاذا رفع قالت الخزنة : ماوجدنا ريحا انتن من هذه حتى انتهوا به الى الارض السفلى[4] . تنبه بقوله " في حريرة بيضاء " على انها مكرمة مرقاة عن الهموم . ونبه بقوله " دعوه حتى يستريح فانه كان في غم الدنيا " على انه لا راحة للمؤمنين في الدنيا ، كما قيل " الدنيا سجن المؤمن "[5] وقوله " المؤمن لا يأمن روعته ولا يسكن خيفته حتى يترك الجسد وراء ظهره " .

---

(١) (٢) سورة المؤمن : ٤٦ .

(٣) هو عبد الرحمن ابو هريرة الدوسي اليماني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحافظ الصحابة ، وكان اسمه في الجاهلية عبد شمس وكنيته ابو الاسود فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن وكناه بابي هريرة . وكان يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفارقه في حضر وسفر وهو اكثر الصحابة رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي سنة ٥٧ وقيل غير ذلك . الاصابة (٤ : ٢ + ٢٠٢)، الاستيعاب (٤ : ٢٢) .

(٤) روى النسائي نحوه (٤ : ٨)، وابن حبان كما ذكره الهيثمي في موارد الظمآن (ص ١٨٧)، وقال الالباني في تعليقه على المشكاة انه صحيح (١ : ٥١٤) .

(٥) رواه مسلم مرفوعا (٤ : ٢٢٧٢)، واحمد (٣ : ١٩٧) وابن مبارك في الزهد (ص ٢١٢) .

وروى ان عبد الله بن عمر[1] رضي الله عنهما دخل المسجد بعد قتل ابن الزبير[2] وهو مصلوب، فاتى اسماء[3] يعزيها فقال لها : عليك بتقوى الله والصبر، فان هذه الجثث ليست بشئ، وانما الارواح عند الله تعالى فقالت ومايمنعني من الصبر وقد اهدى رأس يحيى بن زكريا عليه السلام الى بغي من بغايا بني اسرائيل[4]. وعن عبد الله بن عمرو[5] رضي الله عنهما قال : المؤمن اذا توفاه الله تعالى كان على ارجاء السماء ملائكة يقولون سبحان الله قد جاء من الارض روح طيب ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح له (ولا ملك الا)[6] صلى عليه حتى يوتى به الرحمن عز اسمه فتسجد الملائكة

---

(١) هو صحابي جليل اسلم مع ابيه وهو صغير لم يبلغ الحلم، وكان من اهل الورع والعلم وكثير الاتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شديد التحري والاحتياط وهو احد المكثرين في الصحابة مات سنة ٧٣ . الاصابة (٣ : ٣٤٧)، الاستيعاب (٣ : ٣٤١) .

(٢) هو عبد الله بن الزبير بن العوام، اول مولود بعد الهجرة بالمدينة من المهاجرين، وامه اسماء بنت ابي بكر الصديق، اتى النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه ودعا له بالبركة مات سنة ٧٣ وصلبه الحجاج . الاصابة (٢ : ٣٠٩)، البداية (٨ : ٣٣٢) .

(٣) هي اسماء بنت ابي بكر الصديق ووالدة عبد الله ابن الزبير، ذات النطاقين، وانما سميت بذلك عام الهجرة حين شقت نطاقها فربطت به سفرة النبي صلى الله عليه وسلم . ماتت بعد قتل ولدها بخمسة ايام وقيل بعشرة . المرجعين المذكورين (٤ : ٢٢٩) (٨ : ٣٤٦) .

(٤) رواه ابن حزم في الفصل (٤ : ٦٨)، وذكره ابن كثير في البداية (٨ : ٣٤٦)، وابن القيم في الروح (ص ١٠٥)، وكان في الاصل "نعي من نعايا" لعل هذا تصحيف من بعض الرواة او الناسخ .

(٥) هو عبد الله بن عمرو بن العاص العالم الرباني، ابو محمد القرشي وكان ابوه اسن منه باحد عشر عاما فقط، كان صواما وقواما تاليا لكتاب الله وكان يعترف له ابو هريرة بالاكثار من العلم . توفي بمصر سنة ٦٥ . التذكرة (١ : ٤٢)، اسد الغابة (٣ : ٢٣٣) .

(٦) كان في الاصل " تلك الان " .

ثم يقولون ربنا هذا عبد لك فلان قد توفيناه وانت اعلم به فيقول مروا بالجسود النسمة ثم يؤمر بجسده في قبره فيوسع له سبعين ذراعا عرضا وطولا ويستر بالحرير فان كان معه شئ من القرآن كفاه والا جعل له نورا"[1] وقال المفسرون في قوله تعالى" ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادريك ما عليون"[2] وقوله تعالى" ان كتاب الفجار لفي سجين"[3] انه عني به ارواح المؤمنين وارواح الكفار،[4] وقد روى ضمرة (بن) جندب[5] ان النبي صلى الله عليه سئل عن ارواح المؤمنين فقال : في عليين وعن ارواح الكفار فقال في سجين وعليين اعلى الجنة ، وسجين اسفل جهنم .

احوال المحتضر .

المحتضر قيل الذي حضره الموت قبل ان يتوفاه الله ، لقوله تعالى " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان"[6] فعلى هذا يسمى كل من حضره الموت محتضرا كافلا كان او رجلا ، عاقلا او مجنونا ، انسانا او بهيمة .

وقيل من حضره ملائكة الرحمة او العذاب وقت استيفائه ويكون ذلك للعقلاء ، والى هذا اشار تعالى بقوله " حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون" وقوله تعالى" وقل رب اعوذ بك من همزات

---

(١) ذكره الهيثمي بطوله وعزاه الى الطبراني في الكبير ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (٢ : ٣٢٨) .

(٢) سورة المطففين : ١٨ ، ١٩ .

(٣) سورة المطففين : ٧ .

(٤) قال به ابن عباس وغيره . انظر تفسير الطبري (٣ : ٩٤ ، ١٠١) ، ابن كثير (٤ : ٤٨٦) .

(٥) اختلف في اسمه قال ابن اسحق في السيرة من يزيد بن عبد الله لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فكان جندع بن ضمرة رجلا مسلما فاستبطأ ، فذكر الحديث في قوله لبنيه اخرجوني من مكة فخرج مهاجرا فمات في الطريق، فانزل الله فيه " ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله وقيل انه جندب بن ضمرة وقيل ضمرة بن العيص وقيل ابو ضمرة بن العيص وقيل ضمضم بن عمرو ، وذكر ابن عبد البر انه ضمرة بن جندب . الاصابة (١ : ٢٥١) .

(٦) النساء : ١٨

الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون[١] اى يحضرونني وقت الموت وغيره من الاحوال[٢] فقد جعل فرعون محتضرا حيث قال" حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين[٣] .

وقيل : لا يقال المحتضر الا للمؤمن الذى جعل له حضرة على طريق التشريف فحضره ملائكة الرحمة .

قال بعض العلماء : المحتضر له ثلاثة احوال قد استوفاها تعالى بقوله " هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتى بعض ايات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا[٤] قال فنبه بقوله " ان تأتيهم الملائكة " على من يحضره ملائكة ، فقد نبه على ذلك قوله تعالى " ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون[٥] وبقوله تعالى" او يأتى ربك" على حال الشهداء الذين يقتلون في سبيل الله المشار اليه بقوله تعالى" ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء ولكن لا تشعرون[٦] فقال" او يأتي ربك" على طريق التشريف[٧] ، وبقوله " يوم يأتى

---

(١) سورة المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ . وفي الاصل" ورب اعوذ بك" . بدون" قل" .

(٢) ذهب ابن زيد الى العموم ، وخصصه ابن عباس رضى الله عنهما بحال الصلاة وقراءة القرآن ، وعكرمة بحال حلول الاجل . روح المعاني (١٨ : ٦٢) .

(٣) سورة يونس : ٩٠ ، ٩١ .

(٤) سورة الانعام : ١٥٨ .

(٥) سورة السجدة : ٣٠ .

(٦) سورة البقرة : ١٥٤ .

(٧) معنى او يأتى ربك قال ابن عباس رضى الله عنهما " امر ربك بالقتل وغيره ، وقيل اتيان الله تعالى مجيئه لفصل القضاء في موقف القيامة والى هذا ذهب ابن مسعود رضى الله عنهما . انظر القرطبي(٧ : ١٤٤) ، ابن كثير (٢ : ١٩٣) ، فتح القدير (٢ : ١٨١) اما ما حمل عليه الراغب فهو مخالف لما فسر به المفسرون .

بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها" على محتضر اذا يرى في ذلك الوقت ماحاله بعد الموت[1]، وعلى هذا دل قوله عليه السلام " لا يخرج احد من الدنيا حتى يرى مقعده من الجنة والنار"[2] وروى البراء بن عازب[3] ان النبي صلى الله عليه قال" ان المؤمن اذا كان في اقبال من الاخرة[4]) وانقطاع من الدنيا بعث اليه ملائكة كأن وجوههم النور ومعهم حنوطه وكفنه فيجلسون منه مد بصره ، فاذا اخرج روحه صلوا عليه ، وان الكافر اذا كان في اقبال من الاخرة (و) انقطاع من الدنيا بعث الله اليه ملائكة غلاظا شدادا معهم ثياب من النار وسرابيل[5] من قطران يستخرجون نفسه كما ينزع السفود[6] من الصوف المبلول[7] وقال الله تعالى في صفة المحتضر " ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت"[8] اي من موضع كل شعرة فصار بهما

---

(١) جميع المفسرين ذهبوا الى ان المراد ببعض الايات اشراط الساعة .

(٢) ذكر الهيثمي في مجمعه بلفظ " كل اهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا ان الله هداني فيكون له شكرا وكل اهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو ان الله هداني فيكون عليه حسرة وعزاه الى احمد وقال رجاله رجال الصحيح (١٠ : ٣٩٩). وذكره ايضا ابن حسام الدين وعزاه ايضا الى الحاكم . كنز العمال (١٤ : ٤٧٣) .

(٣) البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي يكنى ابا عمارة على الاصح استصغره النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وكذلك في احد واول غزوة شهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخندق وقد شهد مع علي رضي الله عنه الجمل والصفين ، ثم نزل الكوفة ومات بها ايام مصعب بن الزبير . الاستيعاب (١ : ١٣٩) ، التهذيب (١ : ٤٢٥) .

(٤) وفي الاصل" قبل" .

(٥) سرابيل جمع سربال وهو القميص . مجمع بحار الانوار (٣ : ٥٦) .

(٦) السفود : هو حديدة يشوى بها اللحم . المرجع السابق (٣ : ٧٦).

(٧) رواه احمد (٤ : ٢٨٧) وابن المبارك في الزهد (ص ٤٣٠) بطوله وصححه الالباني في تعليقه على الطحاوية (ص ٤٤٩) .

(٨) سورة ابراهيم : ١٧ . قال ابن عباس اي يأتيه اسباب الموت من كل جهة عن يمينه وشماله ومن فوقه وتحته ومن قدامه وخلفه وقال ابن ابراهيم التيمي : يأتيه من كل مكان جسده حتى من اطراف شعره . القرطبي (٩ : ٣٥٢) .

الى التراقى، كما قال تعالى" كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق"[1] اى يرقى من البدن ويخرج منه وذلك على طريق الانكار والغم اذا كان العبد مسيئا ، وعلى طريق الفرح والسرور اذا كان العبد محسنا بخر وجه من ضيق الدنيا ، وقيل من الرقية اى يقول المحتضر من الذى يرقينى تنبيها ان ذلك مما لا يغنى ولا ينفع، وقوله تعالى" والتفت الساق بالساق"[2] قيل : عنى به التفاف[3] الساقين عند خروج الروح[4] ، وقيل التفافهما عند ما يلفان فى الكفن،[5] وقيل هو ان يموت فلا تحملانه بعد ان كانتا تقلانه[6] ، وقيل : اراد التفاف البلية بالبلية[7] ، وقيل اجتمع عليه امران اهل السماء يجهزون روحه واهل الارض يجهزون جسمه[8] ، وعلى هذا قوله تبارك وتعالى" الى ربك يومئذ المساق"[9] .

والاحضار اول حالة من احوال الاخرة ينتهى اليه الانسان وعنده يغلق باب التوبة كما قال الله تعالى" وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ، ولا الذين يموتون وهم كفار"[10] وانما لا يقبل التوبة لان التوبة تكون لعمل

---

(١) سورة القيامة : ٢٦ ، ٢٧ . وفى الاصل" التراقى من راق" .
" من راق" قيل من الرقية روى هذا عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما اى من يشفى وقيل من رقى يرقى اذا صعد والمعنى من يرقى بروحه الى السماء أملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب هذا ايضا مروى عن ابن عباس . المرجع السابق (١٩ : ١١١) .
(٢) سورة القيامة : ٢٩ .
(٣) وفى الاصل" التفات" اثبته اعتمادا على المفردات (ص ٢٤٩) .
(٤) قال به الشعبى . انظر القرطبى (١٩ : ١١٢) .
(٥) قال به سعيد بن المسيب والحسن . المرجع السابق (١٩ : ١١٢) ابن كثير (٤ : ٤٥١) .
(٦) قال به الحسن . القرطبى (١٩ : ١١٢)، ابن كثير (٤ : ٤٥١) .
(٧) قال به مجاهد ، القرطبى (١٩ : ١١٢)، ابن كثير (٤ : ٤٥١) .
(٨) قال به الضحاك . القرطبى (١٩ : ١١٢)، ابن كثير (٤ : ٤٥١) .
(٩) سورة القيامة : ٣٠ .
(١٠) سورة النساء : ١٨ .

في دار الدنيا ، والانسان في تلك الحال يزول وائل روحه ويكون في حكم الحيوان السائر لزوال عقله الانساني وفهمه ، فتكون تهيته فضلا وقوله لغوا ، ولا يكون للمحتضر رجوع الى الدنيا كما لا يكون للشيخ رجوع الى الشباب ، ولا الشباب الى الصبي ، وعلى ذلك قوله تعالى " فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون - الى قوله - ترجعونها ان كنتم صادقين"(١) .

كيفية توفي ملك الموت .

قد اضاف الله تعالى توفي النفس مرة الى نفسه بقوله تعالى " الله يتوفى الانفس"(٢) وقوله تعالى" وهو الذي يتوفيكم بالليل"(٣) اذ كل مايحدث من دقيق وجليل فهو تعالى سببه ، ولولا ايجاده وايجاد اسبابه المقتضية له لما وجد ، ومرة اضافه الى الملك الموت عليه السلام اذ هو البدن الثاني في احداث الموت وهو الموكل بذلك وذلك قوله تعالى" حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون"(٤) فذكر انه يبعث رسلا ليوفيهم ، وذلك كما روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه قال : " رأيت ليلة اسري بي ملكا جالسا على عرش له وبين ركبتيه جميع الدنيا ويداه تبلغان(٥) المشرق والمغرب فقلت يا جبرئيل من هذا ؟ فقال : ملك الموت دائب في قبض الارواح فسلمت عليه فرد علي ، وقال : ابشر يا (محمد)(٦) فان الخير كله في امتك قال فرأيت بين يديه لوحا فقلت : يا ملك الموت ما هذا اللوح بين ركبتيك ؟ قال : فيه اجال بني آدم ، قال : فقلت : كيف تقبض له ارواحهم وانت

---

(١) سورة الواقعة : ٨٣ - ٨٧ .
(٢) سورة الزمر : ٤٢ .
(٣) سورة الانعام : ٦٠ .
(٤) سورة الانعام : ٦١ ، كان في الاصل" احدهم " .
(٥) وفي الاصل" تبلغ" .
(٦) هذه الكلمة كانت ممحوة بالاصل .

قاعد على عرشك فاتبرح ، قال : أما ترى الدنيا بين ركبتي وجميع الخلائق بين عيني، وتبلغ يداى المشرق والمغرب، وما الدنيا بما سخره الله عندى كالدرهم في كف رجل يقلبه كيف يشاء، وما من باب من ابواب الدنيا الا وانا اقرع صفحته في كل يوم مرارا ، واقول لاهل الميت اذا بكوا على ميتهم لاتبكوا ، فان لي دعوة حتى مابقي منكم احدا ، فاذا حضر اجل خلق نظرت في اللوح وعلم اعواني اني قد نظرت فيه ، ثم انظر الى ذلك الخلق لينزل اعواني نحوه ، وينتزعوا روحه حتى اتوا به الحلقوم ثم امد يدى فانتزع روحه ولا يلي نزع روحهم غيرى"(1) .

فاخرج النبي صلى الله عليه هذا المعنى المعقول على طريق الاشارة مثلا مجسدا ليقرب فهمه ، وذكر بعض الحكماء انه صلى الله عليه عني باعوانه الامراض والاوجاع التى هي اسباب الموت السارية في الخلق . وعناه بقوله تعالى" توفته رسلنا"(2) ولذلك قيل : المشيب بريد الموت، وعنى بقوله " لا يلي نزع روحهم غيرى" ما قال الله تعالى" قل يتوفكم ملك الموت الذى وكل بكم"(3) ولما كان الله تعالى هو الآمر بذلك نسب اليه الفعل كقوله تعالى" يحييكم ثم يميتكم"(4) وقوله تعالى " الله يتوفى الانفس"(5) ولما كان ملك الموت واعوانه هم الذين يقولون قبض روحه جاز ان ينسب الفعل اليهم .

---

(١) ذكره صاحب تنزيه الشريعة بطوله وعزاه الى ابن حبان وابن مردويه كلاهما من حديث ابن عباس من طريق ميسرة بن عبد ربه واتهم به ، الا ان ابن مردويه اخرجه من طريق آخر دل على ان الافة فيه من غير ميسرة وانها من شيخه عمر بن سليمان الدمشقي . (١ : ١٦٩) .

(٢) المراد بالرسل على ما اخرجه ابن جرير وابو الشيخ عن ابن عباس رضى الله عنهم اعوان ملك الموت، ونحوه اخرجاه عن قتادة . روح المعاني (٧ : ١٧٦) .

(٣) سورة السجدة : ١١ .

(٤) سورة الجاثية : ٢٦ .

(٥) سورة الزمر : ٤٢ .

كراهة الموت ومحبته .

الموت: الذي هو مفارقة الروح البدن هو نوم ما كما هو موت ما .
ولهذا سماها الله تعالى التوفي لقوله تعالى" الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها"[1] وقوله " يتوفيكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار"[2] ولهذا قيل : النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل[3].

وانما صار الموت مكروها من اجل ما تقرر في العقول ان الوجود افضل من العدم ، كما ان كل شيء بطبعه يطلب الوجود والبقاء ويكره العدم والفناء بجهلهم بما بعده صاروا يكرهونه جدا ، سيما من كان الغالب عليه شهوات الحسية والهوى، فاما من اطلع على ما اطلع عليه[4] امير المؤمنين رضي الله عنه[5] وحارثة[6] وامثالهما ، ويحقق ما اشار تعالى اليه بقوله " فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين"[7] واشار اليه النبي صلى الله عليه حاكيا عن ربه : اعددت لعبادي الصالحين[8] .....الخ
حينئذ رأى الدنيا خسيسا والموت صلاحا وغنما ، كما قال عليه السلام " الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"[9] وقال تعالى" والدار الاخرة خير للذين يتقون"[10] وروي ان داود الطائي[11] رحمه الله لما مات سمع هاتف يقول

---

(١) الزمر : ٤٢ .
(٢) سورة الانعام : ٦٠ .
(٣) قال عمر رضي الله عنه : النوم اخو الموت. وقال ابن زيد النوم وفاة والموت وفاة . انظر القرطبي (١٥ : ٢٦١) وروى البيهقي عن جابر رضي الله عنه : النوم اخو الموت. كنز العمال (١٤ : ٤٧٥) .
(٤) وفي الاصل" على" .
(٥) (٦) انظر (ص ٦٦) .
(٧) سورة السجدة : ١٧ .
(٨) رواه البخاري(٦ : ٣١٨)، مسلم (٤ : ٢١٧٤) .
(٩) رواه مسلم (٤ : ٢٢٧٢)، ابن المبارك في الزهد (ص ٢١١) احمد (٢ : ٣٨٩)، الترمذي(٤ : ٥٦٢) وقال حديث حسن صحيح .
(١٠) سورة الاعراف: ١٦٩ .
(١١) هو ابو سليمان داود بن نصير الطائي الكوفي، وكان ممن شغل نفسه =

" قد اطلق داود من الحبس "[١] وذلك لما روى من مناجاته انه كان يقول الهي همك عطل علي الهموم وحال بيني وبين الرقاد فانا في سجنك ايها المحبوب مسجون "[٢] . وروى ان الشبلي[٣] رحمه الله مرض ثم برئ فقيل : كيف حالك فانشد :

كلما قلت قد دنا حل قيدي قدموني واوثقوا[٤] المسمارا

وقال ابن مسعود : ماعين نظرت الا والموت خير منه ، اما المؤمن فيستريح الى رضوان الله ، واما الكافر فانه اذا سبق به الموت كان اقل لوزره . وقال عليه السلام " المؤمن لا تأمن روعته ويسكن اضطرابه حتى يخلف الجسد وراء ظهره " ولما رأى النبي صلى الله عليه من اصحابه من

= بالعلم ودرس الفقه وغيره من العلوم ، ثم اختار بعد ذلك العزلة وآثر الانفراد والخلوة ، فلزم العبادة واجتهد فيها في آخر عمره قال علي بن المديني سمعت ابن عيينة يقول : داود الطائي ممن علم وفقه وكان يختلف الى ابي حنيفة . وفيات الاعيان (٢ : ٢٥٩) ، ميزان الاعتدال (٢ : ٢١) ، اخبار ابي حنيفة واصحابه (ص ١٠٩) قال ابو نعيم مات سنة ١٦٠ وقيل ١٦٥ . تاريخ بغداد (٨ : ٣٤٧) المعارف (ص ٥١٥) .

(١) ذكره الراغب في تفصيل النشأتين (ص ١٠٧) ، وفيه " السجن " بدل " الحبس " .

(٢) انظر صفة الصفوة (٣ : ١٤١) .

(٣) هو ابو بكر الشبلي اختلف في اسمه فقيل دلف بن جحدر وقيل دلف ابن جعفر وقيل جحدر بن دلف . ناسك كان في مبدأ امره واليا في دنباوند ثم ترك الولاية وعكف على العبادة فاشتهر بالصلاح ونسبته الى قرية " شبلة " من قرى ما وراء النهر وهو مشهور بكنيته مات ببغداد سنة ٣٣٤ هـ . الاعلام (٣ : ٢١) ، حلية (١٠ : ٣٦٦) صفة الصفوة (٢ : ٤٥٦) ، المنتظم (٦ : ٣٤٧) .

(٤) كان في الاصل " اوثق " والصحيح ما اثبته .

اطلع على ما بعد الموت واستعد له وتشوق اليه فاخذ يتمناه فنهاهم عن تمنيه ، فقال للعباس[(١)] ياعم لا تتمن الموت فانك ان كنت محسنا فتؤخر تزداد احسانا الى احسانك وان كنت مسيئا فتؤخر ستتوب من اساءتك[(٢)] وقال عليه السلام " لا يتمنين احدكم الموت وليقل اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وامتني ما كانت الوفاة خيرا لي"[(٣)] وقال خباب[(٤)]: لولا ان النبي صلى الله عليه قال: لا تتمنوا الموت لتمنيته[(٥)] . ومتمني الموت يكون اما

---

(١) هو عباس بن عبد المطلب القرشي ابو الفضل المكي عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في الجاهلية رئيسا واليه العمارة والسقاية واسلم قبل الفتح . وكان اعظم الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة يعترفون للعباس بفضله ويشاورونه ويأخذون رأيه ومات بالمدينة سنة ٣٢ هـ . الاصابة (٢ : ٢٧١) .

(٢) ذكره الهيثمي في مجمعه وعزاه الى احمد وابي يعلى والطبراني وقال ورجال احمد رجال الصحيح غير هند بنت الحرث فان كانت القرشية او الفارسية فقد احتج بها في الصحيح وان كانت الخثعمية فلم اعرفها (١٠ : ٢٠٢) .

(٣) رواه البخاري (١١ : ١٥٠)، ومسلم (٤ : ٢٠٦٤)، وداود (٣ : ١٨٨) واحمد (٣ : ١٠١) . قال النووي تمني الموت لضر نزل به من مرض او فاقة او محنة من عدو او نحو ذلك من مشاق الدنيا مكروه ، فاما اذا خاف ضررا في دينه او فتنة فيه فلا كراهة فيه ، وقد فعله خلائق من السلف عند خوف الفتنة في اديانهم ، وفيه انه ان من خالف ولم يصبر على حاله في بلواه بالمرض ونحوه فليقل : اللهم احيني ان كانت .. الخ والافضل الصبر والسكون للقضاء . شرح النووي (١٧ : ٨)، قال ابن عطية : يجوز تمني ما لا يتعلق بالغير اي مما يباح وعلى هذا فالنهي عن التمني مخصوص بما يكون داعية الى الحسد والتباغض . فتح الباري (١٣ : ٢٢٠) .

(٤) هو خباب ابن الارث بن جندله بن سعد كنيته ابو عبد الله وكان من السابقين الاولين، وهو اول من اظهر الاسلام وعذب لاجله عذابا شديدا شهد المشاهد كلها نزل الكوفة ومات بها سنة ٣٧ الاصابة (١ : ٤١٦)، الاستيعاب (١ : ٤٢٣) .

(٥) رواه البخاري (١٣ : ٢٢٠)، ومسلم (٤ : ٢٠٦٤) بلفظ " نهانا ان =

غير مؤمن بالقيامة يتبرم[1] بمحنة الدنيا فيتمناه ظنا منه ان له راحة، كما اشار بقوله تعالى" يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون ويعلمون انها الحق"[2] واما مطلع على ما اعده الله للمؤمنين متشوق اليه فحقه ان لا يتمناه ومتى اتاه تلقاه مسرورا به ، كما قال عليه السلام : ماغائب بنظرة المؤمن خير من الموت.[3] وقال عليه السلام :" الموت تحفة المؤمن"[4] وقال بعض الاولياء وقت المغايبة : مرحبا بالغائب المنظر وبالقانع المستبطأ، وقال آخر : ماغائب احب الي من الموت وسؤال الله تعالى الموت على سبيل التمني غير مكروه[5] على نحو ما اخبر الله تعالى عن نبيه حيث قال : " توفني مسلما والحقني بالصالحين"[6] وقال عمر رضي الله عنه :" اللهم قد كبرت سني وذهبت قوتي فاقبضني

= ندعو بالموت لدعوت به . واما اللفظ " لا تمنو الموت لتمنيت" فهو مروي عن انس رضي الله عنه . انظر البخاري (١٣ : ٢٢٠) .

(١) تبرم به : سئم . مختار الصحاح (ص ٤٣٤) .

(٢) سورة الشورى : ١٨ .

(٣) اخرجه وكيع في الزهد عن الربيع بن خيثم قال : مامن غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت. حديث رقم (٨٨) واخرجه ابن المبارك في الزهد (ص ٩٢) واحمد في الزهد (ص ٣٣٨)، وابو نعيم في الحلية (٢ : ١١٤)، واورده الغزالي في الاحياء (٤ : ٤٥١) ، والسيوطي في بشرى الكئيب بلقاء الحبيب (ص ٧) .

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (ص ٢١٢) وذكره الهيثمي في مجمعه وقال حديث صحيح ورجاله ثقات وعزاه الى الطبراني في الكبير (٢ : ٣٢٠)، والعجلوني في كشف الخفاء وعزاه الى الديلمي (٢ : ٢٩٠) واورده الغزالي في الاحياء وعزاه العراقي في تعليقه الى ابن ابي الدنيا في كتاب الموت، والطبراني من حديث عبد الله ابن عمر موسلا بسند حسن (٤ : ٤٥٠) ، وقال المنذري في الترغيب اسناده جيد (٤ : ٣٣٥) .

(٥) مضى عليه الكلام في الصفحة السابقة .

(٦) سورة يوسف : ١٠١ .

اليك"[1] وقال عليه السلام " انى قد كرهتهم وكرهونى ومللتهم[2] وملونــــــى وأبغضتهم وابغضونى فارحنى منهم وارحمهم منى[3] وروى انه بعد ذلك مضى ليلة بعد اسبوع .

والموت : هو احد الولادة وبه يتوصل الى الحياة الابدية التى هى أشرف الحياتين ، وما اجود ما تنبه الشاعر بذلك حيث قال :

تمخضت المنون له بيوم انى ولكل حاملة تمام[4]

يجعل الموت حملا وتماما وتمخضا للوضع فللانسان بقاء بلا فنـــاء وعز بلا ذل وغنى (بلا) فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا ممات[5] لا سبيل اليــــه الا[6] بالموت ، فحقيق ان يكون الموت محمودا ، فالطريق الى الموت محمــود كالخير نفسه ، ولكون ملك الموت سببا لاتصالنا الى هذه المنزلة الشريفة أمرنا بالصلاة عليه كسائر الملائكة المقربين[7] الذين هم اسباب فى اتصـــال

---

(١) رواه ابن سعد بلفظ " اللهم كبرت سنى ورق عظمى وخشيت الانتشار من رعيتى فاقبضنى اليك" . الطبقات الكبرى (٣ : ٣٣٥) .

(٢) كان فى الاصل" طلبتهم " وهو تحريف .

(٣) هذا قول على رضى الله عنه وليس حديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما اخرجه الفسوى فى تاريخه عن ابى صالح الحنفى قال رأيت على بــن ابى طالب اخذ المصحف فوضعه على رأسه حتى انى لارى ورقــــه يتقعقع ، ثم قال : اللهم انى منعونى (ان أقوم فى الامة) بما فيــــه فاعطنى (ثواب) مافيه ، ثم قال اللهم انى قد مللتهم وملونــــى وابغضتهم وابغضونى وحملونى على غير طبيعتى وخلقى واخلاق لم تكــن تعرف لى فابدلنى بهم خيرا منهم ، وابدلهم بى شرا منى ، اللهــــم امت قلوبهم ميت الملح فى الماء ، قال ابراهيم يعنى اهل الكوفة . (٣ : ٧٥١) وذكره ابن كثير فى البداية (٨ : ١٢) .

(٤) هو لعمرو بن حسان . انظر اللسان (مخض) وكان فى الاصل" انا ولكل" والصحيح ما اثبته ، وقد ذكره الراغب فى تفصيل النشأتين (ص ١٠٥) والرازى فى مختار الصحاح (ص ٣٨٨)، لكنهما لم ينسبا الى قائلـــه وفيهما " انى ولكل حاملة تمام " .

(٥) وفى الاصل" موت " .

(٦) وفى الاصل" لا " .

(٧) لم اقف على نص يصرح بان نصلى على الملائكة ، قال ابن كثير : والـذى =

الخيرات الينا .

الفناء في كلامهم فساد الشئ اولا فأولا ، ويقال : فني الطعام والزاد ، وفني الانسان، وسمي الهرم من الناس فانيا ، قال الله تعالى " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام "(١) ولم يعن بقوله " من عليها " الانسان فقط بل عناهم وغيرهم ، لانه اذا اجتمع العقلاء وغير العقلاء غلب العقلاء لعظمتهم ، كما اذا اجتمع المذكر والمؤنث غلب المذكر وعلى ذلك قوله تعالى " والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشي على بطنه "(٢) الاية .

فقال عامة المعتزلة(٣) : الفناء هو معنى ليس بجوهر ، ويوجده الله تعالى لا في محل فيضاد الجواهر ويبطلها ، والجواهر لابد في بطلانها من هذا الفناء ، قالوا : وهذا الفناء يفني بذاته في ثاني الحال لا قصد له ولا بافناء الله تعالى ، قالوا : ولو أراد الله تعالى ان يفني ذرة من العالم مفردة لم يكن ذلك مقدورا حتى يوجد هذا الفناء ، فاذا اوجد الفناء فني به العالم ، ولو اراد افناء شئ منها لم يمكن(٤) ، وهذا خرافة كما ترى وتعجيز الباري عز وجل في اثبات حاجة له الى الفناء حتى يفني به الاشياء(٥) .

= عليه اصحابنا والمعتمد في ان الصلاة صارت مخصوصة في لسان السلف بالانبياء ، كما ان قولنا عز وجل مخصوص بالله تعالى .
تفسير ابن كثير (٣ : ٥١٦) .

(١) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٢) سورة النور : ٤٥ وفي الاصل " كل دابة فمنهم " .

(٣) تقدم الكلام عليها (ص) .

(٤) انظر موقف المعتزلة في اصول الدين (ص ٢٣١) .

(٥) مع تعجيز الباري فيه اجازة وجود عرض لا في محل واحالة بقاء الاله منفردا كما لم يزل منفردا لان الاجسام اذا لم تفن الا بضد وضدها ايضا لا يفني الا بضد فلا يخلو الباري عن حادث يكون ضدا لما فني به قبله من الاعراض فيتسلسل الى ما لا نهاية ، وهذا يوجب استحالة تعريه في الازل عن تلك الاضداد والحوادث .
انظر المرجع المذكور (ص ٢٣١) .

وقال بعض متأخريهم بعد ماذكر هذا ان الفناء هو العدم[1] فنقض ماأصله ان الفناء اسم لشئ يوجده الله تعالى لا في مكان وان به يعدم جميع الجواهر، فالفناء على ماتقدم كالنقيضين،[2] فان الفناء على ماقدره وجود ما والعدم لا وجود له فكيف يكون الفناء عدما .

ومعنى قوله تعالى " ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام[3] " قد صرح بتفسيره ماروى عن انس[4] رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه في قوله تعالى " ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض الا من شاء الله[5] " ان بمن استثنى الله تعالى جبرئيل وميكائيل وملك الموت فيقول الله وهو اعلم يا ملك الموت من بقى فيقول وجهك الكريم وعبدك جبرئيل وميكائيل وملك الموت، فيقول توف نفس ميكائيل ثم يقول توف نفس جبرئيل ثم يقول مت، ثم ينادى انا بدأت الخلق ثم اعيده اين الجبابرة والمتكبرون وذلك حين تمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته[6] " وفي خبر آخر " اما اسرافيل فيموت ثم يحيى في طرفة عين واما حملة العرش فيموتون في اسرع من طرفة عين[7] " .

---

(١) لعل هو الكعبي حيث هو اثبت للبقاء معنى ولم يثبت للفناء معنى. المرجع السابق (ص ٢٣١) .

(٢) نقيض كل شئ رفع تلك القضية . كتاب التعريفات (ص ٣٦٥) .

(٣) سورة الرحمن : ٢٧ .

(٤) هو ابو حمزة انس بن مالك بن النضر بن ضمضم الانصارى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم خدمه عشر سنين ودعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احد المكثرين من الرواية عنه مات بالبصرة سنة ٩٣ وقيل غير ذلك وهو آخر من مات بالبصرة . الاصابة (١ : ٧١)، الاستيعاب (١ : ٧١) .

(٥) سورة الزمر : ٦٨ .

(٦) رواه الطبرى (٢٤ : ٢٩) وذكره السيوطي في الحبائك وعزاه الى ابن مردويه والبيهقي في البعث (ق ٩) وذكره القرطبي مختصرا (١٥ : ٢٨٠) .

(٧) اخرجه الفريابي وعبد بن حميد وابو نصر السجزى في الابانة وابن مردويه والبيهقي في البعث عن انس مرفوعا وفيه ذكر موت جبريل واسرافيل وغيرهم ولكن ليس فيه تلك العبارة الدر المنثور (٥ : ٣٣٦) .

وقيل في النفخة الاولى فاذا اهل السماء من الملائكة صرعوا على دروبهم ثم يأمر فينفخ النفخة الثانية وقد اجتمعت الارواح كلها في الصور وخرج كل روح من كوة من كو الصور فاذا الارواح بين السماء والارض لها دوي كدوي النحل فينادي اسرافيل يا ايتها الجلود المتمزقة والعظام النخرة والاعضاء المتهشمة[1] والاجساد المتفرقة والاشعار المتمرطة[2] قوموا الى موقف الحساب والعرض الاكبر ليدخل كل نفس في جسده ، قوموا بصف قدام رب العزة عز اسمه ، قال ويمطر الله تعالى عليها من تحت الارض على الموتى فيحيون كما تحيى الارض الميتة ، فيبعث الله تعالى الاجساد من بطون السباع وحواصل الطيور وبطون الارض ، وظهورها فيدخل كل روح في جسده فاذا هم قيام ينظرون فيبعث الله تعالى نارا من المشارق يحشر الخلائق الى المحشر الى الارض، تسمى الساهرة لم يعمل فيها خطيئة ولم يسفك فيها دم[3] وذلك قوله تعالى " فانما هي زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة[4] وقوله تعالى " يوم يقوم الناس لرب العالمين[5] وقوله تعالى " وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا[6] وقوله " ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا[7] ومثل هذه الاخبار اذا تأمله من ذكرهم الله تعالى بقوله " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[8] اطلع منه الى حقائق يثلج به الصدر واذا سمعه العامي المتقيد بقيد الشرع المستسلم الاثر رأى منه

---

(١) المتهشمة : المكسورة . مختار الصحاح (ص ٦٩٩) .

(٢) تمرط الشعر تساقط وتحات . القاموس (٢ : ٣٨٥) .

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور وعزاه الى عبد بن حميد وعلي بن سعيد في كتاب الطاعة والعصيان وابو يعلي وابو الحسن القطان في المطولات وابن المنذر وابن ابي حاتم والطبراني وابو موسى المديني وابو الشيخ في العظمة (٥ : ٣٣٩) .

(٤) سورة النازعات: ١٤ .

زجرة واحدة قال ابن عباس : نفخة واحدة ، والساهرة : وجه الارض والعرب تسمي الفلاة ووجه الارض ساهرة ، لانه يسهر فيها خوفا منها ، وبه قال ابن عباس وقيل الساهرة هي الارض البيضاء =

المقنع ، واذا سمعه " الذين يجادلون في آيات الله[1] بغير هدى رأوا سخفا وخرافة وكذبوا رواتها واستسخفوا من قبلها ، " وماتغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون[2] .

= وقيل : ارض جددها الله يوم القيامة ، وقيل اسم الارض السابعة يأتي بها الله ، وغير ذلك من الاقوال . القرطبي (١٩ : ١٩٤) .

(٥) سورة المطففين : ٦ .

(٦) سورة الكهف : ٤٧ .

(٧) سورة الكهف : ٩٩ ، ١٠٠ .

(٨) سورة العنكبوت : ٦٩ .

---

(١) سورة المومن : ٣٥ .

(٢) سورة يونس : ١٠١ .

عذاب القبر .

القبر ههنا اسم للحفرة المدفون فيها او مصدر قبرته اى دفنته ولم يرد بعذاب القبر حالة يختص المدفون دون غيره من الاموات كالغريق والحريق والمتروك بالعراء[١] بأكل السباع والحيتان، ولكن ذكر بلفظ الغائب من احوال الموتى، وقد ورد من الاخبار الصحيحة في عذاب القبر مالاسبيل الى انكاره ، نحو ماروى انس رضى الله عنه " ان النبى صلى الله عليه مر بقبر فى حائط لبنى النجار فسمع صوتا فقال : من صاحب هذا القبر قالوا انسان مات في الجاهلية ، فقال لولا ان لا تدافنوا لسألت الله ان يسمعكم عذاب القبر"[٢] وروى عن ابن عباس[٣] وابى بكرة[٤] وجابر[٥] رضى الله عنهم انه عليه السلام مر بقبرين فقال انهما يعذبان ولا يعذبان في كبير اما احدهما فكان يمشى بالنميمة واما الاخر فكان لا يتنزه من البول ثم اخذ عودا فشقه ونصبه عليهما وقال انه يخفف عنهما مالم ييبسا"[٦]. وقال عليه السلام : " المؤمن فى قبره فى

---

(١) العراء: الفضاء لاستربه . مختار الصحاح (ص ٥٧٦) .

(٢) رواه مسلم (٤ : ٢٢٠٠)، ابن حبان انظر موارد الظمآن (ص ٢٠٠) النسائى (٤ : ١٠٢)، احمد (٥ : ١٩٠) .

(٣) تقدمت ترجمته (ص) .

(٤) كان فى الاصل" ابى بكر" والصحيح ما اثبته .
هو نفيع بن حارث بن كلدة ابن عمرو ابو بكرة الثقفى صحابى مشهور وقيل اسمه مسروح اسلم بالطائف ثم نزل البصرة ومات بها سنة ٥١ او ٥٢ . التقريب (٢ : ٣٠٦)، اسد الغابة (٥ : ٣٨) .

(٥) هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام السلمى الانصارى ابو عبد الله وهو احد المكثرين عن النبى صلى الله عليه وسلم شهد فى الغزوات كلها الا البدر والاحد ، وكان آخر من مات من الصحابة بالمدينة . توفى سنة ٧٨هـ . الاصابة (١ : ٢١٣)، الاستيعاب (١ : ٢٥١) .

(٦) رواه البخارى عن ابن عباس (٣ : ٢٤٢)، ومسلم عنه (١ : ٢٤٠) وعن جابر (٤ : ٢٣٠١)، وابو داود عن ابن عباس (١ : ٦) والترمذى عنه (١ : ١٠٢) وقال حديث حسن صحيح ، وابن خزيمة عنه (١ : ٣٢) =

روضة خضراء[1] الى غير ذلك من الاخبار ، واستبعد ذلك قوم[2] عجزا عن معرفة حقيقة النفس والروح ، وقدروا أن ليس الا الاشباح التى تبلى وتخلق فتصير جيفة وترابا ورفاتا ، فاما من عرف الارواح وعلم ان الاعتبار بهما وانها (تبقى) بعد مفارقة الابدان الى ان تعاد اليها فى عليين او فى سجين كما اخبر تعالى عنها[3] ، وان الاجسام لها كالملابس او القوالب او المساكن او المراكب[4] لم يصعب حينئذ معرفة حقائق ما ورد به القرآن والاخبار ،

الشهادة .

الشهادة على ضربين :

احدهما : ما اشار تعالى اليه بقوله : " ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون"[5] والشهيد يكون فى معنى الشاهد عند الله تعالى او فى معنى المشهود الذى شهدته رحمة الله تعالى .

= والدارمى عنه (١ : ١٨٨)، وابن حبان عن ابى هريرة كما ورد فى الموارد (ص ١٩٩)، وابن ماجه عن ابن عباس وابى بكرة وابى هريرة (١ : ١٢٥)، وقال ابن حجر قد اخرجه احمد والطبرانى باسناد صحيح . الفتح (١ : ٣٢١) .

(١) رواه ابن حبان بطوله موارد الظمآن (ص ١٩٨) والترمذى نحوه (٤ : ٦٤٠) وقال حديث حسن صحيح .

(٢) انكر عذاب القبر بعض المعتزلة كضرار بن عمرو، وبشر المريسى والجبائى وابنه والبلخى . شرح المواقف (٨ : ٣١٧) وكذلك يحيى بن كامل . الروح (ص ٥٨)، وانظر الارشاد (ص ٢٥٧) ، الاقتصاد (ص ١٢٤)، الابانة (ص ٦٥)، شرح الباجورى (ص ٣٦٧)، غاية المرام (ص ٣٠٢) .

(٣) قال تعالى" ان كتاب الابرار لفى عليين" المطففين : ١٨ . وقال ايضا " ان كتاب الفجار لفى سجين" . سورة المطففين : ٧ .

(٤) قارن بكتاب الروح (ص ٦٣) .

(٥) سورة آل عمران : ١٦٩ .

والشهادة في اللغة : حضور مع المشاهدة ، وقد يقال للحضور مفردا فكل مشهد محضر وليس كل محضر مشهد . وسمي الاخبار على محضر بالفهم شهادة[١] .

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى" هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك"[٢] ان قوله تعالى" او يأتي ربك" اشارة الى المحتضر الشهيد ، ووصف بانه حضر ربه تشريفا له[٣] ، وان روحه خرج بامره في حضور المعركة والمجاهدة وبذل النفس في نصرة الحق .

قال بعض العلماء : موت الشهادة هو كل موت لم تجلبه جناية الانسان على نفسه من كثرة الاكل والشرب والايثار[٤] والغضب وما اليه فكثير من الموت يعرض من بعض ذلك ويجرى مجراه كمن خنق نفسه او تردا ها في بئر ، وكمن كظته[٥] الشبع وملأ امعاءه المسكر او خنقه الغيظ حتى هلك وقد جعل النبي صلى الله عليه الطاعون والجنون والتنين[٦] والهدم والغرق والحريق واكل السبع والبطن من الشهادة[٧] ، فقال عليه السلام :

---

(١) قارن بما قاله الراغب في المفردات (ص ٢٦٧) .
(٢) سورة الانعام : ١٥٨ .
(٣) قد تقدم الكلام على هذا في صفحة (ص) وقد قلت هناك ان الراغب قد خالف الجمهور بتفسيره هذا .
(٤) وفي الاصل" الايتمار" والصحيح ما اثبته اعتمادا على الذريعة (ص ١٨) . الايتار : الجناية التي يجنيها الرجل على غيره . اللسان (وتر) .
(٥) كظه الطعام : ملأه حتى لا يطيق النفس . القاموس (٢ : ٣٠٩٨) .
(٦) التنين : ضرب من الحيات . مختار الصحاح (ص ٤٨٧)، اللسان (تنن) لم اقف عليه .
(٧) قد روى جابر بن عتيك رضي الله عنه وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله المطعون شهيد ، والغرق شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد وصاحب الحريق شهيد ، والذى تحت الهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيد ، رواه النسائي (٤ : ١٤)، وابن ماجة (٢ : ٩٣٧)، وقال عنه النووي هو صحيح بلا خلاف . الفتح الرباني (١٤ : ٣٩) .

" المبطون شهيد والمطعون شهيد والمرأة تموت بجمع شهيد ومن اكله السبع فهو شهيد "[1] وقال " الجنون شهادة "[2] وقال : " اللهم اجعل فناء امتي في سبيل والطاعون "[3] وقال عليه السلام : " الطاعون وخز اعدائكم من الجن "[4] والمبطون المذكور في الخبر ليس من اصابة البطن من كثرة الاكل فان ذلك مذموم ، وانما هو داء يصيب الناس في بطونهم والامراض العربية كحمى يثرب ، وقد قال عليه السلام :[5] " ان هذه الحمى من فيح جهنم "[6] وقال عليه السلام مريض عاده[7] : ابشر فان الله تعالى يقول الحمى ناري اسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الاخرة[8] وقوله عليه السلام " بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى

---

(١) رواه البخاري (١٠ : ١٨٠) ، واحمد (٥ : ٣١٥) ، ومالك في الموطأ (١ : ١٨٢) الا الجزء الاخير وقد ذكر الهيثمي في مجمعه عن ابن مسعود مرفوعا قال : من تردى من رؤوس الجبال وتأكله السباع ويغرق في البحار شهيد عند الله . وعزاه الى الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح (٥ : ٣٠٢) .

(٢) لم أقف عليه .

(٣) رواه احمد بلفظ " اللهم اجعل فناء امتي في سبيلك بالطعن والطاعون " (٣ : ٤٣٧) وذكره صاحب كنز العمال وعزاه الى الطبراني (١٠ : ٧٨) .

(٤) رواه احمد بطوله (٤ : ٣٩٥) وذكره ابن حجر وعزاه الى البزار والطبراني ، الفتح (١٠ : ١٨١) .
الوخز : الطعن بالرمح ونحوه ولا يكون نافذا . مختار (ص ٢١٤) .

(٥) مما يدل على ان من اصيب بحمى يثرب هو في عداد الشهيد ما رواه احمد من رواية ابي عسيب رضي الله عنه رفعه " اتاني جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام فالطاعون شهادة لامتي ورحمة لهم ورجس على الكافرين " (٥ : ٨١) .

(٦) رواه البخاري (٦ : ٣٣٠) ، ومسلم (٤ : ١٧٣١) ، واحمد (١ : ٢٩١) والدارمي (٢ : ٣١٦) .

(٧) في الاصل " ابيض " وهو تحريف .

(٨) رواه ابن ماجه (٢ : ١١٤٩) .

للغرباء قيل : ومن هم قال[1] : الذين يصلحون اذا افسد الناس[2] الا ترى انه قال عليه السلام :" لاغربة على مؤمن" وقيل : قد دخل في عموم الخبر كل من يغرب عن داره في طلب علم او كسب معيشة ضرورية ، وروى : " ما مات مؤمن بارض غربة غابت عنه بواكية الا بكت عليه السماء والارض وانه اذا احتضر فرمى ببصره فلم ير الا غريبا ثم مات مات شهيدا[3]" وكذا موت الفجأة[4] : هو ما لم يجلبه شئ مما تقدم ، فاما اذا كان من شئ من ذلك ما يتناوله الخبر الا ترى انه عليه السلام قال : لا تقوم الساعة حتى يظهر الموت الابيض هو الذي يكون كالكظة[5] فيرى بخار من بخار العفونات والجلد ابيض ، والموت الاحمر القتل الذي فيه اراقة الدم[6] .

---

(١) ذكره الشوكاني في الفوائد المجموعة وقال في سنده متروك (ص ٩٥) وروى ابن ماجه بلفظ قريب منه وقال البوصيري انه ضعيف (١ : ٥١٥) وكذلك ابن الجوزي في العلل وقال البخاري هو منكر (٢ : ٩٠٤) .

(٢) وفي الاصل" ومنهم " .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمعه وعزاه الى الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير بكر بن سليم وهو ثقة (٧ : ٧٨)(٢) .

(٣) ذكر الهيثمي نحوه وعزاه الى الطبراني في الكبير وفيه عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك (٢ : ٣١٨) .

(٤) روى البخاري في صحيحه ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي افتلتت نفسها واظنها لو تكلمت تصدقت ، فهل لها ان تصدقت عنها ؟ قال نعم . قال ابن حجر : مقصود البخاري منه الاشارة الى انه ليس بمكروه لانه لم يظهر منه كراهية . وقد روى ابو داود بلفظ " موت الفجأة اخذة اسف ، وفيه مقال وجاء في مصنف ابن ابي شيبة عن عائشة وابن مسعود " موت الفجأة راحة للمؤمن واسف على الكافر " قال ابن حجر وبذلك يجتمع القولان وهو جمع طيب . الفتح (٣ : ٢٥٤) .

(٥) تقدم معناه قبل قليل .

(٦) اخرجه الخطابي في غريبه في ضمن احاديث مجاهد . وتفسير الابيض والاحمر هو من كلام المؤلف وليس من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . وقد ذكره صاحب تاج العروس واللسان (بيض) .

والثاني من الشهادة هو ما ذكره تعالى في قوله : " فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا "[١] وهو ان الله تعالى بعث الرسل مبشرين ومنذرين باصول متفقة وان خالفت فروعها فصار كل واحد كالشاهد الذي قبله على امته بانه قد بلغ ما امر به ، ولما كان محمد صلى الله عليه خاتم النبيين صار شهيدا على الانبياء كلهم .

كون الانسان مبعوثا بروحه وبدنه معا .

الانسان مبعوث ومنشر بروحه وبدنه جميعا على الاطلاق بخلاف ما قالت الفلاسفة[٢] والباطنية[٣] جميعا بانه ينشر بروحه دون بدنه ، وعلى ذلك دل الكتاب في عدة آيات، نحو قوله تعالى " بلى قادرين على ان نسوى بنانه "[٤] وقوله تعالى " من يحيي العظام وهي رميم "[٥] وقوله " قل يحييها الذي انشأها اول مرة "[٦] والمعقول يقتضي ذلك فقد جعل الله تعالى الانسان على وجه يصلح له ، وبيان ذلك انه تعالى خلق خلقا للعالم العلوي وهم الملائكة ، وخلق خلقا للعالم السفلي وهم البهائم وخلق للعالمين خلقا وهم الانسان . وجعل له قوتهما قوة الملائكة وهي العقل والعلم والفكر والمعرفة بعبادة الله وخلافته وقوة الحيوانات وهي الشهوة والحمية والغذاء والتربية ، فكما انه بقوتيه يصلح لهذا العالم كذلك يصلح بقوتيه لذلك العالم[٧] .

---

(١) سورة النساء : ٤١ . وفي الاصل " كيف اذا " .

(٢) قارن بالنجاة (ص ٣٠٥)، تهافت الفلاسفة (ص ٢٨٢)، الروح (ص ٥١)، شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٦٣)، شرح المقاصد (٢: ١٥٥) .

(٣) انظر الفرق بين الفرق (ص ٢٩٥ ، ٢٩٦)، فضائح الباطنية (ص ٤٤) وقد تقدم الكلام على الباطنية (ص) .

(٤) سورة القيامة : ٤ .

(٥) (٦) سورة يس : ٧٨ ، ٧٩ .

(٧) قصد الراغب ان قوة الملكية تتطلب الروح وقوة الحيوانية تتطلب الجسم والبدن ، فالبعث يكون بالروح والجسد معا .

وليس لقائل أن يقول : كيف يصلح البدن للبقاء الدائم وهو مركب من الاركان الاربعة المستحيلة المتفانية على الاوقات،[1] ان الله تعالى يعيد الابدان على وجه ينتفي عنها الاستحالات والتغييرات والذبول والاضمحلال والى ذلك اشار بقوله تعالى" وننشئكم في مالا تعلمون"[2] بينهما أنه تعالى يقوي الابدان من الاستحالات المعهودة في الدنيا ، ونحن لا نعلم في الشاهد ابدانا متعرية عن ذلك ولكن من عرض قدرة الله تعالى وعلم انه لم يعي بالخلق الاول كما قال تعالى" افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد"[3] لم ينكر انه قادر على تغيير قوى الابدان وجعلها على وجه يصح عليه البقاء بلا فناء .

ذكر قيام الساعات وتحقيقها .

الساعة : جزء من اجزاء الزمان ويعبر به عن القيامة ، تشبيها بذلك لسرعة حسابه كما قال : " وهو اسرع الحاسبين"[4] او لما نبه عليه بقوله " لم يلبثوا الا ساعة من نهار"[5] .

الساعات ثلاثة .

الساعة الكبرى : وهي بعث الناس كلهم للمحاسبة .

والساعة الوسطى : وهي موت اهل القرن الواحد ، وذلك نحو ماروي عن النبي صلى الله عليه انه رأى عبد الله بن انيس (فقال) : ان يطل

---

(١) اعترض به الفلاسفة انظر تهافت الفلاسفة للغزالي (ص ٣٠١) .
(٢) سورة الواقعة : ٦١ .
قال الالوسي : ننشئكم من الخلق والاطوار التي لا تعهدونها .
روح المعاني (٢٧ : ١٤٧)، وقيل : ننشئكم على غير صوركم في الدنيا . القرطبي (١٧ : ٢١٧) .
(٣) سورة ق : ١٥ .
(٤) سورة الانعام : ٦٢ .
(٥) سورة يونس : ٤٥ .

عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة، فقيل انه آخر من مات من الصحابة".

والساعة الصغرى: وهي موت كل انسان في نفسه [١]، وهي المشار اليه بقوله " قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة [٢] " الاية، ومعلوم ان هذه الحسرة تنال الانسان عند موته، كما قال الله تعالى " وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب [٣] " وكذلك قوله تعالى " قل ارأيتم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون [٤] " الاية، وماروى انه عليه السلام كان اذا هب ريح شديدة يتغير لونه فقيل له في ذلك فقال عليه السلام " تخوفت الساعة [٥] " وروى عنه عليه السلام: " ما امد طرفا ولا اغضها الا واظن الساعة قد قامت [٦] ".

والساعة الكبرى هي ما اشار اليه النبي صلى الله عليه بان الساعة لا تقوم حتى يظهر الفحش والبخل وحتى ينزل عيسى عليه السلام [٧]، وحتى

---

(١) نقل ابن حجر هذا الكلام تماما ونسبه الى الراغب، ثم قال وما ذكره عن عبد الله بن انيس لم اقف عليه ولا هو آخر من مات من الصحابة جزما. الفتح (١١ : ٣٦٤). والصحيح ان آخر من بقي ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم ابو الطفيل عامر بن واثلة وكانت وفاته سنة ١١٠ هـ. انظر الاصابة (٤ : ١١٣)، تلقيح فهوم اهل الاثر لابن الجوزي (ص ٤٤٥)، فتح المغيث للسخاوي (٣ : ١٠٢).

(٢) سورة الانعام : ٣١.

(٣) سورة المنافقون : ١٠.

(٤) سورة الانعام : ٤٠.

(٥) روى البخاري عن انس رضي الله عنه يقول " كانت الريح الشديدة اذا هبت عرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم ". (٢ : ٥٢٠)، احمد (٣ : ١٥٩).

(٦) ذكره الراغب في مفرداته (ص ٤٤٨).

(٧) روى البخاري عن قتادة مرفوعا قال: لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد (١٢ : ١١٣).
وروى ايضا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال " يتقارب الزمان وينقص العمل ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهرج، قالوا =

يكون كذا وكذا من اشراط الساعة ، فذكر امورا كثيرة ، منها لم يحدث في زمانه ولا بعد ، ومعلوم ان تلك الساعة غير ماكان يتغير لونه لاجله .

اختلف في وقوف النبي صلى الله عليه على هذه الساعات الثلاث.

فقال بعضهم : كان الله تعالى مستأثرا بعلم ذلك كله لقوله عليه السلام " ما المسئول عنها باعلم من السائل"(١) وقوله تعالى " وعلمها عند ربي"(٢) وقوله تعالى" ان الله عنده علم الساعة"(٣) الى آخر السورة .

= يارسول الله ايما هو ؟ قال : القتل القتل . (١٣ : ١٣) .
روى الامام احمد عن ابي هريرة مرفوعا قال : " ينزل عيسى بن مريم اماما عادلا وحكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرجع السلم ويتخذ السيوف مناجله وتذهب حمة كل ذات حمة " . الى آخره (٢ : ٤٨٢) وغير ذلك من علامات الساعة كما بينها اصحاب الحديث في كتبهم .

(١) رواه البخاري (١ : ١١٤)، مسلم (١ : ٣٩) بطوله وقد تقدم تخريجه

(٢) سورة الاعراف : ١٨٧ .

(٣) سورة لقمان : ٣٤ .

قال ابن مسعود : كل شئ اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم غير خمس " ان الله عنده علم الساعة " الاية .. الخ . وقال ابن عباس : هذه الخمسة لا يعلمها الا الله تعالى، ولا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فمن ادعى انه يعلم شيئا من هذه فقد كفر بالقرآن . القرطبي (١٤ : ٨٢)، وقد وردت الاحاديث المتواترة ان وقت الساعة لا يعلمه احد وهو مما استأثر الله بعلمه . فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : مفاتيح الغيب خمس . ثم قرأ " ان الله عنده علم الساعة " (٨ : ٥١٣)، روى الامام احمد عن ابي بريدة مرفوعا " خمس لا يعلمهن الا الله عز وجل" ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الارحام وماتدري ماذا تكسب غدا وماتدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير " .
قال ابن كثير : هذا حديث صحيح (٣ : ٤٥٣) واما قول من قال ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعلم الساعة الكبرى فهو قول باطل .

وقد ذكر بعض الحكماء ان النبي صلى الله عليه كان يخفي عليه الساعة الصغرى وهي موته في نفسه واياها يتخوف خشية ان يخترم قبل اظهاره دينه وابلاغ رسالته ، وكان يعرف الساعة الكبرى بدلالة تقديره حيث قال" انما بقاءكم فيما مضى من الامم قبلكم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس"(١) فلو لم يكن معلومة لما قدرها ، وعلى هذا ماروى" انما الدنيا سبعة الف سنة واني بعثت في آخرها الفا"(٢) وقال عليه السلام " بعثت في نسيم الساعة"(٣) وقوله عليه السلام " بعثت انا والساعة كهاتين"(٤)

---

(١) رواه البخارى بطوله (٢ : ٣٨) وفيه " سلف" بدل" مضى" واحمد (٢ : ١٢١) . قال ابن حجر في الفتح : ظاهره ان بقاء هذه الامة وقع في زمان الامم السالفة ، وليس ذلك المراد قطعا ، وانما معناه ان نسبة مدة هذه الامة الى مدة من تقدم من الامم مثل مابين صلاة العصر وغروب الشمس الى بقية النهار (٢ : ٣٩) .

(٢) ذكره صاحب كنز العمال وعزاه الى الطبراني والبيهقي في الدلائل (١٤ : ١٩١)، قال ابن حجر : هذا الحديث انما هو عن ابن زمل وسنده ضعيف جدا ، واخرجه ابن السكن في الصحابة وقال اسناده مجهول وقال ابن الاثير : الفاظه مصنوعة . الفتح (١١ : ٣٥١) واورده ابن الجوزي في الموضوعات (٣ : ٢٤٣) وابن قتيبة في غريب الحديث (١ : ٤٨٠) وذكره ابن القيم في المنار المنيف وقال هذا من ابين الكذب ، لانه لو كان صحيحا لكان كل احد عالما انه قد بقي للقيامة وقت كذا ، والله تعالى يقول" قل انما علمها عند ربي" وقال النبي صلى الله عليه وسلم " لا يعلم متى تقوم الساعة الا الله " (ص ٨٨) .

(٣) وذكره صاحب كنز العمال وعزاه الى الحاكم في الكنى (١٤ : ١٩١) والالباني في سلسلته الصحيحة وعزاه الى الدولابي وابن مندة في المعرفة (٢ : ٤٦٧) والنسيم هو اول هبوب الريح اي بعثت في اول اشراط الساعة .

(٤) رواه البخارى (١١ : ٣٤٧)، مسلم (٤ : ٢٢٦٩)، الترمذي وقال حديث حسن صحيح (٤ : ٤٩٦)، واحمد (٥ : ١٠٣) والدارمي (٢ : ٣١٣) .
قال عياض وغيره : اشار بهذا الحديث على قلة المدة بينه وبين الساعة وقال القرطبي في المفهم : حاصل الحديث تقريب امر الساعة وسرعة مجيئها . الفتح (١١ : ٣٤٩)، تحفة الاحوذي (٦ : ٤٦٠) .

قال : وقوله عليه السلام "ما المسئول عنها باعلم من السائل" اشارة الى الساعة الصغرى[(١)] قال وقوله تعالى" ان الله عنده علم الساعة " غير موجب ان لا يعلم غيره باعلام الله اياه ، كما ان قوله " وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو"[(٢)] غير موجب ان يكون غيره لا يعلم ، فعلمها من اعلمه الله لقوله تعالى" فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول"[(٣)] وانما نفى علمه من غيره مدركا له بذاته وسابقا اليه لا من جهة الاخذ عنه[(٤)] . وقال بعض الناس : ولعله هو الاصح ان النبي صلى الله عليه كان يعرف كل ذلك بالامارة المذكورة له ولم يكن يعرفها تصريحا وتحقيقا .

اما الساعة الكبرى فقد ذكر من اماراتها ، واما الوسطى فبقوله ان يطل عمر هذا[(٥)] فعلقه بشرط ، واما الصغرى فيما روى" انه لما نزل قول الله تعالى" اليوم اكملت لكم دينكم"[(٦)] قال" نعيت الى نفسي"[(٧)] وكان يخبر في تلك السنة عن نفسه بامارات وسمى حجته حجة الوداع وخطبته خطبة الوداع .

وبعض العلماء جمع بين قوله عليه السلام " بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى" وبين قوله عليه السلام " الدنيا سبعة الف سنة " فقال فضل الوسطى على السبابة بقدر السبع ، فكأنه قال عليه السلام : مابيني وبين آخر الدنيا الذى هو الساعة مقدار زيادة

---

(١) المراد بالساعة في حديث جبريل القيامة . انظر الفتح (١ : ١٢١) ولم يقل احد ان المراد بها الساعة الصغرى .

(٢) سورة الانعام : ٥٩ .

(٣) سورة الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

(٤) تقدم ان الرسول صلى الله عليه وسلم ما كان يعرف علم الساعة وهو قول ابن مسعود وابن عباس وهو الراجح .

(٥) قد تقدم عليه الكلام فى (ص) .

(٦) سورة المائدة : ٣ .

(٧) لعل المؤلف يشير الى حديثين موضوعين وهما حديث ورد انه صلى الله عليه وسلم قال : نعيت الى نفسى ، فقال ابن مسعود : استخلف ، فقال من؟ قال : على بن ابى طالب ، الموضوعات (١ : ٣٤٥) .

وحديث ابى سعيد الخدرى الذى اخرجه الشيعه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى غد يرخم بعد ان نزلت الآية " اليوم اكملت لكم دينكم" من كنت مولاه فعلي مولاه" يقول الالوسى رحمه الله : هذا من مفترياتهم ، روح المعانى ٦ / ٦١ فالحديثان موضوعان لا ينبغى الاحتجاج بهما ولا الاشارة اليهما .

الوسطى على السبابة .

وقال بعضهم : عنى ان بعض الزمان بينه وبين القيامة التي هي آخرة الدنيا وهي سبعة آلاف سنة كنسبة بعد ما بين السبابة والوسطى مفتوحة ، وذلك ان الفضاء بين الاصابع الخمسة ثمانية امثال ما بين السبابة والوسطى ، فبين ان بين الساعة وبينه قدر ثمن الدنيا ، ولذلك قال عليه السلام " وبعثت في آخرها الفا " وانه بعث بينه وبينها دون الف سنة وعلى قريب من هذا دل ما ذكر اصحاب التواريخ فانهم قالوا بين آدم وبينه ستة آلاف سنة وكسرا[1] ، وقوى ذلك بما روى " انما أجلكم فيما خلا من الامم كما بين صلاة العصر الى مغيب الشمس[2] " وقال : وبين العصر والمغرب قدر ربع النهار وهو ثمن زمان اليوم بليلة على التقريب .

وقال بعضهم : معنى قوله " بعثت[3] انا والساعة كهاتين " يعني وفاته عليه السلام ولذلك روى انه كان يترقبها صباحا ومساء[4] والله اعلم بحقيقة ذلك .

---

(١) قال المسعودي : من هبوط آدم الى الارض الى هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة سنة وست وعشرون سنة . مروج الذهب (٢ : ٢٦٨) .

(٢) رواه البخاري (٦ : ٤٩٥) وفيه " انما اجلكم في اجل من خلا " وقد تقدم الحديث بلفظ " بقاءكم " في (ص) .

(٣) وفي الاصل " بعثت والساعة " .

(٤) روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي فقال : كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وكان ابن عمر يقول : اذا امسيت فلا تنتظر الصباح واذا اصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك . (١١ : ٢٣٣) وروى ايضا عن انس رضي الله عنه يقول : كانت الريح الشديدة اذا هبت عرف ذلك في وجه النبي صلى الله عليه وسلم . (٢ : ٥٢٠) .

وروى انه عليه السلام قال[1]: " لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان وتكون الساعة كاحتراق السعفة "[2] قال بعض الحكماء : معناه ان الساعة الكبرى لا تقوم حتى يبلغ دينه وملك امته من جهة القطب الشمالي الى حيث يكون اليوم الشتوي فيه بقدر الساعة ، وهذا كما ذكر عليه السلام بقوله " زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوى لي منها "[3] فبين بهذا الخبر حال انتشار ملك امته في ناحية المشارق

---

(١) وكان في الاصل " قال " مكررا .

(٢) رواه احمد (٢ : ٥٣٨) .
والترمذي بلفظ قريب منه (٤ : ٥٦٧) وقال هذا حديث غريب وفيه " وتكون الساعة كالضرمة بالنار بدل كاحتراق السعفة " . قال ابن حجر واختلف في قوله " يتقارب الزمان " فقيل : على ظاهره فلا يظهر التفاوت في الليل والنهار بالقصر والطول وقيل المراد قرب يوم القيامة ، وقيل : تذهب البركة فيذهب اليوم والليلة بسرعة ، وقيل يتقارب اهل ذلك الزمان في الشر وعدم الخير ، وقال النووي معناه تقرب القيامة ، وقال ابن باز تعليقا عليه : الاقرب تفسير التقارب بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن والاقاليم وقصر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والاذاعة وما الى ذلك . الفتح (٢ : ٥٢٢) وقال المباركفوري المراد بالساعة الساعة اللغوية وهي ادنى ما يطلق عليه اسم الزمان من اللمحة واللحظة والطرفة ، قال الخطابي : ويكون ذلك في زمن المهدي او عيسى عليهما السلام وكليهما قال القاري والاخر هو الاظهر تحفة الاحوذي (٦ : ٦٢٥) ، واما ما فسر به الحكماء فهو تفسير غريب

(٣) رواه مسلم (٤ : ٢٢١٥) ، والترمذي وقال حديث حسن صحيح . (٤ : ٤٧٢) وابو داود (٤ : ٩٧) ، وابن ماجة (٢ : ١٣٠٤) وذكره ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (ص ٣٣) . قال النووي : فيه معجزات ظاهرة وقد وقعت كلها بحمد الله ، وفيه اشارة ان ملك هذه الامة يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب وهكذا وقع واما في جهتي الجنوب والشمال فقليل .
شرح النووي (١٨ : ١٣) .

والمغارب، وبذلك الخبر انتشاره في ناحيتي القطب الجنوبي والشمالي ولما كان ناحية الجنوب تنقطع فيها العمارة اقتصر على ذكر الشمال فنبه عليه السلام بالخبرين ان ملك امته يبلغ جميع المعمورة من الارض .

وقد قرب الله تعالى امر الساعة في عدة آيات، فقال" فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم"(١) وقال" وما امر الساعة الا كلمح البصر وهو اقرب"(٢) وقال : " اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون"(٣) (و) قال" واقترب الوعد الحق"(٤) وقال" اقتربت الساعة"(٥) وهذه الايات تتناول الساعات الثلاثة(٦) ، فان بعض ذلك وان كان بعيدا بالاضافة الينا والاعتبار بنا فقريب عند الله ، فان الشيء يستبعده من يحدد بالزمان او كونه في مكان دون مكان .(٧)

---

(١) سورة محمد : ١٨ .
(٢) سورة النحل : ٧٧ .
(٣) سورة الانبياء : ١ .
(٤) سورة " " : ٩٧ .
(٥) سورة القمر : ١ .
(٦) هذه الايات تتناول الساعة الكبرى .
(٧) لقد وصف الله تعالى نفسه في القرآن الكريم بانه استوى على العرش في سبعة مواضع ، ونفاة العلو الذين يحاولون صرف الايات الصريحة عن ظواهرها بالتأويلات الفاسدة كتفسيرهم استوى باستولى او بقصد فكلها باطل وتغيير في وجه الصواب، ولفظ استوى في اللغة اذا عدى بعلى لا يمكن ان يفهم منه الا العلو والارتفاع، لا الاستيلاء والملك . ولم يفسر السلف لهذا اللفظ الا باربع عبارات كما ذكرها ابن القيم :

فلهم عبارات عليها اربع	قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك	ارتفع الذي مافيه من نكران
وكذاك صعد الذي هو رابع	وابو عبيدة صاحب الشيبان
يختار هذا القول في تفسيره	ادرى من الجهمي بالقرآن

انظر تعليق الشيخ محمد مانع على كتاب عقيدة اهل السنة والجماعة (ص ١٤) . =

....

= وقد الف السلف رسائل خاصة في اثبات صفة العلو والاستواء فللذهبي كتابه (العلو للعلي الغفار) ولابن القيم (اجتماع الجيوش الاسلامية) وقد عقد الامام احمد بن حنبل في كتابه (الرد على الزنادقة والجهمية) بابا في بيان ما انكرت الجهمية ان يكون الله على العرش، تتبع فيه شبه الجهمية وفندها وذكر قول الامام مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه شيء وتلا هذه الاية " ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم" (ص ٩٢).

وكذلك الامام ابو عثمان الصابوني في كتابه (عقيدة السلف) عقد عنوانا بـ " استواء الله على عرشه " بين فيه معنى الاستواء وسرد اقوال العلماء فيه . وسئل مالك بن انس عن قوله " الرحمن على العرش استوى" كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراك الا ضالا وامر به ان يخرج من مجلسه (ص ١٧) وما بعدها كما عقد الامام ابو سعيد الدارمي في كتابه (الرد على الجهمية) بابا في استواء الرب تبارك وتعالى على العرش وارتفاعه الى السماء وبينونته من الخلق قال فيه باقوال السلف حول الاستواء والعلو ورد على شبه الجهمية (ص ٢٦٧) . والامام ابو الحسن الاشعري ايضا عقد في كتابه (الابانة) بابا في ذكر الاستواء على العرش، ورد فيه على المعتزلة والجهمية والحرورية في قولهم استوى انه استولى وملك وقهر (ص ٣٠) وما بعدها .

قال ابن تيمية: انه سبحانه استوى على العرش كما نطق به الكتاب في ست آيات كريمات بلا كيف بل كيف شاء من غير مماسة او احتياج الى العرش مع تنزيهه سبحانه عن الجلوس او القعود او غيرها من صفات المحدثين . وهو معتقد السلمين اي علو الله تعالى واستواؤه على العرش، واعلم ان الظرفية في هذا الحديث ليست مرادة - اي حديث الجارية اين الله - باجماع العلماء وانما معناها العلو باجماع (الرسائل والمسائل) (١ : ٢٠٧ - ٢١٦).

والادلة من الكتاب والسنة كثيرة جدا، انظر كتاب التوحيد لابن خزيمة (ص ١١٠)، وشرح العقيدة الطحاوية (ص ٣١٣)، فتح الباري (١٣ : ٤٠٦)، فتاوى (٥ : ١٢١، ١٩٤)، الاسماء =

وصف الدجال ونزول عيسى عليه السلام :

اصل الدجل الباس الغنم والظلمة ، وسمي الدجال بذلك لتلبيســه على الناس هذا اهم[1] ، وروى انه يدعي الربوبية[2] ، وقال عليه السلام : " انــه اعور[3] هجان اشبه الناس بعبد العزى بن قطن ، ولكن الهلك كل الهلــــك انه اعور لا يقدر ان يغير عوره ، فان هلك فيه جماعة وضلت فاعلمــــوا ان ربكم ليس باعور"[4] .

ومعنى قوله " الهلك كل الهلك " اى هلكه فى انه لا يقدر ان يغير عوره فيكشف عوره الناس وامره ، فمن رأى عوره لا يعتريه شبهة فى ضلالـه وسمي المسيح لانه ممسوح احد العينين[5] ، واما تسمية عيسى مسيحـــــا فقد قيل لانه كان يمسح الارض بالسياحة فيها[6] وقيل انه كان شيخـــــا

= والصفات (ص ٤٠٥) ، منهاج السنة (١ : ٢٥٠) ، شرح عقيـــدة الامام ابن القيم (١ : ٣٩٧) .

(١) انظر شرح النووى (١ : ٧٩) ، الفتح (١٣ : ٩١) ، اللســــــان (مسح) وتاج العروس (مسح) .

(٢) ذكر ابن حجر من طريق سليمان بن شهاب وفيه : ثم يدعي انه نبي فيفزع من ذلك كل ذى لب ويفارقه ، فيمكث بعد ذلك فيقول انا اللـه وعزاه الى الطبرانى . الفتح (١٣ : ٩١) ، وقد ذكر ايضا على بـن حسام الدين فى كنز العمال وعزاه الى ابن خزيمة والطحاوى وابــن جرير وغيرهم (١٤ : ٣٢٤) .

(٣) وفى الاصل " اعون " .

(٤) ذكر الهيثمى فى مجمعه بلفظ قريب منه وعزاه الى احمـــــد والطبرانى وقال : رجال الجميع رجال الصحيح (٧ : ٣٣٨) وذكـره ايضا ابن حسام الدين فى كنز العمال (١٤ : ٣١٩) ، والحديــث قد رواه مسلم باختلاف اللفظ ، انظر شرح النووى (١٨ : ٥٩ ، ٦٥) هجان : ابيض ، النهاية (٥ : ٢٤٨) ، مجمع بحار الانـــــوار (٥ : ١٤٠) .

(٥) انظر الفتح (٢ : ٣١٨) .

(٦) انظر المرجع المذكور (٢ : ٣١٨) ، القرطبى (٤ : ٨٩) ، ابن كثير (١ : ٣٦٣) .

فعرب فقيل مسيح[١] ، وقيل : لانه كان ممسوحا بالجمال[٢] ولم يعن بذلك جمال الوجه فقط ، بل عني ما خص به من افعاله الجميلة وهو المشار اليه بقوله " ان الله جميل يحب الجمال[٣] " .

وقال بعض العلماء : لما كان للانسان بصيرتان احدهما الحواس التي يدرك بها الامور الدنيوية والاخرى العقل الذي يدرك به الامور الاخروية ، وكان الدجال فاقدا للبصيرة التي يدرك بها الامور الاخروية وعيسى كان تاركا لاستعمال البصيرة في الامور الدنيوية صارا جميعا مسمين بالمسيح ، ولهذا روي " ان الدجال ممسوح احدى العينين[٤] " وروى جابر رضي الله عنه " لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابا كلهم يزعم انه رسول الله[٥] " وماروى " انه ينزل المسيح من السماء فيقتله فلا يبقى على الارض شئ مما خلقه الله يتوارى به يهودي الا انطقه الله فيقول : ياعبد الله المسلم هذا يهودي فاقتله الا الفرقدة فانها شجرهم فلا ينطق وترفع الشحناء والعداوة وينزع حمة كل دابة حتى يدخل الوليد يدها في فم الحنش فلا يضرها[٦] " . فمن الناس (من) حمل ذلك على ظاهره ، ومنهم من قال : كنى بعيسى عمن يخرج فيملأ الارض عدلا ، ويقطع اسباب

---

(١) مشيح في العبرية معناه المبارك . روح المعاني (٣ : ١٦١) الفتح (٢ : ٣١٨) ، القرطبي (٤ : ٨٩) .
(٢) انظر القرطبي (٤ : ٨٩) .
(٣) رواه مسلم (١ : ٩٣) ، احمد (٤ : ١٣٣) .
(٤) رواه البخاري بلفظ " ان المسيح الدجال اعور عين اليمنى " . (١٣ : ٣٨٩) ، مسلم (١ : ١٥٥) ، ابو داود (٤ : ١١٧) .
(٥) ذكر علي بن حسام الدين بلفظ قريب منه عن جابر وعزاه الى احمد كنز العمال (١٤ : ١٩٨) ، واخرجه البخاري (١٣ : ٨١) ، ومسلم (٤ : ٢٢٣٩) ، والترمذي (٤ : ٤٩٨) ، وابو داود (٤ : ١٢١) احمد (٢ : ٤٥٠) ، عن ابي هريرة ورواه ايضا عن ابن عمر (٢ : ١١٨) .
(٦) رواه ابن ماجة عن ابي امامة الباهلي بطوله (٢ : ١٣٦١) ورواه ايضا البخاري مختصرا منه عن ابي هريرة (٦ : ٤٩٠) ، ومسلم (١ : ١٣٥) ، وابو داود (٤ : ١١٨) ، والترمذي (٤ : ٥٧٦) ، والاجري (ص ٣٨٠ ، ٣٨١) الحنش : الافعى . مجمع بحار الانوار (١ : ٥٩٣) .

السـرور[1] .

حقيقة نطق الجوارح وابيضاض الوجوه واسوادها في القيامة .

قد ذكر الله تعالى ماينبئ عن شهادة الجوارح يوم القيامة على الانسان، فقال" اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون"[2] وقال" حتى اذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون"[3] وروى عقبة بن عامر الجهني[4] عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال :" اول شئ يتكلم من الانسان يوم يختم على افواههم فخذه من الرجل الشمال"[5] .

وقد اختلف الناس في كلام هذه الاعضاء على وجهين :

فمن قائل تصور هذا الكلام محسوساً[6]، وقال لانه يحصل من هذه الجوارح نطق من خارج يصل الى السمع محسوسا حسب مانتعارفه في الدنيا اعتبارا بظاهر ماورد .

---

(١) انكر نزوله الفلاسفة انظر التصريح بما تواتر في نزول المسيح (ص٨٥) قال العلامة السفاريني في لوامع الانوار البهية " قد اجمعت الامة على نزول عيسى بن مريم ولم يخالف فيه احد من اهل الشريعة وانما انكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعقد بخلافه ، وقد انعقد اجماع الامة على انه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء ، وان كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها ." (٢ : ٩٤) .

(٢) سورة يس : ٦٥ .

(٣) سورة حم السجدة : ٢٠ ، وفي الاصل كان " حتى ما اذا " .

(٤) هو عقبة بن عامر بن حبس بن عمرو الجهني الصحابي الجليل المشهور روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا وروى عنه كثير من الصحابة والتابعين كابن عباس وابي امامة ، وكان عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرا كاتبا وهو احد من جمع القرآن وتوفي في آخر خلافة معاوية سنة ٥٨هـ . الاصابة (٢ : ٤٨٩)، الاستيعاب (٣ : ١٠٦) .

(٥) رواه احمد (٤ : ١٥١)، وفيه " اول عظم " وجود احمد اسناده =

وقائل اعتبر ذلك معقولاً[1]، وقال انما هو على سبيل الافهام والتفهيم والاعتبار والنظر وانه يظهر من هذه الاعضاء افعالها التي يتعاطاها واحوالها التي تخصصت بها ، وقال هذا النوع من الكلام هو ما يكون من جهة الاعتبار، وقد يكثر منه حظ لبعض الناس في الدنيا وهو من خصه الله بالفراسة[2]، وجعل له نورا يهدى به من الالهام والتكليم والترويع

= ابن كثير (٣ : ٥٧٧)، ابن جرير (٢٣ : ٢٤)، وذكره السيوطي في الجامع الكبير وعزاه الى الطبراني في الكبير (ص ٢٧١) .

(١) انظر القرطبي (١٥ : ٤٨)، تفسير الرازي (٢٦ : ١٠١) البيضاوي (٧ : ٢٤٩) وروح المعاني (٢٣ : ٤٢٠)، حمل التكليم على الحقيقة اولى لان النصوص تؤيد هذا كما قال الله تعالى" قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شئ" السجدة : ٢٠ ، وهذا ظاهر جدا في النطق القولي وكما روى مسلم عن انس رضي الله عنه قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه قال : اتدرون مم ضحكت ؟ قلنا لا يارسول الله ، قال : من مخاطبة العبد ربه يقول : يارب الم تجرني من الظلم ؟ فيقول انى لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا ، فيختم على فيه فيقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله قال : ثم يخلي بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت انا ضل (٤ : ٢٢٨٠) وغير ذلك من الاخبار .

(٢) الفراسة : مكاشفة النفس ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الايمان وهي ثلاثة انواع :
ايمانية ، وسببها نور يقذفه الله في قلب عبده ، وهذه الفراسة على حسب قوة الايمان .
رياضية ، وهي التي تحصل بالجوع والسهر والتخلي، فان النفس اذا تجردت عن العوائق صار لها من الفراسة والكشف، وهذه مشتركة بين المؤمن والكافر .
خلقية ، وهي التي صنف فيها الاطباء ، واستدلوا بالخلق على الخلق لما بينهما من الارتباط الذي اقتضته حكمة الله كالاستدلال بصغر الرأس على صغر العقل . شرح العقيدة الطحاوية (ص ٥٦٣)، مفتاح السعادة (١ : ٣٢٣) .

المذكور في قوله عليه السلام " ان في امتي لمكلمين ومروعين "[(١)] ولكن ذلك يقل في الدنيا ويكون لبعض الناس دون (بعض) وفي زمن دون زمن بالتخمين والظن، ويكون في الاخرة لاكثر الناس وفي عامة الاحوال بالعلم واليقين لا بالظن والتخمين، وكلا القولين سائغ غير بعيد في قدرة الله ان ينطق الجوارح حتى يسمع منها سماعا وكذا غير بعيد ان يجعل لنا علما نفهم عن الجوارح كما حصلت منه في الدنيا .

وقال بعض العلماء : انما يختم الله على افواههم وينطق جوارحهم لكون الالسنة مجعولة على وجه يكون منه الصدق والكذب وكون هذه الجوارح صادقة في اخبارها ، فان الحواس[(٢)] الخمسة مسخرة على وجه لا يمكنها ان تخبر عما تدركه بخلاف ما هو عليه ، فمحال ان يرى البصر السواد بياضا والبياض سوادا وكذا سائر الحواس .

فاما ابيضاض وجه المؤمن واسوداد وجه الكافر،

فمنهم من اخذ ذلك محسوسا وقال ان ذلك من العلامات التي يعلم بها المؤمن من الكافر[(٣)] .

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٤٠) .

(٢) الحواس خمسة وهي :

حاسة البصر : يدرك بها الاجسام والالوان .

حاسة السمع : يدرك بها الكلام والاصوات كلها .

حاسة الذوق : يدرك بها الطعوم .

حاسة اللمس : يدرك بها الجسم والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة واللين والخشونة .

حاسة الشم : يدرك بها الروائح . اصول الدين (ص ٩) .

(٣) قال الالوسي : المراد بالبياض معناه الحقيقي او لازمه من السرور والفرح ، وكذا يقال في السواد ، والجمهور على الاول قالوا يوسم اهل الحق ببياض الوجه واشراق البشرة تشريفا لهم واظهارا لاثار اعمالهم ، ويوسم اهل الباطل بضد ذلك واسند الابيضاض والاسوداد الى الوجه لكونه اشرف الاعضاء . روح المعاني (٤ : ٢٥)، قال ابن عباس : تبيض وجوه اهل السنة وتسود وجوه اهل البدعة . القرطبي (٤ : ١٦٧)، ابن كثير (١ : ٣٩٠) . =

ومنهم من قال : ابيضاض الوجه عبارة عن الفرح واسوداده عبارة عن الحزن بقولهم : بيضت وجهي بكذا وسودت وجهي بذلك ، قال الله تعالى " واذا بشر احدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا "(١) وعلى ذلك قوله " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة "(٢) وقوله " وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة "(٣) .

ذكر الحساب والميزان .

الميزان : يقال لكل مايعرف به قدر الشئ معقولا كان ذلك الشئ او محسوسا ، فمتى كان الموزون محسوسا فميزانه محسوس ، ومتى كان الموزون معقولا فميزانه الذى يعرف به لا يكون الا معقولا ، وقد جعل الله تعالى لكل شئ ميزانا ، فميزان الشعر هو العروض ، وميزان الكلام والابنية النحو ، وميزان الممسوحات الهندسة .

والوزن : اعتبار العدالة في الشئ ومعرفة قدره ، وسمى الله تعالى كل مايعرف به العدالة الميزان والى ذلك اشار بقوله تعالى " لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان "(٤) فجعل

= والابيضاض والاسوداد يكونان يوم القيامة حين يبعثون من القبور وقيل ان ذلك عند قراءة الكتاب . وقيل ان ذلك عند الميزان .

(١) سورة النحل : ٥٨ .

(٢) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .
ناضرة من النضرة التي هي الحسن والنعمة ، يقال : نضرهم الله ينضرهم نضرة ونضارة وهو الاشراق والعيش والغنى . القرطبي (١٩ : ١٠٧) .
باسرة : قال قتادة كالحة ، وقال السدى تغير الوانه ، قال ابن زيد : عابسة . ابن كثير (٤ : ٤٥٠) .

(٣) سورة عبس : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ .
مسفرة : مشرقة مضيئة وهي وجوه المؤمنين . القرطبي (١٩ : ٢٢٥) .
قترة : اى كسوف وسواد يغشى الوجوه . المرجع السابق (١٩ : ٢٢٦) وابن كثير (٤ : ٤٧٤) .

(٤) سورة الحديد : ٢٥ =

لكل من الرسل ميزانا كما جعل الله كتابا وهو ما يعرف به الحق من الباطل في الاعتقاد والصدق من الكذب في المقال والجميل من القبيح في الفعال .

الميزان المروي في الخبر له كفتان احداهما من النور والاخرى من الظلمة[1] وقوله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة "[2] ذكر فيه من لم يتدرب بالمعقولات ولا يتحقق بتوسع كلام العرب واستعاراتها ان ذلك ميزان محسوس كميزان الناس فبعض (قال) : ان الله يجسم الاعمال حتى يحصل فيها ثقل فيضع الحسنات في كفة والسيئات في كفة[3]

= الميزان : هو العدل قال به مجاهد وقتادة وغيرهما .
ابن كثير (٤ : ٣١٤) .

(١) والذي دلت عليه الاخبار ان الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان كما يأتي عليه الكلام ، واما كفتاه من النور والظلمة فهذا قول بلا دليله قال اللقاني لم اقف على نص في ان الميزان من اي الجواهر روح المعاني (١٧ : ٥٤) .

(٢) سورة الانبياء : ٤٧ .

(٣) قال به بعض المتكلمين . انظر القرطبي (٧ : ١٦٥) .
قال شارح الطحاوية : فلا يلتفت الى ملحد معاند يقول الاعمال اعراض لا تقبل الوزن وانما يقبل الوزن الاجسام فان الله يقلب الاعراض اجساما (ص ٤٧٤) ، وهذا ليس بصحيح بل الصحيح ان الموازين تثقل بالكتب التي فيها اعمال مكتوبة كما روى احمد (٢ : ٢١٣) في حديثه الطويل وفيه فتخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، وتثقل بالعامل كما روى احمد عن ابن مسعود " انه كان يجني سواكا من الاراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون ؟ قالوا من دقة ساقيه فقال لهما اثقل في الميزان من احد (١ : ١٥٠) ، وتثقل بالاعمال كما في البخاري كلمتان خفيفتان على اللسان حبيبتان الى الرحمن ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم (١٣ : ٥٣٧) ، انظر شرح الطحاوية (ص ٤٧٢) .
قال السيد محمد رشيد رضا في تعليقه على الاعتصام : قد صار =

ومنهم من قال : يوزن صحائف الاعمال[١] .

والاقرب ان الوزن هو الاختبار والابتلاء والله غني عن الاجتهاد كما هو غني عن الوزن، ولكن ذكر ذلك على حسب موضوع اللفظ والتعارف وحقيقة اطلاع الله تعالى ايانا على معرفة حسناتنا وسيئاتنا حتى يتحققها فوق تحققنا للموزونات المحسوسة ، فمعلوم ان الوزن المعتبر بالعقل في المعقولات اكثر تحقيقا من المعتبر بالحس فانه يمكن ان يوزن جزء من الف جزء من حبة بالعقل فيعرف معرفة متحققة ولا يمكن وزن ذلك بالحس .

فان قيل : الميزان الذي له كفتان في المتعارف ليس الا المحسوس .

قيل : ان ذلك يكون كما قلت متى اضيف الى محسوس فقيل ميزان الدرهم والدينار فاما اذا اضيف الى الاعمال والمعقولات فلا يعقل ذلك منه كقول القائل : وزنت فلانا فلم اجد له وزنا ، وقول الشاعر :

رجحوا وشال ابوك في الميزان[٢]

= البشر يزنون الاعراض كالحرارة والبرد ، وتعددت انواع الوزن وانواع الموازين، وان من اكبر الجهل قياس عالم الغيب على عالم الشهادة ، ولو فهم اولئك المفتونون بنظرياتهم الفكرية معنى وصف المؤمنين بالايمان بالغيب لما اتعبوا انفسهم بهذا القياس الباطل . الاعتصام (٢ : ٣٢٨) .

(١) قال به ابن عمر . انظر القرطبي (٧ : ١٦٥)، الفتح (١٣ : ٥٣٩) .

(٢) وفي الاصل : رجحوا عليك وشلت بالميزان

هذا عجز بيت للاخطل من قصيدته في هجاء جرير وصدره :

واذا وضعت اباك في ميزانهم

انظر شرح ديوان الاخطل (ص ٣٩٤) .

اجمع اهل السنة على الايمان بالميزان وان له كفتان حسيتان، فقد ذكر الميزان عند الحسن فقال : له لسان وكفتان، والاحاديث تدل عليه كما مر " فطاشت السجلات وثقلت البطاقة " ففيه دلالة واضحة على ان الكفة تميل، وقد اجمعت الامة في الصدر الاول على الاخذ بهذه الظواهر من غير تأويل فلا نلتفت الى قول من قال انه ميزان معقول . انظر الفتح (١٣ : ٥٣٨)، القرطبي (٧ : ١٦٥)، شرح الطحاوية (ص ٤٧٢) .

وماذكر المعتزلة في حديث الميزان[1] فلو ورد منه الخبر لجوزناه وسلمناه ، ولكن لفظ ورود الميزان لا يقتضيه لما تقدم .

واما الحساب فحقيقة معرفة قدر الشيء من طريق العدد والعمل به ، ويقال لكل واحد منهما حساب ، المعرفة مفردة والعمل بينه مفردة ، فالمحاسبة هي تقرير ذلك عند المحاسب وهو اطلاع الله تعالى عباده على اعمالهم الحسنة والسيئة ، ولذلك قال تعالى " كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا "[2] وروى " من حاسب نفسه لم يحاسبه الله "[3].

---

(١) هم انكروا الميزان وقالوا هو عبارة عن العدل لبناء على ان الاعراض يستحيل وزنها ، الفتح (١٣ : ٥٣٨)، القرطبي (٧ : ١٦٥) قال القشيري : اذ لو حمل الميزان على العدل فليحمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الارواح دون الاجساد والشياطين والجن على الاخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة . المرجع السابق (٧ : ١٦٥) .

(٢) سورة الاسراء : ١٤ .

(٣) لم اقف على هذا اللفظ ، وقد روي عن صفوان بن محرز قال : بينا ابن عمر يطوف اذا عرض رجل فقال : يا ابن عمر هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم في النجوى فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا ؟ يقول اعرف يقول رب اعرف (مرتين) فيقول سترتها في الدنيا واغفرها لك اليوم ، ثم تطوى صحيفة حسناته ، واما الاخرون ـ او الكفار ـ فينادى على رؤوس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم . رواه البخاري (٨ : ٣٥٣)، ومسلم (٤ : ٢١٢٠)، ابن منده (٢ : ١٠١٨) .

وروى الامام احمد عن عائشة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في بعض صلاته : اللهم حاسبني حسابا يسيرا ، فلما انصرف قلت يارسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال ان ينظر في كتابه فيتجاوز له عنه ، ان من نوقش الحساب يا عائشة يومئذ هلك . (٦ : ٤٨) .

وروى في الخبر " حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا انفسكم قبل ان توزنوا "[1] تنبيها على ان من عرف ما مضى من اعماله فشكر على حسناتـه واستغفر من سيئاته لم يستوجب الوقوف للحساب،[2] وروى في تفسير قوله " والله سريع الحساب "[3] تنبيها على ما تقدم .

صفة الجنة والنار .

اصل الجنة : البستان[4] ذو الاشجار لاستتارها بها ، على ذلك قوله تعالى " كمثل جنة بربوة "[5] وقوله " ودخل جنته وهو ظالم لنفسه "[6] وتسمية دار السلام بها[7] لما فيها من الخيرات، وقيل : سميت الجنة تشبيها بالجنة في الارض وان كان بينهما بون بعيد ، وقيل : سميت بذلك لانه ستر (عن) العباد في الدنيا حقيقة ما اعد هم فيها من الاضرب حيث تقصر الافهام عن ادراكها بدلالة قوله تعالى " فلا تعلم

---

(١) رواه الترمذي عن ابن عمر موقوفا بلفظ " حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وتزينوا للعرض الاكبر وانما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا " . (٤ : ٦٣٨) . وابن ابي شيبة في مصنفه (٢ : ٢ : ٢٥٦) .

(٢) كان في الاصل " حسنات " والصحيح ما اثبت .

(٣) سورة البقرة : ٢٠٢ .
ومعنى الاية انه لا يحتاج الى عد ولا الى عقد ولا الى اعمال فكر كما يفعله الحساب. وقيل : سريع المجازاة للعباد باعمالهم قال الحسن : حسابه اسرع من لمح البصر، وقيل هو انه اذا حاسب واحدا فقد حاسب جميع الخلق . القرطبي (٢ : ٤٣٥) اما ما فسر به الراغب فلم اقف عليه .

(٤) انظر مختار الصحاح (ص ٤٨٩) .

(٥) سورة البقرة : ٢٦٥ ، اي بستان بربوة وهو عند الجمهور المكان المرتفع . ابن كثير (١ : ٣١٩) .

(٦) سورة الكهف : ٣٥ .

(٧) كما قال تعالى " لهم دار السلام عند ربهم " الانعام : ١٢٧ .

نفس ما اخفي لهم من قرة اعين"[١] وقوله عليه السلام حاكيا عن ربه " اعددت[٢] لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[٣] وقال ابن عباس : الجنان سبعة[٤] ، جنة الفردوس وجنة عدن وجنة نعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون، وسمى ذلك كله دار المقامة ودار الحيوان، وروى عن النبي صلى الله عليه : " الجنان مائة درجة اعلاها الفردوس"[٥] وعلى ذلك قوله تعالى" قد افلح المؤمنون - الى قوله - اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس"[٦] وقال" ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى" ثم قال" وذلك جزاء من تزكى"[٧] .

واصحاب الجنة على القول المجمل فرقتان :

السابقون وهم المقربون بقوله تعالى" والسابقون السابقون اولئك المقربون"[٨] .

والابرار وهم دون المقربين بدلالة قوله تعالى" ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا"[٩] وقوله " ان الابرار لفي نعيم " الى قوله

---

(١) سورة السجدة : ١٧ .
(٢) وفي الاصل" اعدت" .
(٣) رواه البخاري (٦ : ٢١٨)، ومسلم (٤ : ٢١٧٤) .
(٤) انظر حاشية الجوهرة لامير على (ص ١٤٤)، وابن القيم رحمه الله ذكر في حادي الارواح اثني عشر اسما للجنة (ص ٦٥) .
(٥) رواه البخاري (١٣ : ٤٠٤)، البيهقي في الاسماء والصفات (ص ٣٩٨) واحمد (٥ : ٣١٦)، وابن ماجة (٢ : ١٤٤٨)، والحاكم (١ : ٨٠) .
(٦) سورة المؤمنون : ١ - ١١ .
(٧) سورة طه : ٧٥، ٧٦ .
(٨) سورة الواقعة : ١٠، ١١ وفي الاصل" اولئك هم المقربون" .
السابقون اي الذين اذا اعطوا الحق قبلوه واذا سئلوه بذلوه ، وقيل هم الانبياء وقيل السابقون الى الايمان من كل امة ، قيل : الذين صلوا الى القبلتين وقيل : السابقون الى الجهاد . القرطبي (١٧ : ١٩٩) .
(٩) سورة الدهر : ٥ .
قال قتادة : الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفونه بالنذر .
المرجع السابق (١٩ : ١٢٥) .

" ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون" [١] فذكر ان مزاجه ماخص به المقربون اعلى واشرف كما جعلهم فرقتين هناك جعلهم كذلك هاهنا حيث قال" وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين" [٢] المتحرين لهذه الافعال جنة عرضها السموات والارض ، وهذه هي صفات المقربين الذين جعل لهم هناك تسنيما عينا يشرب بها المقربون، ثم قال بعد " والذين اذا فعلوا فاحشة ـ الى قوله ـ ونعم اجر العاملين" [٣] فوصف ان لهم جنات هكذا فهذه هي صفة الابرار الذين جعل لهم هناك كأسا مزاجها كافورا .

وجعل الجنات درجات والنار دركات، وذكر ان للجنة ثمانية ابواب، [٤] وللنار سبعة ابواب، هي ابواب على التتابع بعضها دون بعض قال الله تعالى" ان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزؤ مقسوم" [٥] فذكر ان لكل درك جزء من الناس ، وقال : " ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار" [٦] وجعل الدرجة العليا من الجنة لمن تزكى لقوله " ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات

---

(١) سورة المطففين : ٢٢ - ٢٨ .
(٢) سورة آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤ .
(٣) " فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين ونعم" . آل عمران : ١٣٥ ، ١٣٦ .
(٤) روى البخاري عن سهل بن سعد مرفوعا" في الجنة ثمانية ابواب فيها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصائمون" (٦ : ٣٢٨) .
(٥) سورة الحجر : ٤٣ ، ٤٤ .
سبعة ابواب اي اطباق طبق فوق طبق، والذي عليه الاكثر من العلماء ان جهنم اعلى الدركات ثم لظى ثم الحطمة ثم سعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية . القرطبي (١٠ : ٣٠) .
(٦) سورة النساء : ١٤٥ .

العلى جنات عدن - ثم قال - وذلك جزاء من تزكى[1] .

وقد وردت الشريعة بأن الجنة فى السماء[2] السابعة ، وروى أنها فى السماء الرابعة ، وان جهنم فى اسفل السافلين[3] وروى أنها فى تخوم الارضين[4] .

وورد ان اهل الجنة واهل النار يتحاورون بعد استقرار الدار بالفريقين، وذلك قوله " ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعد ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم[5]" وكذلك قوله " ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله[6]" الاية ومن نظر الى ذلك ببصيرته لا ببصره واعتبره بعقله لا بحسه[7] لم يصعب عليه معرفته ، وقد ذكر الله تعالى النار وخزنتها فقال" لواحة للبشر عليها تسعة عشر وماجعلنا اصحاب النار الا ملائكة[8]" فذكر ان الملائكة الموكلين بها تسعة عشر بعدد

---

(١) سورة طه : ٧٥ ، ٧٦ .

(٢) اورده السفارينى فى لوامع الانوار البهية عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال : الجنة فى السماء السابعة ، ويجعلها الله تعالى حيث شاء يوم القيامة ، وجهنم فى الارض السابعة . وعزاه الى ابى نعيم (٢ : ٢٣٧) .

(٣) ذكره السفارينى ايضا عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : الجنة فى السماء الرابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء ، والنار فى الارض السابعة فاذا كان يوم القيامة جعلها الله حيث شاء ، وعزاه الى ابن منده . المرجع المذكور (٢ : ٢٣٧) .

(٤) لم اقف بهذا اللفظ والمعنى كما ورد فى الحديثين السابقين، تخوم الارض : حدودها . انظر اللسان (تخم) .

(٥) سورة الاعراف : ٤٤ .

(٦) سورة الاعراف : ٥٠ .

(٧) كان فى الاصل" بحسبه " والصحيح ما اثبته .

(٨) سورة المدثر : ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

النجوم السبعة[١] ، والبروج الاثني عشر[٢] وذلك مما يخفى حقيقته على كافة البشر الا من آثر الله بعلمه .

وذكر تعالى الجنة والنار على وجوه مختلفة بامثال مجسمة والفاظ مشبحة ليدركه افهام العباد بعض الادراك فقال في موضع " وبرزت الجحيم للغاوين"[٣] وقال " ان جهنم كانت مرصادا للطاغين ما بالابثين فيها احقابا"[٤] وقال " اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا"[٥] وقال عليه السلام " يؤتى لجهنم يوم القيامة ولها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك"[٦] .

---

(١) النجوم السبعة هي : المشتري ، وزحل ، والزهرة ، وعطارد والقمر ، والمريخ ، والشمس . انظر مروج الذهب (١ : ٨٧) .

(٢) البروج الاثنا عشر وهي الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان والاسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى والدلو ، والحوت . القرطبي (١٩ : ٢٨٣) .
اما حمل العدد التسعة عشر على النجوم السبعة والبروج الاثنى عشر فهو قول بلا دليل .
قال ابن كثير : مايعلم عددهم وكثرتهم الا هو تعالى لئلا يتوهم متوهم انهم تسعة عشر فقط ، كما قد قاله طائفة من اهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين الذين سمعوا هذه الاية فارادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن اقامة الدلالة على مقتضاها فافهموا صدر هذه الاية وقد كفروا بآخرها وهو قوله " ومايعلم جنود ربك الا هو " المدثر : ٣١ . قال القرطبي : ان هؤلاء التسعة عشر هم الرؤساء والنقباء واما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما جاء في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك يجرونها (١٩ : ٨٠) .

(٣) سورة الشعراء : ٩١ .

(٤) سورة النبأ : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) سورة الفرقان : ١٢ .

(٦) اخرجه مسلم عن عبد الله (٤ : ٢١٨٤) هذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم وقال رفعه وهم . الترمذي (٤ : ٧٠١) .

وروى ابو سعيد الخدرى[1] عن النبى صلى الله عليه وسلم "بينما الناس ينتظرون الحساب اذ بعث الله عنقا من النار يقول امرت بثلاث : بمن ادعى مع الله الها اخر وبمن قتل نفسا بغير حق وبكل جبار عنيد فتلقطهم من بين الناس كما يلقط الطير الحب ثم يستو بهم فى جسمها"[2] وقد جسمها النبى صلى الله عليه على وجه آخر فقال" يضرب الله الصراط بين ظهرانى جهنم فاكون انا وامتى اول من يجيز ولا يتكلم الا الرسل ودعواهم : اللهم سلم سلم"[3] وقال عليه السلام فى خبر آخر " صراط كحد السيف بحافتيه حسك السعدان والملائكة على جنبتى الصراط فيقولون اللهم سلم سلم ، ويقال لهم جوزوا بقدر اعمالكم فمنهم كالطرف ومنهم كالبرق ومنهم كالريح ومنهم كالطير ومنهم كاسرع الخيل ومنهم كسعى الرجل"[4] وذكر فى موضع " ان اصحاب الجنة يؤخذ بهم نحو اليمين واصحاب النار الشمال"[5]

---

(١) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة الانصارى ابو سعيد الخدرى وهو مشهور بكنيته ، اول مشاهده الخندق ، وكان ممن حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سننا كثيرة وكان من نجباء الانصار وعلمائهم توفى سنة ٧٤ .الاستيعاب (٢ : ٤٧) الاصابة (٢ : ٣٥) .

(٢) رواه الترمذى مع اختلاف الالفاظ عن ابى هريرة (٤ : ١ ٧٠) وقال حديث حسن غريب صحيح ، وقد رواه بعضهم عن ابى سعيد وذكره القرطبى وقال صححه ابن العربى فى قبسه (١٣ : ٨) .

(٣) اخرجه البخارى (١١ : ٤٤٥)، مسلم (١ : ١٦٩) بطوله والترمذى بنحوه (٤ : ٦٢١) .

(٤) اخرجه البخارى (١١ : ٤٤٥)، مسلم (١ : ١٦٧)، احمد (٦ : ١١٠)، الحاكم (٢ : ٣٧٦)، بالفاظ متقاربة .
حسك : شوك صلب من حديد .مجمع بحار الانوار (١ : ٥١٥) .

(٥) قال تعالى فى اهل الجنة : واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود .الواقعة : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ .وقال

وقال تعالى " وان منكم الا واردها"[1] وهذه كلها اشارات وتمثيلات ولا يتأتى فيما قصد اليه بالمعنى كما ان القائل اذا وصف الحرب فقال هى رحى تطحن ونار تتأجج[2] وقدر تفور وعروس تتزين وعجوز تتكلح[3] وحامل تضع وحامل تعقم ونحو ذلك من الاوصاف المنافية فى الظاهر لم يكن بين هذه الالفاظ ثبات فى الحقيقة لكونها امثالا واشارات وهذا ظاهر لمن تدرب فى باب البلاغة والاستعارات[4] .

ذكر الجنة والنار .

هل هما مخلوقتان ام لا ؟

ذهب جماعة من المتكلمين[5] الى انهما ليستا مخلوقتين، لكنهما يخلقان للتأبيد ، قالوا : وقد ثبت ان الله يفنى الاشياء كلها حتى لا يبقى الا وجهه فلو كانت مخلوقة الان لفنيت فلم يكن لخلقها الان فائدة

= فى اهل النار " واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال فى سموم وحميم " . الواقعة : ٤١ ، ٤٢ .
وروى احمد عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان فقال اتدرون ما هذان الكتابان ؟ قال قلنا لا الا ان تخبرنا يارسول الله قال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم قال للذى فى يسار هذا الكتاب اهل النار باسمائهم واسماء آبائهم وقبائلهم - وفيه - ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال فريق فى الجنة ونبذ باليسرى فقال فريق فى السعير (٢ : ١٦٧) .

(١) سورة مريم : ٧١ .
(٢) تتأجج : تلتهب . مختار الصحاح (ص ٦٤) .
(٣) تكلح : تبسم . القاموس (١ : ٢٤٦) .
(٤) يقصد الراغب ان الانسان لا يمكن ان يطلع على حقيقة الجنة والنار وان ما ذكرت لهما من الامثال فهو لتقريب الفهم .
(٥) هم طائفة من المعتزلة والقدرية والخوارج ، الفصل (٤ : ٨١) ، شرح الطحاوية (ص ٤٧٦)، شرح المواقف (٨ : ٣٢١)، اصول الدين (ص ٢٣٧) .

وقالوا : الجنة التي اسكنها آدم كانت بستانا بارض الهند وكانت دار تكليف وليس في الجنة تكليف بوجه[١] ،

وذهب غيرهم من اهل الملة[٢] الى انهما مخلوقتان، وان جنة الخلد هي التي كان فيها آدم وزوجته ، وتسميتها بالخلد اعتبارا بالمآله الا ترى انا خلقنا للابد وان كنا ننقل من دار الى دار ومع ذلك لا يمنع ان نكون في حال التكليف .

قال بعض الحكماء : ان الله لما خلق الانسان لاستخلافه في الارض واستعماره فيها واراد ان يوصله الى جنة الماديه وعلم منه انه بسوء[٣] تدبيره قد يختار العاجل الخسيس على الآجل النفيس كما وصفه الله تعالى بقوله " وكان الانسان عجولا"[٤] وقوله " ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة"[٥] وعلم انه يتبع هواه ، كما قال" واتبعوا اهواءهم"[٦] فعرض جنته التي خلق الله لادم ليعرف النعيم الحقيقي فلا يغره الغرور فيكون اليه اشوق، ويذوق مغبة المخالفة فيكون منها افرق، فالمحنة بعد النعمة ابلغ في التأديب، والبلاء بعد الرجاء انجع[٧] في التهذيب ، والانسان فيما عاينه ارغب منه مما حدثه ، فصار ما ابتلى به آدم تمام نعمة الله عليه .

---

(١) انظر موقفهم في جنة آدم تفسير البيضاوى (٢ : ١٣٦)، القرطبي (١ : ٣٠٢)، روح المعاني (١ : ٢٣٣)، الارشاد (ص ٣٧٨) ، شرح المقاصد (٢ : ١٦١) .

(٢) هم الجمهور من السلف والخلف .

(٣) وفي الاصل" تسوء " .

(٤) سورة الاسراء : ١١ .

(٥) سورة التوبة : ٣٥ .

(٦) سورة محمد : ١٤ .

(٧) نجع الخطاب والوعظ فيه : دخل واثر . القاموس (٣ : ٨٧) ، مختار الصحاح (ص ٣٠٤) .

فان قيل : هل يفني الله تعالى الجنة اذا افنى الاشياء .

فالقائلون به (١) توهموا من غير ان له في الشريعة اصلا يعتمد عليه او يفزع اليه ، والعجب انهم ادعوا في ذلك الاجماع، واعتمدوا فيه على قوله تعالى " كل شئ هالك الا وجهه " (٢) والمفسرون كلهم قالوا عنى بذلك اهل السماء والارض .

ثم الهلاك في كلامهم على وجهين :

احدهما : افتقاد الشئ عنك وهو موجود عند غيرك كقولك : هلك مالي .

والثاني : انتقاض بنية الشئ حيا كان او ميتا كقولك : هلك فلان اذا مات ، وهلك المنزل اذا انهدم والثياب اذا تحرقت وكذلك الفناء .

اما ما ادعوه من اعدام الاشياء بالفناء الذي قالوا فمبني على وهم ولدوه (٣) ، وقوله تعالى " يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب " (٤)

---

(١) قال به جهم بن صفوان وابو الهذيل ، اما جهم فقال : ان الجنة والنار يفنيان ويفنى اهلهما ، وقال ابو الهذيل : انهما لا يفنيان ولا يفنى اهلهما الا ان حركاتهم تفنى ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك احياء متلذذون او معذبون وبه قالت طائفة من الروافض ان اهل الجنة والنار يخرجون الى حيث شاء الله . الفصل (٤ : ٨٣)، وقال الكعبي : يجوز ان تكونا مخلوقتين ويجوز ان تكونا غير مخلوقتين وان كانتا مخلوقتين جاز فناؤهما واعادتهما في القيامة ، ولا يجوز فناؤهما بعد دخول اهلهما . اصول الدين (ص ٢٣٧) .

(٢) سورة القصص : ٨٨ .
ان المراد " كل شئ " مما كتب الله عليه الفناء والهلاك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ، وكذلك العرش فانه سقف الجنة هذا مروي عن ائمة الاسلام . شرح الطحاوية (ص ٤٨٠) والكرسي والسموات والارض خلق للبقاء . روح المعاني (٢٠ : ١٣١) .

(٣) يرد المؤلف على القائلين بفناء السماء والارض والجنة والنار ويقول منهم ان الاية " كل شئ هالك " تخصصها آية " يوم نطوي السماء " اذا السماء والجنة والنار لم يكتب الله عليها الهلاك .

(٤) سورة الانبياء : ١٠٤ .

فليس يقتضي ماقالوه وقال ابن عمر : رأيت النبي صلى الله عليه قائما على المنبر وهو يقول" ان الله تعالى اذا كان يوم القيامة جمع السموات السبع والارضين في قبضته ، ثم يقول انا الله وانا الرحمن انا الملك القدوس، انا الذي بدأت الدنيا ولم تكن شيئا وانا الذي اعيدها اين الملوك الجبابرة"[1] فقال جمعها في قبضته تنبيها انه لم يتركها تتالفه .

وكذا قوله تعالى" يوم تمور السماء مورا"[2] وقوله " يوم تبدل الارض غير الارض"[3] لا يقتضي ماقالوه وجملة الامر انه ان عدمها ثم اعادها لحكمة استأثر بها فسائغ، وان هو ابقاها (ولم يفنها فليس في ذلك لزوم محال)[4] ولا ادعاء كذب على مقاله وقد قلنا بدأ وعودا ان الامور الاخروية انما يمكن ان يقال فيها بقدر ما اطلعنا الله عليه والله الموفق .

ذكر الاكل والشرب في الجنة .

استبعد الطبيعيون والفلاسفة[5] الاكل والشرب في الجنة وتبعهم على ذلك قوم من النصارى وشبهتهم في ذلك ان الاكل والشرب يطيبان عن جوع وظمأ ، والجوع والظمأ يعترضان عن تخلل يحصل في البدن ، والجماع يطيب عند اجتماع فضلات من البدن تستدعي الطبيعة الى اخراجها ونقصها ، ثم الطعام المتناول معلوم ان بعضه يصير نموا للبدن وعد الة

---

(١) رواه مسلم بلفظ قريب منه (٤ : ٢١٤٨)، وابو داود (٤ : ٢٣٤)، واحمد (٢ : ٧٢) .
(٢) الطور : ٩ . قال مجاهد تمور : تدور دورا ، وقال ابن عباس : تمور السماء يومئذ بما فيها وتضطرب . المور هو الموج . القرطبي (١٧ : ٦٣) .
(٣) سورة ابراهيم : ٤٨ .
(٤) مابين الهلالين مكرر في الاصل .
(٥) انظر تهافت الفلاسفة (ص ٢٨٢) .

وعوضا عما يتخلل منه وجبرانا لما ينتقص منه ، وبعضه يصير ثقلا ، ثم طبخ المعدة له فيخرج من البدن اما ثقلا واما مخاطا وبزاقا وعرقا ووسخا وغير ذلك من الفضلات الخارجة من البدن، وكل ذلك يكون في دار الكون والفساد دون دار الخلد والبقاء، وهذا كلام من نظر الى الاجساد والى الاطعمة نظرة اليهما في الدنيا وهي مركبة من الاركان الاربعة تركيبا معرضا للاستحالات ولا يعلم ان الله قادر على اعادة الاجساد اعادة لا يعتورها الافات حسب ما تقدم القول فيه وقادر على خلق الاطعمة متعرية عن القشورات والتركيبات المعرضة بالافات، والوقوف على ذلك يصعب الا بمعرفة مقدمة وهي ان كل ما اوجد الله تعالى فانه اوجد لمعنى به يصير ذلك الشئ هو ما هو ويستحق الاسم المختص به كالسيف سمي بذلك لصورته والمعنى فيه وكذلك السكين والخنجر لا للحديد الذي فيهما ، فاذا كان كذلك علم ان هذه الاطعمة التي هي الماء والخمر واللبن والعسل منافعها المختصة هي المقصودة منها ، كما ان المقصود من السراج هو الضوء لا مادته وتوابعه التي هي البزر[1] والفتيلة والدخان، فالمقصود من الماء حفظ الحياة المدلول عليها بقوله " وجعلنا من الماء كل شئ حي"[2] ومن الخمر حصول السرور وزوال الهموم ، ومن العسل تحصيل الحلاوة الملتذ بها ، فمن حصلت هذه المعاني فقد حصل المقصود وان يتجرد عن شوائبها ، والى هذا اشار تعالى بقوله "فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى"[3] فنفى عنها شوائبها والافات التي بها وقال في الخمر " لذة للشاربين" ولم يقل لذيذة تنبيها انه

---

(١) البزر : كل حب يبزر للنبات ، وهو ايضا دهن البزر . اللسان (بزر) .

(٢) سورة الانبياء : ٣٠ .

(٣) سورة محمد : ١٥ .

آسن : غير متغير الرائحة . القرطبي (١٦ : ٢٣٦) .

ليس هناك مادة حصلت بها اللذاذة بل هي اللذة المجردة عن الشوائب وقال" لا يصدعون عنها ولا ينزفون"[1] فاثبت لها ما هو المقصود من طيبة ونفى عنها ما يكره ... من خبثها ، وقال في صفة الازواج " ولهم فيها ازواج مطهرة"[2] فنبه على انتفاء الخبائث التي لا تنفك منها ازواج الدنيا ، وعلى هذا نبه تعالى بقوله في ذكر الشهوات " زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين - الى قوله - ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب"[3] فجمع المأكولات والمشروبات والمنكوحات وسائر الملاذ الدنيوية واشار الى دناءة منزلتها ، ثم نبه على فضيلة ماعنده بقوله " قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار"[4] الاية ، فنبه ان في الاخرة ليس من جنس ما في الدنيا ، ونبه على ذلك النبي صلى الله عليه بقوله في صفة اهل الجنة "انهم لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق يجرى من اعراضهم مثل ريح المسك"[5] قال ابن عباس :"ليس في الجنة مما في الدنيا الا اسماؤها"[6] ومن استبعد ذلك فلانه تصور اكلا متخللة واطعمة متحيلة فانكر ذلك ان لا تكون بينهما مستحيلات . ولو نظر ببصيرته وتأمل ما للانسان في

---

(١) سورة الواقعة : ١٩ .
لا يصدعون عنها اى لا تتصدع رؤوسهم من شربها ، اى انها لذة بلا اذى بخلاف شراب الدنيا ، ولا ينزفون ، اى لا يسكرون فتذهب عقولهم . المرجع السابق (١٧ : ٢٠٣) .

(٢) سورة البقرة : ٢٥ .

(٣) سورة آل عمران : ١٤ .

(٤) سورة آل عمران : ١٥ .

(٥) رواه البخارى (٦ : ٣٦٢)، ومسلم (٤ : ٢١٧٩)، والترمذى (٤ : ٦٧٨)، وابن ماجة (٢ : ١٤٤٩)، واحمد (٢ : ٢٣٢) ، الدارمى (٢ : ٣٣٥) بلفظ قريب منه .

(٦) تقدم في (ص) .

الدنيا من الاغذية التي لا ثقل لها ، ولها طيب كطيب المسك ، لا بل فوقه يشاهد بذلك وهو الاداب والعلوم الحقيقية فان ذلك غذاء الارواح كما ان الطعام غذاء الاشباح ، وبهذا جمع بينهما في الاسم فقيل الغذاء الروحي والبدني واستعمل في تناول الادب لفظ الطعام والشراب والخمر ونحو ذلك كما تنبئ عنه كتب البلاغات ، ومعلوم ان تلك الاطعمة يتناولها الانسان فلا يستحيل الى قاذورات ولا يرجع فضولات ، بل يفيد الانسان ريحا اطيب من المسك فليس بعجب اذا ان يجعل الانسان في دار البقاء بلا فضول ولا خبث ، وروى أن يهوديا قال للنبي صلى الله عليه " اتزعم ان في الجنة نكاحا واكلا وشربا ، ومن اكل وشرب كانت له عذرة ، فقال النبي صلى الله عليه : والذي نفسي بيده ان فيها اكلا وشربا ونكاحا ويخرج منهم عرق اطيب من ريح المسك فقال رجل : صدق رسول الله صلى الله عليه خلق الله دودا يأكل مما تأكلون ويشرب مما تشربون ، ثم يخلف عسلا سائغا فقال عليه السلام : هذا مثل طعام اهل الجنة[1] وفي هذا اشارة عجيبة فانه اذا جاز ان يتناول دود متحللة الابدان طعاما متحيلا يتخلف بيننا طيبا يبقى طول مدة فلا يلحقه فساد ، لم ينكر ان يتناول اهل الجنة طعاما متصر من العفونات والاستحالات فيخلف مسكا ، ومن تدرب في المعقولات سهل عليه حل هذه الشبهات ولا ينجر الى المعتمدين على الحواس والمشاعر دون الالباب المجردة ، وقد نبه الله تعالى اولياءه من وصف الجنة ما هو اعلى ما يحيط به البشر وتهتدي اليه افهامهم بل اوهامهم حيث قال " ورضوان من الله اكبر"[2] وقال " والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاءون"[3] وقال " ولكم فيها ما تدعون"[4]

---

(١) اخرج النسائي في الكبرى جزء منه عن زيد بن ارقم انظر تحفة الاشراف (٣ : ١٩١) ، والطبراني ايضا وسمى في روايته هذا السائل ثعلبة بن الحارث . الفتح (٦ : ٣٢٤) .

(٢) سورة التوبة : ٧٢ .

(٣) سورة الشورى : ٢٢ .

(٤) سورة السجدة : ٣١ .

وقال عليه السلام عن الله " فيها مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[١].

---

(١) تقدم تخريجه في (ص).

الفصل السابع

فى ذكر القدر (و) صعوبة الوقوف على سره

اعلم ان مسألة القدر عظيمة الخطر طويلة الذيل بعيدة النيل قد ضل بها الناس ضلالا بعيدا حتى صار بعض الامم بها منسلخا عن الاديان كلها وخارجا عن طريق الحق بتفاصيلها وجملها كالمجوس[1] والثنوية[2] فانهم جعلوا البارى تعالى بالشيطان ماسورا وفى سلطانه مقهورا تعالى الله من ذلك علوا كبيرا .

ثم اكثر الخلافات فى الاديان كان فى زمان دون زمان الا مسألة القدر فانها لم تخل منها امة من الامم[3] ، بل كما وقع بين امم الرسل وقع بين الرسل ، فقد روى ان موسى لقى آدم عليهما السلام فقال : انت الذى اغويت الناس واخرجتهم من الجنة[4] ، فقال وانت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمك بنفسه اتلومنى (على امر قد قدر الله على قبل ان يخلقنى باربعين سنة فحج آدم موسى فحج آدم موسى)[5] ثلاثا[6] ، بل روى انه كما وقع الخلاف فيها بين الورى وقع الخلاف فيها بين الملأ الاعلى فقد روى ان جبرئيل وميكائيل اختلفا فى القدر[7] ولوقوع الخلاف فيها فى كل امة وكونها سببا

---

(١) (٢) قد تقدم الكلام عليهما (ص ٧٧) .

(٣) وكان فى الاصل " الاحمر " والصحيح ما اثبت .

(٤) وفى الاصل " الارض " وهو تحريف .

(٥) ما بين القوسين لم يكن بالاصل كتبته اعتمادا على رواية البخارى .

(٦) رواه البخارى (١١ : ٥٠٥)، مسلم (٤ : ٢٠٤٢)، ابو داود (٤ : ٢٢٦)، الترمذى (٤ : ٤٤٤)، احمد (٢ : ٢٤٨)، مالك (٢ : ٢٠٧) والاجرى (ص ١٨١)، والبيهقى كما اورده القزوينى فى مختصر شعب الايمان (ص١٣) .

(٧) ذكر هذه الرواية ابن الجوزى فى الموضوعات بطولها وقال هذا حديث موضوع بلا شك (١ : ٢٧٣)، السيوطى فى اللآلى (١ : ٢٥٤) والكنانى فى تنزيه الشريعة (١ : ٣١٥) .

يؤدي الى الضلة قال النبي صلى الله عليه فيما روى أبو هريرة وابن عباس وابن عمر ومعاذ[1] رضي الله عنهم " ما بعث الله نبيا فاجتمعت له امة الا كان فيها مرجئة وقدرية يشوشون امر امته ، الا وان الله تعالى لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيا[2] " وقال عليه السلام " القدرية مجوس هذه الامة لا تجالسوهم ولا تجالسوهم ولا تعودوا مرضاهم ، ولا تشهدوا جنائزهم[3] فحق الانسان ان يحترز عن الجبر والقدر احتراز من يمشي على حافة نارين متلاصقين عن يمينه وشماله فيخاف الضرر اينما جنح ، نسأل الله تعالى توفيقا يهدينا ويقينا صادقا يعيننا .

مذاهب الناس في الشرور الموجودة في العالم .

للناس في ذلك مذاهب :

---

(١) هو معاذ بن جبل ابن عمرو ابن اوس الانصاري الخزرجي ابو عبد الرحمن المدني ، الصحابي الجليل ، وكان ابيض جميل الوجه طويل القامة ، شهد المشاهد كلها ، امره النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمن ، وقدم من اليمن في خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه ومات بالطاعون في الشام سنة ١٧ هـ . الاصابة (٣ : ٤٢٦) ، الاستيعاب (٣ : ٣٥٥) .

(٢) رواه الهروي في ذم الكلام عن ابي هريرة ، والدارقطني في الغرائب والخطيب في رواة مالك عن ابن عمر ، وقال الدارقطني رجاله مجهول ولا يصح ، وقال الخطيب : منكر . تنزيه الشريعة (١ : ٣١٢) والاجري في الشريعة (ص ١٩٣) ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات عن ابي هريرة (١ : ٢٧٦) ، وفي العلل المتناهية وقال هذا حديث لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم (١ : ١٤٩) والذهبي في الميزان (٢ : ٢٥) وابن حبان في المجروحين (١ : ٣٥٨) ، وذكره ايضا السيوطي في الجامع الكبير عن معاذ وعلي وابن مسعود (ص ٦٩٨) وفي اللالي المصنوعة عن ابي سعيد الخدري بزيادة لفظ " الجهمية والروافض " وقال موضوع (١ : ٢٦٢) واورده ابن بطة في الابانة الصغرى (ص ٩٠) .

(٣) اخرجه احمد (٢ : ٨٦) ، وابو داود عن ابن عمر (٤ : ٢٢٢) . =

الاول : مذهب البكرية[1] وهم الذين يقولون ان لا ألم في الدنيا والذي يعد منه المافتوهم كاذب وتخيل باطل لسوء الظن بالله كتخيل الممرور[2] مرارة الماء، وماقالوه ظاهر البطلان، ود واء مدعيه ان يضرب حتى يقر انه يجد الماء .

الثاني : مذهب المجوس وعندهم ان للخير فاعلا لا يفعل الشر وهو الله ، وللشر فاعلا لا يفعل الخير وهو الشيطان، وان معبودهم مغلوب بالشيطان، وقد هادنه مدة فاذا انقضت المدة تمكين منه[3] وهذا تصريح بعجز الباري تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، فالعاجز لا يكون الها .

الثالث: مذهب الثنوية هو ان الاصل في كل شئ النور والظلمة وهما يد يمان وكانا متباينين ثم مازج الظلمة النور قهرا ، فتولد من امتزاجهما هذا العالم فما فيه من الخير فهو من النور ومافيه من الشر فهو من الظلمة ، ولا ينقضي (ما) للخلق من الشرور حتى يتخلص النور من الظلمة ، قالوا وسيكون ذلك من بعد[4] ، وهذا المذهب ظاهر

= وقال الالباني في تعليقه على شرح الطحاوية :اسناده ضعيف لكن له طرق يتقوى بها (ص ٣٠٤) وذكره ابن الجوزي في العلل عن سهل بن سعد ، وقال هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١ : ١٤٨)، والسيوطي في اللالى (١ : ٢٥٩).

(١) هم اتباع بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد ، وكان يرى ان الانسان هو الروح دون الجسد ، ويقول ان الله تعالى هو مخترع الالم عند الضرب واجاز وقوع الضرب من غير حدوث الالم ، وانفرد بضلالات اكفرته الامة ، منها قوله ان الله تعالى يرى في القيامة في صورة يخلقها ومنها ان الاطفال في المهد لا يألمون وان قطعوا او حرقوا ، ومنها انه حرم اكل الثوم والبصل واوجب الوضوء من قرقرة البطن، الفرق بين الفرق (ص ٢١٢)، مقالات الاسلاميين (١ : ٣١٧)، أصول الدين (ص ٣٣٨)، الارشاد (ص ٢٧٤).

(٢) الممرور الذي غلبت عليه المرة انظر اللسان (مرر) .

(٣) انظر مذهب المجوس في المبدأ والمعاد . (ص) .

(٤) انظر التمهيد (ص ٦٠)، نهاية الاقدام (ص ٩٩)، غاية المرام (ص ٢٠٦) .

الاستحالة فالنور والظلمة مصنوعان واثر الصانع ظاهر والمصنوع لا يكون الهـا .

الرابع : مذهب المتناسخة وهو ان هذه النفوس كانت صافية صالحة فتنازعت وغضب الله فعاقبها بان حبسها في النجوم وابلاها بشرور الدنيا بحسب استحقاقاتها ، فلا تزال تترد في اشباح رفيعة ووضيعة بحسب استحقاقاتها حتى تتهذب ، واستحالة ذلك اظهر من ان يطول به الكتاب .

الخامس : مذهب المعتزلة ان ما يصيب الانسان من الجنون والامراض والمصائب والفقر جعلها الله عبرة لغيرهم (١) ، ثم يعوضهم منها في الاخرة ، وتكليفه اياهم العبادات بما هو ليدخلهم الجنة مع علمه ان لا يتحصلوه ، وان لا يدخل الجنة الا المعتزلة ولا من المعتزلة الا من هو على مذهب ابي هاشم (٢) .

قالوا : ولو ادخل الناس ابتداء لكان ذلك تفضلا منه عليهم قالوا : والعقل يستقبح التفضل بذلك وانما يحسن اذا فعل ذلك بمن

---

(١) قارن بالابانة (ص ٥٠) ، الارشاد (ص ٢٨٥) ، شرح الاصول الخمسة (ص ٤٨٥) .

(٢) هو عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي ابو هاشم وهو مشهور بكنيته ، حكى انه بلغ من العلم مالم يبلغ رؤساء علم الكلام وذكر انه كان من حرصه يسأل اباه ابا علي حتى كان يتأذى بسببه وان ابا علي في بعض الاوقات يسير معه لحاجة وهو يقول لا تؤذنا وكان يسأله طول النهار واذا جاء الليل سبق الى موضع مبيته لئلا يغلق دونه الباب فاذا استلقى ابو علي على سريره وقف ابو هاشم بين يديه حتى يضجره ، فيحول وجهه عنه ، فيتحول الى جهة وجهه فلا يزال به حتى ينام ، وكان مع حرصه اختص بالذكاء وكان احسن الناس خلقا واطلقهم وجها ، انظر فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ص ٣٠٤) ، تاريخ بغداد (١١ : ٥٥) ، الانساب (٣ : ١٨٦) ، اللسان (٤ : ١٦) ، الميزان (٢ : ٦١٨) ، الملل (١ : ٩٨) .

يستحقه بفعله ويصير ذلك حقا على الله واجبا[1]، قالوا ومع علمه انهم يكفرون ولا يستحقون الجنة ، وهذا مذهب كما تراه .

السادس : مذهب الاشعرية[2] أن الله تعالى يفعل بعباده مايشاء لا اعتراض[3].

السابع : مذهب اهل الاثر ومحصلي الصوفية والحكماء ان لله تعالى في كل فعل حكمة[4]، لكن بعضها يخفى على بعض الناس او كلهم

---

(١) قارن بالارشاد (ص ٢٧٦ ، ٢٧٧)، وانظر شرح الاصول الخمسة (ص ٤٩٤) .

(٢) هم اتباع ابي الحسن علي بن اسماعيل الاشعري المتكلم كان يقول باثبات الصفات التي دلت عليها افعاله تعالى لا يمكن جحدها كالعلم والقدرة والارادة لان وجه الدلالة لا يختلف شاهدا وغائبا ، ولانه لا معنى للعلم الا من له علم وللقدرة الا من لسه القدرة ، وللارادة الا من له الارادة ، وايضا اثبت له السمع والبصر والحياة والكلام ، الا ان الكلام عنده معنى قائم بالنفس والايمان عنده هو التصديق بالقلب واما القول باللسان والعمل بالاركان فهي من فروعه ، واثبت له الصفات الخبرية كالوجه واليدين، الملل والنحل (١ : ١١٩) .

(٣) انظر الباقلاني في التمهيد (ص ٣٤١) .

(٤) قال ابن تيمية : ان الله تعالى خالق كل شئ وربه ومليكه ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن، وهو على كل شئ قدير، والعبد مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله ، ومنهي عن معصيتهما ، ومايصيب العبد من النعم فمن الله وما اصاب من الشر فبذنوبه ومعاصيه كما قال تعالى" وما اصابكم من مصيبة فيما كسبت ايديكم " وقال " ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك" . الفتاوى (٨ : ٦٣)، وقال ابن القيم : ان كل فعل الله خير يحمد عليه ويثني عليه كما يثني عليه بتنزيهه عن الشر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في دعاء الاستفتاح " والخير في يديك والشر ليس اليك" فتبارك وتعالى عن نسبة الشر اليه ، بل كل مانسب اليه فهو خير، وهو خالق الخير والشر، فالشر في بعض مخلوقاته . شفاء العليل (ص ٣٧٧) .

لقصور افهامهم ، وليس جهل الجاهل بحكمته قدحا فيها ، وماعجزوا عنه فحكمة الاستسلام ، وذلك لما نذكر من بعد ، فان هذا من القدر الذى امرنا ان لا نبحث عنه ، ولا يظهره من اطلع عليه حيث قال عليه السلام " القدر سر من سر الله فلا تفشوا سره "(١)

بيان منفعة شرور الدنيا فى كل زمان وكل حال .

لكل انسان ظاهر وباطن ولا يؤدى بوجه الى الخير يؤتى عليه (الجنة ، ولا الى الشر يؤتى عليه) الجحيم ، بل الشر نوعان : شر مطلق كالجحيم ، وشر مقيد وهو الذى لا يكون شرا فى مكان او زمان او حال او لانسان دون انسان كالفقر والمرض ، وكذلك الخير ضربان : مطلق كالجنة ومقيد كاليسار الدنيوية ولهذا روى " لاشر بشر بعده الجنة ولا خير بخير بعده النار "(٢) اذا ثبت هذا فيجب ان ينظر هل فى العالم شر مطلق ؟

فقد ذكر الحكماء انا نظرنا وسبرنا فلم نجد منها شرا مطلقا بوجه بل كل مايعد شرا من وجه فهو يعد خيرا من وجه او من وجوه ومن يريد ان يبحث عن هذا فحقه ان لا ينظر الى مبادئ الاشياء دون عواقبها ، والى ظواهرها دون بواطنها ، فان مايعد شرا من وجه وخيرا من وجوه لم يحكم بكونه شرا ، ولا يجب ان يعتبر ذلك بآحاد الناس بل يعتبر بالعالم فان مثل العالم كمثل ذات واحد والناس اجزاؤه والعناية الالهية ليست تختص باحادها بل تعم جميع المخلوقات حتى النملة والقمل والذرة والبعوضة ومادون ذلك ولا خلاف بين العقلاء ان كل خير عظيم لا ينال الا بادنى شر صغير ، فكل نفع كثير لا يوصل اليه

---

(١) اخرج الخطيب عن انس من طريق محمد بن عبد بلفظ " لا تفشوا الكلام فى القدر فانه سر الله " وقال لا اصل له ، وضعف محمد بن عبد (٢ : ٣٨٨) وذكره الكنانى فى تنزيه الشريعة (١ : ١٠٩) وقد ورد الحديث بهذا المعنى بسند صحيح . انظر (ص) .

(٢) هذا كلام على رضى الله عنه ، انظر نهج البلاغة (٤ : ٩٢) وذكره المؤلف فى الذريعة (ص ١٥) بلفظ " لا خير فى خير بعده النار ولا شر فى شر بعده الجنة " .

(الا) بضر قليل لم يعد شرا بل يعد خيرا ، فانه كما ان الخير خير كان اسباب الخير ومايتوصل به اليه خيرا ، ولهذا ركز في العقول السليمة حسن احتمال المشاق في السفر لطلب الربح ، واحتمال تعب الصناعة لتحصيل الكفاية ، واحتمال الشق والكي لنيل العافية مع ان العقول لا تستحسن الشرور بل تستقبحها ، فاذا كان كذلك والانسان بما هو انسان يحتاج الى طعام من ثمار وحبوب ولحوم لا يتم صلاحها الا بصيف وشتاء فيهما الحر والبرد ، ولا شك في ان يلحق منهما البدن اذى ه صارت الحكمة تقتضي وجود ذلك حتى يعد عدمه شرا لانه لو لم يكن الحر والبرد لم يكن الطعام ولا الربو .(١)

وبين الحكماء كثيرا من فوائد ماعده الناس شرورا كنفع الحيات والعقارب و (أ) ثبتوا ان المنافع لا تحصل الا بأن تكون على هذه الامزجة والتركيب التي بعضها يأكل اللحوم وبعضها يجمع السموم ،(٢) وذكروا في الحشرات خاصة كالديدان والنمل والحية والعقرب والبق(٣) والبراغيث والذبان(٤) والضفادع والسراطين انما خلقت من عفونات لو بقيت في الماء والارض والهواء لكانت اسبابا للوباء ، فخلقها الله تعالى منها وجعل غذاءها تلك العفونات التي منها خلقت لتقل بذلك اسباب الوباء هذا مع مافيها من المنافع من جملة الادوية .(٥)

وذكروا في السباع انها مع مافيها من منافع اعضائها قد جعلها الله للانسان عدوا نافرا لطبع يدركه بحاسته ويعرف عداوته ليكون ذلك كسببا لمعرفة عدوه من الباطن الذي لا تدركه حاسته والشيطان

---

(١) قارن بابن سينا في النجاة (٣ : ٢٨٥) .
(٢) انظر كتاب الحيوان للجاحظ (٤ : ٦٨ ، ٧٥) .
(٣) البقة : البعوضة والجمع البق . مختار الصحاح (ص ٤٠ ٣) .
(٤) الذبان جمع ذباب .
(٥) قارن بمفتاح السعادة (١ : ٣٢١) .

المذكور في قوله عز وجل" انه لكم عدو مبين"[١] وتقرير ذلك يخرجنا عما نحن بصدده ، ثم ما لا يعرف الانسان نفعه لضعفه وجهله ، فانه لا يقدح في حكمة الله ، وما احسن ما قال بعض الصوفية : الفقر عصمة والمرض تذكير وتفكير ، والعمى تجربة ، وعقوبة الظالم عبرة للعاقل ، وقال علي" تمنوا الفتن فانها حصاد الاشرار" وقال بعض الحكماء : " من منافع آفات الدنيا انها تحكك[٢] الانسان وتحنكه[٣] وتخرجه من حد الانوثة الى حد الرجولية ومن حد العمى الى حد البصيرة وتبغض اليه الدنيا وتسوقه الى جنة المأوى" والى ذلك اشار تعالى بقوله " ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين"[٤] .

بيان تفاوت الناس في العلم والعمل وبيان حكمة الله تعالى في ذلك .

ان الله تعالى اوجد كل ما اوجده لفعل يختص به لا يسد غيره في عمله المختص به مسده على التمام ، سواء كان ذلك الشيء صناعيا نحو المنحت والمنجر ، او طبيعيا نحو الفرس والبعير ، والذي لاجله اوجد الانسان هو القيام بعبادة الله لقوله تعالى" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون"[٥] وليس استعباده اياهم لحاجة له به اليهم فان الله غني عن العالمين بل لما يعود اليهم من مصالح دارت بهم على حاجات بعضهم ببعض حتى لا يستقل الواحد منهم بنفسه ولا يستغني عن غيره ، ولذلك قيل : الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضا استقل

---

(١) سورة البقرة : ١٦٨ .
(٢) حك الشيء واحتك بالشيء ويتحكك به : اي يتمرس ويتعرض لشره . مختار الصحاح (ص ٣٦٨) .
(٣) حنك السن الرجل : احكمته التجارب . القاموس (٣ : ٣٠٠) .
(٤) سورة البقرة : ١٥٥ .
(٥) سورة الذاريات : ٥٦ .

ومتى خذل بعضه بعضا اختل[1] بل قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الناس كالبنيان يشد بعضهم بعضا "[2] وسخر كل فرقة لصناعة ليجعل بذلك لهم التعاون والى ذلك اشار تعالى بقوله " نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات "[3] وقوله " ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم "[4] يعني اختلافهم في مكاسبهم ومتجرياتهم[5] ، وجعل تعالى الفقر والجهل والغفلة في الناس رحمة[6] والى ذلك اشار تعالى بقوله " ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة "[7] وقوله " ولو

---

(١) ذكره المؤلف في الذريعة (ص ١٩٧) ولعل هذا مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم " مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " رواه مسلم (٤ : ١٩٩٩) البخاري (١٠ : ٤٣٨) .

(٢) رواه البخاري بلفظ " ان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (١ : ٥٦٥) ومسلم (٤ : ١٩٩٩)، والترمذي (٤ : ٣٢٥) وقال حديث حسن صحيح ، واحمد (٤ : ٤٠٥)، والنسائي (٥ : ٧٩)، وابن ابي شيبة في كتاب الايمان (ص ٣١) .

(٣) سورة الزخرف : ٣٢ .

(٤) سورة هود : ١١٨ ، ١١٩ .
قال الحسن اي مختلفين في الرزق، وقيل مختلفين على اديان شتى هذا مروي عن مجاهد وقتادة . القرطبي (٩ : ١١٤)، ابن كثير (٢ : ٤٦٥) .

(٥) هذا مروي عن الحسن ومقاتل وعطاء اي الاشارة بذلك راجعة الى الاختلاف، وقيل الاشارة راجعة الى الرحمة وهذا روى ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وقيل الاشارة بذلك لكليهما . المرجع السابق .

(٦) اذا وضع المال والعلم في غير محلهما فالفقر والجهل اولى، نعم اذا كان المال ينفق في سبيل الله والعلم يخدم به الاسلام فهما رحمة .

(٧) سورة الزخرف : ٣٣ . =

بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض[1] وجعل تعالى لمن قيضه لمزاعاة العلم والدين قلوبا صافية وعقولا لائقة وامزجة لطيفة ، ولمن قيضه للمهن الصعبة قلوبا قاسية وعقولا جافية وامزجة غليظة[2] ، ولا يكاد يصلح كل واحد من الفريقين لصناعة اخرى، كما لا يصلح السمع للرؤة ولا البصر للاسماع، ومن وزن افهام الناس وسبر البابهم استخف عقل من ادعى من القدرية ان الله سوى بين الخلائق في قوة العلم والتوفيق والتأييد ، ولم يفضل احدا على الاخر في ذلك وان هدايته التي خص بها اوليائه واضلاله الذي خص به اعدائه على سبيل الحكم، وكذا شرح (صدر) المؤمن وتوفيقه وتضييق صدر الكافر وخذلانه ، قال الكعبي[3] " لا يفضل الله احدا على احد الا بصالح عمله " وكأنهم لم يتفكروا قط في احوال الناس ولم ينظروا الى افهامهم وفطنتهم فيما جعل الله من التفاوت بين شيئين من نوع واحد مثل ما جعل بين انسان وانسان ، فان بين سكان اطراف المعمورة وبين سكان[4] اوساطها من التفاوت ما لا يخفى على غمر فضلا على ذي لب، ثم ان بين الواحد والواحد في اي فرقة اعتبرتها ما لا يقدر قدره

= قال اكثر المفسرين ان معناه : لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الاخرة لاعطيناهم في الدنيا ما وصفناه لهوان الدنيا عند الله . وقال الكسائي: لولا ان يكون في الكفار غني وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار من الدنيا هذا لهوانها . القرطبي (١٦ : ٨٤) .

(١) سورة الشورى : ٢٧ .

(٢) انظر الذريعة (ص ١٩٩) .

(٣) هو عبد الله بن احمد بن محمود الكعبي البلخي ابو القاسم، احد الائمة المعتزلة وكان رأسا لطائفة الكعبية وهي نسبة اليه ، وكان يقول ان الله ليس له ارادة ، وان جميع افعاله واقعة منه بغير ارادة ولا مشيئة ، ويزعم ان المقتول ليس بميت، وتوفي ببلخ احدى مدن خراسان سنة ٣١٩ هـ . تاريخ بغداد (٩ : ٣٨٤)، وفيات الاعيان (٣ : ٤٥)، الفرق بين الفرق (ص ١٨٢)، شذرات الذهب (٢ : ٢٨١)، المنتظم (٦ : ٢٣٨) .

(٤) كان في الاصل " سكانها " والصحيح ما اثبته .

كما قيل :

ولم ار امثال الرجال تفاوتا الى المجد حتى عد الف بواحد[1]

وقد بين الله تعالى ذلك بقوله " وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل - الى قوله - نحن قسمنا بينهم معيشتهم"[2] وكذلك قوله " اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس"[3] وقوله " والله يختص برحمته من يشاء"[4] وقوله " وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء"[5] والعجب انهم يبنون امر الغائب على الشاهد وقالوا لو فضل الله بعضهم على بعض لكان فى ذلك محاباة ومعلوم فى الشاهد ان من كان له عبيد ويريد ان يوليهم امورا فله ان يفضل بعضهم على بعض ويخص منهم من شاء بما شاء .

فان قيل : ان العدالة لا تقتضى ان يفضل بعضهم على بعض فى ذلك وهو يكلفهم ويحاسبهم على حد واحد .

قيل : اما المشاهدة فتقتضى بانه قد فضل بعضهم على بعض وقد اخبر الله تعالى عن ذلك بما لا يمكن انكاره نحو ما تلوناه من الايات، ومعلوم انه قد فضل بعضهم على بعض فى الغنى والفقر والصحة والمرض والحسن والقبح وغير ذلك فكذلك لا ينكر مثله فيما ذكرنا .

واما وجه الحكمة فى ذلك فظاهر فيما ذكر بعض الحكماء وهو ان العالم من وجه بمنزلة دار جعلها بانيها على حسب ما اقتضى التدبير الصائب، فجعل موضعا منه خزانة وموضعا منه مستراحا[6]

---

(١) كان فى الاصل" تفاوت" والصحيح ما ذكرته اعتمادا على الذريعة (ص ٢٤)، وذكره الالوسى وفيه " تفاوتت لدى المجد" (١ : ٢٠٩)،

(٢) سورة الزخرف : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) سورة يونس : ٢ .

(٤) سورة البقرة : ١٠٥ .

(٥) سورة الانعام : ٨٣ .

" نرفع درجات من نشاء" قال القرطبى نرفع اى بالعلم والفهم ، والامامة والملك (٧ : ٣٠) .

(٦) كان فى الاصل" مسيراحا" .

ثم ليس لموضع المستراح لو تكلم[1] أن يقول ظلمت حيث لم اجعل خزانة وبمنزلة جسد له رأس ورجله وليس (للرجلان) يقول ظلمت حيث لم اجعل رأسا ، فالحكيم حيث ما بناه بناه بتقديره المتقن وتدبيره الصائب على مقتضى الحكمة كما قال " انا كل شئ خلقناه بقدر "[2] وقوله " خلق كل شئ فقدره تقديرا "[3] .

واما تكليفه اياهم[4] فهو وان سوى بينهم في تكليف اعمال الجوارح فقد فرق بينهم في المطالبة بالاخلاص وتكليف المعارف فانه لا يرضى من الحكماء والانبياء بما يرضى من الجهال الاغبياء ، وقد بين النبي صلى الله عليه ذلك بقوله " ان الله عز وجل يحاسب الناس على قدر عقولهم "[5] .

بيان صعوبة معرفة حكمة الله في القدر .

الوقوف على ماهية القدر صعب جدا ، تقصر عنه افهام البشر ولا يكاد يقف عليه الا نبي او ولي اطلعه الله عز وجل على ملكوت[6] السموات والارض ، ورسخه (و) أفضى سره اليه ، وكفى من امارات صعوبتها ان موسى قد خفي عليه ذلك حتى كان يتعجب من فعل من صحبه واتبعه على ان يعلمه رشدا[7] ، ولصعوبته نهى النبي عليه السلام عن

---

(١) وكان في الاصل " تكلمت " والصحيح ما اثبته .
(٢) سورة القمر : ٤٩ .
(٣) سورة الفرقان : ٢ .
(٤) وكان في الاصل " اياه فهم " .
(٥) ذكره الكناني في تنزيه الشريعة من حديث ابي قلابة مرسلا بلفظ " يحاسب الناس يوم القيامة على قدر عقولهم " وعزاه الى الطبراني (١ : ٢١٨) واورده ابن حجر في المطالب العالية وعزاه الى مسند الحارث . وقال ابن حجر : الاحاديث التي ذكرت في فضل العقل كلها موضوعة (٣ : ١٤) .
(٦) قد تقدم تفسيره (ص ١٠٨) .
(٧) قد حكى الله قصتهما في سورة الكهف فقال : فانطلقا حتى

الخوض فيه وقال : " اذا ذكر القدر فامسكوا "[١] وقال " لا تكلموا في القدر فانه سر الله "[٢] وروى ابو الدرداء[٣]، ان موسى لما خرج من عند فرعون خطر له شئ من القدر، فاستقبله ملك من خزان السماء وهو يقلب[٤] كفيه تعجبا، فقال يا موسى : نحن اثنا عشر ملكا جهدنا ان ندخل[٥] في هذا الامر فاوحى الينا ان القدر سر الله فلا تدخلوا فيه وروى " من تكلم في القدر سأل الله عنه "[٦] وروى عن ابن عباس ان عزيرا راجع

= اذا ركبا في السفينة خرقها، قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا ٧١، وقال فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا : ٧٤ . وقال فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لتخذت عليه اجرا، قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا : ٧٧، ٧٨ .

(١) قد تقدم الكلام في تخريجه في (ص) .

(٢) ذكره ابو حيان التوحيدي بلفظ لا تخوضوا في القدر فانه سر الله الاكبر . الامتاع والمؤانسة (١ : ٢٢٤) وروى الاجري في الشريعة عن علي موقوفا نحوه (ص ٢٠٢) وذكر ابن ابي العز قوله بلفظ " القدر سر الله فلا نكشفه " . شرح الطحاوية (ص ٢٧٧) .

(٣) هو عويمر مشهور بكنيته وباسمه جميعا واختلف في اسمه فقيل هو عامر وعويمر واختلف في اسم ابيه فقيل عامر او مالك او ثعلبة او عبد الله او زيد وابوه ابن قيس بن امية بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج الانصاري الخزرجي، اسلم يوم بدر وشهد احدا وابلى فيها بلاء حسنا، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد نعم الفارس عويمر وقال هو حكيم امتي، مات لسنتين بقيتا من خلافة عثمان . الاصابة " ٣ : ٤٥) .

(٤) وكان في الاصل " تقلب " والصحيح ما ذكرت .

(٥) وكان في الاصل " يدخل " والصحيح ما اثبت .

(٦) روى ابن ماجة عن عائشة مرفوعا " من تكلم في شئ من القدر سئل عنه يوم القيامة " . في الزوائد : اسناد هذا الحديث ضعيف . (١ : ٣٣) .

الله في ذلك فاوحى الله عز وجل ياعزير اعرض عن هذا ، ثم راجع فنهاه ثم راجع فاوحى الله عز وجل اعرض عن هذا والا حذفت اسمك من النبوة (١) والعقل لا ينكر ان يخفي وجه ذلك وذلك انه كما ان للانسان في منزلته ، وللملك في مملكته تدبيرات ثلاثة : تدبير يظهره لكافة رعيته ، وتدبير يظهره لخواصهم دون عوامهم ، وتدبير يستبد (٢) به ولا يفشيه ، وان افشاه فالي خاص من خواصه ، فليس بعجب ان يكون لله مع كونه خالق السموات والارض ومافيهن ومدبرهما سر لا يطلع عليه كافة خلقه ، وكيف لا وهو يقول : " عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول " (٣) ويقول " ولا يحيطون بشئ من علمه " (٤) .

والقدرية (٥) لما قصدوا البحث عن ذلك والوقوف عليه صاروا كما قيل : " لا ماءك ابقيت ولا درنك انقيت " (٦) فانهم ماز ادوا فيه الا عمى

---

(١) رواه البيهقي عن نوف بلفظ " قال عزير فيما يناجي يارب تخلق خلقا فتضل من تشاء وتهدي من تشاء ، قيل له ياعزير اعرض عن هذا ، قال فعاد فقال : يارب تخلق خلقا فتضل من تشاء وتهدي من تشاء قيل له ياعزير اعرض عن هذا (وكان الانسان اكثر شئ جدلا) قال فقال : ياعزير لتعرضن عن هذا اولا محونك من النبوة ، اني لا اسأل عما افعل وهم يسألون . قال الكوثري في تعليقه عليه : نوف هو ربيب كعب يكثر من الاسرائيليات ولا يثبت خبره هذا وليس من شأن الانبياء الخوض في اسرار القدر الى ان يخاطبوا هذا الخطاب . الاسماء والصفات (ص ١٧١) ، وذكره القرطبي (١ : ٢٤٥) .

(٢) استبد بكذا : تفرد به . مختار الصحاح (ص ٩٧) .

(٣) سورة الجن : ٢٧ .

(٤) سورة البقرة : ٢٥٥ .

(٥) قد تقدم الكلام عنها في (ص) .

(٦) وكان في الاصل " لا ملك ابقيت ولا درنك انقيت " والصحيح ما اثبته . ويضرب في اضاعة الشئ لدرك غيره ثم لا يدركه والمثل في مجمع الامثال (٢ : ٢١٧) ، ومستقصى الامثال (٢ : ٢٦٦) وكتاب الامثال (ص ٢٩٩) ، وجمهرة الامثال (٢ : ٣٩٣) واورده ابن قتيبة بلفظ " لا ماءك ابقيت ولا حرك انقيت " عيون الاخبار (٣ : ١٣٠) .

فقد طابقوا الثنوية والمجوس في ان الله تعالى منزه عن كل فعل لا تستحسنه الحكمة البشرية والعقول الجزوية ، وقاسوا الصانع على المصنوع، وبنوا حكم الغائب على الشاهد في الجملة ، ثم جاءوا في التفصيل واستحسنوا ما صاروا به ضحكة وهزؤا ، وذلك انهم قالوا : الباري سبحانه منزه عما يعده الورى في الشاهد شرا ومنزه عن ارادة الكفر والظلم ، ثم جوزوا ان يفعل تعالى فاعل الشر ويقدر فاعل الظلم مع علمه بانه لا يفعل الا الشر ولا يأتي الا بالظلم ، وجوزوا أن لا يحول بينه وبين الظلم مع قدرته عليه وعلمه به ، وقد علم في الشاهد ان لا فرق بين متعاطي الشر وبين من يبقي متعاطيه مع تمكنه من الانكار عليه ، وقالوا مع قولهم ان الله لا يفعل ما تستقبحه عقولنا وانه تعالى يخلق من يعلم انه لا يطيعه[1] طرفة عين ، وانه يجعل في النار ،خالدا مخلدا وذلك اصلح له من ان يخترمه[2] في حال الطفولية وقالوا ان امهاله تعالى ابليس مع علمه انه يغوى بني آدم اصلح له وقد علم ان من اقتنى من الشاهد عبيدا خولهم المال والجاه ويعلم انه يعصونه ويشتمونه فهو سخيف ، وقالوا اجمعوا ان الباري سبحانه تعالى يفعل ذلك ولا يستحق اسم السفه تعالى الله عن القبيح علوا كبيرا ، وايضا فمن له عبيد اتقياء بررة يجوعون ويعطشون فلم يسقهم مع علمه بحالهم وتمكنه من اعطائهم ما يكفيهم ، او عابرا سبيلا يقع في دارهم وامكانه دفع ذلك عنهم من غير مشقة فلم يفعل فهو سفيه فاسق لئيم وهو تعالى يفعل ذلك مع كونه رحيما كريما حكيما ، ومن آلم طفلا ويقول : انا افعل ذلك به لاعطيه في ثاني الحال عوضا مع امكانه ان يعطيه ذلك من غير ايلامه كان سفيها وقياسهم ذلك على من يحجم صبية تحريا لصحته او يضربه قصدا الى

---

(١) وكان في الاصل " لا يطيقه " والصحيح ما ذكرته .

(٢) اخترم فلان : مات . القاموس (٤ : ١٠٤) .

تأديبه[1] فما يزيد هم شناعة ؛ فان امكنه ان يجلب الى ابنه الصحة من غير حجامة والتأديب من غير ضرب ثم يحجمه ويضربه فهو ذو بله وايضا فمن اعطى غيره شيئا ثم استرجعه منه من غير حاجة من المعطي استقبح فعله حتى صار يضرب به المثل في القباحة فيقال" الراجع في هبته[2] كالعايد في قيئه[3] " ولا يقبح ذلك من الله تعالى ؛

ومما يصعب حد الوقوف على حكمة الله تعالى فيه معاقبته[4] للمذنبين في القيامة ، وذلك ان المعاقب في الشاهد ليس يعاقب الا لاحد وجوه ثلاثة :

اما قصدا الى ردع المعاقب عن معاودة ما ارتكبه من الذنب .

واما نكالا لغيره لئلا يتعاطوا ماتعاطاه .

واما تشفيا من غيظ بداخله على من ارتكبه من الذنب ؛

وقد علم ان الاخرة ليست بدار تكليف فيظن ان هذا المرتكب للذنب يعاوده او يقتدى به غيره ، والبارى تعالى منزه عن دخول الغيظ[5] عليه وعن طلب التشفي .

---

(١) كان في الاصل" تأديه " والصحيح ما اثبته .

(٢) وفي الاصل" هيبه "وهو تحريف .

(٣) هذا الحديث قد رواه البخارى (٥ : ٢٣٤)، ومسلم (٣ : ١٢٤١) والنسائي (٢ : ٢٦٧)، بلفظ " العائد " بدل" الراجع " .

(٤) وكان في الاصل" معافيته " والصحيح ما اثبته .

(٥) والصحيح انه يغضب كما قال تعالى" من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه " النساء : ٩٣ .وقال" من لعنه الله وغضب عليه " المائدة : ٦٠ وكذلك قد روى البخاري عن ابي هريرة مرفوعا وفيه " ربي غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله " (٦ : ٣٧١) ، وروى مسلم عنه مرفوعا " لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي" (٤ : ٢١٠٧) وغير ذلك من الايات والاثار .
فان قيل : ان الغضب هو غليان دم القلب وهيجان النفس .
قيل : لو سلم انه كذلك في حق المخلوق وانه مستلزم من النقائص =

وما زعمت المعتزلة ان الله تعالى لو اطاعه عبد مائة سنة ثم شرب خمرا او خان في دينار او دونه خلده الله في النار دائما،[1] وذلك يحسن منه مع كونه رحيما غفورا حكيما كريما .

وقد ذكر بعض المنسوبين الى الحكمة في حقيقة عقاب الله تعالى للعبد وقال ما القصد والحكمة في خلق الله تعالى من يعلم انه يكفر وتكليفه اياه ، وذلك ان الناس وقعوا في هذه المسألة في تخبيط وصارت شبهة لهم عظيمة ، وقال بعض المتكلمين : هذا سؤال فاسد لانه لا فرق بين النفع والصلاح ومحال ان يوصف المعدوم بالنفع وما قالوه فكلام لدفع الخصم بالجدال وليس فيه مقنع لمن طلب لدائه الدواء .

وقال قوم[2] : خلق الله تعالى اياه تعريض له للخير الابدى قالوا وهذا قصد صحيح وان افضى ببعض الناس الى مكروه لسوء اختياره وليس هذا ايضا بمقنع، فالعالم بالعواقب لا يصح ان يفعل فعلا قاصدا به خيرا مع تحققه ان لا يحصل به مقصوده ، فمن زرع في ارض سبخة مع علمه بانه لا تنبت ففعله قبيح وان قصد خيرا حيث علم ان السبخة لا تنبت .

وقال قوم[3] : لما كان تعالى هو الملك الحق فله ان يفعل في ملكه ما يشاء، قالوا : ولا يصح اعتباره بالشاهد وان مالك العبد في الشاهد هو مالك لمنافعه في الحقيقة دون عينه ، ولهذا لا يجوز ان يعرضه للقتل والهلاك ولهذا قال" لا يسأل عما يفعل وهم يسألون"[4] .

= لم يلزم ان يكون كذلك في حق الله تعالى حتى تمتنع نسبته اليه بل كما ان حقيقة ذاته ليست كذواتنا فكذلك صفاته ليست كصفاتنا .
انظر الفتاوى (٦ : ١١٩) .

(١) انظر اصول الدين (ص ٢٤٢) .

(٢) انظر الفصل (٣ : ١١٥) .

(٣) هم الاشاعرة . انظر التمهيد (ص ٣٤١) .

(٤) سورة الانبياء : ٢٣ .

وقال بعض الحكماء في ذلك ان الصلاح والفساد والخير والشر في العالم ليست تعتبر في الجزئيات بل تعتبر في الكليات، وهذا يعدم انه ليس في العالم شر مطلق بوجه بل كل شر فيه فهو بالاضافة ، فكل فساد لشئ فهو صلاح لغيره ، قال وقد ثبت في الجملة[1] انه تعالى حكيم ولا يفعل بعباده الا ما هو أصلح لهم، وثبت انا نجهل اكثر حكمته ولجهلنا قال" انه كان ظلوما جهولا"[2] وقال" وخلق الانسان ضعيفا"[3] وقال تعالى" والله يعلم وانتم لا تعلمون"[4] وقال" وما اوتيتم من العلم الا قليلا"[5] وقال تعالى" يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما"[6] وثبت ان الحكيم التام الحكمة لا يخرجه عن الحكمة الجاهل بها .

واذ قد عرفت هذه الاصول فحق العاقل ان يذعن فيما يجهله للاعتراف بحكمة الله تعالى، ويتهم نفسه في قصوره عن ادراك حقيقتها ان يحكم على الحكيم بالحزر[7] والتخمين والظن، فقال تعالى في ذم من حاله ذلك" ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون"[8] وكتب الحسن[9] الى

---

(١) في الاصل" وقد ثبت في الجلة " مكرر .
(٢) سورة الاحزاب: ٧٢ .
(٣) سورة النساء : ٢٨ . وفي الاصل بدون الواو .
(٤) سورة البقرة : ٢١٦ .
(٥) سورة الاسراء : ٨٥ وكان في الاصل" من علم " .
(٦) سورة طه : ١١٠ .
(٧) الحزر : التقدير والخرص . مختار الصحاح (ص ١٤٦) .
(٨) سورة يونس : ٦٦ .
(٩) هو الحسن بن ابي الحسن يسار البصري ابو سعيد مولى زيد بن ثابت ويقال مولى جابر بن عبد الله وامه خيرة مولاة لام سلمة تخدمها ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه وربما ارسلت ام سلمة امها في الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع فتشاغله ام سلمة بثديها فيدر ان عليه فيرتضع منهما فكانوا يرون ان تلك الحكمة والعلوم التي اوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم =

عمر بن عبد العزيز[1] وكان قد سأله عن مسألة من هذا الجنس : " اعلم ان الله تعالى لا يطالب خلقه بما قضى وقدر ولكنه يطالبهم بما امر ونهى فطالب نفسك من حيث يطالبك ربك ودع ما لا يعنيك والسلام "[2] .

قول المسلمين ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

اعلم انه من المحال ان يقع في ملك الله شئ لا يريده ، وان وقع في ملكه ما لا يريده فذلك اما لجهله به او لغفلته عنه او لعجزه عن دفعه ، ومن نسب شيئا من ذلك الى الله تعالى فقد الحد[3] ، وعلم انه تعالى حكيم قادر مدبر قاهر يمكنه ان لا يقع في العالم الا ما يريده وان لا يريد الا ما تقتضيه حكمته ، وقد يفعل السائس الحكيم ما يستقبحه بعض حشمه ورعيته في داره لجهلهم بغرضه ، وربما وقفوا في العاقبة

= وتخرجه امه وهو صغير الى الصحابة فيدعون له ، ومن جملة من دعا له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال : اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس ، ومات سنة ١٠١ . البداية والنهاية (٩ : ٢٦٦)، الطبقات (٧ : ١٥٦)، تهذيب التهذيب (٢ : ٢٦٣) .

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية ابو حفص القرشي الاموي المعروف بامير المؤمنين، وامه ام عاصم ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ويقال له اشج بني مروان، وكان تابعيا جليلا ، قال الامام احمد بن حنبل لا ادري قول احد من التابعين حجة الا قول عمر بن عبد العزيز، اجمع العلماء قاطبة على انه من ائمة العدل واحد الخلفاء الراشدين والائمة المهديين، قال النووي : الخلفاء خمسة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز . وتوفي بدير سمعان سنة ١٠١ . البداية والنهاية (٩ : ١٩٢)، تاريخ الطبري (٤ : ١٣٧)، مروج الذهب (٣ : ١٩٢)، تهذيب التهذيب (٧ : ٤٧٥) .

(٢) اورد المؤلف جزء منه في محاضراته ونسبه الى عمر بن عبد العزيز (٤ : ٤٢٦) .

(٣) تقدم معناه في (ص ٤٨) .

على حكمة ما استقبحوه ، فحق الرعية ان يتهموا انفسهم في تدبير سائسهم، واذا كان واجبا في تدبير البشر مع النقص الموجود فيهم فواجب على الناس ان لا يتهموا عالم الغيب والشهادة فيما يخفى عليهم من تدبيراته ، ولا يعارضوه في حكمته ولا يكذبوه في قوله لخفاء وجه حكمته عليهم، وقد نبه الله تعالى بما قص[1] علينا في ذكر موسى وصاحبه[2] ان لا يعتبر الامور بظواهرها بما (ليس) في العالم اقبح من قتل النفس وغصب المال والاحسان الى من يستحق الاساءة اليه واستقباح نبي الله تعالى موسى لها كانت خيرات .

ذكر القضاء والقدر .

القدر والتقدير : تبيين كمية الشيء ، يقال : قدره وقدره بالتشديد اعطاه القدرة ، يقال : قدرني الله على كذا قواني عليه[3] فتقدير الله للاشياء على وجهين :

---

(١) قصة في سورة الكهف: ٧١ - ٧٧ .

(٢) هو الخضر عليه السلام في قول الجمهور، وقيل : ليس هو الخضر بل عالم آخر، وقيل هو عبد صالح . والاول هو الصحيح . كما روى البخاري عن ابن عباس فيه " فوجدا خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه ، وقال : هل بارضي من سلام ؟ من انت ؟ قال : انا موسى، قال : موسى نبي اسرائيل ؟ قال : نعم، قال فما شأنك ؟ قال : جئت لتعلمني مما علمت رشدا . الحديث (٨ : ٤١١) .
والخضر هو نبي عند الجمهور وقيل هو عبد صالح ليس بنبي الاول هو الصحيح لان بواطن افعاله لا تكون الا بوحي، وايضا فان الانسان لا يتعلم ولا يتبع الا من هو فوقه ، وليس بجائز ان يكون فوق النبي من ليس بنبي . انظر القرطبي (١١ : ١٦)، وابن كثير (٣ : ٩٩)، وفتح القدير (٣ : ٢٩٩) .

(٣) كان في الاصل " قوابي " واثبته اعتمادا على المفردات (ص ٣٩٥) .

احدهما : ان يعطيها القدرة .

والثاني : ان يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص[1]، نحو تقديره للنواة ان ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون ، وتقديــــر مني الانسان ان يكون منه الانسان دون الكلب والحمار[2] .

والقدر بالفتح : هو المقدور نحو النقص والفظ المنقـــــوص والملفوظ .

واما القضاء : فصنع الشئ والفراغ منه ، واصله القطع الـــذى معه الفصل ويقال تارة للصناعة البشرية نحو :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوابغ تبع[3]

وقوله " فاقض ما انت قاض[4] اى افصل ما تريد فصله ، وتارة للحكم على الشئ بانه كذا وبانه ليس كذا ، ومنه قضاء القاضي ، وتارة للامـر نحو " وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه[5] " وقوله " وقضينا الى بـــــــني اسرائيل في الكتاب[6] " الاية ، فذلك لمعنى الحكم ، وذكر الى معه يقتضي معنى الوحي[7] ، وعلى ذلك قوله " وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هـــؤلاء مقطوع مصبحين[8] " وقوله " ثم اقضوا الي ولا تنظرون[9] " .

---

(١) في الاصل " ووجه مخصوص " مكرر .
(٢) قارن بالمفردات (ص ٣٩٥) .
(٣) وكان في الاصل " عليها " بدل عليهما ، و " وضع " بدل " او صنـــع " الشعر لابي ذويب انظر اللسان (قضى) والقرطبي (٢ : ٨٧) .
وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص ٣٨٨) .
مسرودتان : درعان مخروزتان .
(٤) سورة طه : ٧٢ .
(٥) سورة الاسراء : ٢٣ .
(٦) سورة الاسراء : ٤ .
(٧) وقال قتادة : معناه حكمنا فحينئذ يكون الى بمعنى على . وقـــال ابن عباس معناه : اعلمنا واخبرنا ، وقيل : اوحينا .
القرطبي (١٠ : ٢١٤) .
(٨) سورة الحجر : ٦٦ .
(٩) سورة يونس : ٧١ — =

وقال بعض الحكماء : مثل القدر مثل القدر من الحبة انه اذا قيل كم يشبه أن يكون ومثل التقدير مثل الاكتيال . ومثل الفلك مثل المكيال ومثل ملائكة المدبرات والمقسمات مثل الكالين الموكلين بالاكتيال . ومثل القضاء مثل الامر بالاكتيال[1] المقدر شيئا بعد شيء ، واليه اشار تعالى بقوله " فإذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون"[2] فالقدر اعم من القضاء فانه كالمقدر الكيل الذي يصح ان يكال لانه شيء في الامكان يصح ان يخرج من الوجود وان لا يخرج ، والقضاء هو الامر بالكيل والحكم به ، فاذا ماقدر صح ان يقضى به وان لا يقضى ، وماقضاه فلا مرد له[3] ولذلك اجمع المسلمون ان لا مرد لقضاء الله ، وماذكره هذا القائل فمثل قريب وباعتباره يسهل الوقوف على ماروى عن عمر رضي الله عنه لما خرج من الشام تفاديا من الطاعون فقال ابو عبيدة[4] : اتفر من القدر ؟

= القضاء قسمان :
القضاء الكوني كقوله تعالى " فلما قضينا عليه الموت" وقوله " فقضاهن سبع سموات في يومين" وقوله " وقضي بينهم بالحق" .
والقضاء الشرعي كقوله " وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه " انظر شفاء العليل (ص ٥٨٥) وشرح الطحاوية (ص ٥٠٥) ، والشرعي يحبه الله تعالى ويرضاه ويثيب اهله ويدخلهم الجنة وينصرهم في الدنيا والاخرة ، والكوني الذي قدره وقضاه فيشترك فيه المؤمن والكافر والبر والفاجر واهل الجنة والنار واولياء الله واعداؤه . فتاوى (٨ : ٥٨) .

(١) كان في الاصل " بالتيا " .

(٢) سورة البقرة : ١١٧ .

(٣) قارن الفرق بين القضاء والقدر عند الغزالي في الاربعين (ص ١٣) وعند ابن بطال ، الفتح (١١ : ١٤٩) قال ابو المظفر بن السمعاني سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء العين ولا مايطمئن به القلب ، لان القدر سر من اسرار الله فلم يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرب .
المصدر السابق (١١ : ٤٧٧) .

(٤) هو عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري ابو عبيدة مشهور =

فقال لست ثم ان الله تعالى لا يأمر بما لا ينفع، افر من قضاء الله الى قدره[1] تنبيها ان القدر مالم يكن قضاء يمكن الفرار منه ، وعلى هذا ماروى انه عليه السلام اذا مر بهدف مائل اسرع المشي[2] ، وعلى هذا قول الناس : اللهم احرسني من قضاء السوء، فان القدر هو مافي الامكان، والقضاء خروج الشئ من الامكان الى الوجود ، ومعلوم ان ماجعله الله تعالى بالامكان قد يخرجه الى الوجود وقد لا يخرجه كالنواة التي هي بالقوة نخل فربما يصير بامر الله نخلا بان يقيض له من يزرعه ويسقيه ويدفع الله تعالى عنه الافات ، وقد لا يخرجه بان لا يقيض له من يزرعه ويتفقده او يزرع فتعرض له آفة تمنعه عن ان يصير نخلا ، فدعاء الانسان بانزال الخير هو سؤال الاخراج مافي الامكان منه الى الوجود ، والدعاء بصرف الشر هو سؤال بمنع مافي الامكان منه الى الوجود ، وروى عن علي رضى الله عنه لما قفل من صفين قام اليه شيخ فقال : اخبرنا عن مسيرنا هذا بقضاء وبقدر كان ؟ فقال رضي الله عنه والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماهبطنا واديا ولاعلونا قلعة

= بكنيته ، وكان اسلامه هو وعثمان بن مظعون وعبيدة بن الحرث وعبد الرحمن بن عوف وابو سلمة في ساعة واحدة قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم، احد العشر السابقين الى الاسلام وهاجر الهجرتين وشهد بدرا ومابعدها وهو الذى انتزع الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيتاه ، وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : لكل امة امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح . ومات في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ . الاصابة (٢ : ٢٥٢)، اسد الغابة (٣ : ٨٤) .

(١) رواه البخارى (١٠ : ١٧٩)، ومسلم (٤ : ١٧٤٠)، ومالك (٢ : ٥ ٢٠)، بطوله بلفظ " افرارا من قدر الله ؟ فقال عمر لو غيرك قالها يا ابا عبيدة ، نعم افر من قدر الله الى قدر الله وليس فيه لفظ القضاء الذى هو موضع الشاهد الذى من اجله ساقه المصنف .

(٢) رواه احمد بلفظ " مر بجدار مائل" (٢ : ٣٥٦) وذكره الهيثمي

الا بقضاء من الله وقدره فقال الشيخ : عند الله احتسب[1] عنا لُـــى فوالله ما ارى لي من الاجر (فقال[2] : مه ايها الشيخ لقد عظم اللـــه اجركم في مسيركم وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون) ولم تكونـــوا مكرهين ولا اليه مضطرين، فقال[3] الشيخ : كيف لا يكون مضطرين والقدر سابق فقال ايها الشيخ لعلك ظننت قضاء لازما وقدرا حتما ، لو كـان كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد ، وما كان لائمـــة للمذنب ولا محمدة للمحسن،[4] وما كان للمحسن اولى[5] بالثواب مـــن المذنب، تلك مقالة عبدة الاصنام وخصماء الرحمن وشهود الـــزور و (اهل) العمي عن الصواب، ان الله امر كثيرا[6] ونهى تحذ يـــرا وكلف يسيرا ولم يعص مغلوبا ولم يطع مكرها ، وذلك ظن الذين كفـــروا قال الشيخ : فما القضاء والقدر الذي ما وطئنا الا به ، قال : امر اللـه وعلمه ، ثم تلا " وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه "[7] فانصرف الشيـــخ مسرورا[8] .

= في مجمعه وعزاه الى ابي يعلى وقال اسناده ضعيف (٢ : ٣١٨) واورده ابن طاهر المقدسي في تذكرة الموضوعات (ص ٢١).

(١) وكان في الاصل " مشترى " وهو تحريف . والصحيح ما اثبتـــه اعتمادا على شرح نهج البلاغة (٤ : ٢٧٥) .

(٢) ما بين القوسين لم تكن بالاصل ه اثبتها اعتمادا على المرجـــع السابق .

(٣) " فقال الشيخ " في الاصل مكرر .

(٤) وفي الاصل " للحسن " .

(٥) وفي الاصل " ازل " .

(٦) في شرح نهج البلاغة " امر تخييرا " وهو الصحيح كما جاء فـــي شرح المقاصد ايضا (٢ : ١٠٥) .

(٧) سورة الاسراء : ٢٣ . وكان في الاصل " وقضى ان لا تعبـــدوا " وهو تحريف .

(٨) انظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (٤ : ٢٧٥) وشـــرح المقاصد للتفتازاني (٢ : ١٠٥) .

تحقيق الارادة والمشيئة والاذن من الله تعالى .

الارادة : اصلها من راد يرود اذا تردد في طلب الشيء برفق (ولاجل مافيه من معنى التردد قيل : رادت الابل في مرادها وقيل راودت على كذا اراده[1] عليه ، وراودته عنه طلبت صرفه عنه[2]) ولما فيه من معنى الطلب قيل : لطالب الكلأ الرائد ، ولما فيه من معنى الرفق قيل : رويدا للحث على الرفق .

فالارادة اذا استعملت في غير الله فهي للنزوع الى الشيء :
اما بالتسخير نحو "جدار يريد ان ينقض"[3] .
واما بالشهوة نحو يريد الحمار العلف والانسان الطعام .
واما بالفكر والروية نحو يريد فلان الصلاة ، وقوله تعالى " ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة"[4] اي لو قصدوه ، ولمعنى النزوع الذي يقتضيه لفظ الارادة تحاشي بعض المتكلمين ان نصف الله سبحانه وتعالى بها ، وجهة استعمالها فيه هو انها لما كانت موضوعة لنزوع النفس الى الشيء ولقصده ، وكان مرة تستعمل فيمن اجتمع فيه الامران ومرة لمن حصل له احد الامرين . اما النزوع واما القصد صار اذا استعمل فيه لم يرد به الا القصد وذلك كلفظ الرحمة التي هي الرقة[5] والعطف ، ومتى وصف تعالى بها

---

(١) كان في الاصل" اراد ته " والصحيح ما اثبته انظر اللسان (رود) .
(٢) مابين القوسين كان في الاصل مكررا .
(٣) سورة الكهف : ٧٧ .
اسناد الارادة ههنا الى الجدار على سبيل الاستعارة فان الارادة في المحدثات بمعنى الميل . انظر ابن كثير (٣ : ٩٨) والقرطبي (١١ : ٢٥) .
(٤) سورة التوبة : ٤٦ .
(٥) كما قال ابن عباس هما (الرحمن والرحيم) اسمان رقيقان احدهما ارق من الاخر اي اكثر رحمة . انظر القرطبي (١ : ١٠٦) .

لم يرد به الا العطف دون الرقة .

والكلام في ان الله تعالى هل هو مريد لنفسه او بارادة قديمة[1] او محدثة ، وان كان مريدا بارادة محدثة فهل هي في محل[2] اولا في محل[3] مما كفانا الله امرها ، فقد تقدم انا تركنا ونجرد العقل نزهنا تعالى عن الوصف بلفظ مشتركه وان الذي اطلقنا عليه من ذلك هو ما ورد به السمع .

واما المشيئة[4] فايجاد الشئ واصابته ، والشئ عبارة عن الموجود ، واصله مصدر شاء ، فاذا وصف الله تعالى به فمعناه الشائي واذا وصف به غيره فمعناه المشاء وعلى الثاني يقال " الله خالق كل شئ "[5] .

---

(١) قال به الاشاعرة فالارادة صفة ازلية قائمة بذاته وهي ارادة واحدة تعلقت بكل المرادات ، انظر اصول الدين (ص ١٠٢) ، ونهاية الاقدام (ص ٢٣٨) .

(٢) قال به الكرامية فهم يثبتون ان ارادة الله حادثة في ذاته انظر اصول الدين (ص ١٠٣) .

(٣) قال به المعتزلة . انظر نهاية الاقدام (ص ٢٤٥) ، اصول الدين (ص ١٠٣) ، شرح الاصول الخمسة (ص ٤٤٠) .
والحق ان الله متصف بصفة الارادة تليق بجلاله ، وهي على نوعين :
ارادة كونية : هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات كقوله تعالى " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " وقوله " ولكن الله يفعل ما يريد " . البقرة : ٢٥٣
ارادة شرعية كقوله تعالى " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر " وقوله " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا " ، فالارادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى . انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ١١٦) مجموعة الرسائل الكبرى (٢ : ٧٦) ، شرح العقيدة الواسطية (ص ٤٣) .

يس ٨٢ — البقرة ١٨٥ — الاحزاب ٣٣

(٤) كان في الاصل " المشيهة " والصحيح ما اثبته .

(٥) سورة الرعد : ١٦ .

والمشيئة أخص من الارادة، وان كان المتكلمون لم يفرقوا بينهما[1] واشتقاقهما يدل على الفرق بينهما، ولان الارادة لا تقتضي وجود المراد بها لا محالة، وعلى هذا قوله تعالى فيما ذكر بعض العلماء " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"[2] وقوله تعالى " وما الله يريد ظلما للعباد"[3] معلوم انه قد يحصل العسر والظلم والكفر[4] والمشيئة تقتضي وجود ما شاء، قال ولذلك يقال: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولان المشيئة لا تكون من الناس الا ان تكون منه تعالى (والارادة) قد تكون منهم من غير ان تتقدمه ارادة الله، ولهذا قال تعالى " وما تشاؤن الا ان يشاء الله"[5] ولان المشيئة من الله تعالى ايجاد الشيء ومن الانسان اصابة الشيء، وللفرق بينهما يقال: المشيئة لله ولم يقل الارادة لله، وروى ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه ما شاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا؟ قل ما شاء الله وحده[6] وروى انه

---

(١) وهو الصحيح واليه ذهب اهل السنة، قال الشافعي رحمه الله: المشيئة ارادة الله، انظر الاسماء والصفات (ص ١٤٤) وقال البيهقي كلتاهما عبارتان عن معنى واحد، المرجع المذكور (ص ١٣٩)، وانظر ايضا الفصل (٣: ١٤٢) شرح العقائد النسفية (ص ١١٢)، شرح الباجوري (ص ١٠٨).

(٢) سورة البقرة: ١٥٨.

(٣) سورة المؤمن: ٣١.

(٤) قد قلنا ان كل فعل الله خير يحمد عليه كما يثني عليه بتنزيهه عن الشر، فهو لا يريد الظلم والعسر، وما يصيب الانسان من الشر فبذنوبه ومعاصيه كما قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم. وقال " ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك" ومحال انه اراد شيئا وحصل ضده، لان فيه تعجيز الباري تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

(٥) سورة التكوير: ٢٩.

(٦) رواه احمد بالفاظ متقاربة (١: ٢١٤).

لما نزل قوله " لمن شاء منكم ان يستقيم"[١] قال الكفار[٢]: الامر الينا ان شئنا استقمنا وان شئنا لم نستقم، فانزل الله تعالى " وماتشاؤن الا ان يشاء الله"[٣] فقيل: معناه ماتصيبون الشئ الا بعد ايجاد الله اياه ، فالمشيئة على هذا من الله على الحقيقة غير المشيئة من العبد .

قال بعض العلماء : لولا ان الامور كلها موقوفة على مشيئة الله وان افعالنا متعلقة بها وموقوفة عليها ما اجمع الناس قاطبة على تعليق الاستثناء به في جميع افعالنا نحو قوله " ستجدني ان شاء الله صابرا"[٤] . وقال" ستجدني ان شاء الله من الصابرين"[٥] وقال" انما يأتيكم به الله ان شاء"[٦] وقال" ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين"[٧] (وقال) : " قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله"[٨] وقال" ومايكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله"[٩] وقال" لا تقولن لشئ اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله"[١٠].

واما الاذن فاصله من اذن يقال: اذنته اى اصبت اذنه واذنت لكذا والى كذا اى استمعت اليه ، فالاذن علم من جهة

---

(١) سورة التكوير : ٢٨ .
(٢) قال ابو جهل . انظر القرطبي (١٩ : ٢٤٣)، ابن كثير (٤ : ٤٨٠).
(٣) سورة التكوير : ٢٩ .
(٤) سورة الكهف: ٦٩ .
(٥) سورة الصفت: ١٠٢ .
(٦) سورة هود : ٣٣ .
(٧) سورة يوسف: ٩٩ وكان في الاصل" انشاء" .
(٨) سورة الاعراف: ١٨٨ .
(٩) سورة الاعراف: ٨٩ .
(١٠) سورة الكهف: ٢٤ .

الاستماع، وآذنته بكذا اى اعلمته نحو اسمعته ، واستأذنته فى كذا فاذن لى اى سألته ان يأذن لى اى يسمع منى فسمع منى .

ولما كان الاذن علما ما ، والعلم اصلا للارادة وللامر بالمراد صار الاذن مستعملا مرة فى موضوعه وهو الاستماع، ومرة فى الارادة ومرة فى الامر[1] وذلك بحسب تسمية الغاية باسم المبدأ كقولهم للكلأ ندى[2] وقوله فى وصف السحرة " وماهم بضارين به من احد الا باذن الله"[3] وقد قيل معناه بعلمه[4] ، فايده قوله " ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء"[5] وكذلك قوله " انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله"[6] .

واما قوله " وداعيا الى الله باذنه"[7] فيصح ان يكون معناه بارادته وامره[8] ، وكذلك قوله " والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه"[9] وقوله " وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله"[10] .

---

(١) الاذن اذا كان فى معنى الارادة فهو الاذن الكونى كقوله تعالى" وماهم بضارين به من احد الا باذن الله " اى بمشيئته وقدره ، واذا كان فى معنى الامر فهو الاذن الشرعى كقوله " وداعيا الى الله باذنه " اى بامره ورضاه ، انظر شفاء العليل (ص ٥٨٨)، شرح الطحاوية (ص ٦٠) .

(٢) انظر اللسان (ندى) .

(٣) سورة البقرة : ١٠٢ .

(٤) قال به الزجاج ، وتعقب عليه النحاس وقال ان قوله " الا باذن الله " الا بعلم الله غلط ، لانه انما يقال فى العلم أذنَ وقد اذنت اذنا ، القرطبى (٢ : ٥٥) وقال سفيان الثورى : باذن الله بقضاءه . ابن كثير (١ : ١٤٣) .

(٥) سورة يونس : ٦١ .

(٦) سورة المجادلة : ١٠ .

(٧) سورة الاحزاب: ٤٦ .

(٨) كان فى الاصل" ولغيره " اثبته اعتمادا على المفردات (ص١٤).

(٩) سورة البقرة : ٢٢١ .

(١٠) سورة النساء : ٦٤ .

وجملة الامر انه لا يكون شئ من الاشياء الا بعد اذن من الله تعالى لكن اذنه قد يكون تارة في ذات ذلك الشئ ، وتارة في بعض اسبابه التي لا يصح ذلك الفعل الا بها ، فان السحر وان لم يأذن الله تعالى للساحر في تعاطيه ، فانه لا يقع الا بعد تسخير من الله تعالى لذلك ان يأتي ويقع ، وذلك اذن منه تعالى ومتى قيل : فلان لا يكلمك الا بعد اذن مني ، فانه لا يصح ان يكون الاذن متعلقا بنفس المكالمة بل ان يكون متعلقا باحد اسبابه ، نحو ان يأذن له في قصده ولقائه ونحو ذلك من الاسباب التي (لا) يصح وقوع الفعل من دونها ، ولذلك لا يصح فعل ان[لا] يكون فيه ارادة من الله تعالى ومشيئته اما في ذات ذلك[1] الفعل او في بعض اسبابه .

بيان اثبات الاشياء في اللوح والكتاب المحفوظ والامام .

اصل الكتب : تحصيل شئ وضم بعضه الى بعض ومنه كتب القربة[2] والبغلة[3] والحروف المنظومة لفظا او خطا ، فان المنظوم باللفظ يقال له كتاب ، كما ان المنظوم بالخط يقال له ذلك وعلى ذلك (سمى كلام الله وان لم يكتب كتابا)[4] كقوله " الم ذلك الكتاب"[5] وقوله " كتاب فصلت آياته"[6] .

وقوله " اولئك كتب في قلوبهم الايمان"[7] اي اثبت ، وعلى ذلك (قوله) : " فاكتبنا مع الشاهدين"[8] وقوله " كتب الله

---

(١) وكان في الاصل " دال" .

(٢) كان في الاصل " القرتة" .

(٣) كتب القربة : شد راسها ، وكتب البغلة : جمع بين شفريها بحلقة . القاموس المحيط (١ : ١٢١) .

(٤) العبارة التي ما بين القوسين لم تكن بالاصل اثبتها اعتمادا على المفردات (ص ٤٢٣) .

(٥) سورة البقرة : ١ ، ٢ .

(٦) سورة فصلت : ٣ .

(٧) سورة المجادلة : ٢٢ .

(٨) سورة آل عمران : ٥٣ .

لاغلبن انا ورسلي[١] ووجه العبارة عن الاثبات[٢] بالكتابة هو ان الاشياء اربع وجودات :

وجود في ذاته وهو الاعيان .

ووجود في فكر الانسان وهو المعاني .

ووجود في لفظة وهو العبارة .

ووجود في الكتابة وهو وجود كتابي ، والوجود الكتابي آخر الموجودات . اذ لا يوجد الشيء كتابة الا بعد ان يوجد حفظا فالشيء اذا عرف ثباته بالكتابة فذلك على التأكيد .

وقوله تعالى " وما من غائبة في السماء والارض الا في كتاب مبين[٣] وقوله " وماتسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين[٤] وقوله " وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم[٥] وقوله " وعندنا كتاب حفيظ[٦] وقوله " وكل شيء احصيناه في امام مبين[٧] كل ذلك فيه اقوال .

الاول : ان ذلك عبارة عما حصل في علم الله فصار كقوله " احاط بكل شيء علما[٨] وقوله " وربك على كل شيء حفيظ[٩] .

والثاني : ان ذلك عبارة عن الكتابة الحقيقية ، لكن الكتابة ضربان : احدهما جسمانية مثبتة بالسواد على البياض ككتابة بشرية

---

(١) سورة المجادلة : ٢١ .
(٢) كان في الاصل " الاتيان " اثبته اعتمادا على المفردات (ص ٤٢٣) .
(٣) سورة النمل : ٧٥ .
(٤) سورة الانعام : ٥٩ .
(٥) سورة الزخرف : ٤ . وكان في الاصل " وان في " .
(٦) سورة ق : ٤ .
(٧) سورة يس : ١٢ .
(٨) سورة الطلاق : ١٢ .
(٩) سورة سبأ : ٢١ .

ويكتب به الحق والباطل والصدق والكذب ، والخير والشر .

والثاني كتابة روحانية لا يأتيه الباطل من بين يديه كقوله " له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه "[١] واليه اشار بقوله " قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا "[٢] فنبه انه انما يمكن الكذب فيه اذا جعلت قراطيس مكتوبة بايدي البشر ، وقال " فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله "[٣] فذكر اليد تنبيها ان المكتوب بها مما قد يكذب فيه بخلاف الكتابة الروحانية .

قالوا ولله تعالى اربع كتابات :

الاول : وهي التي تكون في امام مبين وهو ام الكتاب[٤]، وذلك اشارة الى علم[٥] الله تعالى الذي هو علام الغيوب .

والثاني : في اللوح المحفوظ ، وثبت فيه ليستدل به الملائكة المدبرات والمقسمات امرا ، فيتحرون مايجب تحريه ، واليه اشار بقوله تعالى " يمحو الله مايشاء ويثبت وعنده ام الكتاب "[٦] فالمحو اشارة الى ماقد فرغنه ، والاثبات اشارة الى مايجب فعله بعد .

---

(١) سورة الرعد : ١١ .

(٢) سورة الانعام + ٩١ .

(٣) سورة البقرة : ٧٩ .

(٤) امام مبين هو ام الكتاب وهو مروي عن مجاهد وقتادة وابن زيد انظر ابن كثير (٣ : ٥٦٦)، والاكثر على انه اللوح المحفوظ .

(٥) هو مروي عن ابن عباس .
انظر ابن كثير (٢ : ٥٢٠)، القرطبي (٩ : ٣٣٣) .

(٦) سورة الرعد : ٣٩ .

والثالث: ايجاده عز وجل للاشياء، فان ذلك احدى الكتابات وهو المعبر عنه بالتصوير في قوله تعالى، " ولقد خلقناكم ثم صورناكم"[١].

والرابع: الكتابة التي يتولاها الكرام الكاتبون المذكور في قوله تعالى" وان عليكم لحافظين كراما كاتبين"[٢] وذكر بعض الناس ان ما روى عن النبي صلى الله عليه " ان اول ما خلق الله القلم فقال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة"[٣] اشارة الى القدر،[٤] وشبه مايظهر به حالا بعد حال بما يظهر من المكتوب، وقيل: القلم اشارة الى الفلك تشبيها بالقلم الذي هو القرعة المذكور في قوله " اذ يلقون اقلامهم"[٥] وجريانه ودورانه، واما قوله عليه السلام " فرغ ربكم من الخلق والخلق والرزق والاجل"[٦] فقد قيل: هو اشارة الى ايجاد الله تعالى للاشياء بالقوة كاولاد آدم في ظهره والحنطة الموجودة حالا فحالا في البذر، وقوله " كل يوم هو في شأن"[٧] اشارة الى ايجاد الاشياء مظهره للحواس.[٨]

---

(١) سورة الاعراف: ١١ .

(٢) سورة الانفطار: ١٠ .

(٣) رواه الاجري في الشريعة (ص ١٧٧) وقد رواه ايضا الطبري بلفظ " اكتب (٢٩ : ١٥) واحمد (٥ : ٣١٧) وابن ابي عاصم في السنة (١ : ٤٨) وقال الالباني: حديث صحيح . واخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (٥ : ٤٢٤) وذكره ابن كثير وعزاه الى الطبراني وابن عساكر (٤ : ٤٠٠) .

(٤) انظر تحفة الاحوذي (٦ : ٣٦٩) .

(٥) سورة العمران: ٤٤ .

(٦) اخرجه ابن ابي عاصم الشيباني في السنة وصححه الالباني (١ : ١٣٢) وذكره السيوطي في الجامع الكبير عن انس رضي الله عنه بلفظ " فرغ الله من اربع من الخلق والخلق .. الخ " وعزاه الى ابن عساكر (ص ٥٨٦) واخرج ابن ابي عاصم في السنة نحوه وصححه الالباني (١ : ١٣٢)، واحمد (٥ : ١٩٧) .

(٧) سورة الرحمن: ٢٩ .

(٨) قارن بالمفردات (ص ٣٩٥) .

كيفية خلق الافعال .

اختلف الناس في افعالهم الشر .

فقالت المعتزلة : هو خلقهم دون خلق الله[1] .

وذهب اهل الاثر الى ان الله تعالى خالقها اعتمادا على الظواهر كقوله تعالى " خالق كل شيء فاعبدوه "[2] وقوله " خالق كل شيء وهو الواحد القهار "[3] وامتدح بذلك كما امتدح بقوله " وهو رب كل شيء "[4] وبقوله " احاط بكل شيء علما "[5] وبقوله " وربك على كل شيء حفيظ "[6] وقوله " ان الله على كل شيء قدير "[7] وقال عليه[8] السلام " ان الله تعالى خالق كل صانع وصنعته "[9] .

ويجب ان يعلم ان الخلق يقال على ثلاثة اوجه :

الاول للتقدير[10] ، كقول الشاعر :

---

(١) قارن بالمغني (٨ : ٣)، شرح الاصول الخمسة (ص ٣٢٣) ثم انظر اصول الدين (ص ١٣٥)، التمهيد (ص ٣٠٩)، غاية المرام (ص ٢٠٦)، شرح المواقف (٨ : ١٤٦) .

(٢) سورة الانعام : ١٠٢ .

(٣) سورة الرعد : ١٦ .

(٤) سورة الانعام : ١٦٤ .

(٥) سورة الطلاق : ١٢ .

(٦) سورة سبأ : ٢١ .

(٧) سورة البقرة : ٢٠ .

(٨) وفي الاصل " على " .

(٩) اخرجه البخاري في خلق الافعال بلفظ " خلق الله كل صانع وصنعته " (١ : ١٧)، ابن ابي عاصم في السنة (١ : ١٥٨) وصححه الالباني وذكره الهيثمي في مجمعه وعزاه الى البزار ، وقال رجاله رجال الصحيح غير احمد بن عبد الله ابو الحسن بن الكردي وهو ثقة (٧ : ١٩٧) .

(١٠) كان في الاصل " المحقق " والصحيح ما اثبته اعتمادا على المفردات (ص ١٥٧) .

وبعض القوم يخلق ثم لا يفري[1]

وللابداع، نحو " خلق السموات والارض"[2] كقوله " بديع السموات والارض"[3] .

وللتكوين نحو " خلقه من تراب"[4] .

ولا خلاف ان الاعيان الموجودة على هيئة مخصوصة ليظهر منه فعل مخصوص كالحديد الذي في قوته[5] القطع، وليس ذلك في قوة الماء وكالزاج والعفص[6] اللذين جعل في قوتهما اذا جمع بينهما ان يظهر الحبر، واذا كانت هذه الاشياء قد اوجدها الله عز وجل لافعالها الخاصة بهذا، فذلك لا شك في خلقه اما من حيث التكوين او حيث الابداع او من حيث التقدير، فان الحبر الذي يظهر من بين العفص والزاج بصنعة الانسان فهو من خلق الله، اذ قد جعل الله تعالى في قوة هذين الجوهرين، ولم يجعل في قوة غيرهما من الاعيان، فثبت من ذلك انه يصح نسبة (فعل) الانسان الى الله تعالى على سبيل الخلق وان كان منسوبا الى متعاطيه بلفظ الفعل والعمل والكسب على ما تبين من بعد .

---

(١) هو لزهير، انظر شرح ديوان زهير (ص ٩٤) واللسان (خلق) واورده الباقلاني في التمهيد (ص ٣١٠)، والقاضي في شرح الاصول الخمسة (ص ٣٨٠)، والمؤلف في المفردات (ص ١٥٧) .

(٢) سورة الانعام : ١ . وكان في الاصل " خالق" .

(٣) سورة البقرة : ١١٧ .

(٤) سورة آل عمران : ٥٩ .

(٥) كان في الاصل " قوله" والصحيح ما اثبته .

(٦) هو الذي يتخذ منه الحبر، وهو مولد . مختار الصحاح (ص ٤٤٧) .

تحقيق معنى القدرة والطاقة والوسع والاستطاعة.[1]

قدرة المخلوق هي اسم للقوة المختصة.[2]

تنبيه : اذا كان يقدر العمل المزاول او اكثر منه ، واشتقاقها من القدر الذي هو التقدير .

قال بعضهم : الفرق بين القدرة والقوة ، ان مافي الشيء بالشجر كالاحراق في النار يقال له القوة ، ولا يقال له القدرة ، وما كان فيه وهو يمكن ان يفعل به وان لا يفعل فقدرة ، قال : فالقدرة تصلح للشيء وضده ، والقوة قد لا تصلح الا لاحدهما ، ولهذا يقال في النار قوة الاحراق ، وفي الماء قوة الترطيب ، ولا يقال لهما قدرة .

والوسع : اسم للقدرة اذا كانت اكثر من قدر العمل المزاول.[3]

والطاقة : اسم لمقدار مايحيط به ، كأنها شبيه بالطوق المحيط بالشيء فقوله " لا تحملنا مالا طاقة لنا به"[4] معناه مايصعب علينا مزاولته ، وليس معناه مالاقدرة لنا به[5] ، وذلك انه تعالى

---

(١) قال شارح العقيدة الطحاوية ان هذه الالفاظ متقاربة .
(ص ٤٨٨) .

(٢) انظر المفردات (ص ٣٩٤) .

(٣) قارن بالمفردات (ص ٥٢٣) .

(٤) سورة البقرة : ٢٨٦ .

(٥) فيه رد على من يقول بجواز تكليف مالا يطاق ، وقد اجمع السلف وسائر الائمة على انه لم يقع في الشرع كما قال تعالى " لا يكلف الله نفسا الا وسعها" البقرة : ٢٨٦ . وقال" لا تكلف نفسا الا وسعها" الانعام : ١٥٢ . واما من احتج بوقوعه بامر ابي لهب بالايمان ، فانه تعالى اخبر بانه لا يؤمن وانه سيصلى في النار ، فكان مأمورا بان يؤمن بانه لا يؤمن ، وهذا تكليف بالجمع بين الضدين ، فالجواب عنه لا نسلم بانه مأمور بان يؤمن بانه لا يؤمن ، بل الاستطاعة التي بها يقدر على الايمان كانت حاصلة ، اذا هو غير عاجز عن تحصيل الايمان ، فما كلف الا مايطيقه ، شرح الطحاوية (ص ٣٠٥) ، فتاوى (٨ : ٤٦٩) ، تفسير القرطبي (٣ : ٤٣٠) .

قد يحمل الانسان مايصعب عليه ، ولهذا قال" ويضع عنهم اصرهم"[١]
وقال" ووضعنا عنك وزرك"[٢] اى خففنا[٣] عنك تحمل العبادات التى فى تركها
الوزر ، وربما يكون الشئ وسعا لزيد وجهدا لعمرو اما لامر يرجع الى[٤]
الخلقة ، واما بحسب التدرب فى العمل والممارسة ، فيسهل على
(من) مارسه ، ويصعب على من لم يمارسه .

والاستطاعة : استفعال من الطوع ، وهى عند المحققين اسم
للمعانى التى بها يتمكن الانسان مما يريده من احداث الفعله وهى
بنية مخصوصة ، وتصور الفعل ، ومادة[٥] قابلة لتأثيه ، وآلة ان كان الفعل
آليا ، كالكتابة فان الكاتب يحتاج الى هذه الاربعة فى ايجاده
الكتابة ، ولذلك يقال فلان غير مستطيع للكتابة اذا فقد واحدا من
هذه الاربعة فصاعدا ، والعجز هو ان لا يجد احد هذه الاربعة
فصاعدا[٦] .

والاستطاعة والعجز من الاسماء المتضادة[٧] كالطويل والقصير فانه
قد يوصف الشئ الواحد بهما فى حالة واحدة باعتبار شيئين مختلفين
فيقال فلان يستطيع لكذا عاجز عن كذا ، كما يقال طويل فى جنب كذا
قصير فى جنب كذا .

ان قيل : هل يصح ان يكون الانسان ملوما ومعاقبا على
مالا يستطيع ؟

قيل : عدم الاستطاعة ضربان :

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٧ .
(٢) سورة الانشراح : ٢ .
(٣) وفى الاصل" حققنا" وهو خطأ .
(٤) انظر المفردات (ص ٣١٢) .
(٥) كان فى الاصل" مادته " والصحيح ما اثبته اعتمادا على المفردات .
(٦) قارن بالمفردات (ص ٣١٠) .
(٧) كان فى الاصل" المتضايقة " وهو خطأ .

احدهما : ان يكون سببه غير متعلق بوجه ، كمن عرضت له آفة سماوية فجعلته عاجزا عن فعل ما ، وهذا محال ان يلام او يعاقب كمن يبست رجله ولا يقدر على القيام للعبادة .[1]

والثاني : ان يكون سبب العجز من جهته كمن شرب المسكر فيزول عقله ، او لازم ظلمة حتى فسد بصره وقبض كفه ورجله حتى تشنجت اعصابه ،[2] فهذا ملوم على فعله معاقب عليه اذ هو احد اسباب عجزه .

بيان ان لا جبر ولا تفويض .

اجناس الافعال ثلاثة :

ممتنع وجوده من الانسان كصعود السماء والطيران .

وواجب وجوده منه كالتنفس مادامت الحياة باقية .

وممكن وجوده كقيامه وقعوده ، ومعلوم ان مايخلقه الله تعالى فهو من جنس الممكنات دون الممتنعات والواجبات .

واختلف الناس فيما كلف الله العباد من هذا النوع ،

فقال قوم : ماعلم الله انه لا يكون منهم كلفهم فليس لهم قدرة عليه اصلا ، وهم الملقبون بالمجبرة[3] .

---

(١) كان في الاصل " صبت " .

(٢) كان في الاصل " اسحف " .

(٣) هم الذين ينفون الفعل حقيقة عن العبد ، ويضيفونه الى الله تعالى ، وهم اصناف : منهم الجبرية الخالصة ، وهم الذين لا يثبتون للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل اصلا ، ومن دعا الى هذا القول كمذهب هو جهم بن صفوان ..
ومنهم الجبرية المتوسطة وهم يثبتون للعبد قدرة غير مؤثرة .
الملل والنحل (١ : ١٠٨) .

وقال آخرون : الانسان قادر على ما علم الله انه لا يكون منه بوجه ويمكن وقوع الفعل منه بخلاف ما علم الله ، وهم الملقبون بالقدرية[(١)] ويزعمون ان العباد ان شاءوا فعلوا ما امروا به وان شاءوا لم يفعلوا ويقال لهم المفوضة[(٢)] .

وقوم تجنبوا الطريقين، وقالوا لا جبر ولا تفويض[(٣)] ، وذكروا ان في وسع الانسان اتيان ما كلف ، لكن ما علم الله انه لا يكون فليس يحصل منه بوجه فبحكمة اختص الله بعلمها ، والذي يدل ان لا جبر ان القول بذلك يبطل فائدة العقل من الفكر والروية التي خص الله تعالى بهما الانسان لتميز بين الحق والباطل في الاعتقاد ، والصدق والكذب في المقال والجميل والقبيح من الفعال لكي يتحرى الحق دون الباطل والصدق دون الكذب ، والجميل دون القبيح من الفعل وجعله بذلك خليفته وكرمه بها ، كما قال تعالى " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر[(٤)] وقبيح ان يوجد الله تعالى العقل الذي هو اشرف موجود ثم يبطل فائدته ، وايضا فلو لم يكن للانسان فعل لما سوغ العقل ان يقال له لم فعلت؟ ولم تفعل كذا ؟ ولا ان يقول في جوابه لانه كذا .

والذي يدل على ان لا تفويض ان الامر لو كان مفوضا الى الناس لما عذر احد فيما يعذر به ، والذي تولد منه الجبر والتفويض ، هو اختلاف نظرين، فان من نظر الى بدن العبد وضعفه ، ويرى ان قوته والاته وجميع اسبابه من الله عز وجل لم يحصل عمله ولم يرتفع مراده اداه ذلك الى الجبر[(٥)] ، ومن لم ينظر اليه وقد حصل كل شئ يحتاج اليه ، ويرى العقل يظهر للحاسة من جهته اداه ذلك الى التفويض .

---

(١) انظر (ص ٤٨) .

(٢) اى الذين يزعمون ان الامر قد فوض اليهم .

(٣) انظر ما قاله الامام ابو جعفر الطحاوى . العقيدة الطحاوية (ص ٦١) .

(٤) سورة الاسراء : ٧٠ .

(٥) كان في الاصل " الخير" .

وقال بعض الحكماء الذي يصون الانسان عن الاقتصار على احد النظرين وعن ان يتوهم التناقض بين الامرين هو ان يتصور حال ضعيف متورط في وحل[1]، وقد اخذ في يده قوي فهو ينبعث بمعونته ، فمن تصور هذا علم ان كل من نسب فعل[2] العبد الى الله عز وجل فله نصيب من وجه ، ومن نسبه الى العبد فله نصيب[3] من وجه ، ومن اعتبر الامرين وجمع بين القضيتين اصاب الحق ولم يستقبح التكليف ومعرفة الوجهين جميعا تزول الشبهة فيما يظن به التنافي بين قول النبي صلى الله عليه " مانجا من نجا الا بصدق السعي" وبين قوله تعالى" وان ليس للانسان الا ما سعى"[4] وقوله عليه السلام " ما منكم من احد يدخله عمله الجنة قالوا ولا انت يارسول الله ، قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته"[5] فذكر ان رحمته تخلصه لا عمله[6] ، فان الاول انما اعتبارا بامتثال العبد ما امر به ، وانه لو لم يأته لم يحصل نجاته ، والثاني قيل : اعتبارا بتوفيق الله اياه واعطائه القدرة والتمكين وانه لو فقد شئ من ذلك لما حصل للعبد فعل ولهذا قال بعض[7] الحكماء : من ظن[8] انه يصل (الى الحق)[9] ببذل الجهد فمتعن[10]، ومن ظن انه يصل بغير الجهد فمتمن[11] .

---

(١) وفي الاصل" رحل" وهو خطأ .

(٢) كان في الاصل" فعلي" والصحيح ما اثبته .

(٣) كان في الاصل" عصيب" والصحيح ما ذكرته .

(٤) سورة النجم : ٣٩ .

(٥) رواه البخاري (١١ : ٢٩٤)، ومسلم (٤ : ٢١٧٠)، واحمد (٢ : ٤٥٢)، ابن ماجة (٢ : ١٤٠٥)، الدارمي (٢ : ٣٠٦) بالفاظ متقاربة .

(٦) كان في الاصل" علمه " والصحيح ما اثبته .

(٧) وفي تفصيل النشأتين قال جعفر الصادق رضي الله عنه (ص ٩٩).

(٨) وفي التفصيل" زعم " .

(٩) زيادة ليست بالاصل اثبتها اعتمادا على التفصيل .

(١٠) كان في الاصل" فمتعني" والصحيح ما ذكرته وفي التفصيل" فهو متعن" .

(١١) كان في الاصل" فمتمني" والصحيح ما اثبته وفي التفصيل" فهو متمن" .

بيان قلة تأثير الانسان فيما يظهر من فعل البشر .

هو ضربان :

ضرورى : وهو غير منسوب اليه حقيقة ، ولا يقال له فيه لم فعلت؟ وذلك كالنفس منه .

وارادى : وذلك يكون باختياره ، ويتعلق به الحمد والذم والثواب والعقاب، ويحتاج فى ظهور ذلك منه الى اشياء ليست من فعلــه كالكتابة فانه يحتاج الى ما يوجد منه ، والى ما يوجد به من الالة ، والى زمان ومكان يوجد هما فيهما ، والى صورة الكتابة المعلومة[1] وهى مستفادة من غيره اما بالهام او ترجيع او تعليم يرجع اصله الى الله عز وجله وقد ذكر الحكماء ان اصول الصناعة متلقاة من جهة الله تعالى[2]، واذا ثبت ذلك فتأثير الانسان فيما يفعله قليل جدا ، فان ما يوجد فيه الكتابة مثلا من الاجسام الصقيلة وما يوجد به القلم والمداد واليد ، وما يوجد فيه من الزمان والمكان وما يتصوره فى نفسه من الكتابة كلها ليس من فعله ولا من ايجاده ، وانما الذى يحصل فعله هو تصرف فى الموجـــودات ولاجله ينسب اليه الفعل وهو المشار اليه بالكسب والعمل والصنع وبتصور ذلك تزول الشبهة فيما يدعى ان الكسب معنى غير معقول[3] وبالله التوفيـــق .

---

(١) كان فى الاصل " معلومة " والصحيح ما اثبته .

(٢) انظر (ص ١٢٤) فى هذه الرسالة ، وقارن ايضا بالذريعة (ص ٢٠٤) .

(٣) المؤلف يرد بهذا على الجبرية .

بيان كيفية نسبة الفعل الواحد الى عدة من الفاعلين .

ان اكثر المتكلمين[1] لما نظروا الى الفعل من وجه واحد ، لا يصح ان يكون فعل واحد منسوبا الى فاعلين فصاعدا ولو اعتبروا حقائق الافعال ونظروا فيما ورد به الفاظ القرآن، بل فيما جرى عليه عادات الناس لما اشكل عليهم ان الفعل الواحد يصح ان يكون منسوبا الى فاعلين كثيرة بنظرات مختلفة . وبيان ذلك :

ان الاسباب التي يحتاج اليها الفعل في وجوده عشرة :

فالفاعل الذي عنه يصدر كالنجار ،

والعنصر الذي يعمل فيه كالخشب،

والصورة التي يعرفها النجار في نفسه ويوجدها في الخشب كالسرير والباب ،

والزمان والمكان اللذين يوجد النجر فيهما ،

والالة التي يعمل بها ، اما متصل به كاليد والرجل او منفصل عنه كالمنشر والمنحت والمثقب .

وغرض[2] قريب كاتخاذ[3] الباب لينتفع باجرته ،

وغرض بعيد كتحصين البيوت به ،

والمثال الذي يحتذى عليه[4] ،

والمرشد الذي يعلمه الصنعة .

وكل ذلك فقد ينسب اليه الفعل ، نحو قولك اعطاني زيدا اذا باشر الاعطاء واذا امر به واذا صار سببا لوصوله .

---

(١) هم المعتزلة .

(٢) كان في الاصل " عرض" والصحيح ما اثبته اعتمادا على الذريعة (ص ٢٢٣) .

(٣) كان في الاصل " كاتجاه " وهو خطأ . انظر المرجع السابق .

(٤) كان في الاصل " يتحذى" والصحيح ما اثبته . وفي الذريعة " يقتدى" (ص ٢٢٣) .

وقال تعالى " قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم "[1] وقال الشاعر في صفة نبال[2]

نبال كسبتها ريشها مضرحية[3]

فنسب كسوتها الى الطائر الذى اتخذ[4] ريشه فكسى بها ، وقيل يداك اوكتا وفوك نفخ[5] فنسب الفعل الى الالة المتصلة ، وقيل : سيف قاطع ، فنسب الفعل الى الالة المنفصلة ، وقيل : ضرب فاصل وطعن جائف[6] ، فنسب الى الحدث ، وقيل : سر كاتم[7] وعيشة راضية ، فنسب الى المفعول نسبة الفاعل وقال تعالى " حرما آمنا "[8] فنسب الامن الى المكان ، وقيل يوم صائم[9] وليل ساهر ، فنسب الى الزمان ، فلما كانت الافعال على ذلك صح في الفعل الواحد ان ينسب لاحد الاسباب مرة وينفى عنه مرة بنظرين مختلفين كقول الشاعر :

اعطيت من لم تعطه ولو انقضى حسن اللقاء حرمت من لم تحرم[10]

فاثبت له الفعل ونفاه عنها بنظرين مختلفين ، وتقول : مرة (الخشب) قطعت انا لا السكين ، ومرة قطعت السكين لا انا ، ويقال

---

(١) سورة السجدة : ١١ .
(٢) نبال جمع نبل وهو السهام . مختار الصحاح (ص ٤٢٤) .
(٣) كان في الاصل " كستها ريشها مصرحية " .
اورده الراغب في الذريعة بدون نسبته الى قائله (ص ٢٢٣)
المضرحى : الصقر الطويل الجناح .
(٤) كان في الاصل " اخذ ريشه " .
(٥) المثل قد تقدم (ص) .
(٦) كان في الاصل " حائف وكذا في الذريعة (ص ٢٢٣) والصحيح ما اثبته .
(٧) كان في الاصل " شر " والصحيح ما اثبته اعتمادا على الذريعة .
(٨) سورة القصص : ٥٧ .
(٩) كان في الاصل " صائف " والصحيح ما اثبته كما ورد في الذريعة .
(١٠) اورده المؤلف في الذريعة بدون نسبته الى قائل معين (ص ٢٢٤) .

مرة فلان هداه الله ، وهداه الرسول، وهداه القرآن، وهداه فهمه ويعنى بذلك هداية واحدة فنسبها الى كل ذلك ويقال : فلان اضله الله لما كان تعالى هو السبب الاول فى وجوده ووجود اسباب الضلال وماتولد منه الضلال[1]، وتقول : اضله الشيطان لما كان هو المسئول له واضله فلان لما كان هو الداعى واضله نفسه لما كانت هى التى تركت الاحتراز حتى ضل[2]، وهذا النحو فى الكلام هو الظاهر ،

نسبة افعال العباد الى الله عز وجل ،

كل فعل وقع من جهة العبد ماذكر بلفظ عام فانه يصح ان يقال هو بقضاء الله وقدره ، وماكان منه وذكر بلفظ خاص فانه لا ينسب الى الله بانه فعل نحو اكل وشرب ، وقد ورد بعض ماكان من افعال الانبياء والاولياء الذين يتحرون مرضاة الله فى افعالهم منسوبا الى الله عز وجل كقوله " ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى"[3] وقوله تعالى " فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم"[4] فقد نبه ان مايفعل بهم ومعهم من صالح وطالح فهو مفعول به ومعه كقوله " ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ، يد الله فوق ايديهم"[5] وقال :" ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والاخرة"[6] وقال عليه السلام " من اذى مؤمنا فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله عز وجل"[7] وروى ان الله

---

(١) قارن بابن القيم فى شفاء العليل (ص ١٤٢، ١٨٩) .
(٢) افرد المؤلف فى الذريعة بابا طويلا فى بيان الاسباب التى يمكن نسبة الفعل اليها (ص ٢٢٣ ، ٢٢٤) .
(٣) (٤) سورة الانفال : ١٧ .
(٥) سورة الفتح : ١٠ .
(٦) سورة الاحزاب: ٥٧ .
(٧) رواه احمد (٤ : ٨٧)، الترمذى (٥ : ٦٩٦) بلفظ " من اذاهم " وقال الترمذى : حديث غريب .

عز وجل يقول : يوم القيامة لعبده كنت جائعا فلم تطعمني، وعاريا فلم تكسني وظمآن فلم تسقني، فيقول : كيف وانت رب العزة ؟ فيقول لـه كان عبدي كذلك ولو اطعمته وكسوته وسقيته كنت قد فعلت في ذلك.[1]

وقال تعالى : " واعلموا ان ماغنمتم من شئ فان لله خمسه"[2] الاية ، تنبيها انه اذا اعطى هؤلاء فكأنه اعطى الله واذا حرمه فكأنه حرمه ، ومن تصور هذا النحو من الكلام لم يصعب عليه معرفة ماجاء من نحو قوله " هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام"[3] وماروي ان الله تعالى ينزل الى السماء الدنيا فيقول هل من سائل فاعطيه"[4] الخبر .

---

(١) رواه مسلم (٤ : ١٩٩٠)، احمد (٢ : ٤٠٤) بالفاظ متقاربة .
(٢) سورة الانفال (٤١) .
(٣) سورة البقرة : ٢١٠ .
(٤) رواه البخاري (٣ : ٢٩)، ومسلم (١ : ٥٢١)، وابو داود (٤ : ٢٣٤)، وابن ماجة (١ : ٤٣٥)، والدارمي (١ : ٣٤٦)، واحمد (٢ : ٢٦٤) والاجري في الشريعة (ص ٣٠٨) .

ان ماقال المؤلف (من تصور هذا النحو من الكلام لم يصعب عليه معرفة ..الخ)فهو يقصد به تأويل ماجاء من النصوص في الاتيان والنزول ، وهذا خطأ ظاهر مصادم لصريح النصوص الواردة باثبات النزول والاتيان، والصواب هو ماقاله السلف الصالح من الايمان به وامرار النصوص كما وردت من اثباته لله سبحانه على الوجه الذي يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل كسائر الصفات، وهذا هو الطريق الاسلم .

وقد دون السلف في كتبهم التي الفوها في العقائد ، فقد الف ابن تيمية كتاب حافل في موضوعه باسم (شرح حديث النزول) فند فيه شبهات نفاة النزول انظر (ص ٢٦) ومابعدها واثبته بالنصوص المتواترة ، وجمع فيه اقوال السلف (ص ٤٥) ومابعدها وقد عقد الامام ابو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد بابا في ذكر اخبار ثابتة السند صحيحة القوام رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول الرب جل وعلا الى سماء الدنيا كل ليلة ، نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الاخبار من ذكر=

....

= نزول خالقنا الى سماء الدنيا واعلمنا انه ينزله والله جل وعلا لم يتركه ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين اليه الحاجة من امر دينهم ، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته او بصفة الكيفية ، اذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول (ص ١٢٥) . وقال الامام ابو عثمان الصابوني في رسالته (عقيدة السلف واصحاب الحديث) ويثبت اصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا ، من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما اثبته رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتهون فيه اليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ، ويكلون علمه الى الله (ص ٢١)، ونقل قول ابن المبارك لما سئل: كيف ينزل ؟ اليس يخلو ذلك المكان منه فقال ينزل كيف يشاء ، وفي رواية اخرى قال : اذا جاءك الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصغ له . المرجع السابق (ص ٢٣)، ونقل ايضا قول الفضيل بن عياض : اذا قال لك الجهمي انا لا نؤمن برب ينزل عن مكانه فقل انت انا اؤمن برب يفعل ما يشاء المرجع المذكور (ص ٢٤) . والاجري قد عقد بابا في كتاب : (الشريعة) الايمان والتصديق بان الله عز وجل ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة . ونقل قول الشافعي : وليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها بفرض الله عز وجل والمسألة بكيف ؟ في شئ قد اتت به السنة مما لا يسع عالما ، والله اعلم (ص ٣٠٦) . وقال ابو محمد الجويني : الذين اولوا الاستواء بالاستيلاء ، والنزول بنزول الامر ، واليدين بالنعمتين والقدرتين انهم ما فهموا في صفات الرب الا ما يليق بالمخلوقين، فما فهموا عن الله تعالى استواء يليق به ، ولا نزولا يليق به ، ولا يدين تليق بعظمته ، بلا تكييف ولا تشبيه ، فلذلك حرفوا الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله رسالة في اثبات الاستواء والفوقية (ص ١٨٢) .

وقال ابن تيمية : ومن اول الاستواء بالاستيلاء فقد اجاب بغير ما اجاب به مالك وسلك غير سبيله ، وهذا الجواب من مالك رحمه الله في الاستواء شاف كاف في جميع الصفات ، مثل =

ط النزول : النزول معلوم والكيف مجهول ، والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، وهكذا يقال في سائر الصفات اذ هي بمثابة الاستواء الوارد به الكتاب والسنة . نقض المنطق (ص ٣) .
الحديث ، ورواه عن النبي صلى الله عليه وسلم جمع من الصحابة ذكر الاجري منهم سبعة في الشريعة (ص ٣٠٧) وقال الذهبي في العلو : واحاديث نزول الباري متواترة وقد سقت طرقها وتكلمت عليها بما اسأل عنه يوم القيامة (ص ٨٣) .
وقال ابن القيم : وحديث النزول رواه ابو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب ، وابو سعيد الخدري ، وابو هريرة ، وجبير بن مطعم وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن مسعود وعمرو بن عبسة ورفاعة بن عرابة الجهني ، وعثمان بن ابي العاص الثقفي ، وعبد الحميد بن سلمة عن ابيه عن جده ، وابو الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وابو ثعلبة الخشني وعائشة ام المؤمنين وابو موسى الاشعري وام سلمة وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان ولقيط بن عامر العقيلي ، وعبد الله بن عباس ، وعبادة بن صامت ، واسماء بنت يزيد ، وابو الخطاب ، وعوف بن مالك وابو امامة الباهلي وثوبان ، وابو حارثة ، وخولة بنت حكيم رضي الله عنهم .
مختصر الصواعق (٢ : ٣٠ ٢) ، قال ابن بطة : لا تضرب لهذه الاحاديث وما شاكلها المقاييس ولا تعارض بالامثال والنظائر .
الابانة الصغرى (ص ١١٣) .

بيان التوفيق والخذلان .

التوفيق : من الوفاق وهو المطابقة ، وهو اسم لحالة سماوية يعرض للانسان فيصير سببا لوقوع امر ما ، فمتى كان ذلك الامر اتفاقا محمودا ، يقال له التوفيق ، ومتى كان مذموما يقال له الخذلان .

والتوفيق اتفاق حسن يؤدى الانسان الى خير عظيم ، والخذلان : اتفاق سيء[1] يعوقه عن خير عظيم ، وقد يسمان السعادة والشقاوة مرة والجد والحرمان مرة ، والاقبال والادبار مرة ، ويكونان على وجهين :

احدهما : ان يكون من ذات انسان وهو ان يجد باعثا من نفسه على فعل محمود او على فعل مذموم .

والثاني : ان يقصد فعلا مافتقع له حالة محمودة او مذمومة لم يخطر بباله ، كمن قصد حفر بئر فوقع على كنز ، او خرج للصلاة فتردى في بئر ، وكل ذلك امر سماوي خارج عن امكان البشر ، ولاجله كثر الدعاء ، ولا غنى بالانسان عن التوفيق في كل حاله ولهذا قيل لبعض الحكماء : ما الذى لا يستغنى عنه الانسان في كل حال ؟ فقال التوفيق .[2] وقيل : الجهد بلا توفيق عناء باطل ، وقال الشاعر :

اذا لم يكن عون من الله للفتى فاكثر مايجنى عليه اجتهاده[3]

واسباب التوفيق والحرمان ليست بمحصورة الاعداد ولا متناهية المقدار ، ولا يمكن ضبطها واحرازها ولا يعلمها[4] الا عالم الخفيات ولا يجوز للانسان ان يعول على مجرد التوفيق فيما يريد ان يستجلبه[5] من خير الى نفسه ، بل حقه ان يجتهد كل الجهد[6] مع استدعاء التوفيق .

---

(١) كان في الاصل " شئ " .
(٢) انظر الذريعة وفيه احد بدل الانسان (ص ٦١) .
(٣) ذكره المؤلف في الذريعة بدون نسبته الى قائل (ص ٦١) .
(٤) كان في الاصل " تعلمها " وهو خطأ .
(٥) كان في الاصل " يستحله " والصواب ما اثبته .
(٦) كان في الاصل " كالجهد " .

شرف الاستسلام لما يجرى به القضاء والقدر .

اعظم منزلة ينالها الانسان ان يتيقن انه لا يجرى فى العالم دقيق ولا جليل الا ماقضاه الله وقدره ، فيستسلم لذلك ويرضى به فلا ينكر من حيث الباطن[١] شيئا يجرى فى العالم من المنكرات ، وانما ينكر فى الظاهر حسب ما امر بانكاره الشرع[٢]. والى فضيلة الاستسلام اشار تعالى بقوله " الا من اتى الله بقلب سليم"[٣] قال عليه السلام عن ربه " من لم يرض بقضائى ولم يصبر على بلائى فليطلب ربا سواى"[٤] ولكون التسليم طريقة العارفين، قال انس رضى الله عنه : خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشرة سنة فما قال لى فى شئ خالفت مراده لم فعلت ولا لهدى لا نهتدى الا قال" لو قدر لكان"[٥] فكل شئ حدث ووجد بعد ان لم يكن فلابد من ان يكون له محدث وموجد ، والا لم يكن اولى من لاحدوثه ولا وجوده .

ومعلوم ان موجودات هذا العالم قد اوجدها الله تعالى على وجه يتأتى منها ان يؤثر الخير والشر والنفع والضر بقدرة الله

---

(١) فلا ينكر بان الله خلقها .

(٢) اى يجتنب عنها حيث امر الشرع بتركها .

(٣) سورة الشعراء : ٨٩ .

(٤) رواه ابن حبان فى المجروحين (١ : ٣٢٧) وذكره الهيثمى وعزاه الى الطبرانى وقال الهيثمى وفيه سعيد بن زياد بن هند وهو متروك . مجمع الزوائد (٧ : ٢٠٧)، واورده الباني فى سلسلته الضعيفة وقال ضعيف جدا ، وعزاه ايضا الى الكلاباذى والخطيب وابن عساكر (٢ : ٣) .

(٥) رواه البخارى بلفظ " خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى اف قط ، ولا لم صنعت ولا الا صنعت" .

(١٠ : ٤٥٦)، واحمد (٣ : ١٩٧)، وابو داود (٤ : ٢٤٦)، والترمذى (٤ : ٣٦٨) .

تعالى على ان يجعلها على وجه يتأتى منه الخير دون الشر والنفع دون الضر، كالنار التي قد جعلها الله تعالى حيث يحترق بها الناسك والفاسق ، ومن اوجد شيئا على وجه يتأتى منه الضدان من الفعل مع امكانه ان يجعله على وجه لا يتأتى منه الا احدهما فقد اراد هما وان كان احدهما مقصودا لذاته والاخر كالتابع له ، وقد نبه بقوله تعالى " وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء[1] لهداكم اجمعين"[2] القصد ان الخير هو مقصود بذاته والجور كالتابع له ومشيئته لم تقتض ان يهدى كلهم لحكمته تعلقت بذلك ولو شاء اى لو اقتضى ذلك لكان بالخير والشر ، فمن هذا الوجه اذا يصح ان يقال كل شئ من خلق الله تعالى وبتقديره كما قال الله تعالى " خلق كل شئ فقدره تقديرا"[3] وعلى هذا كل فعل اختيارى منا يصح ان يقال بارادته لا على وجه يقتضى ظلما منه تعالى، ولكن على هذا ان الارادة منا منبعثة عن قوة داعية الى الارادة كالشهوة الداعية الى ارادة تناول وكالغضب الداعي الى ارادة الانتقام ، ولا خلاف ان هذه القوى التى صدرت عنها ارادتها قد جعلها الله تعالى على وجه يتأتى منها ارادة الخير وارادة الشر[4] مع قدرته تعالى ان يجعلها على احد الوجهين فاذا اراده من هذا الوجه ، وقد تقدم ان كل من فعل شيئا مع علمه ان يؤدى الى حالة وامكانه ان لا يؤدى اليها ، فقد اراد ذلك اما بالقصد الاول واما بالقصد الثاني، واذا كان كذلك يقول تعالى " ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس"[5] .

---

(١) كان في الاصل " وان شاء " .

(٢) سورة النحل : ٩ .

(٣) سورة الفرقان : ٢ .

(٤) انظر المفردات (ص ٢٠٦) .

(٥) سورة الاعراف : ١٧٩ .

بيان معرفة الله تعالى المكتسبة .

هذه المعرفة تحتاج الى مقدمات :

الاولى : بيان الطرق المتوصل بها الى المعارف .

الثانية : الطريقة المتوصل بها الى معرفة الله تعالى من بين هذه الطرق .

الثالثة : وجوب معرفة انواع الموجودات الباقية والفاسدة وبيان ان جميعها غير منفك من افعال يقتضي ان يكون له فاعل واحد .

الرابعة : معرفة افعال الله تعالى وهي ضربان : ضرب يتولاها بلا واسطة ، وضرب يتولاها بواسطة الخلق .

الخامسة (١) : ترتيب الموجودات بعضها على بعض ، وان بعضها سبب في وجود (٢) البعض الى ان يصير الى واحد هو سبب وجودها كلها وهو موجد الموجودين وفاعل الفاعلين ، ولا يمكن توهم وجود شيء مع توهم ارتفاعه ، وهو الله الخالق البارى المصور تبارك الله رب العالمين .

المقدمة الاولى : في ذكر الطرق المتوصل بها الى المعارف .

والمعارف ضربان :

ضرب يحصل للانسان لا مزاولة لتحصيله ولا احتيال لاصطياده وذلك خمسة انواع .

الاول : الهام من الله تعالى يحصل مع الولادة كاهتداء الطفل لارتضاع الدر ، وفزعه عند ما وهمه الى البكاء ونحو ذلك .

الثاني : المعقولات ببداية العقل مما لا يحتاج في تحصيله الى استعمال الفكر ولا يعلم من اين حصله ومتى اكتسب ، كالعلم

---

(١) كان في الاصل " الرابعة " .

(٢) كان في الاصل " وجوب " .

بان الواحد لا يكون في وقت واحد في مكانين، وان الشئ كله اعظم من جزئه .

الثالث : الحس، وذلك خمسة انواع : اللمس ، والذوق والشم ، والسمع ، والبصر .

الرابع : التخيل وما تتصوره النفس عن الحس فتراه بعد غيبوبة المحسوس .

الخامس : ما يحصل عن وحي الله تعالى الى القلب، وذلك ما يكون للانبياء عليهم[1] السلام ، واياه عنى بقوله " نزل به الروح الامين على قلبك"[2] .

وضرب يحصل للانسان بالاكتساب والاصطياد ، وذلك خمسة انواع :

الاول : معرفة المؤثر باثره ، والمتحرك بتحركه ، والفاعل بفعله نحو ان يرى الانسان بناء وحركة[3] فيعلم ان له بانيا ومحركا[4] ، وان يرى دخانا او حراقا فيعلم ان ثم نارا .

والثاني : معرفة الحركة والاثر والفعل بالمتحرك والمؤثر والفاعل كمن يرى بانيا ومحركا فيعلم ان له بناء وحركة ، او يرى نارا فيعلم ان ثم احراقا او دخانا .

والثالث : التحليل وهو ان يرى شيئا مركبا فيريد ان يقف على المادة[5] التي ركب منها ، فلا يزال يحله حتى يقف على مباديه ، كمن يرى قميصا فيعلم ان القميص من الثوب ، والثوب من الغزله والغزل من القطن ، والقطن من النبت ، والنبت من الاركان الاربعة اي التراب

---

(١) وفي الاصل " عليه " .
(٢) سورة الشعراء : ١٩٣ ، ١٩٤ .
(٣) كان في الاصل " حرقة " والصحيح ما اثبته .
(٤) كان في الاصل " تحركا " والصحيح ما ذكرته .
(٥) كان في الاصل " الدابة " وهو خطأ .

والماء والهواء والنار اى الحارة ، وان كل واحد من هذه الاركان من عنصر وصورة اى جوهر وعرض[١] .

الرابع : التركيب وهو بعكس ذلك في التحليل ، سلوك من البسائط الى مركباتها ، وقد نبه الله تعالى على طريق التركيب في قوله تعالى" ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين"[٢] وقوله تعالى" يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب"[٣] الاية .

الخامس : فمعرفة الشبيه بالشبيه كما نبه الله تعالى عليه في امر البعث والنشور بقوله تعالى" والذى[٤] نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون"[٥] فبين ان احياء الميت بعد موته كاحياء الارض بالنبات بعد موتها .

المقدمة الثانية :

ذكر الطريقة المتوصل بها الى معرفة الله تعالى من بين هذه الطرق،

اعلم انه لا طريق الى معرفة الله تعالى المكتسبة[٦] من الطرق

---

(١) تقدم معنى الجوهر والعرض (ص) .
(٢) سورة المؤمنون : ١٣ ، ١٤ .
(٣) ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة .
سورة الحج : ٥ .
(٤) وكان في الاصل" الذى انزل" .
(٥) سورة الزخرف : ١١ .
(٦) قصد المؤلف من معرفة الله المكتسبة هى معرفة توحيده وصفاته وما يجب ان يثبت له من الصفات وما يجب ان ينفى عنه ، اما معرفة الله العامة فهى مركوزة في النفوس كلها مؤمنها وكافرها وهي المشار اليها بقوله تعالى" فطرة الله التى فطر الناس عليها" وبقوله " واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم " كما =

العشرة التي يتوصل بها الى المعارف الا طريق واحد ، فانه لا يعرف هذه المعرفة بالالهام المتقدم ذكره ، ولا بالعلم البديهي لجهل كثير من الناس بذلك ولا بحاسة بل لا سبيل للحاسة الى ادراك ذلك ولا بالتخييل لان التخييل لا يكون الا في الاشياء المرئية ، ولا من الوحي فالعلم الضروري يحصل من الوحي للانبياء ، ولا من جهة الشبيه بالشبيه ، اذ كان الله منزها عن شبيه وند وضد ولا من جهة التحليل والتركيب ، فذلك يصح فيما هو مركب ومكثر ، ولا من جهة الفاعل ، فليس له فاعل فيعرف المفعول بفاعله والموجود بموجده / وانما معرفة الله تعالى بظهور آثاره والاستدلال بافعاله ، والفاعل والمحرك والمؤثر الذين يعرفون بافعالهم وحركاتهم واثارهم ضربان :

ضرب : يمكن للانسان احساسه في بعض الاحوال وله ان يستدل عليه ببيانه ، فيصح ان يحس في بعض الاوقات .

وضرب : لا يمكن احساسه كنخل(1) متصدع وشجر مثمر فانا نحس الاثر ولا نحس مؤثره ، وكذا يرى في الانسان اثار العقل والحزم فيعلم ان له عقلا وحزما وهما لا يدركان حسا(2) .

المقدمة الثالثة :

وجوب معرفة انواع الموجودات الباقية والفاسدة ، انواع الموجودات المدركة ستة :

الاول : الاجرام العلوية .

الثاني : الاركان الاربعة : التراب والماء والهواء والنار .

الثالث : الجمادات من المعادن والاحجار .

= ذكره المؤلف في (ص٦٧) من هذه الرسالة وانظر ماقاله في الذريعة (ص ٩٣ ، ٩٤) وفي المفردات (ص ٣٨٢) .

(١) كان في الاصل " كحل " .

(٢) كان في الاصل " حسنا " والصحيح ما اثبته .

الرابع : الاشياء النامية من النبات والاشجار .

الخامس : الحيوانات الهوائية والمائية والارضية .

السادس : الانسان .

وجميع هذه الموجودات لا ينفك من بيان اثار الله[1] فيه ، كما نبه تعالى بقوله " الله نور السموات والارض[2] اى منورها[3] ، وجعل اللفظ مصدرا للمبالغة كقولهم : عدل ورضى فى عادل وراض ، ولوجود اثاره تعالى فى كل شئ الدالة على وحدانيته ، قال الله تعالى " شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم[4] " فشهادة الله بوحدانيته ليست بالعبادة فقط ، بل باظهار العبرة المرتبة على العبادة

ففى كل شئ له عبرة تدل على انه واحد[5]

ومعلوم ان ليس الخبر كالمعاينة[6] ، وكذا شهادة الملائكة

---

(١) وكانت العبارة فى الاصل " من اثار الله بيان " .

(٢) سورة النور : ٣٥ .

(٣) كان فى الاصل " منوها " .
هذا مروى عن ابن عرفة ، وقال ابن عباس معناه هادى اهل السموات والارض . انظر القرطبى (١٢ : ٢٥٧) ، وفى رواية عنه يدبر الامر فيهما . ابن كثير (٣ : ٢٨٩) .

(٤) سورة آل عمران : ١٨ .

(٥) الشعر لابى العتاهية انظر ابو العتاهية اشعاره واخباره . (ص ١٠٤) وفيه " آية " بدل " عبرة " وهكذا ورده الغزالى فى الاحياء (٥ : ٢٠) وذكره الطوسى فى اللمع وروايته " شاهد " بدل " (ص ٥٢) .

(٦) رواه احمد (١ : ٢١٥) ، والخطيب (٣ : ٢٦٠) وذكره السخاوى وعزاه الى ابن منيع والطبرانى والعسكرى والدارقطنى فى الافراد وقد صحح هذا الحديث ابن حبان والحاكم وغيرهما . المقاصد الحسنة (ص ٣٥١) وصححه الالبانى . انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٧٧) ، واورده ابن سلام (ص ٢٠٣) والميدانى (٢ : ١٨٢) ، والزمخشرى (٢ : ٣٠٢) كمثل بلفظ " ليس الخبر كالعيان " .

المدبرات [1] المقسمات بما يظهرون من افعالهم الدالة على ذلك وشهادة المؤمنين هي باطلاعهم على ذلك الحقائق، فانهم شاهدوا آثار الله وآياته في ملكوت السموات والارض ، فشهدوا اي اخبروا اخبارا عن مشاهدة مورثة للعلم وهي الشهادة المحمودة ، كما قال تعالى " الا من شهد بالحق وهم يعلمون " [2] ومتى وقف على حكمة الله تعالى في خلقه السموات والارض وخلق نفسه واطلع عليها ، صار في حكم من شاهد الله تعالى وهو يخلق السموات والارض ، ولم يكن كالكفرة الذين يكلهم هذه المحقة ، كما (قال) تعالى فيهم " ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا " [3] .

المقدمة الرابعة :

كما ان افعال الملوك في الدنيا ضربان : افعال يتولونها بانفسهم ، وافعال دون ذلك يتولونها بخلفائهم وعبيدهم ، وافعال الله على هذين الوجهين .

وافعال الله تعالى على الجملة خمسة اضرب :

الاول : افعال تولاها هو تعالى بلا واسطة ولا في زمان ولا في مكان ، ولا بآلة ولا في مادة بل اوجده وقعه ، ويسمى هذا النوع من الفعل انشاء وابداعا واختراعا .

الثاني : افعال تولاها بالملائكة المدبرات والمقسمات وهم ثلاثة اضرب :

ضرب : خصوا بالامور العلوية كحملة العرش المذكورين في قوله تعالى " الذين يحملون العرش ومن حوله " [4] .

---

(١) وفي الاصل " لا المقسمات " .
(٢) سورة الزخرف : ٨٦ .
(٣) سورة الكهف : ٥١ .
(٤) سورة المؤمن : ٧ .

وضرب: خصوا بالامور الهوائية كالمثيرات للرياح والمزجيات للسحاب والجالبات الامطار كالموصوفين بقوله تعالى" والمرسلات عرفا" الاية[1]، " والنازعات غرقا"[2] الاية .

وضرب: خصوا بالامور السفلية كالرقيب[3] والعتيد[4]، وكمن نبه بقوله تعالى" يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة"[5] وقال عليه السلام في صفة الجنين" ثم يبعث الله ملكا فينفخ فيه الروح"[6] .

الثالث : افعال تولاها تعالى بواسطة الجمادات المسخرة لفعله كما اشار تعالى اليه بقوله " وسخر لكم الشمس والقمر"[7] وبقوله تعالى" وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته"[8] الاية ، فنبه الله تعالى انه استخلف في اقلال[9] السحاب .

الرابع : افعال تولاها بالحيوان كالعسل[10] الذي يوجده بوساطة النحل .

الخامس : افعال استخلف فيها الانسان .

وكل فعل حصل من الملائكة او من الجمادات المسخرة فانه ينسب الى ما يظهر من جهته ، وقد ينسب الى الله تعالى اذا لم يكن في ذلك

---

(١) سورة المرسلات : ١ .
جمهور المفسرين قالوا ان المرسلات هي الرياح ، وقيل هي الملائكة وهو مروي عن عبد الله وابي هريرة ومقاتل وابي صالح والكلبي .
القرطبي (١٩ : ١٥٤) .
(٢) سورة النازعات : ١ .
(٣) قال تعالى" مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد" سورة ق : ١٨ .
(٤) كان في الاصل" العبيد" وهو خطأ .
(٥) سورة آل عمران : ١٢٥ .
(٦) تقدم تخريجه في (ص) .
(٧) سورة ابراهيم : ٣٣ .
(٨) حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت. سورة الاعراف: ٥٧ .
(٩) كان في الاصل" اقلال" والصحيح ما اثبته .
(١٠) " كالعسل" كان بالاصل مكررا .

الهام ، او لم يكن من الافعال التي لا يصح من الله تعالى كالاكل والشرب ، ويدل على انه ينسب الى الله تعالى والى ذلك الشئ قوله تعالى في التوفى " الله يتوفى الانفس حين موتها "(١) وقال تعالى " قل يتوفيكم ملك الموت "(٢).

ونسبة هذه الافعال الى الله تعالى اولى من نسبته الى الوسائط ، ولهذا قال الله تعالى " ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى "(٣) فنفى(٤) الرمي عن النبي صلى الله عليه واثبته (له) تعالى ، وقال فيمن اعتراه شك فيما يظهر من جهة العبادة وهو فعله تعالى " افرأيتم ماتمنون ، انتم تخلقونه ام نحن الخالقون "(٥) وقال " افرأيتم ماتحرثون ، انتم تزرعونه ام نحن الزارعون "(٦) فحق الانسان اذا تحرى معرفة الله تعالى ان يميز هذه الافعال فيحلها ويرتقي بها حتى ينتهي الى معرفة موجود هو سبب كل موجود ، وفاعل كل مفعوله فيعلم انه موجود وفاعل غير موجود ولا مفعوله كما نبه عليه تعالى بقوله " خلقكم وماتعملون "(٧) وذلك هو الله تعالى كما دل عليه قوله " ذلكم الله ربكم "(٨).

المقدمة الخامسة :

الموجودات يترتب بعضها على بعض في الوجود اما ترتيبا معقولا ، واما ترتيبا محسوسا ، وذلك ان وجود العناصر قبل وجود النبات فوجود النبات قبل وجود القطن ، ووجود القطن قبل وجود الغزل ووجود الغزل قبل وجود الثوب ، والثوب قبل القميص ، وكذلك وجود

---

(١) سورة الزمر : ٤٢ .
(٢) سورة السجدة : ١١ . كان في الاصل " قل هو يتوفيكم " .
(٣) سورة الانفال : ١٧ .
(٤) وفي الاصل " فبقى " والصحيح ما اثبت .
(٥) سورة الواقعة : ٥٨ ، ٥٩ .
(٦) سورة الواقعة : ٦٣ ، ٦٤ .
(٧) سورة الصافات : ٩٦ .
(٨) سورة الانعام : ١٠٢ .

النقط قبل وجود الخط، والخط قبل السطح ، والسطح قبل الجسم والجسم قبل قوة النمو، وقوة النمو قبل الحياة ، والحياة قبل العلم[1] وكل واحد من ذلك سبب وجود مابعده في الاول الذي لا يتوهم قبله شئ ، هو سبب وجود مابعده كله ، ومثال ذلك ان الواحد قبل الاثنين، والاثنين قبل الثلاثة ، فالواحد هو سبب وجود الاعداد ونشرها ، واليه[2] ينحل كل عدد ، ولو توهم ارتفاعه ارتفع الاعداد ولو توهم ارتفاع الاعداد لم يرتفع الواحد ، فكل عدد مفتقر الى الواحد والواحد مستغن عنها ، فاثر الواحد[3] موجود في الاعداد كلها ، فان كل عدد يصح وصفه بالواحد نحو ان يقال : العشرة واحدة والمائة واحدة ، والالف واحد ، ولا يصح وصف الواحد بشئ من الاعداد فكل عدد يصح ان يعد بالواحد ، والواحد لايمكن ان يعد بشئ وكل عدد اذا ضرب في مثله فاما ان يزيدا و ينقص الا الواحد ، فان الواحد في الواحد واحد لا يخرج عن ذاته ، كذا الموجودات كلها مفتقرة الى الله تعالى وهو مستغنى عنها ، ثم اثره موجود في كل شئ وهو ليس بشئ منها ، واليه ينتهي كل موجود ولو توهم ارتفاعه لا رتفع الموجودات ولو توهم ارتفاع الموجودات كلها لم يرتفع هو كما قال الله " هو الاول والاخر"[4] لكن الحد د الواحد في العدد يصح فيه التركيب والواحد الحق لا يصح ذلك فيه[5] .

---

(١) كان في الاصل" العلى" .
(٢) كان في الاصل" والله " وهو خطأ .
(٣) في الاصل" الواحدة " .
(٤) سورة الحديد : ٣ .
(٥) قوله " الواحد الحق الذي لا يصح فيه التركيب " فهو يقصد به نفي بعض الصفات، وفي الحقيقة ان لفظ المركب والجسم وغير ذلك هي الفاظ محدثة لم تأت في الكتاب والسنة ولم يستعملها السلف . وقد مضى الكلام في ذلك في (ص ٨٣) .

بيان معرفة الله تعالى المكتسبة .

الذى يجب ان نبين فى هذا الفصل ان العالم باسرها موجد محدث، وان الموجودات والمحدثات لابد ان تنتهى الى موجد ومحدث، كان هو ذلك الموجد[1] والمحدث يجب ان يكون واحد ازليا واجب الوجود لذاته ، وان يكون قادرا لا يعجز، وعالما لا يجهل وحكيما لا يخطى، وهو سبب كل قادر وعالم وحكيم وجواد واذا عرف هذا فقد عرف، فذلك هو الله تعالى له الملك وله الحكم .

والدلالة على كون العالم مخلوقا اشياء، منها مانبه عليه بقوله تعالى" من كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون"[2] وعنى بالزوجين هاهنا الجوهر والصورة[3] المركبين لا الزوجين الذكر والانثى فقط وبيان ذلك ان كل ماندركه من العالم لا ينفك من جوهر وصورة يتلازمان ولا ينفك احدهما من الاخر، حتى انه متى بطل احدهما بطل به الاخر كالكوزين المتعلقين من وتد بخيط واحد متى سقط احدهما سقط الاخر، وذلك انه لا يصح وجود الجوهر من دون الصورة ولا تقوم الصورة من دون الجوهر، كاللهيب الذى يحصل ذاته من شعلة ودخان، والدخان مفتقر الى الشعلة ليوجد، والشعلة مفتقرة الى الدخان لتقوم ومجموع المعنيين هما حصول ذات اللهب .

---

(١) كان فى الاصل" الموجود" والصحيح ما اثبته .

(٢) سورة الذاريات : ٤٩ .

(٣) هذا تفسير منطقى ذكره الالوسى(٢٧ : ١٧) والرازى (٢٨ : ٢٢٧) والذى ذهب اليه جميع المفسرين ان المراد بالزوجين نوعين وصنفين، اى ذكرا و انثى، قال ابن زيد : ذكرا وانثى وحلوا وحامضا ، قال مجاهد : يعنى الذكر والانثى والسماء والارض والشمس والقمر والليل والنهار والنور والظلام والسهل والجبل والجن والانس والخير والشر والبكرة والعشى وكالاشياء المختلفة الالوان من الطعوم والارايبح والاصوات . انظر القرطبى(١٧ :٥٣)، فتح القدير (٥ : ٩١) .

وكذا الحكم في الجسم فانه جوهر، ولولا الجوهر لم يوجد طوله وعرضه وعمقه وعلى هذا المعنى ذكر بقوله " ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن ان امسكهما من احد من بعده "[1] تنبيها ان كل ذلك مركب من جوهر وصورة ولولا الله تعالى يمسكهما لما كان لهما ثبات وقد ذكر الله تعالى في موضع زوجين باعتبار الجوهر والصورة وقال في موضع " كم انبتنا فيها من كل زوج كريم "[2] اشارة الى التركيب من غير بيان العدد ، ولم يرد اثبات النبات فقط، بل ذلك اشارة الى المكونات، واستعمال لفظ الانبات فيه كقوله تعالى " والله انبتكم من الارض نباتا "[3] وقال في موضع " وانزل[4] من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى "[5] اشارة الى التركيب المختلفة والاعراض المجتمعة مع الجوهر والصورة في الذات الواحد كاللون والرائحة والطعم وغير ذلك المجتمعة في ذات واحدة .

والدلالة على انه لابد للعالم لما كان موجودا من موجد ومحدث، هو ان الموجد والموجد من باب المضايفة[6] التي يحصل احدهما بحصول الاخر، فان المحدث وان تقدم بالذات عن المحدث من حيث الاحداث يتلازمان، والدلالة ان موجده يجب ان لا يكون موجدا وان لا يشبهه ماقد نبه الله تعالى بقوله " ام خلقوا من غير شئ ام هم الخالقون ، ام خلقوا السموات والارض "[7] وبيان

---

(١) سورة فاطر : ٤١ .
(٢) سورة الشعراء : ٧ .
(٣) سورة نوح : ١٧ .
(٤) كان في الاصل " انزل " بدون الواو .
(٥) سورة طه : ٥٣ .
(٦) هو كون الشيئين بحيث يكون تعلق كل واحد منهما سببا لتعلق الاخر به كالابوة والبنوة . التعريفات (ص ٦٢) .
(٧) سورة الطور : ٣٥ .

ذلك ان المحدث لا يخلو من ثلاثة اوجه :

اما ان يكون محدثا بلا محدث وذلك محال كما تقدم .

واما انهم احدثوا انفسهم وذلك باطل لانه لو احدث نفسه لكان احداثه اما في حال العدم ، وكان المعدوم فاعلا لشيء ، واما أن يكون احداثه لها في حالة الوجود ، والشيء اذا وجد فقد استغنى عن موجد له ، وذلك قوله " ام هم الخالقون " فلم يبق الا الوجه الثالث وهو ان خالقهم غيرهم من حيث انه كالمنطوق به ، اذ القسمة لا تخرج عن هذه الثلاثة ، وبابطال الاثنين ثبت الثالث ، ودل قوله تعالى" ام هم الخالقون" على معنى آخر وهو ان موجدهم يجب ان لا يكون مثلهم في كونه موجدا ، وبيان ذلك ان كل موجد اما ان يكون غير موجد كالجمادات ، او موجد كالانسان او موجدا غير موجد وهو البارى تعالى وموجد الكل ومحدثه يجب ان يكون هو الموجد الذى ليس بموجد وذلك لان الفاعلين والموجدين لا (بد) ان يقف على واحد لا يتجاوز ، لانه لو لم يقف كان اما ذاهبا الى غير نهاية او دايرا (1) وكلا القولين ظاهر البطلان ، فان الاول يوجب وجود فاعلين لا نهاية لهم وذلك محال ، والثاني يوجب ان يكون كل مفعول فاعل فاعله بل فاعل نفسه ، فانه اذا كان زيد مثلا فاعلا لعمرو ، وعمرو فاعلا لخالد ، وخالد فاعلا لزيد الذى هو فاعل لعمرو ، فيكون الفاعل مفعولا لمفعوله وفاعلا لنفسه وذلك محال ، فثبت بهذه الجملة ان العالم محدث وان محدثه غيره ، وان ذلك الغير الذى هو محدثه ليس بمحدث ، ثم قال" ام خلقوا السموات والارض" (2) تنبيها ان السماء والارض من الاسباب التي بوساطتها خلق الله تعالى الانسان ، فانه اذا خلق الانسان من سلالة من طين وجعل الماء والهواء والحرارة التي تحصل من الاركان العلوية من اسباب نشأته وتركيبه فاذا محال ان يكون ذلك من خلق الانسان من الوجه

---

(1) انظر معنى الدور التسلسل في (ص ٧٥) .

(2) كما في الاصل" الذى" والصواب ما ذكرت .

الذي ذكر آنفا .

ومما يدل على حدث العالم مانبه عليه تعالى بقوله " ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس" الاية[١] ، ونحو ذلك من الايات فانه ذكر انواع الموجودات وبيان ذلك ان جميع الموجودات في العالم من انواع التغييرات.

والتغييرات كلها ستة : الكون، والفساد ، والربو، والاضمحلال والاستحالة ، والتنقل .

فالكون : خروج الجوهر من النقص الى الكمال كالنطفة اذا صارت حيوانا .

والفساد : خروج الجوهر من الكمال الى النقص كالنطفة اذا فذرت[٢] والحيوان اذا مات .

والربو : الزيادة في جوانب الشيء كالانسان اذا سمن والصبي اذا كبر .

والاضمحلال : النقصان في جوانب الشيء كالانسان اذا هزل والشيء اذا يبس .

والاستحالة : تغيير يعرض في كيفية الشيء كالابيض اذا اسود والاسود اذا ابيض والبارد[٣] اذا اسخن والسخن اذا ابرد .

والتنقل[٤] : تبدل المكان بالشيء اما بكليته كانتقال الانسان من بلد الى بلد[٥] ، واما باجزائه دون كله كالرحى الدائرة ، ولا موجود ينفك من بعض ذلك .

---

(١) سورة البقرة : ١٦٤ .
(٢) فذرت : فسدت . مختار الصحاح (ص ١٩٥) .
(٣) كان في الاصل " الباردات" .
(٤) كان في الاصل " فانتقال" .
(٥) كان في الاصل " الا" وهو خطأ .

فالموجودات ثلاثة اضرب :

ضرب : لا يثبت على حاله طرفة العين كالليل والنهار .

وضرب : يعتريه اكثر تغييرات كالنبات فانه يعتريه الكون والفساد والربو والاضمحلال والاستحالة ولكن (لا) ينتقل بذاته .

وضرب : يبقى بحالته لا يعتريه شئ من الفساد الى ان يريد الله تعالى افناء العالم ، لكنه ابدا بالتنقل وهي الاجرام العلوية ، فكل ذلك تغييرات حادثة تعترى[1] وتتسلط عليه ، وكلما تسلطت عليه التغييرات فمسخر وضعيف ومحال ان يكون الضعيف المسخر ازليا .

وقال بعض الحكماء : الموجودات كلها وان صح الاستدلال بها على وحدانية الله تعالى فلا شئ ادل عليه وابعد من الظن والشبهة من الاجرام العلوية وان كان الاستدلال بها اصعب واغمض وذلك ان الاجرام العلوية اشبه الاشياء بانها ابدية غير محدثة لكونها متعرية من الكون والفساد والربو والاضمحلال والاستحالة المغيرة للانسان والحيوان ، فيتوهم من لم يعرف كونها مسخرة تسخير الرحى الطاحنة لا بذاتها ويراها انها ابدية ، فمن تأملها وعرف كونها مسخرة ومحدثة هان عليه معرفة حدوث ما دونها ، ولذلك فزع ابراهيم (عليه السلام) الى بيان حدوثها لما اعتقد قومه[2] انها الهة ، حتى ذكر الله تعالى نعمته عليه فيما هداه اليه فقال " وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات[5] والارض وليكون من الموقنين "[3] فانه لما علم قومه بالفطرة[4] ان لهم ربا واعتقدوا انه احد الاجرام العلوية اراد ابراهيم ان ينبههم على خطأهم

---

(١) كان في الاصل " يعترون " والصواب ما ذكرته .

(٢) هم الصابئة ، وقد تقدم ذكرهم (ص ٧٢) .

(٣) سورة الانعام : ٧٥ .

(٤) كان في الاصل " الفطر " .

(٥) كان في الاصل " روا " وهو خطأ .

فاخذ يتعرف من هو ؟ فابتدأ باصغر الثلاثة من الاجرام العلوية وهو الكوكب ، فقال : " هذا ربي "[١] فلما رأى القمر اكبر وتأثيره اكثر عدل اليه فقال " هذا ربي "[٢] فلما رأى الشمس بازغة[٣] وهي اقوى اثرا بل رآها كالرئيس لهما والمعطي فيما قيل نورهما عدل اليها فلما رأى اثر الضيعة في جميعها بالتنقل وغيره من امارات الحدث علم انها محدثة مصنوعة ، وان لا بد لها من محدث وصانع لا يكون محدثا مصنوعا ، وذلك ان الموجودات ثلاثة :

متحرك وغير محرك كالجمادات .

ومتحرك ومحرك كالانسان .

ومحرك وغير متحرك وهو الباري جل جلاله .

وكل متحرك يحتاج الى محرك ، فلما رأى هذه الاجرام متحركة نبههم على كونها محدثة ، ولما لم يكن فوق حركتها حركة وكانت سببا في تحريك الاشياء التي دونها علم ان محركها لا يصح الا ان يكون محركا غير متحرك لانه لو كان متحركا لاحتاج الى محرك اقوى منه ، ولا يوجد متحرك اقوى من الفلك الاعلى . فاذا يجب ان يكون محركه الذي فوقه غير متحرك هذا اقوى دلالة على وجود الباري عز اسمه ، وفي الوصول التحقيق به وصول الى ملكوت السموات والارض المورث لليقين ، كما وصف الله تعالى به ابراهيم عليه السلام حيث قال " وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون[٤] من الموقنين "[٥] .

فان قيل : ولم قلتم انه يصح ان يوجد شيء محرك غير متحرك مع

---

(١) سورة الانعام : ٧٦ .
(٢) سورة الانعام : ٧٧ . وكان في الاصل " هذا ربي هذا اكبر " .
(٣) سورة الانعام : ٧٨ .
(٤) كان في الاصل " ليكونن " .
(٥) سورة الانعام : ٧٥ .

انكم لم تجدوا ذلك في الشاهد .

قيل : ان وجود شيء متحرك غير محرك دليل على وجود شيء محرك غير متحرك لان كل ما اجد طرفيه ووسطه موجود ان طرفه الاخر موجود لا محالة ، وهذا هو الذي اقتضى ان يوجد فاعل غير مفعول كما وجد مفعول وغير فاعل ومفعول هو فاعل ثم ان الحكماء طلبوا للمحرك غير متحرك[1] مثالا محسوسا يقرب به تصور ذلك فقالوا اشبه الفاعلين بذلك هو المعشوق الذي يحرك عاشقه وهو لا يتحرك بتحريكه ، والطعام المشتهى الذي يحرك مشتهيه وهو لا يتحرك بتحريكه ، ومعرفة العالم بانه محدث محكم على حسب ما ذكرناه يقتضي ان يكون له محدث قادر حكيم فان المحدث المحكم يقتضي محدثا قادرا حكيما عالما ، ويقتضي ذلك ايضا ان لا يكون جسما فالجسم مركب من جوهر وعرض وهو الطول والعرض والعمق ، وذلك يقتضي فاعلا ، والمقتضي لان يكون له فاعلا هو ليس بالفاعل الاول والله تعالى هو الفاعل الذي لا يتقدمه فاعل فلا يصح ان يكون جسما[2] .

---

(١) كان في الاصل " محرك " والصواب ما ذكرت .

(٢) اما القول بان الله ليس بجسم ، او يلزم التجسيم فهذا اصطلاح وضعه المتأخرون كما قال احمد بن حنبل رحمه الله .
اما لفظ الجسم فلفظ مبتدع محدث ليس على احد ان يتكلم به البتة ، اذ لم يرد الكتاب والسنة باثباته ولا نفيه ، ومادري معناه الذي عناه المتكلم ، فان عنى في النفي والاثبات ما يوافق الكتاب والسنة وافقناه ، وان عنى ما يخالف الكتاب والسنة في النفي والاثبات لم نوافقه ، فالجسم والجوهر ونحوهما لم يأت في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا كلام احد من الصحابة والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين وسائر ائمة المسلمين المتكلم بها في حق الله لا بنفي ولا اثبات ، فتاوى (١٧ : ١٠٢ ، ٣) بتصرف يسير .
وقال شارح الطحاوية : التركيب من الذات والصفات هم سموه تركيبا لينفوا به صفات الرب تعالى ، وهذا اصطلاح منهم لا يعرف في اللغة ولا في استعمال الشارع ، ولئن سموا

الكلام في وجود الباري تعالى وكونه واجب الوجود .

ويقال : على ضربين :

احدهما : ان يقابل به العدم من غير ان يعتبر فيه معنى الفعل كقولهم الانسان موجود .

والثاني : ان يعتبر فيه الفعل ويقال ذلك على وجهين : احدهما وجود بالحس ، والثاني وجود بالعقل .

واذا قيل في الله تعالى موجود فقد يراد به المقابل للعدم وقد يراد به الوجود بالعقل .

والدلالة (على) انه تعالى موجود واجب الوجود انه كلما فرضته او توهمته موجودا لا يخلو من ثلاثة اوجه : اما واجب الوجود او ممتنع الوجود ، او ممكن الوجود .

فالواجب الوجود هو الذي اذا فرض غير موجود لزم منه محال كحصول اربعة من وجود اثنين واثنين .

والممتنع الموجود هو الذي اذا فرض موجودا لزم منه محال كحصول اربعة من وجود اثنين وثلاثة .

والممكن الوجود هو الذي اذا فرض موجودا او غير موجود لم يلزم منه محال كمجيء المطر من الشتاء .

والواجب الوجود ضربان :

= اثبات الصفات تركيبا ، فنقول لهم العبرة للمعاني لا للالفاظ ـ ثم يقول ـ كل من قال برأيه وذوقه وسياسته مع وجود النص او عارض النص بالمعقول فقوله مردود ، بل شأن المؤمن التسليم الكامل لما امر ربه ورسوله ، كما قال تعالى" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما" . النساء : ٦٥ . (ص ٢٢٥ ، ٢٢٦) بتصرف يسير .

واجب الوجود لا لذاته بل لامر آخر كوجود اربعة الذي يجب عن حصول اثنين واثنين .

وواجب الوجود لذاته[1] لا لشئ آخر وهو الباري تعالى، والواجب الوجود هو الذي اذا فرض غير موجود حصل منه محاله ولا محتاج في وجود (ه) الى شئ يوجده ، ويكون ازليا وذلك هو الله تعالى .

والواجب الوجود لذاته لا يصح الا ان يكون واحدا ، وذلك انا متى فرضنا ثانيا واجب الوجود لذاته جاء منه محاله فان هذا الثاني لابد ان صار ثانيا بشئ ، فهو الاوله واذا لم يكن هناك شئ حصل به الاثنوية فوجوده اذا بذاته ، وبذلك الشئ فهو مفتقر في الوجود الى ذلك الشئ ، والواجب الموجود هو الذي لا يفتقر في وجوده الى شئ غير ذاته فثبت انه لا يصح ان يكون واجب الوجود لذاته الا واحدا ، ذلك هو الله تعالى .

الدلالة (على) ان الله تعالى لا تركيب[2] فيه بوجه لا محسوسا ولا معقولا ، انه لو كان مركبا من شئ لكان المفردات التي منها مركب متقدمة عليه ، وقد تقدم ان المركب لابد ان ينتهي الى مركب غير مركب وذلك هو الاول وهو الله تعالى فاذا لا يصح ان يكون مركبا .

الدلالة على انه تعالى واحد ليس معه آخر ، انه لو كان معه آخر لكان ذلك الاخر اما ان يكون مخالفا له بالذات ، فالمخالف بالذات للاله لا يكون الها ، كما ان المخالف بالذات للانسان لا يكون انسانا ، والمخالف بالذات للسواد لا يكون سوادا وان كان مشاكلا له بالذات فالمشاكل لاخر بالذات متى تميز عنه وانفصل بتميزه اياه اما بالحد والحقيقة فحينئذ لا يكونان شكلين، واما بالمكان فيصير كل منهما محدودا ، او بالزمان فيصير كل واحد منهما متناهيا ، والمحتاج الى[3]

---

(١) كان في الاصل مكررا .

(٢) قد تقدم عليه الكلام .

(٣) قد تقدم الكلام بان الله على العرش . فانظر (ص) .

المكان والزمان وفي الجملة الى شئ خارج من ذاته هو خارج عن الالهية ومحال حصول الاثنوية والانفصال بوجه .

فصل

جعل الله تعالى كل موجود في العالم من وجه مزدوجا لينبهه بازدواجه وآثار الصنعة فيه على صانعه وخالقه ، وجعله من وجه واحدا[1] ليدل باثر الوحدة الموجودة فيه على وحدانيته تعالى فلا موجود بوجه الا ويصح وصفه بالواحد حتى الاعداد المختلفة نحو ان يقال عشرة واحدة والف واحد ، وقد نبه الله تعالى على نفي الاثنوية في مواضع ، منها مانبه على اقوى برهان فقال " لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا"[2] والمراد بالدلالة هو الموجد الذى لا يتقدمه موجود ، وهو قبل كل موجود وينتهي اليه ، فيقول لو كان في تدبير[3] السموات والارض مدبرون لم ينتهوا الى واحد عنه يصدر الامر لوجود الاختلاف في السموات والارض ، وقد ثبت ان لا اختلاف فاذا لامدبر عنه يصدر الامر الا واحد وهو الله تعالى .

فان قيل : ماينكر ان يكون المدبر اثنين يتناوبان او يتقاربان كالبانيين يتواطآن على بناء من غير تعويج وخلل .

قيل : ان البانيين[4] على الوجه الذى ذكرت لابد ان يصدرا عن رأي واحد شخصا كان ذلك الواحد او امرا او رأيا ، حتى يسبب وينتظم الامر فاذا السبب الناظم له هو السبب له وهو السبب الاول ، لا البانيان ، كالخليفة والخادم للناظم ، وذلك الناظم هو المبدأ ، وقال الله تعالى في موضع : " قل لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا

---

(١) كان في الاصل " واحد " والصحيح ماذكرت .
(٢) سورة الانبياء : ٢٢ .
(٣) كان في الاصل " يدير " والصواب ما اثبته .
(٤) كان في الاصل " البنائين " والصحيح ما اثبته .

الى ذى العرش سبيلا "[١] اى لو كان معه مثله لشاركه في وصفه واختصاصه بالعرش اختصاصا ، وذلك يؤدى الى انتفاء الالهية عنهما ، وقال في موضع ما دل على معنى اقتضاه الايتان، فقال الله تعالى " ما اتخذ الله من ولد وماكان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض "[٢] اى لو كان معه مدبرا آخر لكان يجئ من ذلك احد الامرين اما ان يستبد كل واحد بفعله فتتفاوت[٣] افعالهما ، وقد ثبت ان لا تفاوت كما نبه عليه بقوله تعالى " ماترى في خلق الرحمن من تفاوت "[٤] او يدخل احدهما تحت[٥] الاخر، والداخل تحت امر آخر لا يكون الها ، وهذا معنى قوله تعالى " ولعلا بعضهم على بعض " .

---

(١) سورة الاسراء : ٤٢ .
(٢) سورة المؤمنون : ٩١ .
(٣) كان في الاصل " فتتعاقب " .
(٤) سورة الملك : ٣ .
(٥) كان في الاصل " تحب " والصواب ما اثبته .

بيان نفي المماثلة بين الله تعالى وبين غيره . يجب ان نبين

في هذا الباب معنى[1] المماثلة والمشابهة بين الشيئين، ثم نبين نفي المماثلة بين الله تعالى وبين غيره .

اعلم ان المماثلة : اشتراك شيئين في معنى ما ذاتيا[2] فيهما او عرضيا[3] ، او ذاتيا في احدهما وعرضيا في الاخر، وكل مماثلة لاتنفك من ثلاثة اوجه :

اما ان يكون من حيث الجنس[4] فيقال له[5] الند .

واما من حيث الكمية[6] فيقال له (المساواة .

واما من حيث الكيفية[7] فيقال له[8]) الشبه .

ولهذا متى سئل وقيل : ماهذا فيقال : ند كذا ، وقيل : كم هذا فيقال : هو مساو لكذا وقيل : كيف هذا فيقال : شبه كذا كان الجواب صحيحا ، وكل هذه الثلاثة من الند والمساواة والشبه يستعمل فيه المثل فالمثل عام (في) جميع ذلك[9].

واذ قد عرفت معنى هذه الالفاظ رجعنا الى المقصود من هذا الباب، فنقول : مامن موجودين في العالم الا والتركيب المختلف

---

(١) كان في الاصل" مع" .

(٢) (٣) تقدم معنى الذاتي والعرضي في (ص ٨٢) .

(٤) انظر تعريف الجنس في (ص ٧٨) .

(٥) كان في الاصل" في" .

(٦) (٧) تقدم معنى الكم والكيف في (ص ٨٣) .

(٨) مابين القوسين لم تكن بالاصل اثبتها اعتمادا على ماتقدم الكلام في معنى المماثلة (ص ٨٣) .

(٩) قارن بالمفردات (ص ٤٦٢) ... [illegible] .

الذي فيهما ، يصح ان يقال : هو مثل الاخر ويصح ان يقال ليس مثله فيصدق القولان من وجه ، ويكذبان من وجه ، نحو ان يقال : البهيمة مثل الانسان، فانه متى اريد به انه مثله بالحياة او بالحس فهو صدق، ومتى اريد به انه مثله بالعقل او النطق فهو كذب، وكذا اذا قيل : البهيمة ليست مثل الانسان، متى اريد به في العقل والنطق فصدق، ومتى اريد به في الحياة او الحس فكذب، ويصح في ما كل ما اثبت له المماثلة او نفيت عنه ان يستثنى منه ، فيقال هذا مثل ذاك الا في كذا ، وليس هو مثله الا في كذا ، ويكون ذلك صحيحا .

والباري سبحانه تعالى لما لم يكن (فيه) تركيب[1] بوجه من الوجوه ولا يشاركه شئ بسبب من الاسباب صار اذا قيل : " ليس كمثله شئ[2] " كان هذا القول صادقا فيه من كل وجه حتى لا يصح ان يستثنى منه فيقال الا في كذا ، وذلك انه تعالى لا جنس له ولا كيفية ولا مشاركة بينه وبين شئ في معنى من المعاني يرجع الى ذاته ، فاذا لا مثل له كما قال تعالى " ليس كمثله شئ " .

شرف معرفة الله المكتسبة من بين المعارف، ومايجب ان تجري في تحصيلها العلوم ، وان كانت كلها شريفة فاشرفها ما كان اشرف معلوما ، وذلك معرفة الله تعالى ومعرفة كيفية الاقتداء به ولذلك قال بعض الحكماء : " علمت ما علمت فلا تحسبن انك عالم ما لم تعرف الله تعالى[3] " واشرفها واطيبها لا ينزل الا على طاهر النفس كما قال تعالى " والطيبات للطيبين[4] " وكذلك قال تعالى على سبيل المثل في الحث على تطهير القلب : " وطهر بيتي للطائفين[5] والعاكفين

---

(١) قد تقدم الكلام في هذا (ص ٤٣ ، ٨٣) .

(٢) سورة الشورى : ١١ . وانظر المراد بنفي المثل (ص ٤٨) .

(٣) انظر الحلية (١٠ : ٣٧) .

(٤) سورة النور : ٢٦ .

(٥) كان في الاصل " الطائفين " .

والركع السجود[١]" وقال الله تعالى في الحث على تطهير البدن والنفس " وثيابك فطهر[٢]" فحق الانسان ان يطهر قلبه ويزكيه اذا اراد تحصيل معرفة الله تعالى، فالقلب والنفس في ادراك الامور الالهية بمنزلة مرآة متى[٣] جليت عن الهواء واميط عنها الشهوات البهيمية والرذائل الدنية والاماني الردية تبين بها الحق من الباطل في الاعتقادات[٤] والجميل من القبيح في الفعالات والصدق من الكذب في المقالات ومتى علاها طبع لم ير شيئا على الحقيقة، فحق الانسان ان يزكي نفسه فيزيل رجسها كما قال الله تعالى " انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا[٥]" .

واما كيفية تزكية النفس فقد بينتها في كتاب " الذريعة الى مكارم الشريعة[٦]" لكن لابد هاهنا من ذكر الطرق المتوصل بها الى المعارف، وانص من جملتها على الطريق المتوصل الى معرفة الله تعالى ليحسن ان يسلك طالب المنهج ولئلا يضل عن الطريق .

الطرق المتوصل بها الى المعارف .

المعارف ضربان : ضرب يحصل للانسان بلا مزاولة لتحصيله والاحتيال لاكتسابه واصطياده ، وذلك خمسة[٧] انواع .

---

(١) سورة الحج : ٢٦ .
(٢) سورة المدثر : ٤ .
(٣) كان في الاصل " حتى" .
(٤) كان في الاصل " الاعتقاد " .
(٥) سورة الاحزاب: ٣٣ .
(٦) قد تكلمت عليه ضمن مؤلفات المؤلف .
(٧) كان في الاصل " اربعة" والصواب ما اثبته انظر (ص ٣٢٨) من هذه الرسالة .

الاول : الهام من الله تعالى يحصل مع الولادة ، وذلك كاهتداء الطفل لارتضاع الدر ، الى اخر النوع الخامس من الضرب الثاني فقد كتبت فيما تقدم[1] .

---

(١) انظر (ص ٣٢٨) .

الفصل الثامن

في الايمان والاسـلام

الكلام في الايمان .

الايمان في الاصل[٢] من الامن وهو سكون القلب وطمأنينته .

ويقال على وجهين :

احدهما : مصدر آمنته[٣] اي جعلته في امن، ومنه قيل في وصف الله تعالى " المؤمن المهيمن"[٤] .

والثاني : مصدر آمن فلان[٥] اي صار ذا امن،[٦] نحو احمد واذم .

ويعدى بالباء فيقال : آمن بالله ويستفاد منه معنى التصديق لكن الايمان لا يقال الا في التصديق الذي معه امن النفس لصحته والسكون الى حقيقته ، والتصديق قد يقال في ذلك وفي غيره .

فان قيل : فاذا كان الايمان هو التصديق الذي معـه الامـن والسكون لصحته ، فكيف قال تعالى : " الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت"[٧] ومحال ان يتيقن الانسان باطلا يحصل معه الامن .

قيل : ان ذلك مذكور على سبيل الذم للقوم ، وانهم لجهلهـم وقلة تفكرهم يركنون الى الباطل ركونهم الى الحق، كما قال الله تعالـى

---

(٢) كان في الاصل" الاصول" .

(٣) اي متعديا بنفسه .

(٤) سورة الحشر : ٢٣ .

(٥) اي غير متعد .

(٦) قارن بالمفردات (ص ٢٦) .

(٧) سورة النساء : ٥١ .

" ومن شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله "[1] وذلك ضرب من البلاغة يستعمله العرب، فيقال : فلان ايمانه الكفر[2] وتحيته الضرب والشتم وسلامه الرمي بالسلام[3]، قال الشاعر :

تحية بينهم ضرب وجيع[4]

اما الكفر فمحال السكون اليه ، فان الكفر هو اعتقاد كاذب لا تركن اليه النفس ، ولذلك قال الله تعالى " ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى[5] به الريح في مكان سحيق "[6] تنبيها انه تضطرب نفسه اضطراب ذلك ولا يطمئن قلبه كما يطمئن قلب المؤمن، فالايمان الشرعي الذي يطلق على سبيل المدح هو الاعتقاد الصادق اليقيني بالامور الاخروية ، واصله ستة اشياء، قد نبه النبي عليه السلام عليها بقوله " الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره "[7] وقد جعل للايمان شاهدين بهما يصدق صاحبه وهما الاقرار باللسان وتحري الاعمال المشروعة بالجوارح ، وعلى هذا قال عليه السلام : " الايمان ما وجد في القلب وصدقه العمل "[8] وقال : " الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان

---

(١) سورة النحل : ١٠٦ .

(٢) كان في الاصل " الفر " واثبته اعتمادا على المفردات (ص ٢٦).

(٣) السلام بالكسر : الحجارة الصلبة ، واحده سلمه انظر اللسان (سلم) .

(٤) البيت لعمرو بن معد يكرب. انظر كتاب سيبويه (١ : ٣٦٥) ، والمقتضب للمبرد (٢ : ٢٠)، العمدة لابن رشيق (٢ : ٢٢٤).

(٥) كان في الاصل " فتخطفه او يهوى " .

(٦) سورة الحج : ٣١ .

(٧) تقدم تخريجه في (ص) .

(٨) رواه ابن النجار عن انس رضي الله عنه بلفظ " ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي لكن هو ما وقر في القلب وصدقه العمل " كنز العمال (١ : ٢٥)، وابن ابي شيبة عن الحسن موقوفا . الايمان (ص ٣١)، وقال الالباني هذا الحديث لا يصح عنه والخطيب عنه اقتضاء العلم العمل (ص ١٧٧)، ابن بطة (ل ١٤٦).

وعمل بالاركان[1] .

فصـــل

اختلف الناس في الايمان .

فقيل : هو الاعتقاد بالقلب فقط[2] .

وقيل : هو الاقرار باللسان فقط[3] .

وقيل : هو الاعتقاد والاقرار والعمل الصالح معا[4] .

---

(١) رواه ابن ماجة عن علي رضي الله عنه (١ : ٢٦) في الزوائد اسناد هذا الحديث ضعيف وابن بطة (ل ١٤٣) واخرجه الطبرانـــي عنه كما جاء في كنز العمال (١ : ٢٣) . قال الكناني في تنزيـــه الشريعة : وله شاهد ان احدهما من حديث ابي قتادة مـــن شهد لا اله الا الله واني محمدا رسول الله فذل بها لسانـــه واطمأن بها قلبه لم تطعمه النار . اخرجه البيهقي فـــي الشعب وثانيهما من حديث عائشة : الايمان بالله اقـــرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالاركان . اخرجه الديلمـــي والشيرازي في الالقاب (١ : ١٥١) وقال السيوطي : لهـــذا الحديث متابعات وشواهد جدا فيرتفع ضعفه . اللآلـــي المصنوعة (١ : ٣٤) .

(٢) هذا قول الاشاعرة . انظر اصول الدين (ص ٢٤٨) والتمهيـــد (ص ٣٤٦) وشرح المواقف (٨ : ٣٢٢) والايمان (ص ١٢٦) والى هذا القول ذهب ابو منصور الماتريدي، ويروى ايضا عن ابي حنيفة رضي الله عنه . انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص ٣٧٣) .

(٣) قال به الكرامية، شرح الطحاوية (ص ٣٧٣)، اصول الديـــن (ص ٢٥٠)، شرح المواقف (٨ : ٣٢٢) .

(٤) هو مذهب عامة السلف، بل قد وقع عليه الاجماع كما حكاه غـــير واحد، فقد قال الامام الشافعي في الام : وكان الاجماع مـــن الصحابة والتابعين من بعدهم ومن ادركنا يقولون : الايمان قـــول وعمل ونية، ولا يجزئ واحد من الثلاثة الا بالاخر، الايمان لابـــن تيمية (ص ٢٦٥) قال البخاري : لقيت اكثر من الف رجل مـــن العلماء بالامصار فما رأيت احدا منهم يختلف في ان الايمان قـول وعمل ويزيد وينقص . الفتح (١ : ٤٧) . قال البغوي : اتفقـــت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على ان الاعمال من=

وكل واحد من هؤلاء نظر نظرا ، فمن قال : هو الاعتقاد فلقوله عليه السلام : " الايمان ان تؤمن بالله وملائكته[1] " الخبر ، ولان الله تعالى حيثما ذكره افرده عن العمل نحو قوله تعالى " الذين آمنوا وعملوا الصالحات[2] " وقال عليه السلام : " الايمان والعمل قرينان لا يصلح احدهما الا بالاخر[3] " .

ومن قال هو الاقرار فلقوله عليه السلام في الجارية التي عرضت عليه فقال لها اين الله ؟ فقالت في السماء فاقرت بالله ورسوله فقال : اعتقها فانها مؤمنة[4] . ولم يستكشف عن معرفتها وعن افعال جوارحها .

ومن قال الاعمال من الايمان فنظر الى نحو قوله " وما كان الله

= الايمان ثم قال : قالوا " ان الايمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية على ما نطق به القرآن في الزيادة وجاء الحديث في النقصان في وصف النساء " شرح السنة (١ : ٣٨ ، ٣٩) وقال الاجري : " ان الذي عليه علماء المسلمين ان الايمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب ، واقرار باللسان وعمل بالجوارح " الشريعة (ص ١١٩) . وقال شارح الطحاوية " ذهب مالك والشافعي واحمد والاوزاعي واسحق بن راهويه وسائر اهل الحديث واهل المدينة رحمهم الله واهل الظاهر وجماعة من المتكلمين الى انه تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان " . (ص ٣٧٣) .
وقال ابو عثمان الصابوني : مذهب اهل الحديث ان الايمان قول وعمل ومعرفة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . عقيدة السلف (ص ٤٥) .

(١) تقدم تخريجه آنفا .
(٢) سورة البقرة : ٢٥ .
(٣) اخرجه الخطيب عن علي بن الحسين مرسلا . اقتضاء العلم العمل (ص ١٦٦) . وابن شاهين عن محمد بن علي مرسلا كما جاء في كنز العمال (١ : ٣٦) .
(٤) رواه مسلم (١ : ٣٨٢) ، وداود (١ : ٢١٣) ، والنسائي (٣ : ١٤) واحمد (٢ : ٢٩١) ، ومالك (٢ : ١٤٠) ، والشافعي في الرسالة (ص ٧٥) .

ليضيع ايمانكم[١] اى صلاتكم الى بيت المقدس ، وقوله عليه السلام : " الايمان بضع وسبعون درجة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق[٢] وقال عليه السلام : " الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان[٣] .

فصل :

المؤمن يقال على وجهين :

احدهما : على سبيل الاسم كمن اقر بالاركان الحنيفية ، كما ان اليهودى والنصرانى اقرا باركان دين موسى وعيسى عليهما السلام وعلى هذا قوله تعالى " الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى[٤] الاية .

والثانى : يقال على سبيل الحد ، وهو كما قال النبى عليه السلام " الايمان معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالاركان " واى ايمان حصل عن سبيل التقليد فانه يجرى فى الاحكام الدنيوية كالميراث والنكاح ونحوهما مجرى الايمان اليقينية .

---

(١) سورة البقرة : ١٤٣ .

(٢) رواه مسلم (١ : ٦٣)، وابو داود (٤ : ٢١٩)، والبغوى (١ : ٣٤)، وابن سلام فى كتاب الايمان (ص ٦٠)، وابن بطة (ل ١٠٧)، والترمذى (٥ : ١٠)، وقال حديث حسن صحيح والنسائى (٨ : ١١٠)، واحمد (٢ : ٤٤٥)، وابن ماجة (١ : ٢٢)، والبخارى الجزء الاول وفيه " بضع وستون " (١ : ٥١)

(٣) تقدم تخريجه آنفا .

(٤) سورة البقرة : ٦٢ .

فصـــل :

لما كان للايمان درجات كما روي في الخبر ، وكل ماله منـــازل ودرجات فالاسم يقع على المبتدأ به والداخل فيه ، كما يقع علـــى المستوفي لعامة درجاته والبالغ الاقصى غاياته ، وان كان بين المبتدأ والمنتهي في الحكم بون بعيد ، ولما كان الايمان كذلك صح ان يقال لمن دخل فيه باظهار الشهادتين مؤمن، كما يقال للمنتهي فيه مؤمن وعلى هذا قال تعالى " يا ايها الذين آمنوا بالله ورسوله [1] " اي يا ايها الداخلون في الايمان استكملوا الايمان، وذلك ان كل ماله منتهى وغاية فان من دخل فيه ولم يستوف غايته يصح ان يثبت الحكم مرة وان ينفى عنه مرة ، وان يثبت وينفى عنه معا ، وان لا يثبت له وينفى عنه ، نحو ان يقال لمن ابتدأ في الاكل ولم يستوف : فلان قد اكل ، اي ابتدأ بالاكل وقد يقال له : هو لم يأكل اي لم يستوف الاكل ، وقد يقال له اكل ولم يأكل اي اخذ فيه ولم يستوف ، وقد يقال : ما اكل وما ترك الاكل اي ما فعل هذا ولا ذاك بالتمام ، وهو لما كان الايمان لاكثر الناس على هذا صح ان يقال فيهم على هذه الوجوه ، وعلى هذا ما روي عنه عليه السلام " من قال لا اله الا الله فهو مؤمن وان زنى وان سرق [2] " اي داخل في الايمان ، وروي عنه " لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن [3] " .

---

(١) سورة النساء : ١٣٦ .

(٢) رواه احمد وابن ابي يعلى وابن حبان عن ابي الدرداء بلفظ " ما من رجل يشهد ان لا اله الا الله فهو مؤمن وان زنى وان سرق ورغم انف ابي الدرداء " انظر الجامع الكبير (ص ٧١٦) رواه الطبراني عن سلمة بن نعيم الاشجعي بلفظ " من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق " المرجع المذكور (ص ٨١٠) .

(٣) رواه البخاري (١٢ : ٥٨)، ومسلم (١ : ٧٦) وابو داود (٤ : ٢٢١) والترمذي (٥ : ١٥) وقال حديث حسن صحيح غريب . النسائـي (٨ : ٣١٣)، وابن ماجة (٢ : ١٢٩٩)، والدارمي (٢ : ١١٥)، الاجري في الشريعة (ص ١١٢)، وابن ابي شيبة في الايمـــان (ص ١٢)، وابن بطة (ل ١٢١) .

اى لا يفعل ذلك وهو كامل الايمان[1]، وكذا قوله عليه السلام " لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه[2]" وكذا ماروى عنه عليه السلام " من قال انا مؤمن فهو فاسق ، ومن قال انا اعلم فهو جاهل[3]" وكان اصحاب[4] النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل احدهم[5] امؤمن انت قال انا مؤمن ان شاء[6] الله ، وكذا قوله عليه السلام

---

(١) هذا قول المحققين . الفتح (١٢ : ٦٠) .

(٢) رواه البخارى (١ : ٥٧)، ومسلم (١ : ٦٧)، واحمد (٣ : ١٧٦)، والدارمى (٢ : ٣٠٧)، وابن ماجة (١ : ٢٦).

(٣) اخرجه ابن بطة عن عمر (ل ١٦٣) وفيه " كافر" بدل فاسق وذكره الغزالى قال العراقى فى تخريجه : رواه الطبرانى فى الاوسط بالشطر الاخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن ابى سليم وهو مختلف فيه ، والشطر الاول روى من قول يحيى بن ابى كثير رواه الطبرانى فى الاصغر بلفظ " من قال انا فى الجنة فهو فى النار" وسنده ضعيف (١ : ١٢٥).

(٤) اورد ابن بطة : انا مؤمن ان شاء الله " كذا كان يقول عبد الله بن مسعود ، الابانة الصغرى (ص ٦٩)، وروى ان رجلا قال عند عبد الله بن مسعود : " انا مؤمن" فقال ابن مسعود : افأنت من اهل الجنة ؟ فقال : ارجو، فقال ابن مسعود : افلا الاولى كما وكلت الاخرى" رواه ابن بطة فى الكبرى (ل ١٦٤) وقال رجل لعلقمة " امؤمن انت؟ قال : ارجو ان شاء الله " الشريعة (ص ١٣٧)، واخرج ابن ابى شيبة عن عائشة قالت : انتم المؤمنون ان شاء الله " الايمان (ص ٩) .

(٥) كان فى الاصل" احدهما " .

(٦) اختلف العلماء فى الاستثناء فى الايمان . فاوجبه قوم ، ومنعه آخرون، وتوسط بعضهم فاجازه باعتبار ومنعه باعتبار وهذا اصح الاقوال واليه ذهب جمع من المحققين، وقد ساق الآجرى بسنده الى جرير بن عبد الحميد قال : وكان الاعمش ومنصور ومغيرة وليث وعطاء بن السائب واسماعيل بن خالد وعمارة بن القعقاع والعلاء بن المسيب وابن شبرمة وسفيان الثورى وابو يحيى صاحب الحسن وحمزة الزيات يقولون : نحن مؤمنون ان شاء الله ويعيبون على من لم يستثن، وبسنده الى عبد الرحمن ابن مهدى يقول : اذا ترك =

" لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه"[1] وكذا قوله تعالى" فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"[2] ولما قال بعض العرب واعتقدوا انهم استكملوا الايمان قال الله تعالى" قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا"[3] اى دخلتم في السلم من حيث انكم اظهرتم الايمان، فاما استكمال الايمان فلم يحصل لكم بعد ، وعادة الناس ان كل فضيلة لم يستكملها صاحبها قد ينفى عنه اسمها ، كقولهم : لا سيف الا ان يكون صارما ، ولا فرس الا ان يكون صادق العدو، ولا فتى الا ان يكون شجاعا سخيا ، وعلى

= الاستثناء، فهو اصل الارجاء . الشريعة (ص ١٣٩). قال ابو العز الحنفي في شرحه على العقيدة الطحاوية : واما من يجوز الاستثناء وتركه ، فهم اسعد بالدليل من الفريقين وخير الامور اوسطها فان اراد المستثني الشك في اصل ايمانه منع من الاستثناء، وهذا مما لا خلاف فيه ، واراد انه مؤمن من المؤمنين الذين وصفهم الله في قوله " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون .الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم " .الانفال : ٢ ، ٤ .وفي قوله تعالى " انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون" . الحجرات : ١٥ .فالاستثناء حينئذ جائز وكذلك من استثنى واراد عدم علمه بالعاقبة ، وكذلك من استثنى تعليقا للامر بمشيئة الله لا شكا في ايمانه . وهذا القول في القوة كما ترى . (ص ٣٩٨) .

(١) رواه احمد (٣ : ١٩٨) .

(٢) سورة النساء : ٦٥ .

(٣) سورة الحجرات: ١٤ .

هذا روى " لا ايمان لمن لا امانة له ، ولا دين لمن لا عهد له "[١] ، وروى " لا ايمان لمن لا صلاة له ولا صلاة لمن لا زكاة له "[٢] تنبيها ان تمام الايمان بالصلاة وتمام الصلاة بالزكاة .

فصل :

زيادة الايمان وانتقاصه ، اختلفوا هل يزيد وينقص .

فقال قوم : لا يزيد ولا ينقص ، ويشبه ان يكون ذلك قول الذين اعتقدوا ان الايمان هو القول المجرد وهو ان يأتي الانسان بالشهادتين .

وقال قوم : يزيد وينقص ويشبه ان يكون ذلك قول من جعل الاعمال من جملة الايمان ، فقال من ازداد اعمال الصالحة ازداد ايمانه ومن نقص منها نقص ايمانه .

وقال قوم : الايمان يزيد ولا ينقص ويشبه ان يكون ذلك قول من قال : الايمان هو الاعتقاد الحق ، فان الانسان يصح ان يخرج من حد الجهل الى العلم وان يزداد ايمانه بحسب الازدياد في العمل ومن المحال ان يخرج نفسه من العلم اليقيني الى الجهل[٣] .

---

(١) رواه احمد عن انس (٣ : ١٣٥) وابن ابي شيبة في كتاب الايمان وقال الالباني حديث صحيح (ص ٥) . وابو يعلى والبيهقي عنه ، ورواه الطبراني في الاوسط عن ابن عمر بلفظ " لا ايمان لمن لا امانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له ، وموضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد ، كشف الخفاء (٢ : ٤٨٥) .

(٢) الشطر الاول رواه ابن بطة في الابانة الكبرى (ل- ١٤٤) ، والشطر الثاني اخرجه ابن سعد عن عمر بن عبد العزيز انه خطب قبل يوم الفطر فذكر الزكاة فحض عليها وقال : على كل انسان صاع تمرا ، ومدان من حنطة وقال انه لا صلاة لمن لا زكاة له . الطبقات (٥ : ٣٦٣) .

(٣) قارن باصول الدين (ص ٢٥٢) .

والقرآن يقتضي انه يصح ان يزيد وان ينقص لقوله تعالى " واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا ، فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون "(١) وقوله تعالى " يا ايها الذين آمنوا آمنوا "(٢) اى حصلوا مايزيدكم ايمانا ، وعلى هذا قال علي رضي الله عنه " الايمان يبدو(٣) نكتة بيضاء فاذا ازداد الايمان ازداد البياض فاذا استكمل الايمان ابيض القلب كله ، وان النفاق يبدو نكتة سوداء فكلما(٤) ازداد النفاق ازداد السواد ، فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله "(٥) .

---

(١) سورة التوبة : ١٢٤ .
(٢) سورة النساء : ١٣٦ .
(٣) كان في الاصل " يبدوا " .
(٤) كان في الاصل " فكل ما " .
(٥) اخرجه ابن ابي شيبة في كتاب الايمان (ص ٥) وفيه " لمظة " . وابن بطة (ل ١٥٦) واورده الغزالي في الاحياء (١ : ١٢١) ، وابن تيمية في الايمان (ص ٢٦١)، وانظر نهج البلاغة (٤ : ٥٩) .

كراهة سلب اسم المؤمن عمن لم ينكر الشهادتين .

قد تقدم ان المؤمن يقال على وجهين : لمن اظهر الشهادتين ولمن اختص بالاعتقاد اليقيني فمن سمي مؤمنا باظهار الشهادتين فانه لا يسلب هذا الاسم مالم ينكر الشهادتين فانه ابت الشريعة[1] ان يسلب عنه اسم الايمان، لقوله تعالى " ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا "[2] ولان الله تعالى قد خاطب عبد الله[3] بن ابي ونظراءه بلفظ المؤمنين فقال " يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله "[4] لو اكفر الله تعالى احدا من اهل التوحيد بذنب لسلب الذين جادلوا النبي صلى الله عليه وقد علموا ان الحق معه ، وقد قال الله تعالى " وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون "[5] ولا كفر ابا لبابة[6]

---

(١) كان في الاصل " الشرعية " .

(٢) سورة النساء : ٩٤ .

(٣) هو عبد الله بن ابي بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي ابو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لابيه من خزاعة رأس المنافقين في الاسلام ، من اهل المدينة ، كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم ، واظهر الاسلام بعد وقعة بدر تقية ، مات سنة ٩ هـ . الاعلام (٤ : ١٨٨) .

(٤) سورة المنافقون : ٩ .

(٥) سورة الانفال : ٥ ، ٦ .

قال ابن عباس رضي الله عنه : " وكان جدالهم نبي الله ان قالوا لم يعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا للعير وذلك في البدر حينما امرهم النبي بالشوكة فكره ذلك اهل الايمان . تفسير الطبري (١٣ : ٣٩٥) ت احمد شاكر .

(٦) هو ابو لبابة بن عبد المنذر الانصاري مختلف في اسمه ، قال موسى ابن عقبة اسمه بشير، وقال ابن اسحق اسمه رفاعه ، وذكر صاحب الكشاف وغيره في تفسير الانفال ان اسمه مروان، قال ابن اسحاق زعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم رد ابا لبابة والحارث بن حاطب بعد ان خرجا معه الى بدر فامر ابا لبابة على المدينة وضرب لهما بسهميهما واجرهما مع اصحاب بدر ، وذكره موسى ابن عقبة في البدريين وكان احد النقباء ليلة العقبة . مات في خلافة علي . الاصابة (٤ : ١٦٨)، الاستيعاب (٤ : ١٦٨) .

الطبقات (٣ : ٣٥٧)

يوم أشار الى بني قريظة أن محمدا يريد قتلكم[1] كلكم وأومأ الى حلقه انه الذبح[2]، فانزل الله تعالى " يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول[3] ولا كفر الذين سفكوا الدم الحرام، وقد قال الله تعالى " يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى " ثم قال " فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف " ثم قال " ذلك تخفيف من ربكم ورحمة[4] " فسماه الله تعالى في اول الاية المؤمن، وفي وسطها اخاه ولم يويسه في الاخرة من التخفيف، ثم قال لجميعهم " وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون[5] " فسماهم مؤمنين .

ومن قال من المتكلمين : لا يصح ان يقال المؤمن لكافة مستقبل القبلة الا بشرط الاخلاص، ويفسد بجهلنا بحاله، فان عني بالايمان الاعتقاد اليقيني والاعمال الصالحة التي يضامها الاخلاص، وعناه الله تعالى بقوله " أولئك هم المؤمنون حقا[6] " فصحيح، وان عني المذكور في قوله تعالى " ان الذين آمنوا والذين هادوا[7] " فليس كذلك لما تقدم .

فان قيل : فقد سلب الله تعالى عن الفاسق اسم الايمان، حيث قال " افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا[8] " .

---

(١) كان في الاصل " قبلكم " والصحيح ما اثبته .
(٢) انظر القرطبي (٧ : ٣٩٤)، وابن كثير (٢ : ٣٠٠) .
(٣) سورة الانفال : ٢٧ .
(٤) سورة البقرة : ١٧٨ .
(٥) سورة النور : ٣١ .
(٦) سورة الانفال : ٤ .
(٧) سورة البقرة : ٦٢ .
(٨) سورة السجدة : ١٨ .
قال ابن عباس وعطاء بن يسار : نزلت هذه الاية في علي والوليد ابن عقبة وذلك انهما تلاحيا، فقال له الوليد : انا ابسط منك لسانا واحد سنانا فقال له علي اسكت فانك فاسق .
القرطبي (١٤ : ١٠٥) .

قيل : المؤمن هاهنا هو المذكور على سبيل المدح ، او يكون تقديره افمن كان مؤمنا غير فاسق كمن كان مؤمنا فاسقا ، فحذف من كلا الطرفين ماينبه على الآخر .

الكلام في الاسلام .

الاسلام منقول من سلم كما ان الايمان منقول عن امن، ويقال ذلك على وجهين :

احدهما : متعديا نحو "اسلمت وجهي لله"[1] .

والثاني : غير متعد نحو اسلم فلان اي دخل في السلم نحو اصاف، واربع[2] واشتى[3] .

فالاسلام : هو اشتمال العبد على مايفيده السلامة ، فمن اظهر اثار الايمان فقد اوجب الله له السلامة بتحريم نفسه على النار .

واختلف في الاسلام والايمان .

فقال بعض المتكلمين هما واحد[4] ، واستشهد بقوله تعالى " فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين"[5] .

والصحيح انهما وان كانا قد يرد ان في بعض المواضع مترادفين على معنى فالمقصود منهما مختلف، فالايمان من الامن وهو يختص بالقلب، والاسلام من السلامة وهو مختص بالبدن والجوارح ، ومما يفرق بينهما ان النبي عليه السلام فسر الايمان بغير مافسر به الاسلام

---

(١) سورة ال عمران : ٢٠ .
(٢) كان في الاصل " اربع " والصحيح ما اثبته .
(٣) كان في الاصل " اشني " والصواب ماذكرته .
(٤) قال به المعتزلة والخوارج وطائفة من اهل الحديث والسنة الايمان لابن تيمية (ص ٣٦١)، وبه قال البخاري . الفتح (١ : ١١٤)، وابن منده ، كتاب الايمان لابن منده (ص ٢٤٩).
(٥) سورة الذاريات: ٣٥ ، ٣٦ .

فقال : الايمان ان تؤمن بالله وملائكته ، الخبر ، وقال " الاسلام شهادة ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة[1] الخبر ، وقال الله تعالى " قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا[2] فدل ذلك على ان الايمان غير الاسلام[3] ، وقال جعفر[4] بن محمد رضي الله عنه " قد يكون الرجل مسلما ولا يكون مؤمنا ولا يجوز ان يكون مؤمنا ولا يكون مسلما فقيل له كيف يكون ذلك قال ارأيت رجلا في المسجد الحرام يحكم عليه انه في الكعبة قال لا ، فلو كان في الكعبة يحكم عليه انه في المسجد الحرام قال نعم قال فكذلك الاسلام والايمان .

---

(١) هذا حديث جبريل رواه البخاري (١ : ١١٤)، مسلم (١ : ٣٩) وابن ماجة (١ : ٢٤)، والاجري في الشريعة (ص ١٠٧) وابن ابي شيبة في الايمان (ص ٤٠)، وابن منده في الايمان (ص ٣) وابن بطة (ل ٥ ١٠) .

(٢) سورة الحجرات: ١٤ .

(٣) والصحيح ما ذهب اليه السلف ، وهو ان بين الاسلام والايمان تلازما وذلك يفيد ان مسمى احدهما غير مسمى الاخر ، وان حالة اقتران الاسلام والايمان غير حالة افراد احدهما عن الاخر فمثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احداهما من الاخرى فشهادة الرسالة غير شهادة الوحدانية ، فهما شيئان في الاعيان ، واحداهما مرتبطة بالاخرى في المعنى والحكم كشيء واحد ، كذلك الاسلام والايمان ، لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له ، اذ لا يخلو المؤمن من اسلام به يتحقق ايمانه ولا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه .
الايمان لابن تيمية (ص ٢٨٦)، شرح الطحاوية (ص ٣٩٢).
واستدل هؤلاء بحديث جبريل وحديث وفد عبد القيس حيث ان النبي صلى الله عليه وسلم فرق بينهما في حديث جبريل فجعل الاسلام الاعمال الظاهرة والايمان الاعتقاد الباطن وهذا واضح في الفرق بينهما ، وفي حديث وفد عبد القيس فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بما فسر به الاسلام في حديث جبريل حيث قال : اتدرون ما الايمان بالله وحده قالوا الله ورسوله اعلم ، قال : شهادة ان لا اله الا الله واقام=

....

= الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان، والحديثان متفق على صحتهما فدفعا لتوهم التعارض جمع السلف بينهما .

قال ابن الصلاح بعد أن سرد اقوال العلماء في ذلك فخرج مما ذكرناه وحققنا ان الايمان والاسلام يجتمعان ويفترقان وان كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا قال وهذا تحقيق وافر بالتحقيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الايمان والاسلام التي طالما غلط فيها الخائضون وما حققناه من ذلك موافق لجماهير العلماء من اهل الحديث وغيرهم .

شرح مسلم للنووي (١ : ٤٨) .

فصـــــل :

قال بعض العلماء : الاسلام منزلتان :

الاول : الاستسلام بالتزام الاحكام ، وذلك ادنى منزلة من الايمان وهو كما قال تعالى " ولكن قولوا اسلمنا "[١] .

والثانية : الرضا بحكم الله تعالى في السر والجهر وذلك اعلى منزلة من الايمان . وهو كما قال الله تعالى " اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين "[٢] وقال الله تعالى " فلما اسلما وتله للجبين "[٣] وذلك هو ان يكون مع الاعتراف بحكم الله تعالى اعتقادا بالقلب ووفاء بالفعل وتوكلا عليه بلا التفات منه الى غيره[٤] ، كما روى : ان ابراهيم عليه السلام لما وضع في المنجنيق ليرمى به في النار قال له جبريل الك حاجة فقال اما اليك فلا ، فاني قد توكلت على الله[٥] " .

وعلى ذلك قوله تعالى " ربنا واجعلنا مسلمين لك "[٦] وقوله تعالى " ان الدين عند الله الاسلام "[٧] وقوله تعالى " يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا "[٨] يعني بالذين اسلموا هاهنا اولي العزم من الرسل وبقوله " الذين هادوا " من دونهم ، وقوله تعالى " فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين "[٩] قد قال بعض المحققين[١٠] : المسلم هاهنا المستسلم لله المتوكل عليه فكأنه قيل

---

(١) سورة الحجرات : ١٤ .
(٢) سورة البقرة : ١٣١ .
(٣) سورة الصافات : ١٠٣ .
(٤) قارن بالمفردات (ص ٢٤٠) .
(٥) ذكره ابن كثير (٣ : ١٨٤) ، القرطبي عن ابي بن كعب (١١ : ٣٠٣) .
(٦) سورة البقرة : ١٢٨ . كان في الاصل " وجعلنا " .
(٧) سورة آل عمران : ١٩ .
(٨) سورة المائدة : ٤٤ ، كان في الاصل " يحكم بها الذين " .
(٩) سورة الذاريات : ٣٥ ، ٣٦ .
(١٠) انظر ماقاله الباقلاني في التمهيد (ص ٣٤٨) .

اخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين المتوكلين المنقطعين الى الله الا واحد .

واعلم :

ان الايمان والاسلام وان كانا قد يطلقان اسمين لهذا الدين فالاسلام الملة ولهذا قال الله تعالى " ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين"[1] ولهذا قيل " دار الاسلام ، ولا يقال دار الايمان ، فاثبت لمن دخل في الدين الاسلام ، ونفى عنه الايمان في قوله تعالى " قالت الاعراب"[2] الاية ، ومن الفرق بين الايمان والاسلام ان الايمان يقال اعتباريا للعلم والتصديق ، والاسلام يقال اعتباريا للاعمال كما تقدم في الخبر ،[3] ولهذا قال عليه السلام " الاسلام اعلانية والايمان في القلب"[4] .

الكلام في الكفر .

الكفر في اللغة : الامتناع من اظهار المنطوي عليه ، وهو اخص من الستر ،[5] ومنه قيل : ليل كافر ، قال الشاعر :

القت ذكاء يمينها[6] في كافر[7]

---

(١) سورة الحج : ٧٨ .

(٢) قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا . الحجرات ١٤ . وكان في الاصل " قال الاعراب " وهو تحريف .

(٣) في حديث جبريل .

(٤) رواه احمد (٣ : ١٣٤) ، وابن ابي شيبة في الايمان (ص ٥) ، قال الالباني : سنده ضعيف . وابن بطة (ل ١٤٤) .

(٥) كان في الاصل " السفر " والصواب ما اثبته .

(٦) كان في الاصل " بينها " .

(٧) عجز بيت لثعلب بن صعيرة المازني يصف الظليم والنعامة ورواحهما الى بيضهما عند غروب الشمس ، وصدره :

فتذكرا ثقلا رشيدا بعد ما

انظر اللسان (كفر) وعيون الاخبار (٢ : ٨٨) ، واورده المؤلف في المفردات (ص ٤٣٦) .

ويقال للزارع الذى يجعل البذر فى التراب كافر وكافور الطلع ويقال للقرية المنطوية على سكانها كفروا ، والكفر : ستر النعمة والكافر بالله ساتر لما انعم عليه .

ونعم الله تعالى على قول المجمل ثلاث :

نعمة خارجية كالمال والدار والضياع .

ونعمة بدنية كالصحة وسلامة الاعضاء .

ونعمة نفسية كالعقل والتمييز .

واعظم هذه النعم الثلاث نعمة نفسية ، واعظم النعم النفسية ماجعل له من المعرفة المشار اليه بقوله تعالى" فطرة الله التي فطر الناس عليها"(١) ويقول تعالى" ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله"(٢) وجاحدها هو الكافر المطلق الذى حقه فى كل شريعة ان يغان فى قلبه ، والكفر بالنعم الدنيوية دون الكفر بالنعم الاخروية وذلك ظاهر فيما ذكر الله تعالى من الوعيد ، فانه قال فى النعم الدنيوية " وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع"(٣) وقال فى الكفر بالنعم الاخروية " واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الاخر، قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير"(٤) .

واعلم :

ان الكافر وان كان فى الاطلاق اسما لمن دفع شيئا من اركان الشرعية ، وقد يقال لمن تعاطى شيئا مما يتعاطاه الكفار ، فان اسم

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .
(٢) سورة الزخرف : ٨٧ .
(٣) سورة النحل : ١١٢ .
(٤) سورة البقرة : ١٢٦ .

الفاعل يطلق على من كثر منه ذلك الفعل فقد يقال لمن باشر ادنى حرمته ، كقولهم آكل وشارب وضارب ، وعلى هذا قوله عليه السلام " من ترك الصلاة فقد كفر "[١] اى قد اخذ فى فعل الكفار ، وعلى هذا قوله تعالى " ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون "[٢] .

الكلام فى الشرك .

الشرك اصله من المشاركة ، فالشرك بالله اثبات ضد او ند له وذلك هو المعقول فى اطلاق الشرك[٣] .

والمشركون اضرب :

منهم من يجعل الازلى والمعبود غير واحد[٤] .

ومنهم من يجعل المعبود واحدا ولا ازلى غير واحد كالثنوية والمجوس .

ومنهم من يجعل الازلى واحدا والمعبود غير واحد كعبدة الاصنام .

والشرك ضربان :

ضرب يخرج الانسان به عن الدين وهو ما تقدم وعنى بقوله تعالى " ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء "[٥] .

---

(١) رواه الترمذى (٥ : ١٤)، وقال حديث حسن صحيح غريب والنسائى (١ : ٢٣١)، واحمد (٥ : ٣٤٦) والاجرى فى الشريعة (ص ١٣٣) .
قيل : وان تارك الصلاة كافر وقيل : لا يكفر ، وقيل : من تركها متعمدا فهو كافر ، هذا مروى عن الحكم بن عتيبة وسعيد بن جبير . الايمان لابن تيمية (ص ٢٦٠) .

(٢) سورة المائدة : ٤٤ .
من لم يحكم بما انزل الله فقد فعل فعلا يضاهى افعال الكفار هذا مروى عن ابن عباس . القرطبى (٦ : ١٩٠) .

(٣) قارن بالمفردات (ص ٢٥٩) .

(٤) هم النصارى .

(٥) سورة النساء : ٤٨ .

وضرب لا يخرج به عن الدين وهو الرياء، واليه اشار بقوله تعالى" ومايؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون"[١] وقوله تعالى" قل انما ادعوا ربى ولا اشرك به احدا"[٢] وقوله عليه السلام " الشرك اخفى فى امتي من دبيب النمل على الصفا"[٣] وقال عليه السلام " ان ادنى الرياء الشرك"[٤] وقال ابو حنيفة رحمة الله عليه لجعفر بن محمد رضى الله عنه : من اين قليل الرياء الشرك، فقال من قوله تعالى" فمن كان يرجو لقاء ربه"[٥] الاية، فمن يرائى بعمله فقد اشرك فيه، ومما يثبت صفة الشرك قوله تعالى" ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا"[٦] اى من فعل فعل الشيطان فقد والاه واما الموحد فانه لا يكون الشيطان وليه، وعلى هذا قوله تعالى : " وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون"[٧].

والكفر اعم من الشرك لانه يقع على اهل الكتاب وعلى المشرك والمشرك لا يقع على اهل الكتاب، ويدل على الفرق بينهما قوله تعالى

---

(١) سورة يوسف : ١٠٦ .

(٢) سورة الجن : ٢٠ .

(٣) اخرجه احمد عن ابى موسى (٤ : ٤٠٣)، واورده الغزالي فى الاحياء، وقال الوافى اخرجه الطبرانى عنه ايضا، ورواه ابو يعلى وابن عدى وابن فى الضعفاء عن ابى بكر (١ : ١٢٢) وضعفه ابن حبان والدارقطنى (٣ : ٣٠٦) .

(٤) اورده ابن سلام فى الايمان (ص ٨٦)، قال الالبانى فى تعليقه رجاله ثقات، وذكره الغزالى والعراقى عزاه الى الطبرانى (٣ : ٢٩٤) .

(٥) سورة الكهف : ١١٠ . وموضع الشاهد هو (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا) .

(٦) سورة النساء : ١١٩ .

(٧) سورة الانعام : ١٢١ .

" لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين "[١] ويضاد الشرك التوحيد ، والكفر الايمان وقد يقابل الكفر الشرك هذا هو الاصل لكن في تعارف الفقهاء قد يقع المشرك على اهل الكتاب[٢]، وقد حملوا قوله تعالى " فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم "[٣] على العموم .

والالحاد في الاصل هو الانحراف عن الشيء ، يقال : لحد والحد ، ومنه لحد القبر وهو ضربان :

ضرب في الفطرة ، وهو الانحراف عن الفطرة ، عن فطرة الله تعالى ، وجحود الدينونة[٤] وامكان صانعه وذلك اعظم الكفر .

والثاني : الحاد في اسمائه وصفاته ، وهو صرف معانيه الى غير وجهها مما يقتضي تشبيهها وامرا منكرا ، واياه قصد تعالى بقوله " الذين يلحدون في اسمائه "[٥] .

والنفاق اصله عند اكثر الناس من النافقاء هو جحر اليربوع له بابان ، اذا حزبه امر من احد البابين افلت من الاخر ، يقال نفق اذا دخل فيها ، ومنه النفق قال تعالى " فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض "[٦] الاية ، فالمنافق يجنح الى الايمان والى الكفر ، ويأخذ طرفيهما فاذا حزبه امر من احد الجانبين نفق الى الاخر ، وقيل اصله من النفاق في البيع ، فالمنافق هو الذي يطلب ما ينفق به جملة المشتري من غير ان يعقد عليه بقلبه ، ولما كان النفاق منزلة بين الايمان والكفر صح ان يقال المنافق مؤمن باعتبار الكلمة وحصول الصلاة ببدنه ونحو ذلك وصح ان يقال هو مؤمن كافر لجمعه[٧] فعل الفريقين ، وصح ان

---

(١) سورة البينة : ١ .
(٢) قارن بالمفردات (ص ٢٦٠) .
(٣) سورة التوبة : ٥ .
(٤) كان في الاصل " الدنيوية " والصواب ما اثبته .
(٥) سورة الاعراف : ١٨٠ .
(٦) سورة الانعام : ٣٥ .
(٧) كان في الاصل " لحمقه " .

يقال ليس بمؤمن ولا كافر اي ليس بمستوف وصف احدهما وبين النبي صلى الله عليه امارة المنافق فقال " ثلاث خصال من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج وزعم انه مسلم ، اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا وعد اخلف "[١] وفي خبر آخر اربع، ويريد به اذا خاصم فجر[٢] وقيل لحذيفة[٣] من المنافق ؟ فقال : الذي يصف الاسلام ولا يعمل به[٤] .

والمنافق ضربان :

نفاق في اصل الايمان وهو الذي عظم الله وعيده .

ونفاق في بعض الاعمال وهو كالرياء[٥] ، وذلك كما ذكر في الشرك .

---

(١) رواه مسلم (١ : ٧٨)، احمد (٢ : ٥٣٦)، البخاري (١ : ٨٩)، والبغوي (١ : ٧٣)، والنسائي (٨ : ١١٧)، والترمذي (٥ : ١٩)، الا ان رواية البخاري والنسائي والبغوي والترمذي ليس فيها " وان صام وصلى وحج وزعم انه مسلم " .

(٢) رواه البخاري (١ : ٨٩)، ومسلم (١ : ٧٨)، وابو داود (٤ : ٢٢١)، والترمذي (٥ : ١٩)، والنسائي (٨ : ١١٦)، واحمد (٢ : ١٨٩)، والبغوي (١ : ٧٤)، وابن بطة (ل ١١٦) .

(٣) كان في الاصل " لحديثه " وهو خطأ .
هو حذيفة بن اليمان العبسي من كبار الصحابة ، كان ابوه قد اصاب دما فهرب الى المدينة فحالف بني عبد الاشهل فسماه قومه اليمان لكونه حالف اليمانية ، اراد هو وابوه شهود بدر فصدهما المشركون وشهدا احدا فاستشهد اليمان بها ، وكان احد المكثرين عن النبي صلى الله عليه وسلم مات بعد قتل عثمان وبعد بيعة علي باربعين يوما وذلك في سنة ٣٧هـ .
الاصابة (١ : ٣١٧)، الاستيعاب (١ : ٢٧٧)، تاريخ ابن عساكر (٤ : ٩٣) .

(٤) اخرجه ابن جرير في تهذيب الاثار (ل ٥ ١٤٠) وابن بطة في الابانة الكبرى (ل ١١٨) واورده علي المتقي نحوه في كنز العمال (١ : ٣٦٧)، وابن تيمية في الايمان (ص ٢٦١) .

(٥) كان في الاصل " الرؤيا " والصحيح ما اثبته .

والفسق : هو ارتكاب المعاصي وانتهاك محارم الدين مع الاقرار بوجوب تركه ، ولذلك قيل : الفاسق من كان رأيه[1] في شريعته التي يتدين بها رأي الفضلاء ، وافعاله افعال الجهال او الذي يعتقد الخير ويفعل الجميل لكن ظن ما ليس بحق انه حق وما ليس بجميل انه جميل ، وفي كل شريعة فسق وضلال وذلك اذا انتهك محارم شرعه يقال : نصراني فاسق وضال اذا لم يحفظ شرائط شرعه ، ونصراني متنسك اذا راعى شرائط شرعه .

تحقيق الواحد .

الواحد في الاصل يستعمل في موضعين :

احدهما : في الحساب .

والثاني : في غيره .

فالمستعمل في الحساب هو الذي يتركب منه العدد المستعمل في غيره ، وهو كل موجود ينحاز عن غيره ، ويستعمل ذلك فيه قد يما وحديثا ، متجزيا او غير متجز ، نظيرا او غير ذي نظير ، ولهذا كل ما يصح ان يقال هو فرد يصح ان يقال هو واحد من وجه وكثير من وجه الا الباري تعالى فانه واحد من كل وجه ، ولا يصح ان يوصف بالكثرة بوجه من الوجوه ، وبيان ذلك ان كل ما يقال فيه هو واحد غير الله تعالى عشرة اشياء .

الاول : ما كان واحدا[2] في الجنس[3] ، نحو ان يقال : الانسان والفرس جنس واحد .

الثاني : ما كان واحدا في النوع[4] ، نحو ان يقال : زيد وعمرو نوع واحد .

الثالث : ما كان واحدا بالشخص ، نحو ان يقال : زيد شخص

---

(١) كان في الاصل " دابه " والصواب ما ذكرته .

(٢) كان في الاصل " واحد " .

(٣) (٤) انظر معناهما (ص ٧٨) .

واحـــد .

الرابع : ماكان واحدا بالصنعة البشرية نحو حرفة[1] واحدة .

الخامس : العادم النظير في الخلقة نحو ان يقال الشمس واحـــد .

السادس : واحد لعدم نظيره نحو زيد واحد في الفضيلة كقولك نسيج واحد .

السابع : ان يقال في الشئ الذي لا يتجزى لصغره كالهباء .

الثامن : ان يقال في الشئ الذي لا يتجزى لصلابته كالالماس .

التاسع : لمبدأ الخط كقولك نقطة واحدة .

العاشر : لمبدأ العدد كقولك واحد اثنان .

والوحدة في هذه الاشياء عارضة ، ولا يصلح ان يستعمل منها شئ في الله تعالى لوجود الكثرة فيها ، وذلك ان الجنس الواحد كثير بالانواع ، والنوع الواحد كثير بالاشخاص ، والشخص الواحد كثير باجزائه ، والشمس وان كانت واحدة بالذات فجرمها كثير بالابعاد التي فيها ، وكذا من وصف بانه واحد مايمتنع فيه التجزى لصغره والنقطة الواحدة في العدد وان لم يصح فيهما التجزى فهما مفروضان التكثير ، لان الخط هو نقط[2] متراد فة والاعداد احاد متكاثرة .

والمراد بالواحد المستعمل في الله تعالى هو المنحاز من كل موجود وليس له جزء ولا يصح عليه التكثير ، وقال بعض العلماء اقرب الواحدات الى الله تعالى اذا استقربت وتأملت الواحد الذى هو اصل العدد ، فقد جعل الله تعالى له خاصية في التنبيه على وحدانيته ، وذلك ان كل ما يقال عليه لفظ الواحد غيره تعالى يصح عليه التجزى وكما ان الله تعالى هو اصل كل موجود ، وليس

---

(١) كان في الاصل " حرمة " والصحيح ماذكرته .
(٢) كان في الاصل " فقد " والصواب ما اثبته .

هو من جملة الموجودات ، فالواحد اصل كل عدد وليس من جملة الاعداد ، وكما ان كل موجود من الله تعالى ينشأ واليه يعود كما قال الله تعالى " هو الاول والاخر "(١) فكل عدد من الواحد ينشأ واليه يعود ، وكما ان الله تعالى يحصي كل شيء عددا ولا يحصيه شيء كذا الواحد يحصي كل عدد ولا يحصيه شيء من العدد ، وكما ان الله تعالى يستولي على كل شيء ولا يستولي عليه شيء ، كذا الواحد يستولي على كل عدد ولا يستولي عليه عدد ، فانه اذا ضرب في نفسه او في عدد لم يخرج عن ذاته بخلاف الاعداد ، وكل عدد اذا ضرب في عدد آخر فاما ان ينقص او يزيد .

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد وآله اجمعين .

---

(١) سورة الحديد : ٣ .

الخـــاتمـــــــــــة

نجمل فى هذه الخاتمة أهم ما انتهينا اليه من النتائج .

١ ـــ ان كل شريعة تنبنى على خمسة اركان : الاعتقادات، والعبادات، والمعاملات والمزاجر، والاداب .

والاصول التى افترقت الامة اليها سبعة :

ا ـــ الايمان بان الله واحد ،

ب ـــ الايمان بان الله متصف بجميع اوصافه التى نص عليها الكتاب والسنة ،

ج ـــ الاعتقاد بان الله خالق كل شئ ،

د ـــ الاعتقاد بان الله يغفر السيآت دون الشرك ،

هـ ـــ ان الايمان هو قول وعمل ،

و ـــ القرآن كلام الله غير مخلوق ،

ز ـــ ان الامامة قد وعد الله بها الله عز وجل ،

٢ ـــ ان معرفة الله تعالى فطرية ، وليست مكتسبة كما زعم المعتزلة ،

مذهب السلف فى الصفات اثباتها على وجه اللائق بجلال الله تعالى ، دون تكييف او تمثيل او تعطيل او تحريف ، وليس التفويض كما زعم القائلون بذلك ،

والرؤية حق للمومنين فى الاخرة ،

ان العرش ليس عبارة عن الملك او الامر بل هو سرير ذو قوائم تحمله الملائكة ، كما نطق به الكتاب " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية "(١)

(١) الحاقة : (١٧) .

أن الدين كله سمعى ،وليس عقلى كما زعم المعتزلة ، ولا بعضه عقلى وبعضه سمعى كما مال اليه البعض ،

٣ ـــ النبى من النبأ وهو الخبر لانبائه عن الامور المخبية ،أو من النبوة أى الرفعة لكونه رفيع المنزلة عند الله ،

ان الرسالة أخص من النبوة ،

والمعجزة : هى فعل خارق للعادة ،وهى ضربان : حسى وع عقلى وهذا أبلغ تأثيرا ،

الكرامة حق للاولياء كالمعجزة للانبياء ، وتكون هذه تحقيقا لامر النبوة لا تشكيكا كما زعم المعتزلة ،

والعصمة ثابتة للانبياء ، وأنهم لا يعصون اللهم ما يقع منهم السهو عن غير قصد ،

٤ ـــ الايمان بالملائكة ، وهم روحانيات خلقهم الله من النور ، وليسوا الارواح كما يعتقد النصارى ، ولا الكواكب كما تزعم عبدة الاصنام ،

ولا البنات كما هو قول جملة الاعراب ،

والملائكة أفضل من عامة الناس ،كما أن الانبياء أفضل من الملائكة ،

والجن والملائكة مخلوق من مخلوقات الله تعالى ، خلافا للفلاسفة والطبيعيين حيث أنكروا وجودهما ،

السحر له الحقيقة ، خلافا للمعتزلة فأنكروه ، وما روى من حديث السحر لزعمهم انه يشكك فى أمر النبوة ،والتحقيق ان السحر لم يؤثر فيما يتعلق بالتبليغ ،

٥ ـ القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ،وأنه يتكلم بصوت يسمع، خلافا للذين أثبتوا له الكلام النفسى ، وانه متحر عن الحروف والاصوات،

وصف كلامه كفر وبدعة ،

ان التفسير اعم من التأويل ،

والحكمة فى الانزال المتشابه هى : حث العلماء على البحث على دقائقه،

ان كان المتشابه مما يمكن علمه ، واذا كان لا يعلم الا الله فالحكمة فيه هى ابتلاء العباد بالوقوف عنده والاشتغال به ،

٦ ـ البعث و النشور حق ،وهو يكون بالروح و البدن معا ،

ان الروح هو جوهر له ثواب و عقاب بعد مفارقة البدن ،

والموت هو مفارقة الروح البدن ، وهو راحة للمؤمن و به يتوصل الى الحياة الابدية التى هى أشرف الحياتين ،

عذاب القبر حق ولا سبيل الى انكاره ،خلافا للمعتزلة ،

ان النبى صلى الله عليه وسلم ما كان عنده علم الساعة ،

صحة القول بنزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان خلافاللمتشككين فى ذلك ،

الميزان ليس عبارة عن الاختبار ،بل هو ميزان محسوس و له كفتان ،

الجنة و النار مخلوقتان الان ،وانهما خلقتا للبقاء لا للفناء ،

٧ ـ الايمان بالقضاء و القدر ،

الشرور الموجودة فى العالم هى من خلق الله تعالى ، وخلقها حكمة ،

و الوقوف على حكمة القدر و ماهيته صعب جدا ،وأفهام البشر لا تدرك كنهه ،

القدر أعم من القضاء،

الارادة و المشيئة كلتاهما مترادفتان ،

القدرة أعم من القوة ،

ان ما كلف الله عباده فهو فى وسع الانسان وليس خارجا عن طوقه ،

٨ ـــ ان الايمان هو : قول و عمل و نية ،يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية ،

والفرق بينه و بين الاسلام،هو انهما اذا اجتمعا افترقا ،فكان لكل واحد

منهما مفهومه ،واما اذا افترقا فانهما يجتمعان حيث يعبر لفظ كل منهما عن

مفهوميهما ،

وفى الختام أسأل اللهتعالى أن يلهمنا الصواب فى كل أمورنا و

يوفقنا للخير فى كل مقاصدنا ،وان يجعل عملنا خالصا متقبلا ،آ

وآخر دعوانا ان الحمدلله رب العالميـــــــن .

الفهـــارس العامــــة

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الابانة عن اصول الديانة : لابى الحسن على الاشعرى ،من مطبوعات الجامعة الاسلامية ،المدينة المنورة ١٩٧٥ هـ .

٣ ـ الابانة عن شريعة الفرقة الناجية : لابى عبدالله عبيدالله ابن بطة ، مصور بجامعة أم القرى بمكة .

٤ ـ ابو العتاهية اشعاره و اخباره ، ت د /شكرى فيصل، دمشق ١٣٨٤ هـ .

٥ ـ الاتقان فى علوم القرآن : لابى بكرعبد الرحمن بن ابى بكرالسيوطى ، المكتبة التجارية الكبرى ١٣٦٨ هـ .

٦ ـ اجتماع جيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية : لابى عبد الله محمد بن أبى بكر بن القيم الجوزية ،مكتبة الرياض الحديثة .

٧ ـ الاحكام : على بن حزم الظاهرى ، مطبعة السعادة مصر،ط الاولى ١٣٤٥ هـ .

٨ ـ احياء علوم الدين : لابى حامد محمد بن محمد الغزالى ،دار المعرفة للطباعة والنشر،بيروت .

٩ ـ اخبار ابى حنيفة واصحابه : لابى عبد الله حسين على الصيمرى ،ط الثانية ، بيروت ١٩٧٦ م .

١٠ ـ الاربعين فى اصول الدين : لمحمد بن عمر الرازى ،دائرة المعارف حيدر آباد ،الهند ١٣٥٣ هـ .

١١ ـ الارشاد : لعبد الملك بن عبد الله الجوينى ،ت محمد موسى وعلى عبد المنعم ،مكتبة السعادة مصر ١٣٦٩ هـ .

١٢ ـ اساس التقديس : لمحمد عمر الرازى ،مطبعة مصطفى البابى الحلبى مصر ١٣٥٤ هـ .

١٣ ـ الاستيعاب في معرفة الاصحاب : ليوسف بن عبد البر مطبوع بهامش الاصابة ، مطبعة القاهرة ١٣٢٨ هـ .

١٤ ـ اسد الغابة فى معرفة الصحابة : لعلى بن محمد الجزرى الاثير الشعب ١٩٧٠ م .

١٥ ـ الاسماء والصفات : لاحمد بن الحسين البيهقى ، نشره محمد زاهد الكوثرى دار احياء التراث العربى ،بيروت ١٣٥٨ هـ .

١٦ ـ الشرح والابانة على اصول السنة والديانة : لابي عبد الله عبيد الله بن بطة ،ت رضا معطى ، رسالة ماجستير ،جامعة أم القرى بمكة .

١٧ ـ الاصابة فى تمييز الصحابة : لاحمد بن على بن حجر العسقلانى ،مطبعة السعادة ،ط الاولى ١٣٢٨ هـ .

١٨ ـ اصول الدين : لابى منصور عبد القاهر البغدادى ،مطبعة الدولة ، استانبول ،ط الاولى ١٩٢٨ م .

١٩ ـ اضواء البيان : لمحمد الامين بن محمد المختار الشنقيطى ط الثانية ١٤٠٠ هـ .

٢٠ ـ الاعتصام : لابى اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبى ،المكتبة التجارية الكبرى مصر .

٢١ ـ الاعتقاد على مذهب اهل السنة والجماعة : لاحمد بن الحسين البيهقى ، ت احمد محمد مرسى ،١٩٦١ م .

٢٢ ـ الاعلام : لخير الدين الزركلى ،ط الثالثة .

٢٣ ـ الاقتصاد فى الاعتقاد : لابى حامد محمد بن محمد الغزالى ،مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ط الاخيرة ،١٣٨٥ هـ .

٢٤ ـ اقتضاء الصراط المستقيم : لاحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،مطبعة السنة المحمدية ،ط الثانية ١٣٦٩ هـ .

٢٥ ـ اقتضاء العلم العمل : لابى بكر احمد على الخطيب البغدادى ،ت محمد ناصر الدين الالبانى المطبعة العمومية ،دمشق (ضمن الرسائل الاربع)

٢٦ ـ الام : لمحمد بن ادريس الشافعى ،دار الشعب ،بيروت .

٢٧ ـ الامتاع والمؤانسة : لابى حيان التوحيدى ،دار مكتبة الحياة ، بيروت •

٢٨ ـ أمثال الحديث : لحسن بن عبد الله الرامهرمزى ،ت أمة الكريم ،مطبعة الحيدرى الباكستان ١٣٨٨ هـ •

٢٩ ـ أمثال العرب : للمفضل الضبى ،الاستانة ، ١٣٠٠ هـ •

٣٠ ـ كتاب الأمثال : لابى عبيد القاسم بن سلام ، ت د /عبد المجيد قطامش دار المأمون للتراث ، ط الاولى ١٤٠٠ هـ •

٣١ ـ انجيل برنابا ،ترجمه الدكتور خليل سعادة ،مطبعة محمد على صبيح و أولاده القاهره •

٣٢ ـ الانساب : أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعانى ،دائرة المعارف حيدر اباد الهند ١٣٨٢ هـ •

٣٣ ـ انوار التنزيل واسرار التأويل : لعبد الله عمر البيضاوى ،مطبوع مع حاشية الشهاب ،دار صادر بيروت •

٣٤ ـ الاوائل : لابى الهلال الحسن العسكرى ت محمد السيد الوكيل •

٣٥ ـ ايضاح المكنون : لاسماعيل باشا البغدادى ،من منشورات مكتبة المثنى بغداد •

٣٦ ـ الايمان : لاحمد بن عبد الحليم بن تيمية ،ت محمد خليل هراس ،دار الطباعة المحمدية ، القاهرة •

٣٧ ـ كتاب الايمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته : لابن سلام ،ت الالبانى المطبعة العمومية (ضمن الرسائل الاربع) •

٣٨ ـ كتاب الايمان : لابى بكر عبد الله بن محمد بن أبى شيبة ،ت الالبانى (ضمن الرسائل الاربع) دمشق •

٣٩ ـ كتاب الايمان : لمحمد بن اسحق بن منده ، ت ناصر على الفقيهى ، رسالة الدكتوراه بجامعة أم القرى بمكة •

٤٠ ـ البداية والنهاية : لابى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ،مكتبة المعارف بيروت ط الثانية ١٩٧٧ م •

٤١ ـ بشرى الكئيب بلقاء الحبيب : لابى بكر عبد الرحمن السيوطى ،مصطفى البابى الحلبى ،مصر ط الثانية ١٣٨٩ هـ •

٤٢ ـ كتاب البعث : لابى داود ،مصور فى مكتبة عبد الرحيم صديق •

٤٢ ـ بغية الوعاة : لابى بكر عبد الرحمن السيوطى ،ت محمد ابو الفضل ابراهيم ،مطبعة عيسى البابى الحلبى ،ط الاولى ١٣٨٤ هـ •

٤٤ ـ البلغة فى تاريخ أئمة اللغة : لمحمد مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى ت محمد المصرى ، دمشق ١٣٩٢ هـ ٠

٤٥ ـ البيان والتبيين : لعمرو بن بحر الجاحظ ، ت فوزى عطوى ، الشركة اللبنانية ، بيروت ١٩٦٨ م ٠

٤٦ ـ التاج المكلل : لصديق حسن القنوجى ، المطبعة الهندية العربية ، ط الثانية ١٣٩٠ هـ ٠

٤٧ ـ تاج العروس : لمحمد بن مرتضى الزبيدى ، دار مكتبة الحياة بيروت ٠

٤٨ ـ تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجى زيدان ، مطبعة الهلال مصر ١٩١٣ م ٠

٤٩ ـ تاريخ ادب العربى : لكارل بروكلمان ، نقله الى العربية د / رمضان عبد التواب دار المعارف ط الثانية ٠

٥٠ ـ تاريخ الامم والملوك : لمحمد بن جرير الطبرى ، دار القلم ، بيروت ٠

٥١ ـ تاريخ بغداد : لاحمد بن على الخطيب البغدادى ، المكتبة السلفية بالمدينة ٠

٥٢ ـ تاريخ الحكماء : لجمال الدين ابو الحسن على بن يوسف القفطى ، مكتبة المثنى ، بغداد ٠

٥٣ ـ كتاب المعرفة والتاريخ : ليعقوب بن سفيان الفسوى ت اكرم ضياء مطبعة الارشاد

٥٤ ـ تاريخ الفرق الاسلامية : لعلى مصطفى الغرابى ، مطبعة على صبيح واولاده مصر ٠

٥٥ ـ تاريخ الفلسفة اليونانية : ليوسف كرم ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهره ، ط الخامسة ، ١٩٧١ م ٠

٥٦ ـ التاريخ الكبير : لمحمد بن اسماعيل البخارى ، حيدر آباد ، الهند ١٣٦٠ هـ ٠

٥٧ ـ تأويل مختلف الحديث : لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت محمد زهرى النجار ، دار الجيل بيروت ، ١٣٩٣ هـ ٠

٥٨ ـ تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : لمحمد عبد الرحمن المباركفورى ، ت عبد الرحمن عثمان مطبعة الفجالة الجديدة ،

٥٩ ـ تحفة الاشراف : لجمال الدين المزى ، الدار القيمة الهند ، ١٣٨٤ هـ ٠

٦٠ ـ تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة فى العقل أو مرذولة : لابى الريحان محمد بن احمد البيرونى ط حيدر اباد الهند ، ١٣٧٧ هـ ٠

٦١ ـ تذكرة الحفاظ : لمحمد بن احمد الذهبى حيدر اباد الهند ط الرابعة ، ١٩٦٨ م ٠

٦٢ ــ تذكرة الموضوعات: لمحمد بن طاهر المقدسي ،مطبعة السعادة ،مصر ط الاولى ، ١٣٢٣ هـ .

٦٣ ــ الترغيب والترهيب: لعبد العظيم المنذرى ،ت محى الدين عبد الحميد المكتبة التجارية ، ١٣٢١ هـ .

٦٤ ــ التسعينية : لاحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ضمن مجلد الخامس من الفتاوى الكبرى ،مكتبة المثنى بغداد .

٦٥ ــ التصريح بما تواتر في نزول المسيح : لمحمد انور شاه الكشميرى ،ت عبد الفتاح أبو غده ،مكتب المطبوعات الاسلامية ،حلب .

٦٦ ــ التصوف الاسلامى : لاحمد توفيق ،مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٧٠ م .

٦٧ ــ التعرف لمذهب اهل التصوف: لابى بكر الكلاباذى ،ت محمد امين النواوى ، نشرته مكتبة كليات الازهرية ،ط الثانية ، ١٤٠٠ هـ .

٦٨ ــ التعريفات: لعلى بن محمد الجرجانى ،المكتبة اللبنانية بيروت ١٩٦٩ م .

٦٩ ــ تفسير غريب القرآن : لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ،ت السيد احمد صقر دار احياء الكتب العربية ،القاهرة ١٣٧٨ هـ .

٧٠ ــ تفسير القرآن العظيم : لابى الفداء اسماعيل بن كثير، دار احياء الكتب العربية .

٧١ ــ التفسير الكبير: لمحمد بن عمر الرازى ،دار الكتب العلمية ، طهران ،ط الثانية .

٧٢ ــ تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين : لابى القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهانى المطبعة العربية ،حلب .

٧٣ ــ التفكير الفلسفي : لعلى سامى النشار،

٧٤ ــ تقريب التهذيب : لاحمد بن حجر العسقلانى ،مطابع دار الكتب العربى مصر ، ١٣٨٠ هـ .

٧٥ ــ تلبيس ابليس: لعبد الرحمن بن على الجوزى ، ت خير الدين على ، دار الوعى العربى ،بيروت .

٧٦ ــ تلقيح فهوم أهل الأثر: لعبد الرحمن بن على الجوزى ،المطبعة النموذجية ،مصر ١٩٧٥ م .

٧٧ ــ التمهيد : لمحمد بن طيب الباقلانى ،نشره الأب يوسف مكارثى اليسوعى المكتبة الشرقية ،بيروت ١٩٥٧ م .

٧٨ ـ تنزيه الشريعة : لابى الحسن على بن محمد بن عراق الكنانى ، ت عبد الله بن صديق الغمارى وعبد الوهاب عبد اللطيف ، مطبعة عاطف ، مصر .

٧٩ ـ كتاب التوحيد واثبات صفات الرب : لمحمد بن اسحق بن خزيمة ، ت محمد خليل هراس ، دار الشرق ، ١٣٨٨ هـ .

٨٠ ـ توضيح المقاصد فى شرح قصيدة ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية : لاحمد بن ابراهيم بن عيسى ، المكتب الاسلامى بيروت ط الثانية ١٣٩٢ هـ .

٨١ ـ تهافت الفلاسفة : لابى حامد الغزالى ، دار المعارف مصر ط الخامسة .

٨٢ ـ تهذيب الآثار : لمحمد بن جرير الطبرى ، مصور بجامعة ام القرى .

٨٣ ـ تهذيب الاسماء واللغات : ليحي بن شرف النووى ، دار الكتب بيروت .

٨٤ ـ تهذيب التاريخ الكبير : لابى القاسم بن الحسن بن عساكر ، هذبه خالد فارصلى ، مطبعة روضة الشام ، ١٣٣٢ هـ .

٨٥ ـ جامع بيان العلم وفضله : لابى عمر يوسف بن عبد البر القرطبى ، دار الكتب ، بيروت ١٣٩٨ هـ .

٨٦ ـ جامع البيان :

٨٧ ـ جامع البيان عن تأويل القرآن : لمحمد بن جرير الطبرى ، ت أحمد شاكر دار المعارف مصر ، ورجعت ايضا الى طبعة الحلبى ط ١٩٧١ م .

٨٨ ـ الجامع الصحيح : لمحمد بن عيسى الترمذى ، ت عبد الرحمن محمد عثمان دار الاتحاد العربى للطباعة والنشر .

٨٩ ـ الجامع الكبير جـ ١ : لعبد الرحمن بن ابى بكر السيوطى .

٩٠ ـ الجامع لاحكام القرآن : لمحمد بن أحمد القرطبى ، دار القلم ، ط الثالثة ١٣٨٦ هـ .

٩١ ـ الجرح والتعديل : لعبد الرحمن بن أبى حاتم حيدر آباد الهند ، ط الاولى ١٣٧٢ هـ .

٩٢ ـ جمهرة الامثال : لابى الهلال الحسن بن عبد الله العسكرى ، ت محمد أبو الفضل وعبد المجيد قطامش ، مطبعة المدنى ط الاولى ١٣٨٤ هـ .

٩٣ ـ حادى الأرواح : لابى عبد الله محمد بن أبى بكر بن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

٩٤ ـ الحبائك فى اخبار الملائك : لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، ميكروفيلم فى جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

٩٥ ــ حلية الأولياء : لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الاصفهانى ، مطبعة السعادة مصر ط الاولى ١٣٧٤ هـ .

٩٦ ــ الحموية الكبرى : لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ضمن كتاب النفائس .

٩٧ ــ حياة الحيوان الكبرى : لكمال الدين الدميرى ، المكتبة الاسلامية .

٩٨ ــ كتاب الحيوان : للجاحظ ، ت فوزى عطوى ، بيروت ١٣٧٨ هـ .

٩٩ ــ الخصائص الكبرى : لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، ت محمد خليل هراس ، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٣٧٦ هـ .

١٠٠ ــ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية : لأبى العباس أحمد بن على المقريزى ، مؤسسة الحلبى ، القاهرة .

١٠١ ــ خلق أفعال العباد : لمحمد بن اسماعيل البخارى .

١٠٢ ــ دائرة المعارف الاسلامية : لأئمة المستشرقين ، دار الشعب القاهرة .

١٠٣ ــ دائرة المعارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدى ، دار المعرفة ، بيروت ، ط الثالثة ١٩٧١ م .

١٠٤ ــ درء تعارض العقل والنقل : لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ت د / محمد رشاد ، دار الكتب ١٩٧١ م .

١٠٥ ــ الدرة الفاخرة فى الأمثال السائرة : لحمزه بن حسن الاصفهانى ، ت د / عبد المجيد القطامش ، دار المعارف مصر ١٩٧١ م .

١٠٦ ــ الدر المنثور : لعبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، محمد أمين دمج بيروت .

١٠٧ ــ دلائل النبوة : لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الاصبهانى ، دائرة المعارف حيدر آباد الهند ، ١٣٢٠ هـ .

١٠٨ ــ الديباج المذهب : لابراهيم بن على بن فرحون المالكى ، ت محمد الاحمدى أبو النور ، دار التراث للطبع والنشر ، القاهره .

١٠٩ ـ الدين الخالص: لمحمد صديق حسن القنوجي ،مكتبة دار المعرفة ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ .

١١٠ ـ ديوان أبي نواس: لحسن بن هانئ أبونواس ،شرحه محمود كامل فريد المكتبة التجارية الكبرى ، القا القاهره .

١١١ ـ ديوان علقمة الفحل : ت لطفي الصقال و درية الخطيب،مطبعة الاصيل الحلب، ١٣٩٠ هـ .

١١٢ ـ الذريعة الى مكارم الشريعة : لابي القاسم الحسين بن محمد الراغب الاصفهاني ،ت طه عبد الرؤف سعد ،مطبعة حسان القاهرة ط الاولى ١٣٩٣ هـ .

١١٣ ـ ذم الكلام : للهروى ،مصور بمكتبة عبد الرحيم صديق .

١١٤ ـ الرد على الجهمية : لعثمان بن سعيد الدارمي ،ضمن مجموعة عقائد السلف

١١٥ ـ الرد على الزنادقة والجهمية : لأحمد بن حنبل ضمن مجموعة ا عقائد السلف

١١٦ ـ الرسالة : لمحمد بن ادريس الشافعي ،ت أحمد شاكر ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط الاولى ١٣٥٨ هـ .

١١٧ ـ رسالة التدمرية : لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ضمن كتاب النفائس .

١١٨ ـ رسالة في اثبات الاستواء والفوقية ومسألة الحرف والصوت في القرآن المجيد : لأبي عبد الله بن يوسف الجويني ،ضمن الرسائل المنيرية محمد أمين دمج ،بيروت ١٩٧٠ م .

١١٩ ـ مجموعة الرسائل والمسائل : لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ت محمد رشيد رضا ، لجنة التراث العربي .

١٢٠ ـ كتاب الروح : لابن القيم الجوزية ،دار الكتب العلمية ،بيروت ١٣٩٩ هـ .

١٢١ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لمحمود شكري الآلوسي ، دار احياء التراث العربي .

١٢٢ ـ روضات الجنات : لميرزا محمد باقر الخوانساري ، ت أسد الله اسماعيليان مطبعة المهر استوار ،ايران ١٣٩١ هـ .

١٢٣ ــ زاد المعاد : لابن القيم الجوزية ، ت محمد حامد الفقى ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة •

١٢٤ ــ كتاب الزهد : لـ لا لأحمد بن حنبل •

١٢٥ ــ كتاب الزهد : لعبد الله بن المبارك المروزى ، علمى بريس الهند ١٣٨٥

١٢٦ ــ كتاب الزهد : للوكيع •

١٢٧ ــ الزوائد : للبوصيرى مطبوع مع سنن ابن ماجة ، دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢ هـ •

١٢٨ ــ سرح العيون : لجمال الدين بن نباته المصرى ، ت محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربى القاهرة ١٣٨٣ هـ •

١٢٩ ــ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : لمحمد ناصح الدين الالبانى الكتب الاسلامى •

١٣٠ ــ السنة : لأحمد بن حنبل (ضمن شذرات البلاتين) •

١٣١ ــ السنة : لأحمد بن عمر بن أبى عاصم النبيل المكتب الاسلامى •

١٣٢ ــ سنن ابن ماجة : لمحمد بن يزيد بن ماجة ، ت محمد فؤاد عبد الباقى دار احياء الكتب العربية ١٣٧٢ هـ •

١٣٣ ــ سنن أبى داوُد : لسليمان بن أشعث السجستانى ، ت محى الدين عبد الحميد دار احياء السنة النبوية •

١٣٤ ــ سنن الدارمى : لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى ، ت محمد أحمد دهمان ، دار احياء السنة النبوية •

١٣٥ ــ سنن النسائى : لأحمد بن شعيب النسائى ، دار احياء التراث العربى بيروت •

١٣٦ ــ الشامل فى أصول الدين : لعبد الملك بن عبد الملك الجوينى ، ت على النشا وغيره ، الناشر المعارف بالاسكندرية ١٩٦٩ م .

١٣٧ ــ شذرات الذهب فى اخبار من ذهب : لعبد الحيّ بن العماد الحنبلى المكتب التجارى للطباعة والنشر ، بيروت .

١٣٨ ــ شرح أبيات المغنى اللبيب : لعبد القادر بن عمر البغدادى ، ت عبد العزيز رباح دقاق ، دار المأمون للتراث دمشق ١٣٩٣ هـ .

١٣٩ ــ شرح الأصول الخمسه : لعبد الجبار بن أحمد ، ت عبد الكريم عثمان مطبعة الاستقلال القاهرة ط الاولى ١٣٨٤ هـ .

١٤٠ ــ شرح جوهرة التوحيد : لابراهيم الباجورى ، مكتبة الغزالى ، ١٣٩٢ هـ .

١٤١ ــ شرح جوهرة التوحيد : لعبد السلام بن ابراهيم اللقانى ، ت محمد محى الدين عبد الحميد مطبعة السعادة مصر ط الثانية ١٣٧٥ هـ .

١٤٢ ــ شرح حديث النزول : لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، المكتب الاسلامى ط الخامسة ١٣٩٧ هـ .

١٤٣ ــ شرح ديوان الأخطل : لايليا سليم الحاوى ، دار الثقافة بيروت .

١٤٤ ــ شرح ديوان امرء القيس : لحسن سندوبى ، ط الخامسة مطبعة الاستقامة القاهـــــــرة .

١٤٥ ــ شرح السنة : لأبى محمد الحسين الفراء البغوى ، ت شعيب ارناؤوط المكتب الاسلامى بيروت ١٣٩١ هـ .

١٤٦ ــ شرح الخضرية :

١٤٧ ــ شرح العقائد النسفيه : لسعد الدين مسعود عمر التفتازانى در سعادت نومرو ١٣٢٦ هـ .

١٤٨ ــ شرح العقيدة الطحاويه : لابن أبى العز الحنفى ، ت جماعة من العلماء تخريج الالبانى ، المكتب الاسلامى ط الاولى ١٣٩٢ هـ .

١٤٩ ـ شرح العقيدة الواسطية : لمحمد خليل هراس، راجعه الشيخ عبد الرزاق عفيفي ، نشره محمد عبد المحسن الكتبي ط الثالثة .

١٥٠ ـ شرح المقاصد : لسعد الدين عمر التفتزانى .

١٥١ ـ شرح المواقف : لعلى بن محمد الجرجانى مطبعة السعادة مصر ط الاولى ١٣١٥ هـ .

١٥٢ ـ شرح نهج البلاغة : لعبد الحميد هبة الله بن أبى الحديد ، ت محمد أبو الفضل ، دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٣٧٨ هـ .

١٥٣ ـ الشريعة : لمحمد بن عبد الله الآجرى ، مطبعة السنة المحمدية مصر ١٣٦٩ هـ .

١٥٤ ـ الشعر والشعراء : لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، مطبعة المعاهد مصر ط الثانية ١٣٥٠ هـ .

١٥٥ ـ شفاء العليل : لابن القيم الجوزية مطبعة السنة المحمدية القاهرة .

١٥٦ ـ صحيح ابن خزيمة : لأبى بكر محمد بن اسحق بن خزيمة النيسابورى ، ت د / محمد مصطفى الأعظمى ، المكتب الاسلامى .

١٥٧ ـ صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج النيسابورى ، ت محمد فؤاد عبد الباقى دار الكتب العربية ، ط الاولى ١٩٥٥ م .

١٥٨ ـ صحيح مسلم بشرح النووى : ليحى بن شرف النووى ، المطبعة المصرية ومكتبتها ١٣٤٩ هـ .

١٥٩ ـ صفة الصفوة : لعبد الرحمن بن على ابن الجوزى ، حيدر آباد الهند ١٣٩٢ هـ .

١٦٠ ـ كتاب الضعفاء والمتروكين : لأحمد بن شعيب النسائى ، ت محمود ابراهيم زائد دار الوعى حلب ط الاولى ١٣٩٦ هـ .

١٦١ ـ طبقات الأطباء والحكماء : لأبى داود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جلجل مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة ١٩٥٥ م .

١٦٢ ـ طبقات الحنابلة : لأبى الحسين محمد بن أبى يعلى ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٧١ هـ .

١٦٣ ـ طبقات السنية فى تراجم الحنفية : لتقى الدين بن عبد القادر الحنفى مطابع الاهرام مصر ١٣٩٠ هـ .

١٦٤ ـ طبقات الشافعية : لتاج الدين أبى النصر السبكى ، ت محمود محمد الطناحى وعبد الفتاح محمد الحلو مطبعة عيسى البابى الحلبى ط الاولى ١٣٨٣ هـ .

١٦٥ ـ الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد ، دار صادر بيروت ١٣٨٠ هـ .

١٦٦ ـ طبقات المفسرين : لمحمد بن على بن أحمد الداودى ، ت على محمد عمر ، مطبعة الاستقلال الكبرى ط الأولى ١٣٩٢ هـ .

١٦٧ ـ طبقات النحويين واللغويين : لمحمد بن الحسن الزبيدى ، ت محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعارف القاهرة ١٣٧٣ هـ .

١٦٨ ـ العقد الفريد : لأحمد بن محمد ابن عبد ربه ، المطبعة الازهرية المصرية ١٣٢١ هـ .

١٦٩ ـ العقيدة الاسلامية وأسسها : لعبد الرحمن حبنكه الميدانى ، دار القلم دمشق ط الثانية ١٣٩٩ هـ .

١٧٠ ـ عقيدة أهل السنة والجماعة : لأحمد بن محمد الطحاوى ، تعليق محمد بن مانع القاهرة .

١٧١ ـ عقيدة السلف : لأبى عثمان اسماعيل بن عبد الرحمن الصابونى ، الدار السلفية الكويت ، ط الأولى ١٣٩٧ هـ .

١٧٢ ـ العقيدة الطحاوية : لأبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي ،شرح وتعليق لمحمد ناصر الدين الالباني ،المكتب الاسلامي ط الأولى ١٣٩٨ هـ .

١٧٢ ـ أ العلل المتناهية : لعبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، ت ارشاد الحق الأثري ،دار نشر الكتب الاسلامية لاهور ط الأولى ١٣٩٩ هـ .

١٧٣ ـ العلو للعلي الغفار : لمحمد بن أحمد الذهبي ،ت عبد الرحمن عثمان مطبعة العاصمة القاهرة ط الثانية ١٣٨٨ هـ .

١٧٤ ـ العمدة : للحسن بن رشيق ،ت محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٨٣ هـ .

١٧٥ ـ عيون الأطباء في طبقات الاطباء : لأبي العباس أحمد بن القاسم المعروف بابن أبي اصيبعه ،دار مكتبه الحياة بيروت ١٩٦٥ م .

١٧٦ ـ عيون الأخبار : لعبد الله مسلم ابن قتيبة ،المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٦٣ م .

١٧٧ ـ غاية المرام في علم الكلام :لسيف الدين الآمدي ، ت حسن محمود عبد اللطيف نشر المجلس الاعلى للشؤن الاسلامية القاهرة ١٣٩١ هـ .

١٧٨ ـ غاية النهاية في طبقات القراء : لمحمد بن محمد بن الجزري ، ط الاولى ١٣٥٢ هـ .

١٧٩ ـ غريب الحديث : للخطابي ،مصور في جامعة أم القرى بمكة

١٨٠ ـ غريب الحديث : لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت عبد الله الجبوري ، مطبعة العاني بغداد ١٣٩٧ هـ .

١٨١ ـ الفاخر : للمفضل بن سلمة ،ت عبد العليم الطحاوي القاهرة ١٩٦٠ م .

١٨٢ ـ الفائق في غريب الحديث : لمحمود بن عمر الزمخشري ، ت علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم .

١٨٣ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري : لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني تصحيح محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي المطبعة السلفية ،

١٨٤ ـ الفتح الربانى لترتيب مسند الامام أحمد بن حنبل الشيبانى : لأحمد بن عبد الرحمن الشهير بالساعاتى ، مطبعة الاخوان المسلمين ط الاولى ١٣٥٥ هـ

١٨٥ ـ فتح القدير : لمحمد بن على الشوكانى ، نشره محفوظ العلى بيروت .

١٨٦ ـ فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد : لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ت محمد حامد الفقى مطبعة السنة المحمدية ط السابعة ١٣٧٧ هـ .

١٨٧ ـ فتح المغيث : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، ت عبد الرحمن عثمان مطبعة العاصمة القاهرة ط الثانية ١٣٨٨ هـ .

١٨٨ ـ فجر الاسلام : لأحمد أمين ، دار الكتاب العربى بيروت ط العاشرة ١٩٦٩ م .

١٨٩ ـ الفرق بين الفرق : لعبد القاهر بن طاهر البغدادى ، ت محمد محى الدين عبد الحميد مطبعة المدنى القاهرة .

١٩٠ ـ الفصل فى الملل والنحل : لعلى بن حزم الظاهرى ، مكتبة المثنى بغداد ١٣٢١ هـ .

١٩١ ـ فصل المقال فى شرح كتاب الامثال : لأبى عبيد البكرى ، دار الأمانة بيروت ١٣٩١ هـ .

١٩٢ ـ الفضائح الباطنية : لأبى حامد محمد الغزالى ، ت عبد الرحمن البدوى دار الكتب الثقافية كويت ١٩٦٤ م .

١٩٣ ـ فضائل القرآن : لأبى الفداء اسماعيل بن كثير ، مطبوع مع تفسيره دار احياء الكتب العربية .

١٩٤ ـ فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : لمحمد بن الفضل البلخى ، ت فؤاد سيد الدار التونسية للنشر ، تونس ١٣٩٣ هـ .

١٩٥ ـ الفقه الأكبر : لأبى حنيفة النعمان بن ثابت ، حيدر آباد الهند ط الثانية ١٣٧٣ هـ .

١٩٦ ـ الفوائد المجموعة : لمحمد بن على الشوكانى ، ت المعلمى عبد الرحمن بن يحي ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٣٨٠ هـ .

١٩٧ ـ الفهرست : لابن نديم ، دار المعرفة بيروت .

١٩٨ ـ فهرس الخزانة التيمورية : (أسماء المؤلفين) دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٤٨ م .

١٩٩ ـ فهرس الكتب التركية الموجودة فى الكتبخانه الخديوية : جمعها على حلمى الداغستانى المطبعة العثمانية مصر ط الأولى ١٣٠٦ هـ .

٢٠٠ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علوم القرآن) : وضعه الدكتور عزة حسن دمشق ١٣٨١ هـ .

٢٠١ ـ فهرس مخطوطات شستربيتى : لآرتر ج آربيرى ، دبلن ١٩٦٤ م .

٢٠٢ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب المصرية : لفؤاد سيد ، دار الكتب القاهرة ١٣٨٠ هـ .

٢٠٣ ـ القاموس المحيط : لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ .

٢٠٤ ـ الكتاب (كتاب سيبويه) ت عبد السلام هارون القاهرة ١٩٦٦ م .

٢٠٥ ـ كتاب مقدس .

٢٠٦ ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل : لمحمود بن عمر الزمخشرى .

٢٠٧ ـ كشف الخفاء : لاسماعيل بن محمد العجلونى ، دار احياء التراث العربى بيروت ١٣٥١ هـ .

٢٠٨ ـ كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون : لمصطفى بن عبد الله حاجى خليفة ، دار سعادت ١٣٩٩ هـ .

٢٠٩ ـ كليلة ودمنة : لبيدبا الفيلسوف الهندى ، ترجمه عبد الله بن مقفع ، المطبعة الاميرية القاهرة ١٢٧٥ هـ .

٢١٠ ـ كنز العمال : لعلى بن حسام الدين المتقى الهندى ، حيدر آباد الهند ١٣١٢ هـ .

٢١١ ـ اللآلى المصنوعة : للسيوطى ، دار المعرفة بيروت .

٢١٢ ـ اللباب فى تهذيب الانساب : لعز الدين ابن الأثير الجزرى ، دار صادر بيـــروت .

٢١٣ ـ اللسان : لمحمد بن منظور ، دار صادر بيروت ١٣٨٨ هـ .

٢١٤ ـ لسان الميزان : لأحمد بن حجر العسقلانى ، مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت ط الثانية ١٣٩٠ هـ .

٢١٥ ـ اللمع : لأبى نصر السراج الطوسى ، ت عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور ، مطبعة السعادة ١٣٨٠ هـ .

٢١٦ ـ لمعة الاعتقاد : للموفق بن قدامة المقدسى ، المكتب الاسلامى بيروت ط الثالثة ١٣٨٩ هـ .

٢١٧ ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية : لمحمد بن أحمد السفارينى ـ

٢١٨ ـ كتاب المجروحين : لمحمد بن حبان البستى ، ت محمود ابراهيم زيد ، دار الوعى حلب .

٢١٩ ـ مجمع الأمثال : لأبى الفضل أحمد بن محمد بن ابراهيم الميدانى ، مطبعة السعادة مصر ط الثانية ١٣٧٩ هـ .

٢٢٠ ـ مجمع بحار الأنوار : لمحمد طاهر الفتنى ، حيدر آباد الهند ١٣٨٧ هـ .

٢٢١ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : لعلى بن أبى بكر الهيثمى ، دار الكتاب العربى بيروت ط الثانية ١٩٦٧ م .

٢٢٢ ـ مجموعة الرسائل الكبرى : لأحمد عبد الحليم بن تيمية ، مطبعة محمد على صبيح وأولاده الأزهر ١٣٨٥ هـ .

٢٢٣ ـ مجموع فتاوى ابن تيمية : جمع عبد الرحمن بن محمد العاصمى ، مطابع الرياض ط الأولى ١٣٨١ هـ .

٢٢٤ ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : لأبى القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى ، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٤ م .

٢٢٥ ـ محاضرات فى النصرانية : لمحمد أبى زهرة ـ

٢٢٦ ـ المحرر فى الفقه : لمجد الدين أبى البركات، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩

٢٢٧ ـ مختار الصحاح : لمحمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى ، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه مصر

٢٢٨ ـ المختار من كتاب محاضرات الأدباء : لأنور الجندى القاهرة ط الاولى ١٩٦٠ م .

٢٢٩ ـ مختصر شعب الايمان : لأبى جعفر عمر القزوينى ، دار الكتب العلمية بيروت

٢٣٠ ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : لابن القيم الجوزية اختصره محمد بن الموصلى مكتبة الرياض الحديثة .

٢٣١ ـ مدارج السالكين : لابن القيم الجوزية مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٥ هـ .

٢٣٢ ـ المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم : لعوض الله جاد حجازى دار الطباعة المحمدية القاهرة ط الرابعة .

٢٣٣ ـ مروج الذهب : لعلى بن الحسين بن على المسعودى ، ت محمد محى الدين عبد الحميد مطبعة السعادة مصر ط الرابعة ١٣٨٤ هـ .

٢٣٤ ـ المستدرك على الصحيحين : لمحمد بن عبد الله الحاكم ، مطابع النصر الرياض .

٢٣٥ ـ المستقصى فى أمثال العرب : لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى ، حيدر آباد الهند ط الأولى ١٣٨١ هـ .

٢٣٦ ـ مسند الامام أحمد : المكتب الاسلامى ودار صادر بيروت .

٢٣٧ ـ مسند الحميدى : لابى عبد الله الزبير ت حبيب الرحمن الاعظمى المجلس العلمى الهند ١٣٨٢ هـ .

٢٣٨ ـ مشكاة المصابيح : لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزى ، ت محمد ناصر الدين الالبانى المكتب الاسلامى للطباعة والنشر ، ١٣٨٠ هـ .

٢٣٩ ـ مشكل الآثار : لأبى جعفر أحمد بن محمد الأزدى الطحاوى ، حيدر اباد الهند ط الأولى .

٢٤٠ ـ المصنف : لعبد الرزاق بن همام الصنعانى ، ت حبيب الرحمن الأعظمى مطابع دار القلم بيروت ١٣٩٠ هـ .

٢٤١ ـ المصنف فى الأحاديث والآثار : لعبد الله بن محمد بن أبى شيبة ، مصور فى الحرم المكى .

٢٤٢ ـ المطالب العالية : لأحمد بن حجر العسقلانى ، ت حبيب الرحمن الاعظمى دار الكتب العلمية بيروت .

٢٤٣ ـ مطالع الانظار : لشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الاصفهانى ، شركة علمية ، در سعادت .

٢٤٤ ـ معارج القدس فى مدارج معرفة النفس : للغزالى ، ت مصطفى ابو العلاء مكتبة الجندى القاهرة ١٣٨٨ هـ .

٢٤٥ ـ معجم البلدان : لياقوت بن عبد الله الحموى ، دار الكتاب العربى بيروت .

٢٤٦ ـ المعارف : لعبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت د / ثروت عكاشه ، دار المعارف مصر ط الثانية .

٢٤٧ ـ معجم المؤلفين : لعمر رضا كحاله ، دار العلم للملايين بيروت ١٣٨٨ هـ .

٢٤٨ ـ المغنى : لعبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة ، ت محمود عبد الوهاب فائد مطابع سجل العرب مصر .

٢٤٩ ـ المغنى عن الاسفار فى الاسفار فى تخريج ما فى الاحياء من الاخبار : لعبد الرحيم بن الحسين العراقى ، مطبوع على هامش احياء علوم الدين دار المعرفة بيروت .

٢٥٠ ـ المغنى فى ابواب التوحيد والعدل : لابى الحسين عبد الجبار بن احمد ت عبد الحليم محمود وسليمان دنيا ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٢٥١ ـ مفتاح السعاده ومصباح السيادة : لاحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده ،تت كامل بكرى وعبد الوهاب ابو النور مطبعة الاستقلال الكبرى القاهرة ١٩٦٨ م .

٢٥٢ ـ المفردات فى غريب القرآن : لابى القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى ،ت محمد سيد كيلانى مطبعة مصطفى البابى الحلبى و اولاده مصر ١٣٨١ هـ .

٢٥٣ ـ المقاصد الحسنة : لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، ت عبد الله محمد الصديق و تقديم عبد الوهاب عبد اللطيف ،دار الكتب العلمية ط الاولى بيروت .

٢٥٤ ـ مقالات الاسلاميين : لابى الحسن على الاشعرى ،ت محى الدين عبد الحميد مطبعة النهضة المصرية ط الثانية ١٣٨٩ هـ .

٢٥٥ ـ المقتضب : لمحمد بن يزيد المبرد ،ت محمد عبد الخالق المجلس الاعلى لشؤن الاسلامية القاهرة ١٣٨٢ هـ .

٢٥٦ ـ مقدمة لابن خلدون : لعبد الرحمن بن خلدون ،دار الشعب القاهرة .

٢٥٧ ـ المقولات العشر : لمحمد الحسنى البليدى ،ت ممدوح حقى .

٢٥٨ ـ الملل والنحل : لابى الفتح عبد الكريم الشهرستانى ،مطبوع مع الفصل لابن حزم ،مكتبة المثنى بغداد ١٣٢١ هـ .

٢٥٩ ـ المنار المنيف فى الصحيح والضعيف : لابن القيم الجوزية ، ت محمود مهدى استانبولى .

٢٦٠ ـ المنتظم : لعبد الرحمن بن الجوزى ،حيدر اباد الهند .

٢٦١ ـ منع جواز المجاز : لمحمد الامين بن محمد المختار الشنقيطى ،مطبوع مع أضواء البيان ،ط الثانية ١٤٠٠ هـ .

٢٦٢ ـ المنقذ من الضلال : لابى حامد محمد الغزالى دار العلم للجميع .

٢٦٣ ـ منهاج السنة النبوية : لاحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، المطبعة الاميرية ببولاق ، ط الاولى ١٣٢١ هـ .

٢٦٤ ـ منهج ودراسات لآيات الاسماء والصفات : لمحمد الامين الشنقيطي ، مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر جده ط الثانية ١٣٨٨ هـ .

٢٦٥ ـ موارد الظمآن الى زوائد ابن حبان : لعلى بن ابى بكر الهيثمى ، ت محمد عبد الرزاق حمزه دار الكتب العلمية بيروت .

٢٦٦ ـ موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون : لمحمد اعلى بن على التهانوى ، شركة خياط ، بيروت .

٢٦٧ ـ الموسوعة العربية الميسرة : اشراف محمد شفيق غربال ، دار الشعب و مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر .

٢٦٨ ـ الموطأ : للامام مالك بن أنس ، مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٣ هـ .

٢٦٩ ـ الموضوعات : لعبد الرحمن بن على بن الجوزى ، ت عبد الرحمن محمد عثمان ، المكتبة السلفية ، ١٣٨٦ هـ .

٢٧٠ ـ ميزان الاعتدال : لمحمد بن أحمد الذهبى ، ت على محمد البجاوى ، دار الكتب العربية وعيسى البابى الحلبى .

٢٧١ ـ النبوات : لاحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٨٦ هـ .

٢٧٢ ـ النجاة : لابى على الحسين بن سينا ، مصطفى البابى الحلبى ، ط الثانية ١٣٥٧ هـ .

٢٧٣ ـ نشأة الفكر : لعلى سامى النشار ، دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ م .

٢٧٤ ـ نقض المنطق : لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، ت محمد بن عبد الرزاق حمزه وسليمان بن عبد الرحمن الصنيع ، تصحيح محمد حامد الفقى ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة .

٢٧٥ ـ النهاية فى الفتن والملاحم : لابى الفداء اسماعيل بن كثير ، ت طه الزينى دار الكتب الحديثة ، القاهرة ١٣٥٨ هـ .

٢٧٦ ـ نهج البلاغة :

٢٧٧ ـ نيل الأوطار : لمحمد على بن محمد الشوكانى ،مصطفى البابى الحلبى ، مصر،ط الأخيرة .

٢٧٨ ـ وصية الإمام أبى حنيفة ، المعروف برسالة " نقر " مكتبة الحرم المكى -

٢٧٩ ـ وفيات الاعيان : لاحمد بن محمد بن خلكان ، ت احسن عباس ، دار الثقافة ،بيروت .

=================

فهرس الآيات القرآنيـــــة (١)

(١) حرف الهاء يعني الهامش.

سورة النساء

سورة الانعام

سورة الاعراف

سورة الانفال

ســــــورة التــــوبــــــة

ســــــورة يــــــونس

سورة الاسراء

سورة الكهف

٤٥ " واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلنه من السماء

فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح " ٢١٠

٤٧ " وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا " ٢٣٦

٤٩ " ولا يظلم " ٨٥ هـ

٥٠ " الا ابليس كان من الجن " ١٦٧

٥١ " ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم

وما كنت متخذ المضلين عضدا " ٣٣٢

٥٧ " ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها ونسى ما قدمت

يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى اذانهم

وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا " ٤٦

٦٥ " اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما " ١٠٣

٦٩ " ستجدنى ان شاء الله صابرا " ٣٠٥

٧١ " فانطلقا حتى اذا ركبا فى لسفينة خرقها قال اخرقتها

لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا " ٢٨٩ هـ

٧٤ " وقال فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت

نفسا زكية بغير نفس لقد شيئا نكرا " ٢٩٠

٧٧، ٧٨ " وقال فانطلقا حتى اذا اتيا قرية استطعما اهلها

فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه

قال لو شئت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بينى وبينك

سأنبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا " ١٩٠ هـ

٨٢ " ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ز " ١٩٣

٩٩، ١٠٠ " ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم

يومئذ للكافرين عرضا " ٢٣٧

ســورة الانبيــاء

ســورة الحــج

٧٨ " ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل " ١٤٩ ، ٣٦٩

سورة المومنون

١ ، ١١ " قد افلح المومنون — الى — اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس " ٦٤

١٣ ، ١٤ " ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلنانطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغةعظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين " ٢٣٠

٣٣ ، ٣٤ " قال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون " ١٢٧

٩١ " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله بما خلق ولعلى بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون " ٧٩ ، ٣٤٧

٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ " حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون — وقوله — وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون " ٢٢٥

١٠٨ " اخسأوا فيها ولا تكلمون " ١٨٠ هـ

١١٥ " افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون " ٢٠٩

سورة النور

١٩ " والله يعلم وانتم لا تعلمون " ٩٨

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

سورة السجدة

سورة المومن

سورة حم سجده

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الاحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحشر

سورة الصف

سورة الجمعة

سورة المنافقون

سورة التغابن

سورة الطلاق

===================

فهرس الاحاديث النبويـــــــة

الاحاديـــــــــث	رقم الصفحة
اتانى جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون فامسكت الحمى بالمدينة وارسلت الطاعون الى الشام	٢٤٢ هـ
اتانى ملكان وقعد احدهما عند رأسى والاخر عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه ما بالرجل فقال مطبوب ،الخ	١٧٢
اتدرون ما هذان الكتابان ،قال قلنا : لا ،الا تخبرنا يا رسول الله قال للذى فى يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين الخ	٢٦٩ هـ
اتدرون مم ضحكت ؟ قلنا ؟: لا يا رسول الله قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرنى من الظلم الخ	٢٥٧ هـ
أتزعم أن فى الجنة نكاحا واكلا وشربا ومن اكل وشرب كانت لعذرة فقال النبى صلى الله عليه والذى نفسى بيده ان فيها اكلا الخ	٢٧٥
اتفر من القدر فقال لست ثم ان الله تعالى لا يامره بما لا ينفع افر من قضاء الله الى قدره ،	٣٠٠
اتى النبى صلى الله عليه وسلم باناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الاناء فجعل الماء ينبع من بين اصابعه	١٤٥ هـ
فاذا اهل السماء من الملائكة صرعوا على دروسهم ثم يامر فينفخ النفخة الثانية وقد اجتمعت الارواح كلها فى الصور الخ	٢٣٧
اذا ذكر القدر فامسكوا	٢٩٠ ،٥٨
استقامة القلب بمفارقة التعطيل وانكار التشبيه فاذا اومأ الى التعطيل اثبت واما اذا اومأ الى التشبيه انكر (مدخول على)	٨٩
فاذا سألتم الله فسلوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة	١١٢
اذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت نعيمه فى مسألتى ومناجاتى فاذا فعل ذلك عبدى عشقنى وعشقته	٩٥

ينزل عيسى بن مريم اماما عادلا وحكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرجع السلم ويتخذ السيوف مناجل الخ ٢٤٧ هـ

ينزل الله عز وجل الى سماء الدنيا ، ١١٥

يؤتى لجهنم يوم القيامة ولها سبعون الف زمام مع كل زمام سبعون الف ملك ، ٢٦٧

================

فهرس الاعلام المترجم لهم

حرف الهمزه

حرف البـــاء

حرف الجيم

حرف الحـــاء

حرف الخـــاء

حرف الـــدال

حرف الـــراء

حرف الـــزاء

حرف الســين

حرف الشــين

حرف الضـــاد

حرف العيــن

حرف القـــاف

حرف الكـــاف

حرف الـــلام

حرف المـــيم

حرف الهـــاء

فهرس الفرق والمذاهب والاديـــان (١)

---

(١) القوسان اشارة الى مكان الترجمة .

فهرس الشواهد الشعرية

فهرس الامثال

الامثال	الصفحة
أطرى فانك ناعلة	١٩٧
الصيف ضيعت اللبن	١٩٧
لا ماءك ابقيت ولا درنك انقيت	٢٩١
يداك اوكتا وفوك نفخ	١٩٧
يدب له الضراء	٤٣
يسرحسوا فى ارتغاء	٤٣

فهرس الموضوعـــــات

============

موضوعات الكتاب وتحقيقه

الفصـــــــل الثـــالث

الفصـــــل الرابـــــع

الفصـــــــل الخـــــامس

الفصل السادس

الفصـــــل الســـابـــع

الفصل الثامن

انتهت الفهارس والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .